

949.5  
R972A  
v.2

Jafe

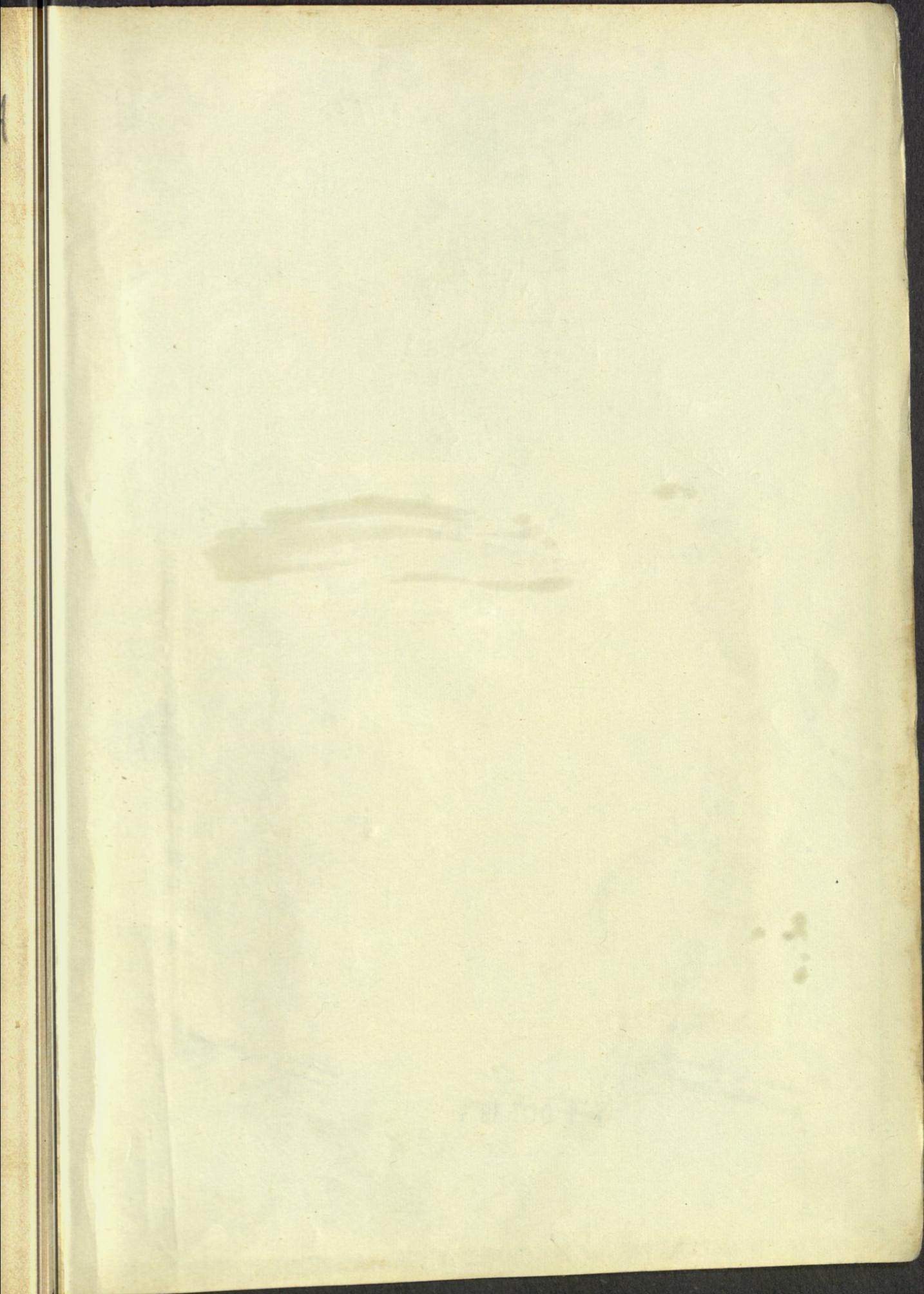
01

~~ENTER 1975~~

~~F OCT 1974~~

~~RECEIVED  
1 FEB 1977~~

SALEH EL-DUKR  
Mazra'a, Beirut  
Bindry  
Tel: 22977



949.5  
R97rA  
v.2



# الْأُوْرَاقُ الْمُكْشُوفَةُ

فِي سِيَاسَتِهِمْ، وَحَضَارَتِهِمْ، وَدِينِهِمْ، وَ ثِقَافَتِهِمْ  
وَصِلَاقِهِمْ بِالْعَرَبِ

لِلدُّكْتُورِ أَسَدِ رَسْمٍ

الجزءُ الثاني

دار المكتبة



الطبعة الاولى ، بيروت - لبنان ، ايار ١٩٥٦

جميع الحقوق محفوظة

## الباب الثامن

### الاسرة المقدونية والظفر والعظمة والمجد

( ٨٦٧ - ١٠٥٧ )

•

#### الفصل الثاني والعشرون

##### توطيد الملك : باسيليوس الاول ولاوون السادس

( ٩١٢ - ٨٦٧ )

أصل هذه الاسرة : وتحتختلف المراجع الاولية في أصل هذه الاسرة . فاليونانية منها تجعلها ارمنية او مقدونية . والارمنية تؤكد نسبها الارمني . والعربية تراها صقلبية . ومن هنا كان هذا الاختلاف في الرأي بين رجال الاختصاص . والذي لا خلاف فيه هو ان باسيليوس الاول ولد في خريوبوليس في مقدونية<sup>١</sup> ، وان العنصر الصقلبي كان قد اصبح العنصر الرئيسي فيها كما سبق ان أشرنا . ولا يستبعد وحالات هذه ان يكون باسيليوس قد تحدى من اصل مختلط ارمني صقلبي مقدوني<sup>٢</sup> .

Papadopoulos, A., *Fontes Historiae Imperii Trapezuntini*, 69.

١

Adonz, N., *Age et Origine de Basil I*, *Byzantion*, 1934, 223-260.

٢

		افدو <sup>كية</sup> = باسيليوس الاول = ماريا
٨٦٥	طلقت	خليله ميخائيل الثالث
		٨٨٢ +
		اسطفانوس
		اسكندر زويه = لاون السادس قسطنطين الفسليفوس المعاون
٨٧٩ - ٨٧٠	٩١٢ - ٨٨٦	بطريك
		القسطنطينية
		قسطنطين السابع
		٨٩٣ - ٨٨٦
		٩٥٩ - ٩١٢

**باسيليوس الاول :** ( ٨٦٧ - ٨٨٦ ) وكان باسيليوس طويل القامة مقتول العضل جميل الطلعة جندياً شجاعاً وفارساً مغواراً . وما يروى عنه انه كان اقدر اهل زمانه في ترويض الحيل وتذليلها ، وانه استرعى نظر ميخائيل الثالث حينها ذلل مهراً جاحماً له بسهولة فائقة . وكان قد سبق له ان قهر جباراً بلغارياً فرماد عن ظهر جواده الى الارض في حفلة اقامها ابن برداش خال ميخائيل الثالث<sup>١</sup> . فاحبه الفسليفوس وجعله امير اخوره Protostrator . وكان ذكياً نشيطاً قديراً ولكنه كان طموحاً . فما ان أصبح عالماً باحوال البلاط وبالنزاع بين ثيودورة وابنها ميخائيل الثالث و أخيها برداش حتى بدأ يتربّب الفرص لينتفع منها . فأيد برداش ضد اخته ثيودورة ليذكي النفور في البلاط ويجرد القيصر من ذويه . وأيد ارتقاء فوطيوس العرش البطريكي ليؤجج الغيظ ضد البلاط في صدور اعون اغناطيوس وليبعد عن الفسليفوس كاتم اسرارٍ اشتهر بعقله وفضله وحسن ادارته . ثم بعد ارتقاء فوطيوس

أخذ يحرك حزب أغناطيوس لزيyd النفور والغفيظ . وبعد ان أصبح رئيس القصر في السنة ٨٦٥ وسوس سيمباتيوس صهر برداس لابنته ان الفسيلفس عزم على ان يرقى الى رتبة معاون له وان برداس منعه . فقضب سيمباتيوس من حمه ، وبالاتفاق مع باسيليوس وشى للفسيلفس ان برداس عازم على قتله . فأمر ميخائيل الفسيلفس برداس ان يجمع جيشاً ليتوجه به الى اقريطش لحاربة العرب . وفي صباح الثاني والعشرين من نيسان سنة ٨٦٦ جاء برداس الى خيمة الفسيلفس لابساً حلته الرسمية ليستأذنه باخراج الجيش الى الجزيرة . فلقاء ستة اشخاص من الذين تعلموا في مدرسته ، وفي مقدمتهم صهره سيمباسيوس وباسيليوس المقدوني . فرسم صهره الصليب اشاره للهجوم عليه . وللحال طعنه باسيليوس بضربة قاتلة سقط على اثراها مضرجاً بدمائه . ثم انكب الباقيون عليه وأكملا ذبحه امام الفسيلفس . ورجع الفسيلفس ميخائيل الثالث الى العاصمة وتبنى باسيليوس وجعله ولي عهده ، واقامه فسيلفساً معاوناً ، وتوّجه في يوم العنصرة في السابع والعشرين من ايار بيد البطريرك فوطيوس . وكان ميخائيل لا يزال طائشاً وكانت باسيليوس ادرى الناس به لقربه منه ، ولكونه قد تزوج من خليلته افدوكيه انغرينة ، فأدرك ان عطف الفسيلفس قد بدأ يتحول عنه ، فهجم عليه وقتل في قصره في الرابع والعشرين من ايلول سنة ٨٦٧ . ثم طلب الى البطريرك ان يسحه فسيلفساً ، ففعل لرضا الشعب عنه<sup>١</sup> .

وعلى الرغم من هذا كله فان جمهرة من المؤرخين يرون في باسيليوس ، على ضوء ما تمّ على يده بعد ان انفرد بالحكم ، رجلاً ادارياً قادرًا ، وسياسيًا داهيًّا ، مفطورًا على السلطة والحكم ، راغبًا في اعادة النظام ،

١ جراسيموس متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ١ ، ص ٣٩٧ و ٤٠٨ و ٣٧٢ و ٤٧٣ -

*Theophanes Continuatus, Hist., 208-209, 250-251.*

طاعماً الى اعلاه شأن الامبراطورية واعادة مجدها<sup>١</sup>.

**باسيليوس والعرب والارمن :** وكانت الدولة لا تزال في سلم مع البلغار . وكانت علاقتها ودية مع البندقية ومع خليفة كارلوس الكبير في ايطالية . وكانت الدولة العباسية قد دخلت في طور ضعف وانحلال استد فيه نفوذ الاتراك ، وعلت اصوات الجواري امهات الامراء ، وثار العلويون مطـالـين بالعرش ، ونفر العرب من بني العباس . فتصرف طاهر ابن الحسين وخلفاؤه في النقوس لمصلحتهم في خراسان . واستقل حسن ابن زيد الدليم في طبرستان وجرجان . ثم تغلب الصفارية في سجستان وغيرها وارادوا مهاجمة بغداد ( ٨٧٤ ) . واستطاع أفقاً ان يصبح سيد البصرة وان يد سلطانه الى ابواب بغداد . وسلخ احمد ابن طولون التركي مصر والشام واخذ يجمع الفرائض لحساب نفسه ( ٨٧٧ ) . واكتفت بغداد بتحريض بعض امراء الشام عليه . ثم اعترفت دمشق بسلطنة خمارويه ابن احمد ابن طولون فقضى على الاحزاب المعادية في الشام ( ٨٨٩ ) واتخذ دمشق قاعدة ملوكه .

وأراد باسيليوس الاول ان يستغل هذا الظرف لصالح شعبه ، فقام بمحارب على طول الجبهة الاسلامية من ساطيء قيليقية حتى ارمينية وطرازون . ونجح في دفع المسلمين الى الوراء في حروب متتالية بين السنة ٨٧١ والسنة ٨٨٢ . فاحتل المرات الرئيسة عبر طوروس ، وقاتل البوسرين بين سبسطية على المايس وملاطية على الفرات ، ودخل عاصمتهم تفريقة عنوة في السنة ٨٧٢ فدمرها تدميراً وذبح خريسوخيروس صاحبها وعرض رأسه في موكب النصر في القسطنطينية . وفي السنة ٨٧٣ احتل زبطرة وسميساط .

ومع انه لم يستول على ملاطية فانه قطعها عن دولة العباسين باحتلاله ما حوالها . وعند السنة ٨٧٧ كان قد احتل لؤلؤة وجميع ما وقع بين قيصرية ومرعش وأصبح سيد جبال طوروس بسلسلتها ومراتها<sup>١</sup> .

وسرّه ان الخليفة المعتمد اعترف في السنة ٨٨٥ بدولة ارمينية مستقلة بزعامة اشوت بغرتوني<sup>٢</sup> . فأسرع يعترف هو بدوره بالملك الجديد مقدماً له تاجاً مخاطباً اياه بالعبارة «الابن الحبيب» مؤكداً ان ارمينية ستظل اعز حلفاء الامبراطورية . ولكن في الوقت نفسه بقي على اتصال وثيق بأمراء الاسك والكرج كي لا يستفحـل امر اشوت الملك الجديد<sup>٣</sup> .

وأدرك الفسيلفس الجديد خطورة الموقف في البحر المتوسط وفي الغرب ، فان السيادة على هذا البحر كانت قد استقرت في يد المسلمين . وكان هؤلاء قد استقروا في صقلية وفي باري وتارنتوم . وكانوا يغيرون من هذه القواعد على سواحل الادرياتيك الشرقي وسواحل ايطالية الجنوبية فيرعون سكانها ويعرقلون تجاراتها . وما فتئوا حتى ظهروا امام روما نفسها . وكان قد تبين جلياً ان امراء سلerno وكابو وبنفتوم اللومبارديين لا يقوون على الصمود في وجه العرب المسلمين لانقسامهم على انفسهم انقساماً لا وحدة بعده وان الامبراطور الغربي لويس الثاني كان قد اصبح ضعيفاً . وكان قد ام القسطنطينية وفدان احدهما يمثل هذا الامبراطور والثاني يمثل البابا ليحثا الفسيلفس الجديد على صيانة النصرانية في الغرب ودفع خطر المسلمين عنها . فهب باسيليوس لمعونة اخوانه في النصرانية وانفذ في السنة ٨٦٨

Vasiliev, A. A., *Byzance et les Arabes Sous la Dyn. Macedonienne*; ١  
Anderson, *Campaign of Basil I against Paulicians*, Class. Rev., vol. X;  
*Theophanes Continuatus*, Hist., 266-268, 271-276.

Laurent, *Arménie entre Byzance et l'Islam*, 265-283. ٢

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 304. ٣

مئة بارجة حربية بقيادة نيقيطاس اوريغاس الى الادربياتيك . وُقدّر النجاح لهذا القائد البحري ففك حصار راغوسة ، ثم تعاون مع البنادقة فأعاد النظام والسلم الى بحر الادربياتيك . وعادت مدن دلاتية الى حوزة الفسيلفس واعترفت دوليات الصرب والكرروات بسيادة القسطنطينية<sup>١</sup> .

وأدى اندفاع باسيليوس الاول في درء الخطر الاسلامي الى تقرب من البابا وتعاون مع الامبراطور لويس الثاني . وبفضل هذا التعاون تَكَنَ لويس الثاني من الاستحواذ على باري في السنة ٨٧١ . وبعد وفاته اخذ باسيليوس الامور على عاتقه فاحتل باري في السنة ٨٧٦ وأبقى فيها حامية بزنطية وقادها امبراطوريًّا . وفي السنة ٨٨٠ دخل ترنتوم عنوة . ولكنه لم يتمكن من فرض سلطته على صقلية . وسقطت سرقوسة في يد العرب المسلمين في السنة ٨٧٨ . وكان في اثناء هذا كله نصر السوري يحول جولات موفقة في مياه ايطالية الغريبة فيضرب بوارج المسلمين ضربات أليمة ، وما فتئ حتى احرز نصراً كبيراً بالقرب من جزائر ليباري . فدخلت كابو وسلونو ونابولي وبنافتوم في حماية الروم ودخل البابا يوحنا الثامن في حلف مع الفسيلفس . وجاءت السنة ٨٨٥ فأحرز القائد نيقيفوروس فوقاوس انتصارات بوية عديدة تَكَنَ بها من استعادة امانة وتروبة وسانطا رفرينة من يد المسلمين كما اخضع جميع ما وقع بين كوسنزة وبرندizi . فأنشأ في السنة ٨٨٦ ثيمة لانغوبertia وثيمة كلابريا . واعترف عدد كبير من الامراء اللومبارديين بسلطنة الروم . وأصبح الفسيلفس باسيليوس الاول «صاحب الشوكة المعظم» في جميع أنحاء ايطالية الجنوبية . وانشأت

الكنيسة الارثوذكسيّة عدداً لا يستهان به من الابسّيّات في هذه المنطقة عينها<sup>١</sup>.

**باسيليوس والكنيسة** : وقضت هذه المطامع السياسيّة الإيطالية عينها بوجوب التفاهم بين رئاسة الكنيسة في الغرب وبين الرئاسة في الشرق . وما زاد في رغبة باسيليوس في إزالة الانشقاق في الكنيسة ، ان انصار اغناطيوس ، مناظر فوطيوس ، كانوا لا يزالون كثراً في القسطنطينية وما جاورها ، وان باسيليوس كان يكره فوطيوس ويخشى نفوذه في الاوساط العلميّة والعلائيّة . وهكذا فانتا نرى باسيليوس يخلع فوطيوس عن العرش البطريركي المسكوني في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ٨٦٧ ، ويعيد اليه اغناطيوس نفسه ويطلب الى البابا ان يعيد توحيد الصفوف وان يرسل الى القسطنطينية من يمثله في مجمع مسكوني يعقد لهذه الغاية<sup>٢</sup> . ووافق البابا ادريانوس الثاني ( ٨٦٧ - ٨٧٢ ) وأرسل رسالته الى القسطنطينية فوصلوا اليها في السنة ٨٦٨ واستقبلوا فيها بحفاوة فائقة . وفي الخامس من تشرين الاول سنة ٨٦٩ ، التأم مئة اسقف في مجمع عدّ مسكونيًّا ورocab مراقبة شديدة من قبل الفسليفس . فطلب اعضاؤه فوطيوس للمنصب امامهم ، ففعل . فطلب اليه ان يجيز عمل وجه اليه من انتقاد فرفض بعزة وأنفة وكبر . فقطع هو وجميع اتباعه وكسرت قرارات بطريركيته . وفرض رسول البابا الطاعة على الشرقيين<sup>٣</sup> . ولم يدم هذا الانتصار الا قليلاً . وفي غد اليوم نفسه الذي انتهت فيه اعمال هذا المجمع ( ٢٨ شباط ٨٧٠ ) تقدم بوغوريس ملك البلغار بطلب

Diehl et Marçais, *Monde Oriental*, 440-441 ; Gay, *Italie Meridionale*, 1  
185 ff.

Mansi, *Sacrorum Conciliorum Nova et Amplissima Collectio*, XVI, 47 ff. ٢

Mansi, *op. cit.*, XVI, 16-207. ٣

إلى المجمع يرجو فيه البت فيما إذا كانت الكنيسة البلغارية تابعة لرومدة أو للقسطنطينية. فعقد أعضاء المجمع اجتماعاً خاصاً لهذه الغاية. ووجد رسول رومدة أن باسيليوس وأغناطيوس لم يكونا أقل تمسكاً بالكنيسة البلغارية وبوجوب دوام خضوعها لكرسي القسطنطينية من برداس وفوطيوس. وعلى الرغم من احتجاج رسول البابا فإن باسيليوس أقر خضوع الكنيسة البلغارية لسلطة البطريرك المسكوني، وأسرع أغناطيوس فسام عليها رئيس أساقفة يونانيا يعاونه عشرة أساقفة يونانيين أيضاً. واضطرب الكهنة الرومانيون ورؤساؤهم أن يغادروا بلغاريا. ولدى وفاة أغناطيوس البطريرك المسكوني في السنة 877 طلب باسيليوس إلى فوطيوس أن يخلفه. وكان فوطيوس قد نجا من المنفي وعاد إلى القسطنطينية ليهدب أولاد الفسيلفس. وفي السنة 879 عاد الفسيلفس فطلب إلى حليفه في السياسة البابا يوحنا الثامن (872 - 882) أن يشترك في مجمع مسكوني يعقد في القسطنطينية للنظر في قضية فوطيوس البطريرك. فأوفد يوحنا الثامن من مثله في هذا المجمع. والتأم بهذه الغاية واحد وثمانون رئيساً (متروبوليت) ومئتان وسبعون أسقفاً. واحتج فوطيوس احتجاجاً شديداً على قرارات المجمع السابق، فوافق المجمع الجديد على براءة فوطيوس مما نسب إليه، وكسر قرارات مجمع السنة 869 - 870، وأعلن فوطيوس رئيساً للكنيسة الشرقية، وأعتبره مثلاً البابا «صاحب قداسة». وفي يوم عيد الميلاد من السنة 879 قدم فوطيوس الذبيحة الالهية يعاونه جميع أعضاء المجمع. وأصدر المجمع قوانين ثلاثة منها: أن البطريرك فوطيوس يحرم من يحرمه البابا يوحنا من رجال أكليروسه أو ابناء رعيته المقيمين في آسية أو أوروبا أو إفريقية، وأن البابا يوحنا يقابلها بالمثل، وان «التقدم» الذي للكنيسة الرومانية يبقى على حاله بلا احداثٍ ولا تغير ان في الحاضر او المستقبل. وعقدت الجلسة السادسة قبل الأخيرة في الثالث من آذار سنة 880 في

الباطل لا في آجيا صوفيا ، وحضرها الفسيلفس وأولاده . ونصح الفسيلفس ان يكتب دستور ايمان عام . فأجاب نائب بطريرك انطاكية « ان دستور الایمان في كل المسوکونة هو هو لا يتغير والجمع الحاضر يصدق عليه . » ثم قال نواب روما انه يجب ان لا يسنّ قانون جديد بل ان يصدق على دستور الایمان القديم النيقاوي . فأمر البطريرك فوطيوس رئيس الكتاب الشهاس بطرس ان يقرأ اعتراف الایمان ، ففعل .

وكان يقال فيما مضى ان روما لم تعرف بقرارات هذا الجمع المسوکوني الثامن وان البابا يوحنا الثامن لدى اطلاعه على قرارات هذا الجمع المسوکوني الثامن ارسل مارينوس سفيراً الى القدسية ليقنع الفسيلفس والبطريرك بوجوب تعديل بعض قرارات هذا الجمع وانه أخفق في هذا ، فصعد على الآمن وفي يده الانجيل وتادى : « كل من لا يعتبر فوطيوس المفروز بحكم المي كما تركه البابا وان نيكولاوس وادريانوس القديسان ليكن اثانيا اي مفروزاً » ، وان الفسيلفس غضب فألقاه ثلاثة يوماً في السجن<sup>١</sup> . ولكن جهرة العلماء اليوم وبينهم الكاثوليكيون امثال دفورنك وغرومل يرون ان هذا كله كان ضرباً من الدعاوة الاغناطيوسية التي اختلت اختلافاً في ایام البابا فورمسيوس ( ٨٩٦ - ٨٩١ ) وان كل ما نعلم عن علاقات فوطيوس بالبابا يوحنا الثامن يكذب هذه الدعاوة تكذيباً<sup>٢</sup> ، وانه لم يقم بين خلفاء البابا يوحنا الثامن وحتى انتهاء بطريركية فوطيوس الثانية في ایام لا وون السادس من قطع علاقاته مع هذا البطريرك العالم التقى العظيم<sup>٣</sup> .

*Patrologia Graeca, Vie d'Ignace Patriarche de Const. vol. 105*

١

*Dvornik, F., Pretendue Condamnation de Photius, Byzantion, 1933, 426  
ff; Grummel. R. P., Y a-t-il un second schisme de Photus?, Rev. Sc. Th., 1933.*

٢

*Fliche, A., et Martin, V., Histoire de l'Eglise, (1937-1944), VI, 497-498;  
Diehl et Marçais, Monde Oriental, 442-444.*

**سياسة باسيليوس الداخلية :** وكان باسيليوس يشعر بالواجب الملقى على عاتق الفسيفس فيراه يقضي بالعدل والاستقامة والمحبة والرأفة والاحسان<sup>١</sup>. ولذا فانه سعى سعياً حثيثاً لرفع شأن العرش بعظمة البناء وكثرة البذخ والفخامة وحسن الادارة . وقال بوجوب السهر لرفع الظلم فجلس على منصة الحكم يصغي للتظلم من الحكام ورجال الادارة . وأعلن نفسه حامياً للقراء والضعفاء والتعساء . وجعل بقدور رعاياه ان يتثبتوا من صحة الضرائب المفروضة عليهم . وعني عنابة فائقة بانتقاء الموظفين وحضارهم على العدل وعلى سياسة الرعايا باليادي طاهرة غير ملوثة<sup>٢</sup>. وبذل وسعه للحد من جشع أصحاب الاملاك الكبيرة وتقليل اظافر هؤلاء الذين « طمعوا بما ليس لهم » .

ثم رغب في توضيح القوانين والشرائع وتدقيقها<sup>٣</sup>، فأمر بوجوب « تطهير» الشريعة القديمة منذ عهد يوستينيانوس وجعلها تتلاءم وتطورات المجتمع . وأمر ايضاً بنقلها الى اليونانية . وكان يهدف من وراء هذا فيما يظهر الى الغاء التشريع الاسوري ، الى « اسقاط هذه الاكولة المدّامة وابطال احكامها الرديئة<sup>٤</sup> ». وعيّن لجنة لهذه الغاية . ولا يستبعد ابداً ان تكون هذه اللجنة قد عملت باشراف فوطيوس البطريرك المسكوني . فظهر في السنة ٨٧٩ البروخيرون في اربعين فصلاً وفيه افضل ما جاء في مجموعة يوستينيانوس الكبيرة *Corpus Juris Civilis* . وباشرت في السنة ٨٨٦ الاباناغوغة *Epanagogè* في اربعين فصلاً خلاصة وافية في ايدي القضاة والطلاب والاساتذة .

1 *Exhortationes, ch. 41 : Vita Basili, 321-340.*

2 *Vita Basili, 257-261.*

3 *Freshfield, , Ecloga ad Prochirion Mutata.*

4 *Prochiron, Préface, Parag., 3, 9.*

وكان باسيليوس قد طلق زوجته الاولى ماريا في السنة ٨٦٥ وتزوج من افذوكية خليلة ميخائيل الثالث . فلما رقي باسيليوس العرش سرت اشاعة في العاصمة ان لا وون ابن باسيليوس الاكبر من زوجته افذوكية هو ابن ميخائيل لا باسيليوس . وعلم الفسالفس بذلك في حينه . ودببت عده مؤامرات لاغتياله . فرأى من المناسب ان يوطد سلطته ببيان اصل العائلة المالكة وحقها بالملك . ففعل واطلق على كل عضو من اعضاء عائلته اللقب Porphyrogenetes اي الذي ابصر النور بالارجوان . فنشأ عن هذا اخلاص واحترام ووفاء للاسرة المالكة أهابت بالفتبيين انفسهم الى احترام من يده السلطة الشرعية والى التدليل بشرعية اغتصابهم . وأصبح شق عصا الطاعة بحد ذاته جرماً وجحلاً في نظر الشعب . وساد الاعتقاد ان من يده الحق في الملك يغلب في النهاية . وتمكنت النسوة من جراء هذا كله من الجلوس على العرش والتحكم في مقدرات الشعب . وهي ظاهرة اجتماعية سياسية لا اثر لها في الغرب المعاصر<sup>١</sup> .

**لاوون السادس:** ( ٩١٢ - ٨٨٦ ) وتوفي باسيليوس من جراء جرح أصابه في اثناء الصيد في التاسع والعشرين من آب سنة ٨٨٦ وكان قد أوصى بالملك لولديه لاوون واسكندر ، وكانا قد أشركا في الحكم في عهد والدهما . واستأثر لاوون بالسلطة ولم يعارضه في ذلك اخوه اسكندر لأنـه كان خفيف العقل طائشاً فاستصبى واستهتر .

ولم يكن لاوون رجل حرب كوالده لان صحته لم تكن تساعدة على ذلك ، فلازم القصر واهتم بآداب المعاشرة والتشريفات ، وحارب في اكثر الاحيان بالمنظار من قصره بعيداً عن ساحات الوغى . ولم يكن والده ذا علم فأحب

ان يتلقن اولاده علوم العصر ، فوكل امر تهذيب لاوون الى فوطيوس البطريرك . فنشأ لاوون محيطاً بجميع علوم عصره . فادعى المنطق والفلسفة واللاهوت والقضاء والتكتيك في الحرب والشعر والسحر والتنبؤ وفاخر بها جيئاً . واثرت هذه الاحاطة في اوساط العاصمة فلقب بالحكيم . وكان متعبداً متدينًا يعظ المؤمنين في الاعياد ويجالس الرهبان ورجال الدين ولاسيما معلم ذمته افيميوس . وأوصى في قوانينه الصادرة عنه بدرجة من الحافظة على الاخلاق لم يصل هو نفسه اليها<sup>١</sup> .

**لاوون والكنيسة :** وكان قد وشي لباسيليوس بابنه لاوون بأنه ينوي قتله ، فسبجهه وعزم على قلع عينيه ، ولكن فوطيوس البطريرك توسط في أمره وخلصه من الخطر . ولدى ارتقاء لاوون العرش دسَّ اعداء فوطيوس الوساوس للقسيطيفس الجديد واقنعواه ان الواشى به لايهه كان ثيودوروس الساحر واشركوا مع هذا بالتهمة فوطيوس نفسه . فعزل لاوون فوطيوس إما لانه صدَّق الوشاية او لانه احب ان يجلس اخاه اسطفانوس بطريركاً او للامرين معاً ، ونفاه في اواخر السنة ٨٨٦ ، وحبس ثيودوروس وجده ، ورقى اخاه السنكلس اسطفانوس كرسى البطريركية . وتوفي فوطيوس في السادس من شباط سنة ٨٩١ . ولا يزال الدير ، الذي اقامه في جزيرة خالي بالقرب من القسطنطينية على اسم الثالوث القدس ، وقد اصبح مدرسة اكاديمية عالية ، يحتفل بتذكره في السادس من شباط حتى يومنا هذا كما لا تزال الكنيسة الارثوذكسيَّة تعتبره قديساً عظيماً مساوياً للرسل . وتوفي البطريرك اسطفانوس اخو لاوون في السنة ٨٩٣ وقام بعده البطريرك انطونيوس الملقب بكاولياس Cauleas احد رهبان اوليمبوس . وكان رجلاً فاضلاً ايضاً

Cernauti, Etudes de Droit Byzantin, III, 41; Monnier, H., Novelle de Léon le Sage, 14; Krubmacher. K., Gesch. der Byz. Lit. 628; Vogt et Hausherr, Oraison Funèbre de Basil I, Orientalia Christiana, 1932.

فحاول بخلاص اصلاح العلاقات بين اتباع فوطيوس واتباع اغناطيوس ، ولكن دون جدوى . وتوفي سنة ٨٩٥ فقام بعده البطريرك نيكولاوس ميستيكوس *Mysticos* ، اي المكامن . وكان رجلاً عالماً ، فاضلاً ، تقىً ، تقبل النذر بعد ان كان قد اصبح كاتم اسرار لاوون الفسيلفس . ورقى في درجات الكهنوت الى ان انتخب بطريركاً . وما فتء حتى نفاه لاوون في السنة ٩٠٦ ، فجلس على كرسى القسطنطينية اقسيموس السنكلش<sup>١</sup> . وكان شغل لاوون الشاغل وهم الاوحد ان يكون له ولد ذكر يخلفه على العرش . وماتت زوجة الاولى ثيوفانو في السنة ٨٩٣ . وكانت له علاقات غير شرعية مع زوجة ابنة استيليانوس زاوتسه . وكانت هذه قد اماتت زوجها الشرعي مسموماً ، وتوفي والدها . فاراد لاوون ان يتزوج منها زواجاً شرعياً ، وطلب الى كاهن البلاط ان يرفع يده بالبركة ففعل . ولكن البطريرك انطونيوس لم يرض عن هذا الاكليل . وبقيت زوجة مع لاوون سنة وثمانية اشهر ثم ماتت . فتزوج الفسيلفس من ثلاثة افذوكية الشهيرة بجمالها . ولكنها ما لبّثت معه الا مدة الحمل ، فانها ماتت في اول ولادة هي وطفليها معاً . وهكذا فان لاوون بقي بدون ولد ذكر يخلفه . فاقام فيما بعد مع سرية اسمها زوجة كاربونوبسينا *Zoé Carbonopsina* « ام العيون السود ! » وبعد ان خلف منها ولداً ذكراً هو قسطنطين السابع ، طلب الى البطريرك نيكولاوس ميستيكوس ان يكلمه عليها . فذكره البطريرك بالمادة التسعين من القانون الذي أصدره هو بصفته فسيلفساً وقد ثبت فيها القانون الكنائسي عن الزينة الرابعة وسبح الثالثة . وذكره ايضاً بالمادة الخامسة والتسعين من القانون نفسه التي منعت اقتداء

١ جراسيموس متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، وج ٢ ،  
 ص ٩ - ١٠ .

السراي . ثم قال انه يعمد المولود الجديد شرط ان يهجر الفسيفس ام  
 الطفل . فقبل لاوون بذلك وطرد زويه من البلاط . فاقيم سر العهد باحتفال  
 مهيب يوم عيد الظهور في السنة ٩٠٦ . ولكن لم تمض ثلاثة ايام حتى  
 عادت زويه الى البلاط . وعلم لاوون انه ليس بين الكهنة ورؤساء الكهنة  
 من يقبل ان يكلله عليها فكلل نفسه عليها بنفسه ، فكان هو العريس والقسيس  
 معاً . ثم أغوى كاهناً اسمه توما فكلله ، فقطع البطريرك الكاهن ، وأخذ  
 ينصح الى لاوون ، لا بل يتضرع اليه ، الا يكون عشرة في سبيل  
 الكنيسة ، وان يتصرف بما يشرف من كرمه العالي كي يصبح شخصه الشريعة  
 الناطقة . فلما أصرّ الفسيفس على موقفه منعه البطريرك من الدخول الى الكنيسة ،  
 وسمح له بان يقف في المدخل مع الموعظين . فسعى القيسار لدى بعض  
 الاساقفة واستغفهم اليه ، كما استقال البابا سرجيوس الثالث ( ٩٠٤ - ٩١١ )  
 وعقد جمعاً في السنة ٩٠٦ ، وانزل نيكولاوس عن كرسيه البطريركي .  
 وجلس البطريرك افثيميوس السنكلس ، فحل لاوون من حرمته وقبله في  
 شركة الكنيسة . وعزم لاوون ان يسن قانوناً يحلل به الزبحة الرابعة  
 والخامسة والسادسة وهلم جراً ، ولكن افثيميوس منعه من ذلك . وظل  
 لاوون فيما يظهر غير مرتاح البال حتى ساعة وفاته . فانه عندما اقترب  
 أجله في السنة ٩١٢ ، استدعى نيكولاوس من منفاه ، وبكى وطلب  
 الصفح ، وأوصى اخاه الوصي الكسندروس ان يخلع افثيميوس ويرجع  
 نيكولاوس<sup>١</sup> .

**سياسة لاوون الداخلية :** وعني لاوون بالتشريع كما فعل والده  
 من قبل . وأمر بتأليف لجنة من كبار رجال القضاء لتعيد النظر فيما تم

Diehl, C., *Les Quatre Mariages de Léon, Figures Byzantines*, I, 181-215 ; ١  
 Gay, I., *Le Patriarche Nicolas le Mystique, Mélanges Diehl*, I, 91-100 ;  
 Bréhier, L., *Byzance*, op, cit., 142-146 .

في عهد والده . فظهرت على يد هذه اللجنة ما بين السنة ٨٨٦ والسنة ٩٢ مجموعه جديدة للقوانين باللغة اليونانية دعيت البايسيليكه . واللفظ مشتق من الكلمة فسيفس لا من الكلمة باسيليوس ، ومعناه الشرائع الامبراطورية<sup>١</sup> . وليس لدينا نسخة كاملة تشمل الكتب الستين التي تألفت منها هذه البايسيليكه . وجمل ما وصللينا نسخ متعددة ناقصة تضم بمجموعها حوالي ثلثي هذا المؤلف النفيس . بيد ان القاضي باترس Patzes الذي عاش اما في القرن الحادي عشر او الثاني عشر صنف التيبو كيتوس Tipucitus يجعله جدولًا كاملاً لمحويات البايسيليكه<sup>٢</sup> . وقد يعود كتاب البارخوس الذي وجده العالم السويسرياني نيكولا في اواخر القرن الماضي في جنيف الى عهد لاوون . والبارخوس لقب حاكم القسطنطينية اعلى الموظفين الاداريين في الدولة . وكان عليه ان يوطد الامن في العاصمة وان يدبر شؤون جميع النقابات الصناعية والت التجارية . ومن هنا كانت اهمية هذا الكتاب ، فانه يحفظ لنا ما لا نجده في غيره من المصنفات . فهو يصف انظمتها وسير اعمالها ، ويبدأ بنقابة الكتاب العدول ، ثم يصف نقابات الصاغة ، فرجال الحرير ، فالكتان والشمع والصابون ، والدバغين ، والخبازين ، واللحامين وغيرهم<sup>٣</sup> . وهنالك اكثرا من مئة قانون تعود الى عهد لاوون ايضاً ولكنها لم تدرس بعد درساً وافياً .

وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالاشتراك فان بلاط لاوون السادس الحكيم ظل مسرحاً للمؤامرات والدسائس طوال مدة حكم هذا الفسيفس . وتفصيل ذلك ان لاوون آثر الاهتمام بتنظيم القوانين على تطبيقها ، وشغل

Heimbach, G., *Basilicorum Libri*.

١

Ferrini, C., *Opere di Contardo Ferrini*, I, 349-363.

٢

Stockle, A., *Spatromische und Byzantinische Zunfe*, Leipzig, 1911.

٣

Monnier, H., *Les Nouvelles de Léon le Sage*.

٤

بالاستقبالات والتشريفات عن الاشراف على الادارة . فتفذت كلمة استيليانوس تزاوترس الارمني الموظف في بلاط باسيليوس الذي كان قد أيد لاوون في نزاعه مع والده وتفاضى عن علاقات لاوون مع ابنته زوجة . وعندما أصبح لاوون فسيلسفاً جعل من استيليانوس هذا لوغوئيتاً واعطاه صلاحيات واسعة بحيث أصبح وزير الاول . وكان استيليانوس في نزاع دائم مع افثيميوس الراهب معلم ذمة الفسيلفس ، وأصبح الشغل الشاغل لكل منها الدس على الآخر . وتوفي استيليانوس في السنة ١٩٨ <sup>فنال الحظوة</sup> عند لاوون خصي عربي اسمه ساموناس ، كان قد تقبل الدين المسيحي ، وكشف للفسيلفس مؤامرة حكيدة . فاحببه الفسيلفس وقربه وغره بالمال ، وأفاض عليه الرتب والألقاب . وعلى الرغم من انه حاول الفرار الى بلاده بامواله في السنة ٩٠٤ فان لاوون اكتفى باهماله بضعة اشهر ثم أعاده الى سابق عزه ونفوذه . وما فتئ كذلك حتى السنة ٩١١ ، ففيها ثبت لدى الفسيلفس ان هذا الحصي العربي هو الذي نظم الاهجية الفاضحة بحقه . فصادر الفسيلفس امواله وحبسه في احد الاديرة<sup>١</sup> . وأحل محله الحصي قسطنطين البافلاغوني . ويعزو بعض رجال الاختصاص الى لاوون الحكيم انشاء سلسلة من القلاع الحصنة في اماكن متقدمة عند الحدود العربية الاسلامية دعيت كليسورات *Clisurae* . وكانت الغاية من انشائها ، فيها يظهر ، تدعيم الحدود وبث الدعاية السياسية والدينية . وأهم ما انشئ منها قام في قبوديقية الشرقية وفي اعلى الفرات<sup>٢</sup> . وخسر الروم اكسارخوسية افريقية لوقوعها في يد العرب ، واسرارخوسية رابينة لوقوعها في يد اللومبارديين اولاً ، ثم الافرنج بعدهم . وفي السنة ٧٥٤ كانت هذه الاكسارخوسية قد

Janin, R., *Un Arabe ministre à Byzance*, *Echos d'Orient*, 1935, 308-318. ١

Gelzer, H., *Ungedruckte... Texte der Notitiae Episcopatum*, 562 ff. ٢

اصبحت نواة مملكة البابا الزمنية ، على اثر تنازل باينوس عنها واهداها لحبر رومه . وفي اوائل القرن التاسع كان لدى الروم عشر ثيات ، خمس في آسية ، واربع في اوروبه ، وواحدة بحرية . ويرى رجال الاختصاص ان باسيليوس الاول ولاوون السادس زادا عدد هذه الثيات ، فجعلوها خمس عشرة ، واضافوا اليها دوقية واحدة ، وكليسوريتين ، وارخونيتين . ودليلهم على هذا مأخذ من نص ابن خردابه المشار اليه سابقاً ، ومن بعض النصوص الأخرى<sup>١</sup> .

**لاوون الحكيم والعرب :** وكانت قد اصبحت اقريطش العربية بلية الروم وأضحت عاصمتها الخندق مأوى القرصان المسلمين وملجأهم . فمنها ومن طرسوس وطرابلس كانوا ينتشرون في مياه الارخبيل فيسطون على التجارة وينقضون على الجزر مخربين مدمرین . فهجر الروم الجزر وفرّ سكان سواحل ايجي الى داخلية بلدانهم . وفي السنة ٩٠٤ قام لاوون الطرابلسي بهجوم جريء جداً على القسطنطينية نفسها ، فدخل الدردنيل باشرعته السوداء وأحابشه المردة . ثم اثنى من تلقاء نفسه وانقضّ على ثيسالونيكيه اكبر مدن الروم بعد القسطنطينية . وقدر له ان تكون هذه خالية من الحامية ، فدخلها عنوة في بعض ساعات ، وقتل ونهب ، ثم سبى اثنين وعشرين الفاً من الشبان والشابات ، فباعهم في اسوق الرقيق في الخندق وطرابلس<sup>٢</sup> . فعظم هذا الامر على الروم وشق وصعب . وهب هياريوس قائد البحر في السنة ٩٠٦ فانتصر على المسلمين انتصاراً كبيراً . وتشجع وتقوى ، فقاد في السنة ٩١٠ حملة بحرية كبيرة على اقريطش بسبعة آلاف فارس واربعة وثلاثين الف

Bury, J. B., *Imperial Adm. System in Ninth Cent.*, 146-147; Diehl et ١

Marçais, *Monde Oriental*, 448-449 .

Theophanes, *Cont.*, 366-371; Cameniate, J., *De Excidio Thessalonicensi*, ٢  
564-567 .

مقاتل بحري ، وخمسة آلاف من المردة ، وسبعين مئة مرتد روسي . وانهزم  
هياريوس فعاد عن اقريطش فصده في البحر اسطول عربي كبير في مياه  
ساموس فأنزل به خسارة كبيرة .

ولم يكن فوز العرب في الغرب أقل منه في الشرق . ففي السنة ٩٠١  
سيطر العرب على مضيق مسينا . وفي السنة ٩٠٢ تم استيلاؤهم على صقلية  
باقملها ، وأعلن أمير القiroات انه « سوف يخرب مدينة الشيخ المرمي  
بطرس نفسها<sup>١</sup> ». وقامت مشاغل جديدة في البلقان ، فلم يتمكن لاوون  
من الدفاع عن روما وآيطاليا كما فعل والده من قبل .

**لاوون والبلغار :** وكان قد تم الامتزاج بين البلغار الحاكمين ورعاياهم  
الصقالبة ، فتوحدت الكلمة ، واستندت المطامع وعظمت . وكانت بلغارية  
في عهد لاوون السادس قد شملت قسماً هاماً من البلقان الغربي ، ومعظم  
ما وقع بين الدانوب ومورافيا وبولونيا . وكانت قد تولى العرش بعد  
بوغوريس الاول ابنه سمعان ( ٩٣٨ - ٩٢٧ ) . وكان سمعان قد نشأ في  
القسطنطينية رهينة ، فتهذّب فيها ، واتقن اليونانية والخطابة والمنطق ،  
وتذوق بذخ البلاط ، ونفائس الحضارة البيزنطية . فطمع في عرش  
الروم ، وتأقت نفسه إلى التاج البيزنطي . وما ان تبأ العرش البلغاري  
في السنة ٨٩٤ حتى وجد نفسه في حرب ضد الروم<sup>٢</sup> .

والغريب في هذه الحرب أنها بدأت من جراء نزاع اقتصادي ، فانختلفت  
عن سواها من الحروب السابقة . وتفصيل ذلك أن التجار البلغاريون كانوا  
قد انشأوا لأنفسهم وكالات تجارية في القسطنطينية ، زاحموا بها

Gay. I., Italie Meridionale, 155-158 .

١

Runciman, S., First Bulgarian Empire; Rambaud, A., Hellènes et  
Bulgares.

٢

زملاءِهم الروم ، وكان هؤلاء قد نجحوا فأكرهوا البلغاريين ، بتدبير خاص ، على الخروج من القسطنطينية والاتجار في ثيسالونيكية ، ونجحوا أيضاً في أن يجعلوا الدولة تفرض على التجار البلغاريين ضرائب باهظة . وفأوضح سمعان زميلاه لاوون في أمر هؤلاء فنُكع في ذلك ، فاغتاظ وأعلن الحرب<sup>١</sup> . وانقضّ سمعان على تراقيا ، وكان معظم جيش لاوون في آسية ، فانتصر الملك البلغاري . فاضطر لاوون أن يستعين بال مجر . عبر هؤلاء الدانوب في الوقت نفسه الذي شنّ فيه الروم هجوماً جديداً من البر والبحر . فقاتل سمعان متراجعاً ثم فاوض الروم في الصلح . فوقف القتال في الجبهة الجنوبية . وتفرغ سمعان للمجر فسحقهم محققاً ، ثم قطع مفاوضاته مع الروم وعاد إلى الحرب . وفيما كان المجر لا يزالون في الأراضي البلغارية ما وراء الدانوب ، والعرب لا يزالون يغيرون على شواطئه ايجه ، توصل الروم والبلغار في السنة ٩٠٤ إلى سلم بقي محترماً من الطرفين طوال عهد لاوون . وظل الطمع في السيطرة على البلقان مشكلة تتطلب الحل طوال القرن العاشر<sup>٢</sup> .

**الروم والروس :** ويرى عدد من علماء الروس أن علاقات الروس مع الروم بدأت في عهد لاوون السادس حينما ظهر الامير الروسي اولاغ في السنة ٩٠٧ عند اسوار القسطنطينية على رأس قوة بحرية روسية مطالباً بعض الامتيازات التجارية . وهم يرون أيضاً ان اولاغ جاء إلى العنف في ضواحي القسطنطينية ، وان ظروف لاوون اضطرته إلى عقد معاهدة مع اولاغ في السنة ٩١١ منح بموجبها الامتيازات المطلوبة<sup>٣</sup> .

Theophanes Cont., 357.

١

Rambaud, A., Empire Grec, 346 ff.

٢

Vasiliev, A. A., Byz. Emp. 320-322 ; Ostrogorsky, G., Expédition du

٣

Prince Oleg contre Constantinople, Annales Inst. Kondakov, 1940, 47-62.

ويشك عدد لا يستهان به من علماء الغرب في صحة هذه الرواية ،  
ويرون ان كل ما جاء عن اولاغ وغيره من اخبار عن حوادث جرت  
قبل السنة ٩٤١ لا يزال مقتراً الى الايات ، وان قصة ظهور اولاغ عند  
اسوار القسطنطينية هي اسطورة من الاساطير<sup>١</sup>. ويرى فازيليف في نص  
المخطوطة اليهودية عن علاقات الخزر بالروس والروم دليلاً مهماً على صحة  
خبر الحملة الروسية المشار اليها<sup>٢</sup>.

Grégoire, H., Legende d'Oleg, Bull. Acad. Roy. Belgique, 1937, 80-94. ١

Schechter, S., An Unknown Khazar Document, Jewish Quart. Rev., 1912- ٢  
1913, 181-219 .

## الفصل الثالث والعشرون

### النهوض بالدولة : قسطنطين السابع ورومانيوس ليكابينوس

( ٩١٢ - ٩٥٩ )

قصور ووصاية : ( ٩١٢ - ٩١٩ ) وتوفي لاوون السادس الحكيم في الحادي عشر من أيار سنة ٩١٢ . وكان منذ التاسع من حزيران سنة ٩١١ قد جعل للدولة ثلاثة اباطرة : لاوون وأخاه الكسندروس وقسطنطين السابع الارجواني المولد *Porphyrogenitus* . وكان قسطنطين لا يزال في السادسة من عمره . وكان عمه الاسكندر في الثانية والاربعين . وما ان تسلم مقاليد الوصاية والحكم حتى طرد زوجة من القصر وخلع افثيميوس البطريوك وأعاد نيكولاوس الى الكرسي . فأنزل هذا كل من أيد زواج لاوون من رؤساء الاساقفة عن كراسيمهم . فدخلت الكنيسة في نزاع داخلي جديد ، وامتنع عدد من رؤساء الاساقفة عن الاعتراف برئاسة نيكولاوس . وأشهر هؤلاء اريثاس متروبوليت قيصرية . ورفض الكسندروس تفييز بعض شروط المعاهدة التي ابرمها لاوون مع ملك البلغار ، فأدى عمله هذا الى حرب بلغارية جديدة . وتوفي في السادس من حزيران سنة ٩١٣ بعد ان أقام مجلس وصاية برئاسة البطريوك . فنشب نزاع شديد بين البطريوك رئيس مجلس الوصاية وزوجة ام الفسيلفس القاصر ، وقد دام ست سنوات ( ٩١٣ - ٩١٩ ) . وكان من الطبيعي جداً ان يستغل الموقف كل من موالٍ

له نفسه الملك . وحاول ذلك كل من قسطنطين دوقاس اولاً ( ٩١٣ ) ،  
ولاؤون فوقيس بعده ( ٩١٨ - ٩١٩ ) ولكنها اخفتا . وشاء القدر أن  
يكون رومانوس ليكابينوس قائد العماره البحرية في البحر الاسود اكبر  
حظاً من هذين العسكريين ، فاحتل البلاط في اذار السنة ٩١٩ وطرد زوجة  
ومن شدّ ازرهما ، واستحوذ على شخص الفسيفس الصغير ، وأزوجه من  
ابنته هيلانة ، وأعلن نفسه Basileopator ابا الملك . وتقبل التاج قيصلاً في  
ايلول من السنة نفسها . وتوج زوجته وشارك اولاده خريسطوفوروس  
واسطفانوس وقسطنطين في الحكم معه . ثم أعلن نفسه فسيفساً في كانون  
الاول من السنة نفسها ايضاً<sup>١</sup> . وعلى الرغم من انه ابى لصهره لقبه الفسيفس  
فانه لم يسمح له بالخروج من البلاط .

وعقد نيكولاوس البطريرك المسكوني مجمعًا في توز سنة ٩٢٠ مؤلفاً  
من اساقفة الشرق نيكولاوين واقثيميين . وبعد مراجعة قوانين الآباء حرّم  
هذا المجمع مجمعَ السنة ٩٠٦ ، وأقر بالاجماع قراراً واحداً في أمر الزواج  
اسماء كتاب الاتحاد Tomus Unionis منع فيه الزبحة الرابعة منعاً قطعياً ،  
وحرّم على المتgressor عليها الدخول الى الكنيسة ما دام مصرأ على غيه ،  
واعتبره غريباً عن الهيئة المسيحية . ونعت الزبحة الثالثة بالدناسة ،  
ومنعها على الذين لهم اولاد ، والذين يزيد عمرهم على الأربعين . ووضع  
المتزوجين الزبحة الثالثة تحت قصاص الابتعاد عن المناولة خمس سنوات .  
**الحرب البلгарية :** وكان تسامخ الفسيفس الاسكندر قد أدى الى  
اندلاع نار الحرب ثانية بين الروم والبلغار . فاستغل سمعان ملك البلغار  
هذه القلاقل الداخلية وظهر بجيشه امام اسوار القسطنطينية في صيف السنة

ادنى

٩١٣ . وفي السنة ٩١٤ استولى على اندرينوبول وسحق في السنة ٩١٧  
جيشاً بيزنطياً بالقرب من اخيالوس . فاضطر البطريوك نيكولاوس الوصي  
ان يستعطف الملك البلغاري تارة ، ويتهده تارة اخرى . وعيثاً حاول ساسة  
الروم إلهاء سمعان باستهواه البتشناخ الاتراك الذين كانوا قد احتلوا ما  
وقع بين الدانوب والدنير ، وباسترضاء القبائل الصربية وزجهما في  
ميدان القتال . واستولى سمعان على جميع تراقيا وكل مقدونية ، ولم يبقَ  
امامه سوى اقتحام القسطنطينية نفسها . فجاءها محاصراً في السنة ٩٢٤ . وطاف  
به جنوده ازاء اسوار العاصمة حينئذ تارة بالفسيفس وطوراً بامبراطور البلغار  
والروم . وآثر هو المفاوضة على العنف ، فطلب مقابلة الفسيفس رومانوس .  
قبل رومانوس والتوجه الى كنيسة العذراء مصلياً متضرعاً . ثم لف صدره برداء  
العذراء العجائبي Maphorion وخرج الى مقابلة خصمه . فكلّمه كلاماً  
مؤثراً . وكان سمعان قد استدرج المسلمين فلم يلبوا الطلب . ولم يكن لديه  
ما يحاصر به العاصمة من البحر فاتعظ وفاوض في أمر الصلح<sup>١</sup> . فكان هذا  
بدء تقهقر الامبراطورية البلغارية<sup>٢</sup> .

وكان لسمعان ان استحصل من روما على لقب الامبراطور وان رقي  
رئيس كنيسته الى رتبة بطريوك . فمثل حبر روما في البلقان الدور نفسه  
الذي كان قد مثله سلفه عندما جعل من كارلوس الكبير امبراطوراً في  
الغرب . فمهّد بعمله هذا الى انشقاق الكنيسة الام الى كنيستين كا  
سنرى .

وكان سمعان يحب العلم والعلماء ، فاحاط نفسه بهم ونقل الى البلغارية  
افضل مصنفات الروم : تأليف باسيليوس ، وانطانيوس ، ويوحنا الدمشقي ،

Theophanes Continuatus, 380, 389-390, 405-408; Runciman, S., First  
Bulgarian Emp., 168 ff.

Diehl et Marçais, Monde Oriental, 450.

٢

وخر ونيقون ملاس . وجع هو بنفسه مختارات شائقة من مواعظ يوحنا  
الذهبي الفم واقواله .

وتوفي سمعان في السنة ٩٢٧ وخلفه ابنه بطرس الصغير . وتولى الوصاية  
على الملك الطفل جاورجيوس سرسبول . فاستغل الروم الموقف فأعادوا  
امارة الصرب الى الوجود وشلواها برعايتهم وحمايتهم . وهدد المجر الحد  
الشمالي ، وشق بعض امراء الاقطاع عصا الطاعة . فاضطر سرسبول ان  
يفاوض الروم في الوصول الى سلم دائم . ووقع في السنة ٩٢٧ معاهدة  
مع رومانوس الاول . واهم شروط هذه المعاهدة ان الروم ابقوا للبلغار  
كل ما ضمهم سمعان حتى جبال الرودوب ، واعترفوا بطرس بلقب فسيفس  
كما أقروا للكنيسة البلغارية كياناً مستقلاً استقلالاً حلياً . وأزوجوا بطرس  
من مريم حفيدة رومانوس الاول . فأصبح بطرس « ابن الفسيفس العزيز »  
وحليفه . ودامت هذه الصداقة طوال عهد بطرس ( ٩٢٧ - ٩٦٨ ) .  
وعظم شأن الروم في بلغاريا واكتسحوا الموقف اكتساحاً .

رومانيوس الاول والعرب : ( ٩٢٠ - ٩٤٤ ) وكان الخلفاء العباسيون  
لا يزالون مغلوبين على امرهم لقلة طاعة الجندي ، ولشدة نفوذ الحدم ،  
ولدسائس امهات الامراء ووسائلياتهن ومؤامراتهن ، ولشغب الجندي على القادة  
وتنافر هؤلاء السيادة . وكان ان شعر الولاة بضعف الخلفاء ، فانصرفوا  
إلى جمع المال وحبسوا رزق العمال عن اصحابه . فعمد الخلفاء إلى اغتيال  
الولاة ، فكثر العصيان ، واضطربت الاحوال ، وفقد الامن ، وقامت  
الثورات . ولم يتمكن الخلفاء من استغلال ظروف الروم في البلقان في  
اثناء حروبهم ضد سمعان والبلغاريين .

وقبيل انتهاء الحرب البلغارية أحرز الروم نصراً كبيراً في البحر .

فانهم حطموا في السنة ٩٢٤ عمارة لاوون الطرابلسي في مياه لمنوس ونجا لاوون نفسه باعجوبة<sup>١</sup>. وما ان وضعت الحرب البلغارية اوزارها في السنة ٩٢٧ حتى بادر الروم الى الهجوم ، وهب غرغون القائد Jean Courcouas الى القتال في آسية الصغرى فأحرز انتصارات متتالية ( ٩٢٢ - ٩٤٤ ) ، وتمكن من جعل دجلة والفرات الحد الفاصل بين الدولتين بدلاً من المائيين . ونفح في الجنود روحًا جديدة ، فاستحق بذلك كله اعجاب المعاصرین . وعاونه في هذه الحروب عدد من كبار الضباط «قدّر لهم فيما بعد ان يتبعوا هذا العمل الحربي وان ينتصروا هم ايضاً كا انتصار غرغون نفسه . وأشهر هؤلاء ثيوفيلوس ابن غرغون ، وبرداس فوفاس وابنه نيقيفروس لاوون . ففي السنة ٩٢٨ احتل الروم ارضروم وأخرجوها العرب من ارمينية . وفي السنة ٩٣٤ استولوا على ملاطية ، ثم ناوأهم سيف الدولة صاحب الموصل وتمكن من ايقاف تقدمهم . ولكنهم عادوا الى الهجوم بين السنة ٩٤١ والسنة ٩٤٢ فاحتلوا دارا ونصيبين وميافارقين وقاربوا حلب . وفي السنة ٩٤٤ توج غرغون انتصاراته بان نقل بوكب فخم «منديل السيد» – الذي كان قد احتفظ به أبجر الملك – من الرها الى القسطنطينية<sup>٢</sup> . وأعجب رومانوس بهذا كله فاعترف بفضل غرغون . وأحب ان يربط اسرة هذا القائد الفاتح باسرته المالكة فقاومه ابناءه وابعدوا غرغون وأذلوه .

**قسطنطين السابع :** ( ٩٤٥ - ٩٥٩ ) وكان عظامه العاصمة لا يزالون يدينون بالولاية للإمبراطورية المقدونية . وكان رومانوس لا يزال باخساً قسطنطين حقه في الملك . وكان قد زاد تطاوله فنصب ابنه ثيوفيلكتوس بطريركًا

Theophanes Continuatus, 405.

Theophanes, op. cit., 427.

١

٢

على الرغم من حداة سنه . فكره الزعماء واستغلوا موقف ابنائه منه في حادث غرغون ، فيحركوا ابن رومانوس الاصغر اسطفانوس . فقام على والده وطرده من القصر ونفاه الى جزيرة بروني من جزائر الامراء واكرره على قبول النذر وحبسه في دير هناك في التاسع عشر من كانون الاول سنة ٩٤٤ و وسلم ازمة الحكم بالاشتراك مع اخيه وصهره . واذ لم يتلقوا اتحد الاخوان ضد الصهر . وعلمت اختهما هيلانة بما يجري فاخبرت زوجها قسطنطين بذلك فألقى القبض على الاخوين ونفاهما في السابع والعشرين من كانون الثاني سنة ٩٤٥ واكرهما على قبول النذر<sup>١</sup> .

وكان قسطنطين السابع قد قضى خمساً وعشرين سنة في عزلة عن الحكم وعن الناس ، منهمكاً في المطالعة والدرس ، محباً للعلم والعلماء ، مشتغلاً في التصوير والنحت ، باحثاً منقباً عن تاريخ الروم وآثارهم . فلما رقى العرش في الثامنة والثلاثين من عمره آثر متابعة دروسه وابحاثه على الحكم والادارة . فتسلمت زوجته ازمة الحكم بيدها يعاونها في ذلك باسيليوس ابن رومانوس غير الشرعي . وعلى الرغم من عدم تعمق قسطنطين في ابحاثه نظراً لكثرتها وتتنوعها فانه خدم العلم في انه شوّق الناس اليه في عصره . فكان شغفه بالعلم من ابرز اسباب اليقظة العلمية في القرن العاشر وفي انه خلّف لنا مراجع لتقدير عصره<sup>٢</sup> . فرسالته في الثيات هي سجل كامل للولايات وحدودها وسكانها ومواردها . وكتابه في ادارة الامبراطورية يشتمل على اشياء واسيء عن الدول والشعوب المجاورة . وأطول مؤلفاته وأغزرها مادة كتابه في التشريفات ، وقد وصف فيه سلطنة الفسيفس الرسمية وواجباتها وحقوقها ، كما أبان كيفية تنظيم الاحتفالات الرسمية

*Liudprand, Antapodosis, V, 21 ; Bréhier, L., Byzance, 176-178.*

١

*Liudprand, Antapodosis, III, 37; Theophanes Cont., 465-471; De Administrando Imperio, 9, 172-173; Rambaud, A., Emp. Grec, 77-78.*

وادارة القصر وغير ذلك . وعليك عناوين هذه المؤلفات كما جاءت باللاتينية :

De Thematibus, De Ceremoniis aulae Bizantinae, De Administrando Imperio.

قسطنطين وسيف الدولة : ولم يقع اي تزريق جديد في جسم الدولة العباسية في ايام المعتصم ( ٨٩٢ - ٩٠٢ ) ، والمستكفي ( ٩٠٨ - ٩٠٢ ) . وفي عهد المقتدر ( ٩٣٢ - ٩٠٨ ) عادت الدولة الى ما كانت عليه من التفكك . ثم اخاع القاهر ( ٩٣٢ - ٩٣٤ ) والراضي ( ٩٤٠ - ٩٣٤ ) والمتقي ( ٩٤٤ - ٩٤٠ ) والمستكفي ( ٩٤٤ - ٩٤٦ ) آخر ولاياتهم فاض محلت بذلك سلطة الخليفة الزمنية بكمالها . وكان بين الطامعين في الملك والسلطان في اثناء هذا الانحلال بعض القبائل البدوية العربية . ولعل أشهر هؤلاء بنو تغلب . فان كثيرهم الامير عبدالله ابن حمدان تمكن في السنة ٩٠٥ في عهد المستكفي من انتزاع حاكمية الموصل من يد الخليفة . وتتمكن ولدها حسن وعلي في السنة ٩٤٢ من انتزاع اللقبين ناصر الدولة ل الاول وسيف الدولة للثاني . وتغلغل سيف الدولة في البلاد حتى شمال سوريا الشرقي في السنة ٩٣٧ . وفي السنة ٩٤٤ دخل حلب واسس فيها دولة دامت حتى السنة ١٠٠٣ . وبقي ناصر الدولة في الموصل يسكن الفتن في بغداد بينما هب سيف الدولة يتشق حسام الاسلام في وجه الروم . وما فتئ كذلك حتى ادركته المنية في السنة ٩٦٧ . ولما استقر سيف الدولة في حلب وجعلها عاصمة مملكته وقاعدة لاعماله الحربية تحول القتال الرئيسي بين الروم والعرب من جهة ارمينية الى خط قتال جديد امتد من قيليقية حتى ديار بكر . وكانت الحدود بين الدولتين تبدأ من نقطة مجحولة على الفرات فوق سيساط ، فتمر بين حصن منصور وزبطرة وفوق الحدث ومرعش متبعه سلسلي جبال طوروس حتى ابواب قيليقية واللامس او اليموس . وتبدأ من النقطة نفسها على الفرات فتتجه شمالاً الى شرق سيساط فأرمينية .

وكان المبادرة في الحروب بين الروم والعرب قد افلتت من يد العرب نظراً لما كان قد حلّ بالخلافة من انحلال ومصائب . وكان الدافع لحربة الروم قد أصبح واحداً من اثنين او الاثنين معاً : إما القيام بواجب الجهاد ، او احرار الغنائم . ولم تكن حروب القرن العاشر حروب فتح كتلك التي قام بها الامويون والعباسيون المؤسسين . وأصبح موقف العرب دفاعياً اكثر بكثير منه هجومياً . ونiet الدفاع بحکام الحدود . وانتقلت المبادرة في هذه الحروب الى الروم ، وأصبحت هجومية اكثراً منها دفاعية . وقد رأينا الاسرة القدنوية تبدأ باموال تميذية فتضرب البولسيين حلفاء العرب في تفريقيه ضربة قاضية ، ثم تعرف بأشوت البغرتوني ملك الارمن وتحالفه . ثم تبدأ هجومها في عهد رومانوس ليكابينوس كما سبق ان ذكرنا .

ويرى رجال الاختصاص ان انتصار الروم على العرب في القرن العاشر لم يكن نتيجة ضعف العباسيين فحسب ، بل انه تأثر عن تجدد عند الروم وتنشط ، وان هؤلاء وان اختلفوا في العنصر فقد اتحدوا في ايمان واحد وفي المفاخرة باجداد ماضية ، وشعروا بوجوب اعادة النظر في انظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وبوجوب اتقان الجيش وتمكينه ليأتي بالفائدة المطلوبة . فالروم في القرن العاشر في نظر هؤلاء كانوا في يقظة ونشاط لا في غفلة وانقسام<sup>١</sup> .

وأنقل الحمدانيون كأهل العشائر الضاربة في الجزيرة التابعة لحكمهم بالضرائب ، وبين هؤلاء بنو حبيب . وكان بنو حبيب تغالبة ايضاً ، فشق عليهم الامر ، فانقضوا ثم خرجوا للقتال . فجرد عليهم ناصر الدولة في السنة ٩٣٥ فقههم . فعولوا على الرحيل . فقاموا عشرة آلاف فارس بنسائهم واولادهم

Gelzer, H., *Genesis der Byzantinischen Themenverfassung*, 8 ; Canard, ١  
M., *Dynastie des Hamdanides*, I, 718-719.

وعيدهم وقطعوا الحدود والتجأوا الى الروم وتتصروا . وحذا حذوهم غيرهم من عشائر الجزيرة . فتوترت العلاقات بين الروم وبين الحمدانيين<sup>١</sup> . وببدأ سيف الدولة غزوته في ارض الروم . فكان يقوم بها كما شعر بهدوء واستقرار داخلي . واستهرب في بغداد بالغازى .

وفي السنة ٩٣٨ سجل سيف الدولة انتصاره الاول امام حصن زياد فدخله عنوة . ثم خرج منه يقاتل جيشاً كبيراً أَنْفَذَ الرُّومُ عَلَيْهِ . وأدر كه الروم بين حصن زياد وحصن سلام . واقتلت الطرفان فدارت الدائرة فيما يظهر على الروم وتغنى ابو فراس بالنصر . وفي السنة ٩٣٩ أَنْفَذَ الرُّومُ حملة عسكرية الى القوقاس لتأديب الكرج (الاييريين) الذين كانوا قد امتنعوا مراراً عن غزو الاراضي العربية على الرغم من كونهم ارثوذكسيين يدينون بدين الفسليفس . فاستنجد الكرج الحمدانيين ، فهب سيف الدولة لعونتهم وأجل الروم عن بلادهم . وفي الربع التالي سنة ٩٤٠ دخل الى ثيمة خلدية واستولى على عدد من الحصون والمدن فيها . ثم قام الى كولونية وحاصرها<sup>٢</sup> . فأصبح زعيم الجهاد الاكبر في الاقطار الاسلامية وعدو النصرانية عند الروم .

وسلفت سيف الدولة ما بين السنة ٩٤٠ والسنة ٩٤٤ مشاغل في عاصمة الخلافة كان محورها السلطة العليما فأصبح امير طرسوس عدو الروم الاوحد . فانقضوا عليه في خريف السنة ٩٤٠ ووصلوا الى منطقة كفرونة . ثم سفلوا في اوروبة فتراجعوا . وعادوا في مطلع السنة ٩٤٢ فانطلقوا في سهول قيليقية حتى حدود سوريا فأسرروا خمسة عشر الف اسير . وفي خريف هذه السنة نفسها انقض غرغون على مقاطعة ديار بكر

١ اطلب ابن حوقل ، فصله عن الجزيرة .

٢

*Canard, M., Dynastie des Hamdanides, I, 741-747.*

فاستولى على ميافارقين وغيرها كما سبق واشرنا . وكان ما كان من أمر المنديل .

وفي السنة ٩٤٤ دخل سيف الدولة حلب ومحص وانتزعها من يد الاخشidiين . فانطلق الروم في منطقة مرعش ومنطقة بغراس حتى ابوب انطاكية . فردد سيف الدولة باغارة في منطقة عراليسوس . ودخل سيف الدولة في ربيع السنة ٩٤٥ في نزاع مع الاخشidiين فلم يستغل قسطنطين السابع هذا الظرف . وجاءت السنة ٩٤٦ فتبادل الاصحان الأسرى عند لامس سلفكية . وفي ربيع السنة ٩٤٨ خرج الروم من ملاطية وسيطرا واتجهوا نحو الجزيرة ليستولوا على بحر الحدث - مرعش . فصمد سيف الدولة في وجهم في معركة جلياط الوارد ذكرها في احدى قصائد أبي فراس . وفي الربيع التالي ٩٤٩ ظهر لاوون ابن فوقاس امام الحدث محاصراً ، فدخلها عنوة ودك حصونها<sup>١</sup> . واستولى الروم في هذه السنة عينها على مرعش وقاتلوا عند اسوار طرسوس . وحملوا على جزيرة اقريطيش ولكن دون جدوى<sup>٢</sup> . وفي ربيع السنة ٩٥٠ قام سيف الدولة الى الجزيرة يتقد شؤونها وأناب عنه في الحكم في حلب ابن عمه محمد ابن ناصر الدولة . فانقض لاوون ابن فوقاس على شمالي سوريا حتى مداخل انطاكية وحاصر بوقة في سهل العمق . فهب محمد لقتاله ولكنه فشل فشلا ذريعاً . وأرسل قسطنطين السابع وفداً يفاوض في التهدان . فمثل الوفد امام سيف الدولة في آمد . وكاد الاتفاق يتم ولكن مروان القرمطي قتل احد اعضاء الوفد . واسرع سيف الدولة يعتذر ويظهر استعداده للتعويض . ولكن قسطنطين

Cedrenus, G., *Historiarum Compendium*, II, 336 .

١

Vasiliev, A. A., *Byz. et les Arabes*, II, 285 ff.

٢

أصر على تسليم القاتل . فَأَبْيَ سيف الدولة وانقطعت المفاوضات<sup>١</sup> .  
 وعاد سيف الدولة الى حلب يستعد للقتال ، فجتمع ثلاثين الف مقاتل  
 واصطحب ثلاثة من الشعراء : المتني وابا فراس وابا زهير المهلل .  
 وقام في اواخر آب او اوائل ايلول من السنة ٩٥٠ الى مرعش فانضم  
 اليه اربعة آلاف مقاتل من طرسوس . ثم نهض بجموعه عن طريق ملاطية –  
 قيسارية فاحتل صارخة وقتل وسبى وأحرق . وارد العودة الى حلب  
 نظراً للحلول فصل الشتاء فعبر المايس واتجه جنوباً . ثم علم ان لا وون  
 ابن فوqاس قد حشد جيشه في منطقة خرسنة Charsianon . فآوقف  
 السير وعاد بنخبة من جنوده فعبر المايس وأنزل بالروم خسارة كبيرة ،  
 ثم اتجه نحو الجنوب . ولم ير الروم شعثهم ونظموا صفوفهم وأسرعوا الى  
 جبال طوروس يكمنون لسيف الدولة ، واستقروا في درب الجوزات  
 بين الالبستان والحدث . ومرت طلائع سيف الدولة ولم يحرك الروم  
 ساكناً . ثم أقبل سيف الدولة فوجد الممر مسدوداً مقطوعاً ، فامطره  
 الروم حجارةً وصخوراً وسهاماً . فسقط عدد كبير من رجاله وأسر  
 غيرهم . وتكن سيف الدولة من اجياد هذا الممر والوصول الى اعلى  
 الجبل . ولحق به الروم فأرهقوه وحملوه على ما لا يطيق . وكانت عليه  
 ان يمر بعقبة الشير فسبقه الروم اليها وقطعوها عليه . فاضطر ان يسلك  
 طريقاً وعرة للغاية مستعيناً على ذلك بالادلاء . فأدركه الروم وأرهقوه ،  
 وتفرق عنه رجاله ، ولم يبق معه من يستطيع القتال المنظم . فقتل  
 الاسرى وأحرق الاممدة وفر هارباً نحو حلب . فعرفت هذه الحرب  
 «بغزوة المصيبة<sup>٢</sup>» . وعاد سيف الدولة لأخذ الثار في السنة ٩٥١ فدخل

١ كمال الدين ابن العميد ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، في مجموعة كتاب ، ص ٣٩٧ .

Canard, M., Dynastie des Hamd I, 762-770 ; Vasiliiev, A. A., Byz et les Arabes, II, 286-290 .

قبدوية ليخرج منها مدحوراً . ثم قام قادة الروم بغزوات متتالية بين السنة ٩٥٢ والسنة ٩٥٨ في قيليقية والجزيرة انتصروا فيها وانحدلوا<sup>١</sup> .

وفي السنة ٩٥٨ بدت علامات الضعف في مقاومة سيف الدولة . وتسلم قيادة الروم يوحنا شمشيق Jean Tzimisces فاحرز انتصارات متتالية في الجزيرة العليا واحتل اكثراً مدنها . ثم حاصر سيساط على الفرات وأنزل بسيف الدولة سلسلة من المزائم . وبعد السنة ٩٦٠ أضاف الروم الى ملكهم كل ما وقع شرق الفرات جاعلين من هذه المناطق ثيمة الجزيرة<sup>٢</sup> .

احتلال اقريطش : ( ٩٦٠ - ٩٦١ ) وكانت لقسطنطين السابع ولد اسمه رومانوس تزوج وهو ابن سبع عشرة سنة بابنة اسمها ثيوفانو . وكانت ثيوفانو من أصل وضيع ولكنها ذات جمال متناهٍ . وكانت تكره العيشة بين سماتها وبنات حميتها ، فأوعزت الى زوجها رومانوس فدس " السم لوالدة قسطنطين " ، وشرب منه جرعة ، فلم يعش الا سنة واحدة ، ومات في السنة ٩٥٩ . وكان رومانوس الثاني منصبأً على الشهوات والملاهي ، وكانت ثيوفانو تحب السلطة . فاتكل زوجها عليها وعلى رجل اسمه يوسف ابرينكاس Joseph Bringas .

ولم ابرينكاس وقاده الجيش ضعف العرب ، فرأوا الظرف ملائماً لارجاع اقريطش الى حوزة الروم . فأعد نيقيفروس فوقيس اسطولاً عظيماً مولفاً من الفي بargee والف وثلاث مئة نقالة . وقام بهذه القوة الكبيرة الى اقريطش وحاصر مدينة الخندق . فهرع صاحبها عبد العزيز القطريبي يستنجد المسلمين شرقاً وغرباً ولكن دون جدوى . فان القليل الذي جاءه من طرسوس ومن افريقيا حطمته الروم قبل وصوله اليه .

وأقضم نيقفوروس الخندق ودخلها عنوة في السابع من آذار سنة ٩٦١ ثم استولى على الجزيرة باسرها<sup>١</sup>. ونقل إليها جاليات يونانية وارمنية ، واستدعى نيقن مطانوتنا ، اي صاحب التوبة ، القديس المبشر ، ليكرز فيها بين سكانها المسلمين<sup>٢</sup>. وبسقوط اقريطش بيد الروم بعده شبح القرصنة والاغارات المفاجئة وتهيأ للروم مركز تجاري هام وعادت سيادة البحر إليهم ، فتمكن نيقفوروس من القول بعد قليل : « ان القوة في البحر هي لي وحدي <sup>٣</sup> » .

**مغارة الكحل :** ( ٩٦٠ ) وظن سيف الدولة ان حملة الروم على اقريطش انقضت مقدورهم على الحرب في بر الاناضول ، فجهّز ثلاثة الفاً وقام بهم الى خرسنة داخل حدود الروم . وأسرع لاوون فوقاس اخوه نيقفوروس الى تلال طوروس يسد عليه طريق العودة . فسكن له في بئر جبلي اسمه العرب مغارة الكحل واطلق عليه الروم اسم اندراسوس Andrasus فهزمه فيه هزيمة شنعاء في الثامن من تشرين الثاني سنة ٩٦٠ . وعظمت غنائم لاوون فانه أسر في هذه المعركة عدداً كبيراً من العرب ، واطلق سراح جميع من كان قد وقع في الاسر من الروم<sup>٤</sup> .

**عين زربا وحلب :** ( ٩٦٢ ) ورأى نيقفوروس ان يستغل الكارثة التي حللت بسيف الدولة فيفتح قيليقية اكبر المعاقل البحريه الاسلامية بعد اقريطش واقرب الطرق الى سوريا . فيجال جولة موفقة فيها في مطلع السنة ٩٦٢ واستولى في اثنين وعشرين يوماً على خمسين بلدة او

Schlumberger, G., Nicéphore Phœcas, 37-114.

١

٢ البطريرك مكسيموس ، اخبار القديسين ، ج ١ ، ص ٤٣٠ - ٤٣٤ .

٣

Léon Diacre, 28-29.

Canard, M., op. cit., I, 800-803.

٤

حصناً . وعاد في أول الصوم الكبير إلى قبدوية . وفي خريف هذه السنة نفسها أعاد الكرة فافتتح عين زربا مفتاح سوريا . ولم يقوَ سيف الدولة على الصمود في وجهه في مرات الامانوس ، فتدفقت جيوش نيقفوروس إلى سهول سوريا حتى منبع على الفرات . ثم حاصر نيقفوروس حلب أحد عشر يوماً ( ٢٠ - ٣١ كانون الأول سنة ٩٦٢ ) فاقتحم سورها واحتل البلدة ولكنه لم يقوَ على القلعة . وعاد إلى القسطنطينية بغنائم عظيمة مالاً ورجالاً . وعلم بوفاة رومانوس الثاني وهو في طريقه إلى العاصمة .

الفصل الرابع والعشرون  
هجوم عظيم ونصر مبين  
( ٩٦٣ - ١٠٢٥ )

الجيش في القرن العاشر : وعني الروم في هذه الحقبة عناء فائقة بالجيش . وقال أحد كبرائهم : « ان الجيش للدولة لکالرأس للجسم ان هو ضعف تعرضت الدولة للخطر<sup>۱</sup> ». .

وكان هذا الجيش يتألف من عناصر وطنية وعناصر أجنبية . وكانت العناصر الوطنية خيالة تقطع اراضي لها ولذرتها لا تصادر ولا تتحول ملكيتها . وكانت العناصر الأجنبية مرتفقة يستهويها سخاء الروم ، فتؤم القسطنطينية من اوروبه وآسيا . وكانت بينها الخزري والبتشتاغي والنروجي والصقلي والدانماركي والنورماندي والسكسوني والكريجي والتركي والعربي . ولم يكن هنالك ما يمنع التحاق هؤلاء بایة فرقة من فرق الجيش . ففرقـة الحرس المتميـة Heteria كانت تتـألف من الروس والنروجـين والدانـمارـكـيين والخـزـرـ . ولم يكن في صفوفـها اي عنـصر وـطـني . وكـثـرـ عدد الـأـرـمنـ فيـ الجـيـشـ بـصـورـةـ خـاصـةـ وـتـقـلـدـواـ أـعـلـىـ الرـتبـ .

وكانت هذا الجيش يقسم الى قسمين رئيسيين : التغماتا Tagmata في العاصمة وضواحيها ، والثياثا Themata في الولايات . ويشمل القسم الاول فرق الخيالة الاربع : السوكولس Scholes والاكسكوبيلتور Excubitor والاريثموس Arithmos والهيكاناتس Hicanates وفرقة المشاة النوماري Numeri . وكانت كل فرقة من فرق الحرس الحمس تتالف من اربعه آلاف مقاتل وتخضع لقيادة ضابط كبير يحمل رتبة دوميستيكوس . وكان قائد فرقة السوكولس قائد الجيش الاكبر . وكان القسم الثاني جيش الولايات الثياثا يتالف من اربعة آلاف الى عشرة آلاف مقاتل ويخضع لقيادة ضابط من رتبة إستراتيجوس Strategos . وكان معظم هؤلاء من الخيالة ايضاً بنوعيها الثقيل Cataphractes والخفيف Trapazistes . وكان هناك ايضاً جيش الحدود Acritai وكانت مهمة هؤلاء تضفي بالدفاع عن الامس Limes وبالمحافظة على الابراج والقلاع وسائل انواع التحصينات التي كانت تنتشر على طول خط الحدود . وكان عليهم ايضاً ان يراقبوا الاعداء ويصدوا المرات ويردوا المجموع بهجوم مماثل .

ولم يكن عدد هذا الجيش كله كبيراً . فانه لم يزد على السبعين الفاً في آسية ومثل ذلك في اوروبا . ولكنه امتاز بانتظامه وشجاعته وحبه للوطن واندفاعه في سبيله . وتقوّى بمحذق في صنع الاصليحة ، ومهارة في تحطيط القلاع وبنائها . واستعمل النار الاغريقية في الحروب ، كما استعان بالمجانيق الكبيرة في اعمال الحصار وبمجانيق اصغر منها في قتال الميدان . وكانت هذه تنقل بمركبات خاصة تحمل المجنيق ورجاله فتنقل القصف حيث تدعو الحاجة .

ويستدل من مضمون رسالة في علم التكتيكي ، صنقت في عهد

نيقفوروس فوقياس<sup>١</sup>، ان الحرب التي كان يخوضها هذا الجيش كانت حرب  
 كمين واستطلاع ومفاجآت والتحامات ، وان ابراج المراقبة كانت تنبئ  
 بالخطر باشارات نارية ، فيهب المشاة الى المعركة يكمنون فيها ، وتنطلق  
 دوريات الفرسان الخفاف حاملة ممؤونة يوم واحد من الزاد مخفية سلاحها  
 تستطلع حركات العدو . ويهرع السكان من القرى والدساكرا الى القلاع  
 والابراج ، بينما يتجمع الجيش في نقاط معينة استعداداً للعمل . ويستدل  
 من هذه الرسالة ايضاً وغيرها من نوعها ان ترتيبات القيادة كانت كاملة  
 تشمل خطط التجسس والاستطلاع ، ونقل العتاد والمؤن ، وتجمّع الوحدات ،  
 وكيفية سيرها . ويدل ما تبقى من الروايات المعاصرة ان تدريب هذا  
 الجيش كان متواصلاً غير منقطع ، وان التمرис في القتال كان يشمل  
 جميع ضروب التعب وانواع الضنك والقلة ، وان الاباطرة كانوا يعيشون  
 الجنود نصباً وافراً من عنائهم الشخصية فيُفِيضون عليهم النعم ويغمرونهم  
 بالاحسان ويسلونهم بشتى مظاهر التقدير والاكرام . وكانوا لا ينكرون  
 عن الاشارة الى الماضي المجيد الحافل بالانتصارات العسكرية والى صيانة  
 الفادي الحبيب الذي لا يغفل ولا ينام . وكان من حسن حظ هذا الجيش  
 ان تولى قيادته عدد متسلسل من كبار الرجال امثال غرغون وفوقياس  
 وسكيليروس وشمسيق .

وتلخص نعائص هذا الجيش بان نظام التعبئة فيه كان يربط الجنود  
 بكتاب رجال الاقطاع ربطاً وثيقاً يشجع هؤلاء على الانقضاض على السلطة  
 وان المرتزقة كانوا لا يهتمون الا للعنائم<sup>٢</sup> .

نيقفوروس فوقياس : ( ٩٦٣ - ٩٦٩ ) وتوفي رومانوس الثاني في

Vari, Incerti Scriptoris de Re Militari, Leipzig, 1901.

١

Bréhier, L., Inst. de l'Emp. Byz., 366-382.

٢

الرابعة والعشرين من عمره ، إما مسموماً من زوجته ثيوفانو ، أو مسؤولاً من فرط انصبائه على المذات . فتسلمت زوجته زمام الحكم بالوصاية على ولديها القاصرين باسيليوس وقسطنطين . وكانت تكره ابرينكاس الوزير كرهًا شديداً وتحب نيقيفوروس القائد . فاستدعت نيقيفوروس من حلب ، وسمح لها بذلك أن ينادوا به فسيلفساً في قيصرية . ثم تقدم نحو العاصمة فقامت ثورة ضد ابرينكاس . ودخل القائد الفسيلفس إلى العاصمة في الثالث من آب سنة ٩٦٣ وتقبل التاج من يد البطريرك مشتركاً في الحكم مع كل من باسيليوس وقسطنطين القاصرين . وبعد شهر واحد تزوج من ثيوفانو الوصية الارملة . ولما جاء إلى الكنيسة وطلب أن يدخل من الباب الملوي اعترضه البطريرك بوليفكتوس بسبب زواجه من الشانية في حياة الأولى خلافاً للناموس<sup>١</sup> .

وكان نيقيفوروس جندياً مدهشاً وتكتيكيًا قديراً ، وقائداً محنكأً ، فاحبه الجنود وتعلقوا به . وكان زاهداً فنواعاً ، فاسياً متصلباً ، ولكنه كان في الوقت نفسه حبباً عطوفاً . وأصبح رجل الساعة بقوة ارادته وقسقه بالسلطة وحبه للدولة واحلاصه لها .

**فتوحات الروم في سوريا:** (٩٦٣ - ٩٦٩) وأوقفت ثورة القسطنطينية الاعمال الحربية في قيليقية وسورية . فعاد سيف الدولة إلى حلب واستعاد عين زربا ومصيصة وغيرهما في قيليقية . وأصبح يوحنا ابن شمشيق قائد قوات الروم في الشرق . فحاصر مصيصة في صيف السنة ٩٦٣ ولم يستول عليها . وقام إلى أدنه فتحداه حاكم طرسوس فهزمه ابن شمشيق هزيمة كبيرة ولكنه اضطر أن يغادر قيليقية لما حل بها من قحط وجوع واوبئة .

وفي ربيع السنة ٩٦٤ تولى الفسيلفس بنفسه قيادة جيشه . فانشأ قاعدة  
 هامة للتموين في قيصرية قبدوقية وزحف برجاته على قيليقية . فاقتحم عين  
 زربا وادنه وعشرين حصناً عربياً واستولى على إسوس عند مدخل سوريا ،  
 وعاد إلى قبدوقية لتمضية فصل الشتاء . وفي ربيع السنة ٩٦٥ أنفذ أخاه  
 لاوون فوقاًس إلى حصار طرسوس وقام هو إلى مصيصة فاقتحم  
 أسوارها ودخلها عنوة ، ثم عاد إلى طرسوس فسلّمت تسلیماً . وهكذا  
 فان قيليقية باسرها عادت إلى الروم بعد ان كانت زهاء ثلاثة قرون  
 متالية قاعدة بحرية تنقض منها جيوش العرب واساطيلهم على  
 الامبراطورية . وجعل نيقيفوروس منها ثیمة جديدة وجعل طرسوس عاصمتها .  
 وفي شتاء هذه السنة عينها جهز الفسيلفس حملة بحرية بقيادة نيقيطاس  
 وأنفذها إلى قبرص فاحتلت الجزيرة وأصبحت قبرص أيضاً ثیمة جديدة .  
 وثارت حلب وانطاكية في وجه سيف الدولة فقامى الأمراء في  
 اخضاعها . ثم طلب إلى نيقيفوروس تبادل الأسرى فاجابه الفسيلفس إلى  
 ذلك . وتم التبادل على الفرات في الثالث والعشرين من حزيران سنة ٩٦٦ ،  
 ففاقت عدد أسرى الروم عدد أسرى المدانيين بثلاثة آلاف . فافتدى  
 البيزنطيون هؤلاء بمئتي ألف دينار بيزنطي . وعاد أبو فراس إلى وطنه بعد  
 أن قضى أربع سنوات اسيراً في القسطنطينية<sup>١</sup> .

وفي شتاء السنة ٩٦٦ أغار نيقيفوروس على الجزيرة فدخل دارا ونصيبين  
 ووصل إلى الحد الذي كان يفصل دولة الروم عن دولة الفرس في أوائل  
 القرن السابع واستولى على الآجرة المقدسة Karmidion التي كانت تحمل  
 صورة السيد العجائبية . ثم انتقض على انطاكية في حملة ارهابية . وعاد

١ يحيى ابن سعيد الانطاكي ، تاريخه ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . أبو فراس ، ديوانه ،  
 ص ٣٢٣ .

مستعجلًا الى القسطنطينية لينظر في قضية بلغارية . وفي خريف السنة ٩٦٨  
 عاد الى الفتح فحاصر ابن سيف الدولة في حلب وأزال النجدة التي جاءَ بها  
 قرغويه من مصر . وبدلاً من ان يحاصر حلب قام بجيشه الى حمص  
 فدخلها ثم اندر منها الى عرقة فطر طوس فحبطة . وأبقى في جميع هذه  
 المدن حاميات من الروم . ثم ظهر أمام انتاكية يشدد الحصار عليها  
 بامرة ميخائيل بورجس البطريق ويرمم قلعة بغراس في طريق انتاكية  
 الاسكندرونة . وأقام ابن أخيه بطرس فوقاس قائداً عاماً وأوصاه بوجوب  
 انتظاره وعدم اقتحام انتاكية قبل عودته . وقام الى القسطنطينية فدخلها  
 بوكب نصر عظيم في مطلع السنة ٩٦٩ . وفي اثناء غيابه اتصل نصاري  
 انتاكية بقيادة الروم مؤكدين وقوع الفوضى في صفوف المسلمين . فاندفع  
 بورجس البطريق وقام ببعض رجاله فتسلى الاسوار ودخل بعض الابراج  
 وكاد يموت موتاً لولا وصول لاوون واسعافه . وسقطت انتاكية بيد  
 الروم في الثامن والعشرين من تشرين الاول بعد ان بقيت اسلامية عربية  
 ثلاثة قروناً ونيفًا . واغتاظ نيقفوروس وأقال بورجس من منصبه .  
 واستد حماس الجندي وألحوا بوجوب اقتحام حلب ، وفعلوا . فسقطت المدينة  
 في يدهم في كانون الاول من السنة ٩٦٩ ، ووقع صاحبها قرغويه معاهدة  
 مع الروم اعترف فيها بسيادتهم وحمايتهم . واعترف الروم بولايته على حلب  
 وولاية بكجور بعده على ان يعينوا اميرًا عليها من يرون له ائتمانًا من ابناء  
 حلب بعدهما . ومن شروط هذه المعاهدة ايضاً ان يقيم في حلب ممثل  
 رسمي للفسليقس ، وان يدفع الحلييون ديناراً عن كل ذكر في كل سنة ،  
 وان يمنعوا عن جبائية الجزية من النصاري ، وان يؤمنوا طرق التجارة ،  
 وان تشرف لجنة من الروم والحلبيين على جبائية الكبارك<sup>١</sup> .

١ كال الدين ابن العميد ، الزبدة ، مجموعة كتاب ، ص ٤١٩ - ٣٢٤ .  
 Schlumberger, G., Nicéphore, op, cit., 730-733; Canard, M., Dyn.  
 Hamd., 831-838 .

نيقفوروس والغرب : وكان اوثون الاول Otton قد أعاد  
 الامبراطورية الغربية في السنة ٩٦٢ فادعى بجميع ايطالية . وكان الامراء  
 اللومبارديون اجمعين قد اعترفوا بسلطته . وكان هو قد زار بنيقفورو  
 Capua و كابوة Beneventum في السنة ٩٦٧ . وجاءت السنة ٩٦٨ فزحف  
 اوثون على ابوية وحاصر باري قاعدة الروم فارد عنها حسيراً . فأرسل  
 لويدبراندو اسقف كريونة يفاوض في القدسية في زواج ابن اوثون  
 وهي عهده ( اوثون الثاني ) من الاميرة حنة ابنة ثيوفانو من رومانوس .  
 فآنكر نيقفوروس اجاية طلب اوثون وأظهر كدره من تسلطه على  
 رومه التي كان يعتبرها العاصمة الاولى لملكته . ثم أرسل البابا يوحنا الثالث  
 عشر ( ٩٦٥ - ٩٧٢ ) يتوسط في عقد هذا الزواج ، وسمى الفسيفس في  
 تخاريره امبراطور « اليونان » فأيّد بعمله هذا الفكرة التي قال بها سلفه  
 البابا لاون الثالث وقد كانت ترمي الى تحزنة حقوق الفسيفس الشرقي في  
 الحكم ، وذلك باقامة امبراطور غربي ينافس الفسيفس وريث رومه  
 الشرعي . فاغتاظ نيقفوروس ورجال دولته من البابا . وأصبح هذا  
 خصماً سياسياً لا بد من مقاومته . وبذرت بذور الشقاق في اوساط  
 الكنيسة الام الكاثوليكية الارثوذكسيه بمهد السبيل للانشقاق الكبير .  
 ودخل الفسيفس في نزاع مع امبراطور الغرب وكنيسة رومه . وغادر  
 الوفد البابوي المفاوض عاصمة الروم . وأغار اوثون الاول على ثبات الروم  
 في ايطالية ولم يفلح . وانكسر الامير بالدولفوس Paldolphus ووقع  
 اسيراً في يد الروم<sup>١</sup> .

الروم وبلغارية وروسية : وكانت معااهدة السنة ٩٢٧ بين الروم  
 والبلغار قد قضت بان يدفع الروم للبلغار مالاً سنوياً محدداً . وكانت

بلغارية في تقهقر داخلي مستمر . وكان بعض رجال الاقطاع فيها قد عادوا الى سابق نفوذهم فاصبحوا مستقلين استقلالاً فعلياً . فرأى نيقفوروس ان يستغل هذا الظرف لمصلحة دولته وشعبه . فاتخذ من تحرؤ بعض العصابات المجرية وعبورها الدانوب ووصولها الى اراضي الروم عبر بلغاريا عذرآ للتوقف عن دفع المال السنوي المقرر . وهكذا فانتنراه يصفع في السنة ٩٦٧ مندوبي بلغاريا الذين أموا عاصمتهم يطالبون بمال السنوي ويطردهم طرداً .

ثم رأى نيقفوروس قبل ان يبدأ الحرب ان يستعين بالروس ليضع البلغاريين بين نارين ، فأوفد الى كيف عاصمة الروس من يسعى للتحالف مع سواتوسلاف Sviatoslav اميرهم الكبير . فلبى الامير الطلب وأنزل في السنة ٩٦٧ جيشاً روسياً كبيراً في الساحل البلغاري . فرحب بعض امراء الاقطاع من البلغاريين بالروس وتمكن الامير الروسي من اكتساح الموقف . ثم اضطر ان يعود الى كيف لاخماد ثورة أشعلها البتشناغ . وعاد في السنة ٩٦٩ الى بلغاريا لضمها الى مملكته . فأدرك نيقفوروس الخطأ الذي ارتكب ، فصالح البلغاريين . ولكن وفاة بطرس ملكهم وظهور سيمان يناظر ملي العهد أشعل الفوضى في بلغاريا<sup>١</sup> .

يوحنا جيمسيكي : ( ٩٦٩ - ٩٧٦ ) ولم ترض ثيوفانو الفسيلة الام عن حياتها الزوجية مع نيقفوروس نظراً للتفاوت في السن بينهما ، ونظرأ لأنها نيقفوروس مشاغله وتشاغله عنها . وكان ابن اخته يوحنا جيمسيكي Jean Tzimisces فأحبته ثيوفانو فأبعده نيقفوروس عن القسطنطينية . فأخذت ثيوفانو تسعى لارجاعه . فاقنعت زوجها نيقفوروس برقيق اسلوبها فأرجعه الى البلاط . وكانت مؤامرة بين ثيوفانو ويوحنا . فذبح نيقفوروس في غرفته ذبحاً في

العاشر من كانون الاول ٩٦٩ وأسلم الروح وهو ينادي « يا والدة الاله ! »  
 وفي الغد نودي بيوحنا جيمسكي فسيلفساً بالاشتراك مع باسيليوس وقسطنطين  
 القاصرين . وبقي الفسيلفس الجديد أسبوعاً كاملاً في القصر لا يخرج منه .  
 ثم نزل الى كنيسة الحكمة الالهية ليتوّجه فيها البطريرك المسكوني  
 بوليفاكتوس . غير ان هذا الشيخ الورع لم يسمح للفسيلفس بالدخول الى  
 الكنيسة الا بعد ان يقوم بامر ثلاثة : اولها ان يطرد ثيوفانو المجرمة  
 من البلاط ، والثاني ان يعترف بالقاتل ايًّا كان ، والثالث ان يرجع  
 للمجمع المقدس حق انتخاب الاساقفة وان يترك البيت في الامور الكنائسية  
 للمجمع . فأذعن الفسيلفس ونفى ثيوفانو من القسطنطينية ، واعترف باسم  
 القاتل ونفاه ، وأعاد الى المجمع المقدس ما كان نيقفوروس قد اخذه منه .  
 وتوج فسيلفساً في الخامس والعشرين من كانون الاول من السنة ٩٦٩ في  
 كنيسة الحكمة الالهية<sup>١</sup> .

وكان بيوحنا جيمسكي ارمني الاصل يمت بصلة النسب عن طريق  
 والده الى غرغون القائد ، وعن طريق امه الى عائلة فوقادس .  
 وكان يدعى بالارمنية شمشيق . ومن هنا اسمه في المراجع العربية المعاصرة .  
 وكان قصير القامة ، جميل الصورة ، شجاعاً ، بأسلاً ، لطيفاً ، كريماً ،  
 متزناً ، صبوراً . وكان قد اشتراك في معظم حروب نيقفوروس ، فعرفه  
 الجنود واحبوه وتعلقو بها<sup>٢</sup> . ورأى الفسيلفس الجديد انه لا بد من ان  
 يتسلم قيادة جيشه بنفسه ، فأعاد الى ادارة دفة الحكم البراكيمومان  
 باسيليوس ليكابينوس الذي كان قد خرج من البلاط في عهد نيقفوروس  
 الفسيلفس<sup>٣</sup> .

Schlumberger, G., Jean Tzimisces, ( Epopée Byz. ) Vol. I.

١

Schlumberger, G., op. cit., I. 4.

٢

Dolger, F., Regesten, 725 .

٣

عناته بالكنيسة : وأحب يوحنا جيمسي الكنيسة وجالس رجالها  
 ولاسيما الرهبان . وصلاح ما بين رهبان جبل آثوس وبين النساك فيه .  
 وأصدر في السنة ٩٧٠ « البراءة الذهبية » فأسس بها اتحاد جماعات جبل  
 آثوس<sup>١</sup> . وكان بطريرك انطاكية قد قتل في أثناء الحصار وقبل دخول  
 الروم اليها . وكان الموقف السياسي في سوريا لا يزال حرجاً . فطلب  
 الفسيلفس في السنة ٩٧٠ نفسها الى البطريرك المسكوني وجمعه المحلي ان  
 ينتخبوا بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق ، واقتراح انتخاب الراهب  
 ثيودوروس فتم انتخابه وتكريسه في الثامن والعشرين من كانون الثاني .  
 ثم توفي بوليفكتوس البطريرك المسكوني ، فرُشح الفسيلفس راهباً من  
 رهبان جبل اوليمبوس باسيليوس لهذا المنصب السامي . وقدمه بنفسه الى المجمع  
 وكان لا يزال لا يأساً القلسنة الجلدية . فتم انتخابه وسم بطريركاً في  
 التاسع والعشرين من كانون الثاني من السنة ٩٧٠ . وفي السنة ٩٧٤ وشي الى  
 الفسيلفس بان باسيليوس البطريرك وعد شخصية كبيرة بالتاج . فاستدعاه  
 الفسيلفس ليمثل امام مجلس القضاء الاعلى . فرفض البطريرك وطلب  
 محكمته امام مجمع مسكوني . فخلعه الفسيلفس ونفاه ورُشح راهباً  
 آخر هو انطونيوس الاستوديتي . فانتخبه المجمع خلفاً لباسيليوس . ويرى  
 بعض رجال الاختصاص ان الدافع خلع باسيليوس كان رفضه بجراحته  
 الفسيلفس في سياساته في ايطالية التي قضت بقطع العلاقات مع كنيسة روما<sup>٣</sup> .  
**الروس والبلغار :** وكان امير الروس سواتوسلاف لا يزال طاماً

Dolger, F., *Regesten*, 745 ; Meyer, Ph., *Die Hauplturkunden der Athos-Kloster*, 141-151.

Schlumberger, G., *Epopée Byz.*, I. 32-36.

Gfroerer, *Byzantinische Gesch.*, II, 255 ; Fliche et Martin, *Hist. de l'Eglise*, VII, 761.

طاحاً ، فجاء في ربيع السنة ٩٧٠ إلى البلقان ناهياً مدمرًا . وبعد ان استولى على فيليوبوليس عبر الحدود البيزنطية ، وحلَّ ضيقاً ثقيلاً على تراقيا . فدبَّ الرعب في قلوب سكان العاصمة ، وهبَ برداس Skleros Bardas صهر الفسيلفس إلى محاربة الروس ودفع الأذى . فدحرهم عند أركاديوبيليس Loule Bourgas في السنة ٩٧٠ وأكرههم على التراجع إلى بلغاريا<sup>١</sup> . واضطر الفسيلفس أن يتبع الملاينة في إيطالية والغرب ، فآزوج أوثون الثاني من ثيوفانية ابنة ثيوفانو ، وقضى على ثورة دبرها برداس فوقاس في بر الأناضول<sup>٢</sup> . وفي آذار سنة ٩٧٢ قام هو بنفسه على رأس جيشه إلى بلغاريا وأنفذ أسطوله إلى الدانوب ، واستولى على بريسلاف عاصمة البلغار ، ورد سواتوسلاف الروسي على عقبيه . فامتنع هذا في حصن سليستيرية . وبعد حصار دام ثلاثة أشهر سلم الامير الروسي الحصن ووقف راجعاً إلى بلاده . وما ان وصل إلى سلالات الدينير حتى اطبق به البنشاغ وقضوا عليه<sup>٣</sup> . وأكره الفسيلفس بوغوريس ملك البلغار على التنازل عن العرش وضم بلغاريا الشرقية إلى دولة الروم ، وألغى بطريركية البلغار<sup>٤</sup> .

توسيع جديد في سوريا ولبنان : وما أن أنهى الفسيلفس الجديد مشكلة الروس والبلغار حتى عزم على إزالة خلافة بغداد وتحرير فلسطين والاستيلاء على القدس . ولكن كان عليه قبل هذا وذاك أن يجاهد دولة فتية جديدة كانت قد قامت في مصر . فان المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع كان قد سير جوهراً الروسي إلى مصر في السنة ٩٦٨ فافتتحها

Schlumberger, G., *Epopée Byz.*, I, 39.

١

Diehl, C., *Byzance*, 126-127.

٢

Schlumberger, G., *op. cit.*, I, 92 ff ; Léon le Diacon, 156-157.

٣

Dolger, F., *Regesten*, 739.

٤

وأزال الشعار الاسود العباسى وأليس الخطباء الابيض وفتح دمشق وخطب  
للمعز على منابرها . وكان جوهر قد أنفذ جيشاً الى انطاكية فحاصرها  
خمسة أشهر خلال السنة ٩٧٠ - ٩٧١<sup>١</sup> . وكان الفسيفس قد اكتفى بان  
عين ميخائيل بورجس دوقاً على انطاكية وأمره بترميم حصونها وجعلها  
صالحة للدفاع . وفي السنة ٩٧٣ أنفذ الدومنيقوس (الدمستق) الارمني مليه  
Mleh الى الجزيرة غازياً . فاستولى هذا القائد على ملاطية ولكنne ارتد امام  
آمد فاعتقل وارسل الى بغداد فتوفي فيها<sup>٢</sup> .

وفي السنة ٩٧٤ بعد الانتهاء من مشكلة الروس والبلغار قام الفسيفس  
بنفسه على رأس قواه قاصداً بغداد . فسلك الطريق نفسها التي كان قد  
سلكها هرقل من قبله . فسار في وادي الفرات الاعلى ودخل ارمينية  
وحاالف ملكها أشوت<sup>٣</sup> . ثم اتجه جنوباً فاستولى على آمد وأحرق مياتارقين  
ودخل نصبيين وأدخل امير الموصل الحمداني في طاعته<sup>٤</sup> . وتعسر عليه تموين  
جيشه فعاد الى القدسية متصرراً غانماً<sup>٥</sup> .

وفي ربيع السنة ٩٧٥ عاد الفسيفس يوحنا جيمسكي الى القتال . فانطلق  
من انطاكية قاصداً المدينة المقدسة . وما ان أطل على دمشق حتى  
فاوضه حاكمها في السلم ، فوقع بياناً اعترف فيه بسيادة الفسيفس وتقبل  
حامية مسيحية في مدینته . وقام الفسيفس الفاتح الى طبرية فدخلها . ثم  
قام الى الناصرة فحف عنها احتراماً واجلاً ، وتسلق جبل الطابور تيمناً

Schlumberger, G., op. cit., I, 222-223 .

١

Anastasievic, Die Zahl der Araberzuge des Tzimiskes Byzantinische Zeitschrift, vol. 30, 401 ff.

٢

Honigmann, Die Ostgrenze des Byzantinischen Reiches, 98 .

٣

Adontz, Notes Armeno — Byzantines, Byzantion, 1934, 371-377 .

٤

Schlumberger, G., op. cit., I, 262 .

٥

وتضرعاً . وتقبل هنالك دخول القدس والرملة وعكة في الطاعة وارسل إليها قادة عسكريين يقيمون فيها . ولما كانت قوات الفاطميين قد التجأوا إلى مدن الساحل فإنه رأى أن الحكومة العسكرية تقضي بالتجاه نحو الساحل قبل التوغل في الجنوب . فاحتل صيدا وبيروت وجبيل وعاد إلى انطاكية متآثراً من مرض أم به ، ومنها قام إلى القسطنطينية<sup>١</sup> . وما نقله المعاصرون أنه في أثناء عودته إلى العاصمة شاهد أراضي فسيحة جميلة خصبة ، فسأل عن مالكها فقيل له أنها تخص رئيس الخصيان باسيليوس المقدم بين الوزراء . فاستعظم يوحنا هذا الأمر نظراً لاحتياج الدولة وشقاء رؤسائها في سبيل الفتوحات . وبلغ هذا باسيليوس نفسه فيخاف فدس<sup>٢</sup> سهماً خفيفاً للفسيلفس فقتله في مدة لا تبلغ السنة . فمات في الثامن عشر من كانون الأول سنة ٢٩٧٦ .

**باسيليوس الثاني :** ( ٩٧٦ - ١٠٢٥ ) وكانت باسيليوس وآخوه قسطنطين شريكاً يوحنا جيمسكي قد بلغا سن الرشد أو ما يقرب منها . وكانت يهابان الحصي باسيليوس لأنه كان قد تولى تربتها . وحدثته نفسه بالملك ، فأرجع أم الفسيلفسين ثيوفانو . ثم عزل القائد الأعلى برداس اسكليروس وعيشه في وظيفة ثانوية في قيادة جيش الجزيرة . فذهب برداس وجمع جيشاً واتحد مع أعداء باسيليوس الحصي . فكانت بينه وبين جيوش العاصمة مواجهة وحروب شديدة دامت أربع سنوات . وبلغ<sup>٣</sup> برداس إلى بغداد وطلب معاونة الخليفة العباسي الطائع ( ٩٧٤ - ٩٩١ ) : وكان باسيليوس الفسيلفس الشاب يحضر جلسات المجالس كلها ويتبع الحوادث ويدرسها . فلمس الخراب الذي حل بالدولة من سوء إدارة الحصي

Du Laurier, E., *Chronique de Matthieu d'Edesse, Bibliothèque, Hist.* ١

*Arménienne, 16-24 ; Georges Hamartolus, Continuator, 865.*

Schlumberger, G., *op. cit.*, 308-315.

٢

بصرف الاموال ، وقتل القواد والضباط والعساكر ، وانتقام المسلمين من هذه الحوادث ، ونهوض البلغار لاستغلال الموقف . وكان هو عبوساً شجاعاً لا يعتمد الا على نفسه ، قنوعاً في معيشته وملابسها ، بعيداً عن الملاهي والطرب . وكان اخوه قسطنطين كسولاً محباً للهو والملذات ، يكثر من حضور الروايات والصيد<sup>١</sup> .

وفي السنة ٩٨١ رأى ان يذهب بنفسه لمحاربة البلغار ، فعارضه الحصي في ذلك . ولكنه أصرّ وذهب فلم ينجح . وكان اوthon الثاني قد شرع في الاستيلاء على املاك الروم في ايطالية مدعياً انها تخص زوجته ثيوفانية . فنهاد الفسيلفس فلم يرتدع . فحاربه الفسيلفس في السنة ٩٨٢ وظفر بجنوده واسترجع معظم ما ملكه الروم في ايطالية .

ولم يرض باسيليوس الحصي عن تدخل الفسيلفس الشاب في الحكم وخشي ان تقلت السلطة من يده فأثارها حرباً باردة في القصر بينه وبين سميته الفسيلفس . وانتهى هذا النزاع الصامت بكف يد الحصي في السنة ٩٨٥ وابعاده الى دير يعيش فيه زاهداً . وما ان فعل حتى رفع رجال الاقطاع رؤوسهم مرة اخرى منادين في السنة ٩٨٧ ببردادس فرقاس فسيلفساً . وانضم اليهم برداس اسكليروس . فتفاقم الشر وعظم الخطب . فاستمال الفسيلفس الكنيسة وخطب ودها ، ثم حالف امير كييف فلاديمير الكبير واستعان بستة آلاف مقاتل روسي . فلما زحف رجال الاقطاع على العاصمة أُنزل الفسيلفس بهم هزيمة شنعاء في خريسبوليس (٩٨٨) ولقي برداس فرقاس حتفه في أبيدوس (٩٨٩) . ولم يبق في الميدان سوى القائد برداس اسكليروس . فوعده الفسيلفس بالعفو ان هو مسلّم ، ففعل<sup>٢</sup> .

Zonaras, J., *Hist.*, III, 555 ; Psellus, M., *Chronog.*, 4.

١

Psellus, M., *op. cit.*, 9 ff; Schlumberger, G., *op. cit.*, I, 672-677.

٢

ويستدل من رسم هذا الفسيفس الذي لا يزال محفوظاً في نسخة قديمة من المزامير انه كان قصيراً القامة ، مفتول العضل ، أزرق العينين ، مشرق الوجه ، ذا طيبة ملتفة كثيفة . و بما يستدل عليه من هذا الرسم ايضاً ان باسيليوس انفرد عن سائر زملائه في انه آثر الظهور باللباس العسكري والسلاح بالزرد والسيف والرمح<sup>١</sup> . وهو في مراجعنا الاولية بعيد عن البذخ إن في المأكل او المشرب او الملبس . وهو قليل الاهتمام بالخلفات والتشريفات . ولم يتذوق العلم والفلسفة . واعتبر الجدل في هذه ضرباً من الثرثرة . ولكنه كان جندياً ممتازاً وفارساً مغواراً وقائداً عظيماً ، يشاطر جنوده التعب ويقودهم الى النصر بوفرة ذكائه وسعة اطلاعه وحسن تدبيره وتنظيمه . و بما جاء في هذه المراجع انه لم يكن لديه وزير اول ، ولم يخص احداً بعطف اكثراً من غيره ، ولم يحكم بالقوانين المدونة بل بما اوحاه اليه ضميره ووجدانه<sup>٢</sup> .

الكنيسة في عهد باسيليوس : وليس لدينا من مخلفات السلف في هذا الموضوع ما يكفي لايضاح جميع الحوادث<sup>٣</sup> . وأهم ما يلفت النظر ان البطريرك المسكوني انطونيوس الثالث استقال في السنة ٩٨٠ في اثناء ثورة برداس اسكليروس . وبعد استعفائه بقي المنصب اربع سنوات شاغراً . وفي السنة ٩٨٤ سيم نيقولاوس الثاني ( خريسوبيرجيوس ) بطريركاً مسكونياً فأقام على الكرسي حتى وفاته في السنة ٩٩٥ . ثم خلفه سيلينيوس الثاني المايستروس الطيب . وكانت التنازع لا يزال قائماً في بعض الاوساط الاكابرية بسبب زيجته لا وون الرابعة ، فوفقاً

Diehl, C., Peinture Byzantine, pl. 83.

١

Psellus, M., op. cit., 18-24.

٢

Bréhier, L., Byz., Vie et Mort, 218-219.

٣

البطريرك بينهم وسنٌ قانوناً بالا يأخذ اخوان زوجتين احدهما ابنة عم او خال او عمة او خالة الاخرى على الوجه السادس ، ولا ان يأخذ العم او الخال وابن أخيه او اخته اختين على الوجه الخامس . وبعد سيسينيوس نصب البطريرك سرجيوس الثاني ( ١٠١٩ - ١٠٠١ ) أحد أقرباء فوطيوس البطريرك السابق .

ويرى مؤرخو الكنيسة الارثوذكسيّة ان سرجيوس الرابع بابا روما ( ١٠١٢ - ١٠٠٩ ) قال بالانشقاق من الآب والابن ، وانه لما بلغ هذا الامر مسامع سرجيوس الثاني البطريرك المسكوني كتب الى زميله البابا سرجيوس الرابع يرشد في هذا الموضوع فلم يقبل . فعقد البطريرك المسكوني مجمعاً أيدّ فيه اعمال البطريرك فوطيوس كلها ومحا من ذيتيحة الكنيسة اسم البابا سرجيوس الرابع<sup>١</sup> . ويرى بعض رجال الاختصاص من علماء الغرب ان السبب في هذا التباعد بين فرعي الكنيسة الرئيسين هو ان فسيلفس الشرق وامبراطور الغرب كانوا في تنافس مستمر حول النفوذ في ايطالية ، وان البابا بنديكتوس الثامن ( ١٠١٢ - ١٠٢٤ ) كان مدیناً بتبوئه العرش الكنائسي لهنريكوس الثاني امبراطور الغرب ، وانه اعترافاً بهذا الفضل اهدى الى هنريكوس كرة ذهبية يعلوها صليب رمز السلطة العالمية ، وان فسيلفس الشرق باسيليوس اعتبر اقدام البابا على صنع هذه الكرة وتقديمها الى هنريكوس عملاً عدائياً ، وان البطريرك المسكوني شاركه في هذا الشعور<sup>٢</sup> .

وما لا ينبغي اغفاله في هذا كله هو ان مراجعتنا الاولية كما سبق ان أشرنا قليلاً ، وان مراجع الانشقاق العظيم الذي حلّ في السنة ١٠٥٤

<sup>١</sup> جراسيموس ، متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

*Jugie, M., Le Schisme Byzantin, (1941), 166-167.*

<sup>٢</sup>

لا تشير البة الى هذا الاختلاف بين سرجيوس الشرق وسرجيوس الغرب .  
**نصر الروس :** وأعظم من هذا كله وأشد اثراً في التاريخ تصرّ  
 الروس . وكانت اولغا زوجة ايغور اول امراء الروس قد اعتنقت الديانة  
 المسيحية في القسطنطينية في السنة ٩٠٥ فسميت هيلانة . ثم عادت الى  
 بلادها وأخذت تسعى في تصير شعبها وخصوصاً ابنتها ايفاتوسلاف . وأثر  
 سعيها مع بعض الاهالي ولكنها توفيت ولم تستطع اقناع ابنتها . ولا يزال  
 الروس يعيدون لها في الحادي عشر من نيسان في كل سنة . ثم مات ايفاتوسلاف  
 وخلفه ابنته فلاديمير سنة ٩٨٠ . ثم كان ما كان من امر برداس فوقادس . فطلب  
 الفسيلفس باسيليوس الثاني معونة فلاديمير ، فجاءت المعونة في حينها .  
 وطلب فلاديمير حنة شقيقة باسيليوس زوجةً . فقبل الفسيلفس شرط ان  
 يتقبل فلاديمير النصرانية . فتقبلها . فشرط البطريرك المسكوني  
 نيكولاوس الثاني ميخائيل السوري الاصل متروبوليتاً على كييف . وأرسله  
 وخمسة اساقفة مع الاميرة حنة لينشروا الديانة المسيحية في روسية . ووصلوا  
 الى خرسون في بلاد القرم وعمدوا فلاديمير سنة ٩٨٨ وكلوه على حنة .  
 وعاد فلاديمير الى كييف ، وأمر بان يجتمع جميع أهلها كباراً وصغاراً  
 على شاطئ النهر . فركع فلاديمير وصلى ووقف الكهنة على ألواح من  
 الخشب يعمدون الشعب تعظيساً . واعتبرت الكنيسة الروسية فيما بعد فلاديمير  
 وزوجته قديسين ومنحت فلاديمير لقباً معادل الرسل ولا تزال تحتفل  
 بعيده في السادس عشر من توز في كل سنة<sup>١</sup> . ويروى بعض من يعني  
 بتاريخ الروم في الغرب ان فلاديمير تقبل النعمة في كييف قبل زواجه  
 من حنة وذلك في السنة ٢٩٨٧ .

حروب باسيليوس وفتحاته : وكان باسيليوس اعظم قوة وأطول  
باعاً في الحرب من اسلافه . فإنه تمكن بجهده وسعيه ومقدراته في الادارة  
والحرب من تحبيش عدد من الرجال اكبر بكثير من اي عدد جنده  
اسلافه . وحارب في وقت واحد في جبهات اربع : في الجنوب والشمال  
وفي ايطاليا والقوcas .

وكانت مشكلة بلغارية لا تزال عقدة العقد . فان انتصار يوحنا  
جيسمكي لم يكن كاملاً . ولم يتمكن هذا الفسيفس من تدوين جميع  
البلغاريين . ولم يضم الى ملكه سوى بلغارية الشرقية . وبقي عدد من  
كبار رجال الاقطاع البلغاريين خارجين عن سلطته . وما ان زال الـيت  
امالك القديم حتى شق صموئيل احد هؤلاء طريقه الى الملك ونظم بلغارية  
غربية جديدة وحكمها من قلعته في اوخريةدة في تلال مقدونية . ولم  
يحاول صموئيل باديء ذي بدء ان يكتسح بلغارية الشرقية ولكنه اتجه  
جنوباً فانقض على بلاد اليونان . واحتل لاريسة سنة ٩٨٦ ووصل الى برزخ  
كورينثوس . فأعد باسيليوس الثاني حملة وأغار على املاك صموئيل . فارتدى  
هذا عن اليونان وأنزل بخصمه الفسيفس هزيمة شعاء امام صوفية في  
السابع عشر من آب من هذه السنة . واضطر باسيليوس ان يواجه ثورة  
البردايين كما سبق وأشارنا .

وكان سعد الدولة المداني قد دخل حلب واستولى عليها ، فحاول  
مراراً ان يتصل من الاتاوية التي كان بقجور قد قبل بدفعها الى الروم .  
فأدى هذا الى انفاذ حملات ثلاثة على حلب بقيادة برداس فوqas في  
السنوات ٩٨١ و٩٨٣ و٩٨٦ . واضطر سعد الدولة ان يستجده العزيز  
الفاطمي ، فنشب خصم بين الروم والفاطميين . ولما كان باسيليوس منهمكاً  
في القضاء على ثورة البردايين اضطر بدوره في اواخر السنة ٩٨٧ الى ان  
يصالح العزيز بمعاهدة كان من شروطها ان يذكر اسم العزيز في خطبة

الجامع في القسطنطينية . وكان قد قام في القسطنطينية مسجد منذ القرن الثامن<sup>١</sup> .

ولم يكن باسيليوس الثاني في هذه الفترة نفسها أسعده حظاً في إيطالية . فان اوثون الثاني امبراطور الغرب طمع في جنوبي إيطالية . ففي كانون الثاني من السنة ٩٨٢ غزا ابوية البيزنطية وهاجم مدنه . ولكنه عندما دخل كلامبرية اصطدم بجيش عربي كان قد انفذ إليها من صقلية . فوقعه عند ستيلو في الثالث عشر من توز سنة ٩٨٢ <sup>فانهزم</sup> وكاد ان يقع في يد العرب اسيراً لو لا نزوله الى البحر على ظهر جواهه والتجاؤه الى سفينة بيزنطية قريبة . وعاد الى روسانو وأعاد تنظيم جيشه وترابع شمالاً وتوفي في روما في كانون الاول من السنة ٩٨٣ . وعاد العرب الى صقلية فتمكن الروم من اعادة سلطتهم في ابوية<sup>٢</sup> .

وفي السنة ٩٨٨ أتَّخَدَ باسيليوس ثورة البرداين واستتب الامر له . وكان في سلم مع الروس والقاطميين فعاد الى حدود البلغار . وكان صموئيل قد استمر اشغال خصمه باسيليوس فاستولى على قسم من دلاماسية وعلى ساحل الباينية فأصبح سيد ثلثي البلقان . وكان قد هاجم ثيسالونيكيَّة واحتل بروة *Berrhoe* عند مداخلها الغربية . فقام باسيليوس الى ثيسالونيكيَّة بنفسه في ربيع السنة ٩٩٠ فرمم حصونها ثم دخل في حرب بلفارية دامت اربع سنوات متالية<sup>٣</sup> .

وتوفي سعد الدولة الحمداني في السنة ٩٩١ فطبع العزيز الفاطمي مجلب .

Schlumberger, G., *Epopée Byzantine*, I, 544-572 , 730-713 ; Dolger, F., ١  
Regesten, etc., 770 .

Schlumberger, G., op. cit., I, 499-507 ; Gay, J., *Italie Méridionale*, ٢  
331-335 .

Schlumberger, G., op. cit., 751-755 , II, 44-45 ; Cedrenus, G., *Synopsis Historion*, II, 58, 180.

فحاصرها في السنة ٩٩٢ فاستجبار لؤلؤ الكبير الوصي على ابن سعد الدولة القاصر باسيليوس الثاني . فأمر باسيليوس دوق انطاكية ميخائيل بورجس ان يقدم المعونة الازمة . فظفر الفاطميون بجيشه في موقعة العاصي في الخامس عشر من ايلول سنة ١٩٩٤ . فرأى الفسيفس الكبير ان الواجب يقضي بأن يشرف بنفسه على الاعمال في سوريا الشمالية . ففوض نيقيفوروس اورانوس متابعة الحرب البلغارية . وجمع جيشاً خاصاً وجعل لكل مقاتل بغلين ، وهب بسرعة فائقة فقطع آسية الصغرى في ستة عشر يوماً وفاجأ الفاطميين عند حلب فتراجعوا عنها وفروا امامه حتى ابواب دمشق . وعاد الفسيفس الى القسطنطينية في خريف السنة ٢٩٩٥ .

ونشط صموئيل في غياب باسيليوس فزحف على ثيسالونيكية واقع المزية بحاكمها الارمني أشوت ، ولكنه لم يقتسمها بل آثر التوغل في اليونان فوصل ثانية الى برزخ كورينثوس . وتأثره نيقيفوروس اورانوس وأنزل به هزيمة شناء عند مضيق ثرموبيلي الشهير . ففر صموئيل متسلقاً الجبال حتى وصل الى سواحل ابيروس في صيف السنة ٩٩٦ . ووصل الفسيفس من سوريا ولم يتمكن من استثمار هذا النصر استثماراً كاملاً واكتفى بان أنزل نيقيفوروس الى بلغاريا الغربية ليدير وينهب ويحرق . وتوفي العزيز الفاطمي وتولى الحكم بعده الحاكم بأمره (١٠٢١ - ٩٩٦) فأنزل بدوق انطاكية داميانيوس دلاسانوس في توز السنة ٩٩٨ هزيمة كبيرة . وخر داميانيوس مقاتلاً . فاضطر باسيليوس ان يعود الى سوريا الشمالية لينقذ الموقف . فدخل انطاكية في العشرين من ايلول سنة ٩٩٩ واستولى على حمص في تشرين الاول من السنة نفسها . ثم قام الى طرابلس

فارتد امامهـا (٦-١٧ كانون الاول ) ، وعاد الى طرسوس لتمضية الشتاء<sup>١</sup>.

وينما هو يعد العدة في طرسوس لتابعة الحرب ضد الفاطميين علم بوفاة داود ملك الكرج . وكان داود هذا قد عاون برداس فوقياس في ثورته على الفسيلفس وأوصى عند انتهائـها بملكه الى الفسيلفس . فقام الفسيلفس بجيشه الى ملاطية ، ثم عبر الفرات ودجلة ووصل الى هافاتشيش . فقدم امراء الكرج خصوـعهم ، وضم الفسيلفس دولة داود الى الامبراطورية وعاد الى القسطنطينية عن طريق ارضروم<sup>٢</sup> .

وترك هذا كله اثراً في نفس الحاكم بامره ، فأسرع يفاوض باسيليوس في السلم . ولما عاد الفسيلفس الى القسطنطينية وجد فيها اورسطيوس بطريرك القدس منتظرـاً لابرام صلح باسم الخليفة الفاطمي . فكان صلح بين الدولتين لعشـر سنوات<sup>٣</sup> .

وانطلق الفسيلفس بعد هذا يذلل الصعب في بلغارـية . فدخل في حرب دامت سبع عشرة سنة ( ١٠٠١ - ١٠١٨ ) فـكـنـ في اثنـائـها من مضـيـقةـ خـصـمهـ صـموـئـيلـ بـتفـوقـ عـساـكـرـهـ ، وـمـهـارـةـ قـواـدهـ ، وـحـذـقـهـ هوـ فيـ تـدـبـيرـ الخـطـطـ وـتـنـفـيـذـهـ ، وـفيـ سـرـعـتـهـ وـمـفـاجـآـتـهـ . وـأـشـهـرـ مـوـاقـعـ هـذـهـ الحـربـ مـعـرـكـةـ كـيمـبـالـونـغـوسـ Kimbalongosـ . وـهـوـ بـمـرـ طـبـيـعـيـ فيـ وـادـيـ السـتـرـوـمـةـ كـانـ لـاـ بـدـ لـبـاسـيلـيوـسـ مـنـ انـ يـعـبـرـ فيـ طـرـيقـهـ اـلـىـ مـعـاـقـلـ صـموـئـيلـ الاـخـيـرـةـ فيـ مـقـدـونـيـةـ الغـرـبـيـةـ . وـفـيـ التـاسـعـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ تـمـوزـ سـنـةـ ١٠١٤ـ كـمـنـ صـموـئـيلـ لـبـاسـيلـيوـسـ فيـ هـذـاـ الـمـرـ . وـمـاـ انـ وـصـلـ الرـومـ اـلـيـهـ حـتـىـ أـمـطـرـهـ الـبـلـغـارـيـونـ وـابـلـاـ مـنـ السـهـامـ مـنـ وـرـاءـ أـسـيـجـةـ مـدـبـرـةـ . فـأـنـفـذـ

Yahya d'Antioche, op. cit., 183-184.

١

Schlumberger, G., op.cit., II, 172-198.

٢

Dolger, F., Regesten, 788 ; Schlumberger, G., op. cit., II, 201-208.

٣

باسيليوس القائد نيقيفوروس زيفياس يهددهم من الوراء . فكان نصر مبين .  
 وقع في يد باسيليوس عدد كبير من الاسرى ، فسلم عيون خمسة عشر  
 الفاً منهم وأطلقهم بقيادة مئة وخمسين اعور يقابلون صموئيل ملكهم . وما  
 ان شاهدتهم هذا حتى اغمى عليه وتوفي للحال في السادس من تشرين الاول  
 سنة ١٠١٤ . ونال باسيليوس لقب « ذباح البلغاريين » Bulgaroctonus .  
 ونادى البلغار بابن صموئيل جبرائيل ملكاً ، فدامـت الحرب اربع سنوات  
 اخرى . وتابع باسيليوس الحرب فاحتل اخريةدة العاصمة في خريف السنة  
 ١٠١٧ ثم حاصر كستوريه . واستجار البلغار بالشناخ ، ولكن دون  
 جدوى . وسقط آخر ملوك البلغار مقاتلاً في اوائل السنة ١٠١٨ . فضم  
 باسيليوس جميع بلغارية الغربية الى ملكه . وأصبحت سبه جزيرة البلقان  
 بكاملها ارضاً بيزنطية للمرة الاولى بعد يوستينيانوس الكبير . وبلغت دولة  
 الروم بفضل هذه القوّات في الشرق والغرب حدودها الطبيعية<sup>١</sup> .

وتميزت السنوات الخمس الاخيرة من حكم باسيليوس الثاني ( ١٠٢٥ - ١٠٣٥ )  
 بالسيطرة على ايطالية ، والاستعداد لاخراج العرب من صقلية ، ومحاولات  
 جدية لتأمين الحدود عند القوقاس ، والصمود في وجه الاتراك السلاجقة  
 الذين كانوا قد بدأوا يتوجهون غرباً . ففي ربيع السنة ١٠٢١ قام باسيليوس  
 الى ارضروم ومنها الى سهل بسيان حيث أنزل بالملك جورجي هزيمة  
 سهّلت وصول الفسيفس المنتصر الى تفليس . ثم عاد الى طرابzon يمضي  
 فصل الشتاء فتقبل فيها خضوع يوحنا سباد ملك ارمينية الكبرى ، كما  
 تسلّم من الملك فاسبوراكان سلطنة على الاراضي الواقعه جنوبي بحيرة  
 وان ، لانه لم يتمكن من حمايتها من غزوات الاتراك السلاجقة . وقبل

انتهاء فصل الشتاء جاءَ الملك جورجي نفسه يقدم خصوّعه بلا قيد أو شرط . وعاد الفسليفس إلى القسطنطينية في مطلع السنة ١٠٢٣.<sup>١</sup> وأدّت مقاومة البلغار الطويلة وتعديات القرchan الصقالبة والعرب في مياه الادرياتيك إلى تفاهم وثيق وتعاون جدي بين الفسليفس وحكومة البندقية التي كانت تعترف بسيادة الروم . وفي السنة ٩٩٢ منح باسيليوس تجار البندقية امتيازات تجارية اهمها انقاوص المكوس وردع الموظفين عن البلاص . فوعده البندقية بوضع سفنهم تحت تصرف الفسليفس لنقل جيوشه وعتاده إلى إيطالية<sup>٢</sup> . وتعدد الفسليفس إلى مدن بحرية إيطالية أخرى اهمها بيزا .

وفي السنة ١٠٠٩ ثار الجهور في باري على عامل الروم فيها من جراء ضغطه وصلفه . وامتدت هذه الثورة إلى جميع أنحاء مقاطعة أبولية ، ودامـت عشرة أشهر . وحاصر الروم باري واستولوا عليها . وفر زعيم الثورة فيها إلى المانيا فرحب بقدومه هنريكيوس الثاني الامبراطور ومنحـه لقب دوق أبولية<sup>٣</sup> . واستعلن هذا الزعيم الإيطالي بالفرسان النورمنديـن الذين كانوا على استعداد دائم لتقديم خدماتـهم في مثل هذه الظروف . فلـبـوا الطلب وجاءـ بهـم وبـغيرـهـم إلى أبولـيةـ في ربيعـ السـنةـ ١٠١٧ـ وأنـزلـ بالـرومـ خـسائرـ عـديدةـ . فـأنـفذـ باـسيـليـيوـسـ أحدـ رجالـ الاـشـداءـ باـسيـليـيوـسـ بوـيانـسـ فـقضـىـ علىـ هذهـ المحـاـولةـ ، وـفرـ زـعـيمـ الثـورـةـ ثـانـيـةـ إـلـىـ المـانـيـاـ ، إـلـىـ حـضـنـ هـنـريـكيـوسـ الثـانـيـ وـتـوفـيـ فـيهـاـ (١٠٢١ـ)ـ . وـأـعـادـ بوـيانـسـ هـيـةـ حـكـمـ الروـمـ فيـ إـيطـالـيـةـ الجنـوـيـةـ . وـحـصـنـ الحـدـودـ الشـمـالـيـةـ وـلـاسـيـاـ منـطـقـةـ غـارـغانـوــ بـنـفـتـومـ . فـهـالـ

Dolger, F., *Regesten*, 809, 810, 811, 816 ; Schlumberger, G., *op. cit.*, II, ١  
468 ff., 480-511, 525-536.

Dolger, F., *Regester*, 789.

Chalandon, F., *Hist de la Domination Normande en Italie*, I, 47.

٢  
٣

هذا الامر هنريكوس الثاني ، وقام للحال بحملة عسكرية يزعزع بها نفوذ زميله الفسليفس ، ولكنه أَخْفَق كل الاخفاق ! وحاول باسيليوس الفسليفس ان يستثمر هذا النصر فيحتل صقلية ويخرج العرب منها . وأنفذ الى ايطالية في شهر نيسان من السنة ١٠٢٥ جيشاً ، واحتل بويانس مسينة . وتأهب الفسليفس للحاق ببويانس ولكنه صعق بمرض اودى به في الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٠٢٥ .

*Gay, J., Italie Méridionale, 420-429 ; Schlumberger, G., op. cit., II, 1  
598-599, 619-620; Mercati, G., Bessarione, 1921, 138.*

## الفصل الخامس والعشرون

### التوقف عن التوسيع واتهاء الاسرة المقدونية

( ١٠٥٧ - ١٠٢٥ )

ورقي عرش القسطنطينية ، بعد وفاة باسيليوس الثاني ، عدد من صغار الرجال وضعفاء النفوس والهمم . فأفلتت السلطة الحقيقة من يد الفسيلفس وعظم شأن الخصيان في البلاط ونشبت مشادة عنيفة بين هؤلاء وبين قادة الجيش . فأدّت هذه المشادة وهذا التنافس إلى ترد الجندي وضعف قوى الدفاع في وقت هدد فيه كيان الدولة عدوان جديدان هما النورمانديون في الغرب والأتراك السلجقة في الشرق .

قسطنطين الثامن : ( ١٠٢٥ - ١٠٢٨ ) وتوفي باسيليوس بدون عقب وتولى الحكم بعده أخوه قسطنطين الثامن . وكان هذا خفيف العقل مستهترًا متصابيًّا مولعاً بسباق الخيول منغمساً في الم Lazat يكره الحرب والعمل الجدي . وكان قاسياً عتيقاً يلقي جميع الذنوب بسمل العينين<sup>۱</sup> . فما ان تبوا العرش حتى عزل كبار القادة ابطال الحروب السابقة واستبدلهم برجال من صنعه . ولم يكن له ولد ذكر ، فاستدعى الشريف رومانوس ارغيروس اليه وأكرهه على تطليق امرأته وازوجه من ابنته زوجة وذلك

في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٠٢٨ وقبل وفاته بثلاثة أيام<sup>١</sup>.

الإباضة الاصهار : ( ١٠٥٧ - ١٠٢٨ ) ودخل الروم بعد هذا في حكم اصحاب الاسرة المقدونية . ولم يكن اصحاب القرن الحادي عشر من بضاعة سلفائهم اصحاب القرن العاشر . وكان رومانوس ارغيروس الثالث ( ١٠٣٤ - ١٠٢٨ ) ينتسب الى بيت عسكري شهير مما يسر له قيادة الجنود ولكنه لم يوفق الى النصر كاسندي . وكان اول ما قام به من الاعمال ان ألغى تشريع باسيليوس الثاني الذي حمى به الفقراء وصغار الملوك من جشع اصحاب الاملاك الكبيرة . فطغى هؤلاء وتجبروا ، وأدى جشعهم الى انفراط العقد وتشتيت الكلمة .

وكان عند رومانوس الثالث خصي اسمه يوحنا البلاعوني . وكان لهذا اخوة اربعة فرقاهم الحصي وأدخل أحدهم ميخائيل في خدمة البلاط . وكان ميخائيل لا يزال في عنفوان شبابه ، جميل الوجه ، ساحر العينين . فتعلقت به زوجة فدفعها الى قتل الفسيفس . فدست له السم ثم خنقته في مغطس الحمام في الحادي عشر من نيسان سنة ١٠٣٤ . وألبست ميخائيل البلاعوني بدلة الملك وتوجته وأجلسته بجانبها وأمرت بتعظيمه . وما ان تم جلوس ميخائيل الرابع على العرش حتى قام اخوه يوحنا الحصي يستأثر بالسلطة . فحصر زوجة بين نساء الحرم . وألم باخيه ميخائيل الرابع داء النقطة فاستقل الحصي بالادارة ورقى اقرباءه الى الوظائف الكبرى وعزل غيرهم من ذوي الاهلية . وانتقمت زوجة من يوحنا الحصي فدست له السم . ولكن استدرك الامر ونجا من الموت . ولم يبطش بها محافظة على مرکز أخيه ومرکزه . وكان مرض ميخائيل الرابع يزداد من يوم الى يوم . فشعر بقرب أجله . وأنبه ضميره على فظاظة ما عمله برومانيوس الثالث ، فشرع يوزع الحسنات ويبني الكنائس

ويعمد الأطفال ليكفر عن خطئه . وزار مقام القديس ديمتريوس في  
ثيسالونيكية ولكنه لم ينفع . ثم أصيب بالاستسقاء فطلب العزلة وسم  
راهباً . وبعد قليل توفي في العاشر من كانون الأول سنة ١٠٤١ .

وكان ميخائيل الرابع ابن اخت اسمه ميخائيل القلفاطي . وكانت زوجة  
قد تبنته . فلما مات ميخائيل الرابع طردت زوجة اخاه يوحنا الحصي واخوه  
الآخرين وتوجت ابناها الوضعي ميخائيل الخامس القلفاطي فسيفلاساً . ولم  
يبت ميخائيل الخامس بأمه زوجة فتفاها إلى جزيرة من جزر الامراء ،  
وأكره البطريرك الكسيوس على ان يذهب إلى الدير ، واساء معاملة  
كثيرين من اهله . فاستاء سكان العاصمة من عمله وكانوا لا يزالون يكثرون  
المحبة والولاء للإسرة المالكة المقدونية . فاحضروا ثيودورة اخت زوجة  
من الدير وخلعوا عنها ثياب الرهبنة وألبسوها الحلة الملكية وأرجعوا  
اختها زوجة ونادوا بها فسيلستين . فلما رأى ميخائيل الخامس القلفاطي  
هياج الشعب التجأ إلى دير الاستودي هو وعمه وتقبلا النذر . ولكن  
ثيودورة أمرت بمعاقبتهم فسحبوا من هيكل كنيسة الدير وسلمت اعينهما  
ونفيا ( ١٠٤٢ ) .

واجتهدت زوجة بعد هذا في ابعاد اختها ثيودورة فلم توفق إلى ذلك  
نظرًا لوقف الشعب منها . وأحبت والياً اسمه قسطنطين ارتوكليني ورغبت  
في الزواج منه ولكن زوجته علمت بذلك فدست له السم فمات . وكان  
ميخائيل الخامس قد نفى قسطنطين مونوماخوس إلى مملة تعلق زوجة  
به . فلما مات ميخائيل ومات ارتوكليني أحبت الفسيلة ان تتتخذ منه

Schlumberger, G., op. cit., III, 150-183, 276-278, 319-372 ; Bréhier, L., ۱  
Byzance, op. cit., 242-243.

Psellus, M., Chronographia, I, 106 ; Diehl, C., Figures Byzantines, I, ۲  
268-271.

زوجا لها فلم يرض البطريرك عن زواج ثالث ولم يسمح به . ولكن الفسيلة أصرت فكللها كاهن القصر في الحادي عشر من حزيران سنة ١٠٤٢ . وبعد ان تم لها ذلك أكرهت البطريرك على توقيع قسطنطين فسليفساً ففعل وأصبح قسطنطين مونوماخوس قسطنطين التاسع ( ١٠٤٢ - ١٠٥٥ ) .

**المدود والعلاقات الخارجية :** ( ١٠٤٢ - ١٠٢٥ ) وعلى الرغم من تصاغر هؤلاء الملوك وتحايرهم فان جهاز الدفاع كان لا يزال قوياً بفضل الجهد الذي بذلها باسيليوس الثاني في اثناء حكمه الطويل . وظلت حركة التوسيع قائمة ولكن نتائجها كانت بطبيعة الحال أخف بكثير من ذي قبل .

ففي السنة ١٠٢٧ قام عرب افريقية بهجوم بحري على بعض جزر ايجي فصمد قائد ساموس في وجهم وعاونه في ذلك قائد خيوس وأنزلوا بالعرب خسائر فادحة في الرجال والعتاد . وعاد العرب الى هجوم آخر في السنة ١٠٣٥ ليلقوا اندحاراً ممائلاً<sup>١</sup> . وفي السنة ١٠٢٧ ايضاً وافق الظاهر خليفة الحاكم ( ١٠٢١ - ١٠٣٥ ) على ترميم كنيسة القبر المقدس التي كان قد أمر بحرارتها الحاكم في السنة ١٠٠٩ ووقع معاهدة بهذا المعنى مع قسطنطين الثامن<sup>٣</sup> . ثم أغارت عشائر حلب على اراضي الروم فهـ<sup>٢</sup> رومانوس الثالث في السنة ١٠٣٠ يدافع ويقتص . ولكنه أخفق وكاد يقع اسيراً . ثم كر<sup>٣</sup> القائد مانيا كيس ودوق انطاكية نيقيطاس فأكرهها امير حلب على توقيع معاهدة في ايلول من السنة ١٠٣١ دخل بها في طاعة الفسليفس . وثار في

Psellus, M., Chron., I, 122-127; Diehl, C., op. cit., I, 271-283; ١  
Schlumberger, G., op. cit., III, 392-401.

Cedrenus, G., Synopsis, II, 259-266. ٢

Dolger, F., Regesten, 824. ٣

هذه الآونة حاكم طرابلس ودخل في حمایة الروم . ثم سجل منياً كيس نصراً في الراها فدخلها عنوة واستولى على رسالة السيد المسيح الى ابجر ملك الراها . وعندئذ عرض زومانوس الثالث صلحاً على زميله الفاطمي مشترطاً السماح باعادة بناء جميع الكنائس المخرابة والاعتراف بحق القسيسين في ترميم كنيسة القبر المقدس على نفقته الخاصة . وفي السنة ١٠٣٦ وقعت معاهدة بهذا المعنى بين ميخائيل الرابع وارملة الظاهر الوصية على ابنها القاصر المستنصر<sup>١</sup> . ويستدل من كلام ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس في السنة ١٠٤٦ ان كنيسة القبر كانت قد شيدت على نفقة القسيس وزينت بالرخام الملون والنقوش والقسيسات المذهبة . وما جاء في كتاب ناصر خسرو ان فسيفس الروم تخفّي وزار القدس متذكرًا في عهد الحاكم بأمره ، وان الحاكم علم بذلك فارسل الى زميله يطمئنه ويعده بالخير<sup>٢</sup> .

وحاول قسطنطين الثامن في السنة ١٠٢٧ ان يستغل وفاة جورجي ملك الكرج وقصور ابنه وولي عهده ولكنه مُني بالاخفاق . وقلَّ الامر نفسه عن الحملة التي قام بها قسطنطين اخو ميخائيل الرابع في السنة ١٠٣٨ . وتوفي يوحنا سباد ملك الارمن واندلعت حرب اهلية في ارمينية فأَحَبَّ ميخائيل الرابع ان ينفذ الوصية التي أوصى بها سباد في السنة ١٠٢١ . فأنفذ حملة الى ارمينية ولكن الجيش الذي هاجم عانة مُزق مُزيقاً ، وأعلن كاكينغ الثاني نفسه ملك الملوك في السنة ٣ ١٠٤٢ .

وغضب قسطنطين الثامن على بويانس القائد الحنك واقاله من وظيفته

Dolger, F., *Regesten*, 834-843 ; Schlumberger, G., III, 88-91 , 107-118 , ١  
194-199 , 203-204.

Nasir -i- Khusrau, *A Diary of a Journey Thaough Syria and Palestine*, ٢  
Trans. Guy Le Strange, 59-60.

Schlumberger, G., op. cit., III, 23-24 , 208-218.

٣

في السنة ١٠٢٨ وأحل محله من لم يكن أهلاً للقيادة والقتال . فنُشِطَ عرب صقلية للاغارة والغزو ما بين السنة ١٠٣٠ والسنة ١٠٣٢ وظهرت مراكبهم في مداخل الادریاتيك . ولكنهم لم يتمكنوا من الصمود في وجه راغوزة ونابولي . ففاوض اميرهم في الصلح في السنة ١٠٣٥ ووقع معاهدة بذلك مع ميخائيل الرابع<sup>١</sup> . وفي السنة ١٠٣٧ حاول الروم الاستفادة من تقسم العرب في صقلية ، فقام قسطنطين اوروبوس حاكم ايطالية اليها وتغلب على العرب في موقع متعدد وحرر الوف الاسري المسيحيين . ولكنه لم يتمكن من الاستقرار في الجزيرة . وقام في السنة التالية ١٠٣٨ بعد العدة لجنة كبيرة على صقلية . فأمر اخاه اسطفانوس على الاسطول وعهد بقيادة الجيش الى جورج منياكيس . واسترك في هذه الجنة هارولد ملك نروج وعدد من الفرسان النورمنديين . ونزل الروم الى الجزيرة واستولوا على مسينة . ثم قام منياكيس الى بالرمي فسرقوصه ، فاستولى عليهما في صيف السنة ١٠٤٠ . وقتل جماكيه العساكر فانسحب الافرنج الى ايطالية . ووقع الشقاق بين قائد البر وقائد البحر . ووجه الاول كلاماً لاذعاً الى قائد الاسطول لانه افسح في المجال باهمله لزعيم تروينة المسلم ليفر<sup>٢</sup> سالماً . فاستدعي منياكيس الى القسطنطينية واوْدَع السجن . وحل محله من لم يكن اهلاً لذلك ، فلم يبق بيد الروم من صقلية في السنة ١٠٤١ الا مسينة<sup>٢</sup> .

قسطنطين التاسع مونوماخوس : (١٠٤٢ - ١٠٥٥) وأحب قسطنطين التاسع خليفة اسمها اسكليرينة . فاحضرها الى البلاط ومنحها لقب سبستطة . فجلست في المجالس ، وظهرت في الموكب ، واستمتعت باموال الدولة ،

Dolger, F., *Regesten*, 841.

١

Chalandon, F., *Hist. Domination Lombarde en Italie*, I, 89-95; Psellus, ٢  
M., *Chronographia*, II, 31-46.

٢

فحيطت من كرامة هذا الفسيلفس في أعين الشعب . وعند وفاتها قرب آلانية شابة وجعلها سبسطة ايضاً ، ولكنه لم يجرؤ على ان يسكنها القصر . وظل طائشاً خاماً مستهتراً مسرفاً مبدداً الى ان حلَّ به فالج قوي أقعده عن كل حركة . وكان قسطنطين في الوقت نفسه صافي القلب بشوشًا بعيداً عن الحقد والتكبر يجذب القلوب بلطفه وخفته روحه<sup>١</sup> .

وأفضل ما ينسب اليه اهتمامه بجامعة القسطنطينية وسعيه لجعلها مؤسسة تعزى الدولة برجال متدينين مهذبين يخرون الادارة من ايدي الحصان والعسكريين . وكان ميخائيل الخامس قد قدم المشرع قسطنطين ليخوذ على غيره من رجال البلاط فابقاء موئوما خوس في هذه الوظيفة . وعطى ليخوذ على رفقاء في العلم الذين تحدروا إما من بيوت وضيعة كيوحنا زفلينس Xiphilinus الطرابزوني او من الطبقة المتوسطة كميخائيل بسلوس Psellus . وجاء قسطنطين التاسع يفاخر بالعلم ويسعى لتصدير جبهة العسكريين ، فحمل الادباء والعلماء وأمند اليهم بعض الوظائف الكبرى ، وجعل في السنة ١٠٤٣ بسلوس ، الذي كان لا يزال في الخامسة والعشرين من العمر ، رئيساً للديوان الملكي ، ورقى يوحنا بيزنتيوس الى رتبة مستشار ، ووكل رئاسة كلية الحقوق الى يوحنا زفلينس . وأصبح ميخائيل بسلوس فيما بعد « قنصل الفلاسفة » فتولى ادارة الابحاث الادبية وتحل برتبة عالية في تشريفات البلاط . ثم انتقد ليخوذس تبذير الفسيلفس بصراحة الفلسفة ووقفا لهم ، فغضب عليه قسطنطين التاسع في السنة ١٠٥٠ وأبعده . ثم حلَّ سخط الفسيلفس على يوحنا موروبوس فاستقال بسلوس وزفلينس<sup>٢</sup> . وكان رومانوس اسكليروس اخو خليلة الفسيلفس يكره القائد الكبير

*Psellus, M., op cit., I, 133-134 ; Diehl, C., Figures Byz., I, 273-276.* ١

*Psellus, M., op. cit., I, 138-140 , II, 38-60 , 66-57 ; Bréhier, L., Byzance, ٢  
252-253.*

جورج منياكيس . فاستدعي قسطنطين هذا القائد من ايطالية وأبعده . وثار القائد ونادى به جنوده في خريف السنة ١٠٤٢ فسيلفساً . وجراح جرحاً بليغاً في اول اصطدام وقع بينه وبين جنود الفسيلفس . فانقض جنوده عنه وانتهى أمره<sup>١</sup> . وفي منتصف السنة ١٠٤٣ تخاصم الروس والروم في ضواحي القسطنطينية ، وقتل أحد كبار تجار الروس . وكان قد سبق لتجار الروس في عاصمة الروم ان شكوا مضايقة الروم وتعسفهم الى امير كييف . فرأى الامير فلاديمير ان يتخذ من قتل التاجر الروسي عذرآ للمطالبة بشروط تجارية للروس في القسطنطينية افضل من ذي قبل . واحتج على مقتل التاجر الروسي وطالب بالدية . فصُدَ عن ذلك . فجرد حملة بحرية ودخل البوسفور . فذعر الناس ونشط الفسيلفس وقام بنفسه الى قتال الروس في البحر . فتمكن من ابعادهم بالنار الاغريقية في حزيران سنة ١٠٤٦ . ووقعت معاهدة في السنة ١٠٤٦ لا نعرف من شروطها سوى زواج احد امراء الروس من اميرة بيزنطية<sup>٢</sup> .

وفي السنة ١٠٤٧ تضافت العناصر العسكرية الساخطة التي كانت قد ابعدت عن السلطة واتخذت من ادرنة قاعدة لها ونادت بطورنيكيوس الارمني فسيلفساً وزحفت على القسطنطينية . وحاولت اقتحام الاسوار ولكن دون جدوى . ثم وصلت قوى الشرق فأأنزلت بطورنيكيوس وزملائه هزيمة كبرى في اواخر السنة ١٠٤٧<sup>٣</sup> .

وكانت قبائل البشناق التركية قد وصلت الى الدانوب في عهد باسيليوس الثاني . وفي السنة ١٠٤٨ نشب خلاف ونزاع بين اثنين من زعمائهما .

Schlumberger, G., op. cit., III, 450-456.

١

Dolger, F., Regesten, 875; Revue des Questions Historiques, Couret,  
Les Russes à Constantinople, 1876, 69 ff.

Dolger, F., Regesten, 872-883; Schlumberger, G., op. cit., III, 507-528.

٢

٣

فالتجأ أحدهما إلى الروم . فعبر خصمه الدانوب وتوغل في بلغاريا . فأنزل به الروم بمعاونة خصمه هزية شناء . ودخل في خدمة الروم عدد كبير من البشناق . وقضت ظروف داخلية في بيئية ان يساق هؤلاء إليها . فأبوا وتردوا وأقاموا في سهول صوفية . وانضم إليهم من كان قد بقي من أخوانهم في بلغاريا . وطاردتهم جيوش الروم مراراً ولكن دون جدوى . وفي السنة ١٠٥٣ سُمِّ هؤلاء البشناق الحرب وفاوضوا في الصلح واستقرروا في بلغاريا<sup>١</sup> .

وجدد قسطنطين التاسع معاهدة الصداقة والمودة بينه وبين المستنصر الفاطمي في السنة ١٠٤٧ - ١٠٤٨ وأمد الفاطميين بالقمح عند حلول القحط في سوريا في السنة ١٠٥٣ وتمكن من حماية النصارى فيها<sup>٢</sup> . ولكنه لم يحسن السياسة في معالجة السلجوقية . فان هؤلاء الغز<sup>٣</sup> كانوا في اثناء القرن العاشر قد انتظموا حوالي احد زعمائهم سلبيوق فتركوا مرايعهم بالقرب من بحيرة اورال ودخلوا في خدمة الغزنويين وعاونوهم في حرب الهند . ثم ثاروا على مسعود الغزنوي واستقرروا في خراسان ( ١٠٣٨ - ١٠٤٠ ) بزعامة طغرل بك<sup>٤</sup> . وما ان شعرت قبائل التركان الضاربة في اواسط آسية بشجاعة طغرل وعشيرته حتى التفت حواليه واتمررت اوامره . فقام طغرل بك بجموعه يهدى الخلافة وارمينية والروم . وكان من سوء طالع قسطنطين التاسع ان استبدل الخدمة العسكرية عند حدود آسية الصغرى الشرقية بضربيه سنوية فقل عدد الرجال في جيش الحدود ، واضطر الفسليفس الى ان يلتجأ في معالجة السلجوقية الى التكتيكي نفسه الذي جأ

Grousset, R., Empire des Steppes, 238; Ostrogorsky, G., Gesch. des Byz. ١

Staates, 234-235; Dolger, F., Regesten, 888-890, 909.

Dolger, Regesten, 881, 912; Vincent et Abel, Jérusalem, 248-259. ٢

Grousset, R., Emp. des Steppes, 203-205. ٣

إليه أسلافه في درء خطر الحمدانيين أي ان يمتنع عن مقاومة الغزاة فلا يطبق بهم الا بعد ان يكونوا قد غنموا فتراجعوا خارجين . فاستعاض قسطنطين عن قلة الرجال بجنة القادة امثال كتكالون وبحسن التدبير والتكتيك ، فتمكن من الاحتفاظ بجميع ولاياته الشرقية<sup>١</sup> .

وازداد طمع النورمنديين في ايطالية وكثير عدهم . واتخذ غيار امير سلونو لقب دوق ابولي وكلابيرية وببدأ يقطع النورمنديين الاراضي يميناً وشمالاً . وغزا النورمنديون اراضي اوترانتو ولم يتمكن الروم من صدهم عنها ولم يبق بيدهم منها سوى المدن الساحلية . واستدعي الفسیلفس القائد الحاكم في ايطالية ارجیروس ليعاونه في القضاء على ثورة طورنیکیوس . وبقي ارجیروس في القسطنطینیة خمس سنوات ( ١٠٤٦ - ١٠٥١ ) . ولا نعلم ماذا دار بينه وبين الفسیلفس من حديث او تبادل في الرأي . ولكننا نعلم علم اليقين ان البطريرك المسكوني میخائیل کیرولاریوس ( الشّماع ) لم يكن راضياً عن سلوك القائد الحاكم في ايطالية فمنعه مراراً عن التناول لانه سكت عن استعمال الفطير في خدمة القدس في الولايات الایطالیة . وتدخل هنریکوس الثالث في شؤون ايطالية فعل في السنة ١٠٤٦ أزمة الباباوات الثلاثة وأجلس اقليمس الثاني على الكرسي الرسولي . ومسح اقليمس الثاني هنریکوس الثالث امبراطوراً على ايطالية وسواها من اقاليم الغرب . وزار الامبراطور جنوبی ايطالية في اوائل السنة ١٠٤٧ فقوی النورمنديين بان اعترف بحقهم الشرعي في الاماكن التي كانوا قد سطوا عليها . فنهج بذلك هیجاً مضرًا بصالح اروم . وعلى الرغم من تبادل عبارات الصداقة والمودة بين الفسیلفس والامبراطور في السنة ١٠٤٩ فان الفسیلفس لم يرض

Cedrenus, G., Synopsis, II, 301-304; Schlumberger, G., op. cit., III, ١  
543.

عن سياسة الامبراطور في ايطالية<sup>١</sup>.

الانشقاق العظيم : ( ١٥ توز ١٠٥٤ ) ولم تطل مدة البابا اقليمس الثاني ، فانه توفي في السنة ١٠٤٧ . وعاد بندكتوس فاغتصب الكرسي الرسولي واقام عليه ثانية أشهر . فتدخل هنريكوس الامبراطور وأجلس داماسوس الثاني ( ١٠٤٨ ) ثُم مسموماً بعد ثلاثة وعشرين يوماً . وعاد بندكتوس فاستولى على الكرسي مرة خامسة . فأرسل الرومانيون وفداً الى هنريكوس فتدخل فأرسل البابا لاوون التاسع ( ١٠٤٨ - ١٠٥٤ ) . وهال البابا الجديد المخطاط الكنيسة في الغرب وتأخر احوالها ، فهب لاصلاحها ، وعقد المجامع المحلية ، وقطع الاساقفة الذين استعنوا بالمال للوصول الى مراكزهم ، وألغى زواج الاكيروس ، وأصفي الى تذمرات الشعب بنفسه ، وأنصب النورمنديين لقتاولهم وظلمهم . فأحبه الايطاليون وتعلقوا به . واستجئ سكان بنفتوم بالبابا من النورمنديين وطلبوا حمايته ورجوه ان يتولى امورهم . فرأى ان لا بد من اللجوء الى القوة . فعاد الى المانيا ليأتي بالعساكر اللازمة . فأقره هنريكوس الثالث على بنفتوم . وعاد الى ايطالية على رأس قوة عسكرية فوصل اليها في اوائل السنة ١٠٥٣ . وكان قد حالف أرجيروس الحاكم البيزنطي على شروط نجاتها ، فلما وصل الى ميدان القتال وجد ان ارجيروس كان قد قاتل منفرداً وانه غالب على أمره . فاضطر البابا لاوون ان يقاتل منفرداً ايضاً . فدارت الدائرة عليه عند سفح جبل غرغانو ووقع في الاسر في السابع عشر من حزيران سنة ١٠٥٣ . وبقي مأسورةً في بنفتوم نفسها حتى اذار السنة ١٠٥٤ ، ثم عاد الى روما وتوفي فيها في التاسع عشر

Gay, J., Italie Méridionale, 475-477; Chalandon, F., Domination ١  
Normande en Italie, 113-115; Bréhier, L., Byzance, 260 261.

من نيسان من هذه السنة نفسها<sup>١</sup>.

وأدى اهتمام لاوون التاسع بالكنيسة واندفاعه في سبيل اصلاحها الى تثبيت السلطة فيها وتدعيمها . وكان يعاونه في هذا الاصلاح رهبان كلوني . وكثير عدد هؤلاء في ايطالية الجنوبية وتسربوا الى المقاطعات البيزنطية والى الابرشيات الحمس التي كانت تابعة لكرسي القسطنطينية . وكان هنريكوس الثالث امبراطور الغرب يعطى كثيراً على هؤلاء الرهبان ويويد حركتهم . وكان هو الذي انتهى البابا لاوون التاسع وأجلسه على كرسي رومة<sup>٢</sup> . وكان كرسي رومة هو الذي نفذ فكرة الامبراطورية الغربية كما سبق ان أشرنا . فكان من الطبيعي جداً ان تنظر القسطنطينية بفسيلفها وبطريقها بين الريب والحدى الى برنامج كلوني ولاوون التاسع فلا تفصلهما عن سياسة هنريكوس الامبراطور ومطامعه في ايطالية<sup>٣</sup>.

فكتب البطريرك المسكوني ميخائيل في ايلول سنة ١٠٥٣ بالاشتراك مع لاوون متروبوليت اخرية الى رئيس اساقفة ترانى ( اوترانتو ) ينبهه على حفظ التعاليم الارثوذك司ية في الابرشيات الحمس التابعة لسلطته فيتجنب استعمال الفطير وصوم السبت واكل الدم والمحنوق . وأوضح له اوجه الخطأ في هذه ، ورحب اليه ان يطلع اساقفة الغرب على موضوع هذه الرسالة وفحواها . فلما وصلت الرسالة الى يوحنا رئيس اساقفة ترانى كان عنده الكردينال هومبرت ! فلما وقف الكردينال على رسالة البطريرك المسكوني ترجمها حالاً الى اللاتينية وحملها الى البابا لاوون التاسع .

Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise, VII, 98 ff. Gay, J., op. cit., 477-487; Bréhier, L., Byzance, 261-262.

Halphen, L., Essor de l'Europe, 24-26.

Vasiliev, A. A., Byz., Emp. 337-339.

فاجاب لاوون التاسع عن هذه الرسالة برسالة طويلة أوضح فيها رغبته في السلام والوفاق الروحاني ولكنه ضمنها بعض العبارات القاسية وأردفها بنسخة عن منحة قسطنطين Donatio Constantini مبيناً حقه في السلطة على ايطالية وكنائسها وعلى الكنائس الشرقية . ولا يخفى ان منحة قسطنطين هذه وثيقة مزورة لاقت الى قسطنطين الكبير بصلة وانما دبرت في روما في منتصف القرن الثامن لتقوي مطالبة روما بالسلطة المطلقة على جميع الكنائس . وتزوير هذه الوثيقة أمر مسلم به اليوم في الاوساط الشرقية والغربية<sup>۱</sup> .

فامتعض البطريرك والفسيلفس وازدادا ثبتاً من مطامع هنريكسوس ولاوون في ممتلكات الروم في ايطالية ومطالبتهم بالسيادة الزمنية والروحية على هذا الجزء من الامبراطورية الشرقية . وعلى الرغم من هذا كله فان الفسيلفس والبطريرك رأيا ان الحفاظة على السلام افضل من خرقه لان النورمنديين آتئذ كانوا يهددون جنوبي ايطالية واليونان . فجاوب كل منها جواباً رقيقاً وطلب الفسيلفس الى البابا ان يرسل وفداً الى القسطنطينية لتفاوض في الوفاق . فأرسل البابا وفداً مؤلفاً من الكردينال هومبرت ورئيس الاساقفة بطرس والكنكيلاريوس فريديركوس . وارسل معهم رسالة الى الفسيلفس ورسالة الى البطريرك . وفي الرسالة الى الفسيلفس ذكر البابا اخراً العظيم الذي لحق بجنوبي ايطالية من جراء اعمال النورمنديين وعلق آماله على مساعدة الفسيلفس والامبراطور . ثم طالب بابريشيات بلغارية وایليرية وايطالية السفلی ، وذكر بسلطة الكرسي الروماني . وفي رسالته الى البطريرك اتهمه بأنه رقي الكرسي البطريركي دون ان يرقى

كل الدرجات الكنائسية ، وانه يرغب في اخضاع كرسى انطاكية والاسكندرية ، ووجنه على كتابته ضد بعض مارسات الكنيسة الرومانية .  
ووصل الوفد الباباوي الى القسطنطينية ومثل امام الفيلفس فسلّم الكردينال رسالة البابا وأرفقها برسالة منه رد فيها على انتقادات البطريرك ميخائيل وادعى على الكنيسة الارثوذكسيّة بانها تعيد معمودية اللاتين ولا تعمد الاطفال قبل اليوم الثامن ، وانها تناول الشركة المقدسة بعلقة من ذهب ، وانها تدفن في الارض ما يبقى منها او تحرقه ، وانها لا تناول المؤمنين جسد الرب ودمه كلا على حدة .

ويستدل من المراجع اليونانية ان الكردينال هومبرت كان ينقصه شيء كثير من اللطف والوداعة والكياسة وانه دخل على البطريرك المسكوني دخولاً ظاهراً غريباً فلم يحي رأسه له ولم يقدم القبلة السلامية بل دفع اليه برسمالة البابا دفعاً وان البطريرك بعد ان اطلع على الرسالة ظن ان لأرجirus يداً فيها وانها ربما لم تكن صحيحة . وتدل المراجع اليونانية ايضاً على ان البطريرك لم يقطع الشركة مع اعضاء الوفد الباباوي حالاً بل بعد ما رأى من اصرارهم . فرفض مواجهتهم ومنعهم من اقامة الخدمة في ابرشياته وافادهم ان المسألة يجب ان تعرض على الكنيسة الجامعة في جمع مسكوني .

فطار رشد الكردينال فكتب بالاتفاق مع زميليه الآخرين حرماً ضد البطريرك المسكوني وضد كل من يوافقه . وفي الخامس عشر من توقيع سنة ١٠٥٤ دخل رجال الوفد الباباوي الى كنيسة الحكمة الالهية واتجهوا نحو الميكل فدخلوا اليه والقدس قائم ووضعوا الحرم على المذبح تحت الانجيل وبحضور الاكليروس والبطريرك . ثم خرجوا وهم يقولون : الرب يحكم فيما بيننا وبينكم . ولم يحرك البطريرك ساكناً وغض النظر عن التشويش الذي احدثه الوفد في الكنيسة وسمح لاعضاء الوفد بالخروج . وبعد

خروجهم مكتثوا يومين في القدسية ثم سافروا .

وَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَرَمِ مَا يُلِيهِ : « فَلَيُعْلَمَ أَنَّا قَدْ ادْرَكَنَا هُنَّا مِنْ أَيْنَ لَنَا فَرَحٌ كَثِيرٌ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَمِنْ أَيْنَ لَنَا حَزْنٌ شَدِيدٌ بِالشَّرِّ الْجَسِيمِ ، لَانَّ الْمَدِينَةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَرْكَانِ الْمُمْلَكَةِ وَأَشْرَافِهَا وَرِجَالِهَا هِيَ فِي غَايَةِ مِنِ الْإِيمَانِ الْمُسْكِيِّيِّ وَمُسْتَقِيمَةِ الرَّأْيِ . وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مِيخَائِيلَ الْمُسْمَى بِطَرِيرِ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمُجَازِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مُشَارِكِيهِ فِي جَنُونِهِ يُبَذَّرُ فِي وَسْطِهَا كُلُّ يَوْمٍ مَقْدَارُ كَثِيرٍ جَدًّا مِنْ زَوْانِ الْمُرْطَقَاتِ لَانَّهُمْ مُثَلُّو السِّيمُونِيِّينَ يَبِيعُونَ مَوْهَبَةَ اللَّهِ ، وَمُثَلُّ الْأَرْيُوسِيِّينَ يَعِيدُونَ تَعْمِيدَ الْمُعَدِّيِّينَ ، وَمُثَلُّ الدُّونَاتِيِّينَ يَتَشَبَّهُونَ بِإِنْكِيَّةِ الْمُسِيحِ وَالْأَذْيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمُعْمُودِيَّةِ فِيهَا عَدَا كَنِيسَةِ اليُونَانَ قَدْ فَقَدَتِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ ، وَمُثَلُّ الْنِيَقُولَاتِيِّينَ يَسْمُحُونَ لِخُدَامِ الْمَذِيقِ الْمَقْدَسِ بِالزَّيَّاجَاتِ الْلَّهْجِيَّةِ ، وَمُثَلُّ الْمَقْدُونِيِّينَ قَطَعُوْا مِنِ الدُّسْتُورِ ابْتِلَاقَ الرُّوحِ الْقَدِيسَةِ مِنِ الْابْنِ .

« وَنَقُولُ أَنَّ مِيخَائِيلَ الْمُسْمَى بِطَرِيرِ كَانَ الْحَدِيثُ فِي الْإِيَّانِ الْمُتَقْلَدِ اسْكِيمِ الرَّهْبَنَةِ عَنْ خَوْفِ بَشَرِيِّ الَّذِي اسْتَهَرَ عِنْدَ كَثِيرِيْنَ بِجَرَائِمِ فَظَيْعَةِ وَمَعْهِ لَا وَوْنَ الْمَدْعُوِّ اسْقَفِ اخْرِيسِ وَنِيقِيفُورُوسِ سَاكِيلَارِيوُسِ مِيخَائِيلَ نَفْسِهِ فَلِيَكُونُوا اثَاثِيَا مَارَانَ آثَا ( مَحْرُومِيْنَ الْرَّبِّ جَاءَ ) » .

وَأَمَّا الْبَطَرِيرِكِ الْمَسْكُونِيِّ فَانَّهُ بَعْدَ اِنْ اطَّلَعَ عَلَى تَرْجِمَةِ هَذَا الْحَرَمِ اتَّصَلَ بِالْفَسِيلِفِسِ قَسْطَنْطِينِ التَّاسِعِ . فَأَرْسَلَ هَذَا وَاسْتَدْعَى الْوَفَدَ إِلَى الْقَسْطَنْطِينِيَّةَ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ عَنْهَا بِيَوْمٍ وَاحِدٍ . فَعَادَ الْوَفَدُ وَأَصْرَرَ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَرَمِ وَأَبَى أَنْ يَوَاجِهَ الْبَطَرِيرِكَ أَوْ أَنْ يَئْتِي إِلَامَمِ بَعْضِ الْكَرْسِيِّ الْقَسْطَنْطِينِيِّ . فَكَتَبَ الْفَسِيلِفِسُ إِلَى الْبَطَرِيرِكِ الْمَسْكُونِيِّ يَقُولُ : « إِهَا السِّيدُ الْجَزِيلُ الْقَدَاسَةُ ، أَنْ دُولَتِيْ قدْ بَحْثَتْ فِي الْأَمْرِ الَّذِي حَصَلَ فَوَجَدَتْ أَصْلَ الشَّرِّ نَاسِئًا مِنَ الْمُتَرَجِّمِ وَمِنَ ارْجِيَرُوسِ . أَمَّا غَرَبَاءُ الْجِنْسِ فَبِهَا إِنَّهُمْ غَرَبَاءُ وَمَرْسَلُونَ مِنْ آخَرِينَ لَا نُسْتَطِعُ إِنْ نَعْلَمُ مَعَهُمْ شَيْئًا . وَأَمَّا الْمُسْبِيُّونَ

فقد ضربوا ثم أرسلناهم الى قداستك لكي يؤدب بهم آخرون غيرهم حتى لا يرتكبوا مثل هذا المذيان . أما الورقة فمن بعد حرمها هي والذين أشاروا بها والذين أصدروها والذين كتبواها والذين لهم أقل علم بعملهم ايها فلتيرق امام الجميع ، لأن دولتي أمرت ان يحبس الفستارشيس صهر ارجيروس وابنه الفيستياريوس في سجن لكي يقيا فيه تحت الشدة . « وعنده حرم البطريرك المسكوني الصك المذكور والذين كتبوه والذين يوافقون عليه دون ان يمس البابا او احداً غيرهم .

وكتب دومينوس رئيس أساقفة البندقية الى بطريرك انطاكيه ( ١٠٥٢ - ١٠٥٧ ) يطلب رأيه في ما جرى وأمضى « بطريرك اكلينية » او البندقية . فلما اخذ بطرس كتابه اجابه جواباً لطيفاً وافت نظره الى الطريقة التي وقع بها امضاءه فقال : « ما تعلمت ولا سمعت ان رئيس اكلينية يسمى بطريركاً لأن النعمة الالهية دبرت ان يكون في كل العالم خمسة بطاركة وهم الروماني والقسطنطيني والاسكندرى والانطاكي والاوروشليمي . ومن هؤلاء الخمسة بطريرك الانطاكي وحده يسمى بطريركاً على وجه الحقيقة ، لأن الروماني والاسكندرى يسميان باباوات ، والقسطنطيني والاوروشليمي رؤساء أساقفة . أو كيف نستطيع ان نقيم بطريركاً سادساً على وجه آخر ما دام الجسد ليست فيه حاسة سادسة ١ . ثم يقول بطرس البطريرك في رسالته هذه : « ان بطريرك القسطنطينية يعرف حق المعرفة انكم ارثوذكسيون وتومنون مثلنا بالثالوث القدس وبسر التجسد ، ولكنه متکدر من انكم تخالفون في مسألة الفطير وحده فلا تقدمون الذريحة مثل البطاركة الاربعة وكل الكنيسة » . وكتب البطريرك الانطاكي الى بطريرك القسطنطينية موجباً السلام

والمحبة « لأن الغربيين هم ايضاً أخوتنا وان كانوا يخطئون أحياناً كثيرة بسبب توحشهم وجهالتهم ، اذ لا يمكن لأحد ان يطلب عند البربر الكمال الذي عندنا نحن الذين منذ نعومة الاظفار نبغي في مطالعة الكتب المقدسة ، فيكفيهم ان يحفظوا التعليم القديم في الثالوث القدس وسر التجسد . أما الشر العظيم المستحق الانائتها فهو زيادة « والابن » في دستور الاعيان<sup>۱</sup> . »

**نهاية العهد :** وتوفي قسطنطين التاسع مونوماخوس بعد هذا بقليل في الحادي عشر من كانون الثاني سنة ۱۰۰۵ ، فنودي بالعقب الوحيد البالى من الاسرة المقدونية ثيودورا ابنة قسطنطين الثامن الصغرى . وكانت قد قضت معظم حياتها في الدير فنشأت تقية فضة بقدر ما كانت اختها زوجة متيمة بالحب . ورأى البطريرك المسكوني ان تتزوج فتشرك معها في الحكم من كان أهلاً لذلك لاسمها وانها كانت قد ناهزت السبعين . ولكن الخصيان حولها رأوا غير ذلك ابقاء للسلطة في يدهم . وغلب البطريرك على أمره وحكمت ثيودورا وحدها ومارست السلطة فاستقبلت السفراء وعنيت بالقوانين ووزعت العدل . وخصت الخصيان براتب الدولة العليا فأقصت مستشاري قسطنطين التاسع واكتفت بآراء هؤلاء ونصائحهم . فقاومها العسكريون وأعوانهم وتفاقم الشر . وفي صيف السنة ۱۰۵۷ أشرفت القسيمة على الموت . فهرع الخصيان يستدركون دوام النعمة بتعيين من يرثون اليه قبل وفاة ثيودورا . فصرحت هذه وهي على فراش الموت بأنها اخذت ميخائيل استراتيويتكوس *Stratioticus*

*Patrologia Latina, CXLIII, 1004; Labedev, A. P., Separation of The Churches; Bréhier, L., Le Schisme Oriental du XI Siècle; Gay, J., Les Papes du XI Siècle; Jugie, M., Le Schisme de Michel Cerulaire, Echos d'Orient, 1937, 440-473.*

جراسيموس ، متروبوليت بيروت ، الانشقاق ، ج ۲ ، ص ۷۷ - ۱۰۷ .

خليفة لها . وتبنته قبل وفاتها . وماتت في الثلاثاء من آب سنة ١٠٥٧  
فاضطر البطريرك أن يتوجه فسيلفس<sup>١</sup> .

ودام حكم ميخائيل السادس سنة عشرة أيام . واستد في أثناء النزاع  
بين العسكريين والخصيّات . فكان شغل الزعماء العسكريين الشاغل تحير  
الفسيلفس ومعانده . أما هو فقد كان يرد مطالبهم بانتظام . وتُفجّر الخصام  
يوم عيد الفصح في الثلاثاء من آذار سنة ١٠٥٨ عندما طلب الزعماء  
ال العسكريون بالحقوق المضومة ، فنفر الفسيلفس منهم واستد في القول .  
وكانت مؤامرة وكان اصطدام عند نيقية في العشرين من آب سنة ١٠٥٨ .  
وتدخل البطريرك المسكوني فأرسل وفداً من المطارنة يشيرون على  
ميخائيل السادس بالتنازل . فسأل الفسيلفس المطارنة ماذا تعطوني بدل  
المملكة . فقالوا نعطيك ملكوت السموات . فرمى شعار الملك وترك  
الباط والتّجأ إلى الدير . وتوفي بعد ذلك بقليل<sup>٢</sup> .

ولم يحسن الخصيان السياسة الخارجية فدخلت الدولة في منازعات متعددة  
مزوجة . ومثال ذلك ان قسطنطين التاسع كان قد حافظ على اوامر  
الصداقة بينه وبين الخليفة الفاطمي المستنصر ليتسنى له شيء من حرية العمل  
في جميع جهات الدولة . فجاءَت ثيودورة تستبدل هذه الصداقة بحلف  
يربط الدولتين . فأبى المستنصر ، فنعت ثيودورة تصدير الحبوب إلى مصر  
وسوريا ، فمنع المستنصر دخول الحجاج إلى المدينة المقدسة وأمر باخضهاد  
النصارى<sup>٢</sup> . وكان طغول بك قد أصبح زعيم بغداد بلا منازع فطلب  
ان يذكر اسمه في خطبة المسجد في القسطنطينية بدلاً من اسم الخليفة

Cedrenus, G., Synopsis, II, 319-311, 341-352, 365-368 ; Schlumberger, G., ١  
op. cit., III, 742, 754-756, 763-778, 785-786, 798-814.

Wustenfeld, Gesch. der Fatimiden Kalifen, 250.

٢

الفاطمي١.

فأدى هذا كله الى التعاون مع هنريكوس الثالث وعقد تحالف بين  
الامبراطوريتين٢.

Dolger, F., op. cit., 929 ; Diehl et Marçais, *Monde Oriental*, 573 574.

Dolger, F., op. cit., 930.

## الفصل السادس والعشرون

### اسس الدولة ونظمها في القرنين العاشر والحادي عشر

المسيح هو الملك : وتنصرت الحكومة وفاختت بنصر انتها واعتزت بها . وأصبح السيد في نظر الحكومة والشعب هو الملك . وأصبح الانجليز دستور الدولة . فكانت اذا قصدت القصر الملكي وذهبتي اليه ماشيأً متريشاً تقرأ على جدران بعض البناءات المعومة العباره « المسيح الفسیفس » او « المسيح الامبراطور ». وقد تسمع وانت في طريقك الى القصر جماعات يرثون . فإذا ما اقتربوا منك وجدتهم جنوداً حاملين الصليب عالياً هاتفين : « المسيح المنتصر ». وإذا ما وصلت الى مدخل القصر وجدت فوق العتبة ايقونة مقدسة مثل المسيح مرتديةً لباس الملك متوجاً . وإذا ما تابعت السير وصرت الى داخل القصر ظنت اذك في كنيسة لا في قصر ملكي . فمن ايقونة للعذراء والدة الاله حامية العاصمة ، الى ذخيرة تضم عود الصليب ، الى ايقونة عجائبية تمثل السيد مصلوباً كان قد ظفر بها يوحنا جيمسكي في اثناء مروره في بيروت ، الى زاوية مكرمة تحفظ حذاء السيد الذي وجده يوحنا هذا في جبيل ، الى المندليل الذي كات لا يزال يحمل رسم وجه السيد وقد احتفظت به الراها اكثر من تسعة قرون . وقد تقف قليلاً متأملاً مصليناً ، فيدخل القاعة رئيس اساقفة تتبعه حاشيته وقد جاء خصيصاً لتكريم هذه الآثار وتجديد تكريس المكان . وقد

تكون احد اعضاء الوفود العربية المفاوضة في تبادل الاسرى فیتاح لك الدخول الى قاعة العرش . فتتجدد العرش عرшин احدهما عليه الانجیل المقدس وهو عرش المسيح الملك والثاني لنائبه على الارض الفسیلفس . فإذا قابلت العرش الاول او مررت من امامه رسمت شارة الصليب وانحيت . وقد تكون احد القضاة الزائرين فيدفعك اهتمامك بالقضاء الى الوقوف في المحکمة العليا لاستئصال المرافة وصدور الاحکام فتذکر هناك ايضاً بان الملك للسيد المسيح ، فالقوانين والاحکام تسهل « باسم سیدنا یسوع المسيح ». وقد تكون تاجراً فتضطرك الظروف الى زيارة احد المصارف لتقبض تحويلاً مالياً معيناً ، فتسعد الدراما والدنانير فتتجدد رسم السيد المسيح على احد الوجهين<sup>۱</sup> .

**الفسیلفس نائب المسيح :** ولما كان الملك الحقيقی روحًا غير منظور أصبح الملك المموس رمزًا الملك السيد ونائبه على الارض : ثوبه ثوب الایقونات ، وواجه وصوّلاته مشرّفان بالصلیب المقدس . ولما كانت ثيابه هذه هبة ربانية حملها الملائكة الى قسطنطین الكبير أصبح الخل الوحد اللاقى بحفظها هو الكنيسة . وامسى قصر الفسیلفس من حيث التخطيط وهندسة البناء وتزيين الزوايا والقبب والجدران اشبه بالكنيسة من اي بناء آخر . وأمسى ابواب قاعة العرش تفتح وتغلق في اوقات معينة كابواب الایقونسطاس في الكنيسة . وقام العرش في خنية تشبه حنية المیكل . وقضت هذه الصلة بين الفسیلفس وبين السيد الروح غير المنظور ان يظهر الفسیلفس ظهوراً على عرشه في الاستقبالات الرسمية دون اي کلام او تبادل افکار . وتغدر الطيور الذهبية وتترأّس الاسود المصطنع ويُسجد الحاضرون ثلاث سجادات . وما هي الا لحظة حتى يرتفع الفسیلفس بعرشه

ثُحُو السِّمَاء فِي خَفْيٍ . وَإِذَا قَضَت الظَّرُوف بَنْ يَسْتَقْبَلُ الْفَسِيلِفَس فِي بَاسِيلِيكَةِ الْمَنْيُورَة جَلَس عَلَى عَرْشِهِ الْذَّهَبِي صَامِتًا مُسْبِلَ الْجَنْفَنِين . فَإِذَا مَا رَغَبَ فِي شَيْءٍ رَفَعَ جَفْنِيهِ وَنَظَرَ إِلَى رَئِيسِ الْحُصَانِ . فَقَدْرَ اسْتَهْرَةِ عَنْ هَذَا فَيَمْ تَنْفِيذُ الْأَمْر الصَّادِرُ دُونَ كَلَامٍ . وَتَنْتَهِي الْمُقَابَلَةُ عِنْدَمَا يَوْمَ الْفَسِيلِفَس شَارَةُ الصَّلَبِ فِي خَرْجِ الْزَّائِرُونَ مُتَرَاجِعِينَ خَاسِعِينَ . وَقَضَتْ نِيَابَةُ الْمَسِيحِ عَلَى الْفَسِيلِفَس بَنْ يَشْتَرِكُ مَعَ الْبَطْرِيرِكَ فِي مَهَارَسَةِ بَعْضِ الطَّقوسِ الْدِينِيَّةِ . فَيَخْرُجُ الْاثْنَانِ إِلَى الشَّوَارِعِ بِسَهَابَةِ مِنَ الْبَخْرُورِ وَمَوْكِبٍ كَبِيرٍ . وَيَرْكَبُ الْبَطْرِيرِكَ حَمَارًا أَيْضًا وَيَعْتَطِي الْفَسِيلِفَس جَوَادًا عَرَبِيًّا ، فَيَزُورُانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ جَمِيعَ كَنِيَسَةِ السَّيِّدَةِ حَامِيَةَ الْعَاصِمَةِ . وَفِي يَوْمِ الْجُمِيعِ الْكَبِيرِ يَتَقدَّمُانَ الْعَجْزَةَ فِي الْمَأْوَى فَيَغْسِلُ الْفَسِيلِفَس أَرْجُلَهُ هَؤُلَاءِ وَيَقْبِلُهُ مَذْكُرًا بِعَمَلِ السَّيِّدِ قَبْلَ الصَّلَبِ<sup>۱</sup> .

وَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْأَعْلَاقِ التَّفِيسَةِ لِابْنِ رَسْتَهِ (۹۰۳) أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ الْفَسِيلِفَس إِلَى كَنِيَسَةِ الْحَكْمَةِ الْأَاهِمَّةِ مَشَى إِمَامَهُ «اَثْنَا عَشْرَ» بِطَرِيقًا وَحَمَلَ هُوَ بِيَدِهِ حَقَّاً مِنْ ذَهَبٍ فِي تَرَابٍ . فَإِذَا مَشَى خَطُوتَيْنِ وَقَفَ وَنَظَرَ إِلَى التَّرَابِ وَقَبَّلَهُ وَبَكَى . وَمَا يَزَالَ يَسِيرُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى بَابِ الْكَنِيَسَةِ، فَيَقْدِمُ رَجُلٌ شِيَخٌ طَشْتَأً وَابْرِيقًا مِنْ ذَهَبٍ . فَيَغْسِلُ الْفَسِيلِفَس بِيَدِهِ وَيَقُولُ لَوْزِيرِهِ: أَنِّي بُرِيءٌ مِنْ دَمَاءِ النَّاسِ كُلِّهِمْ . وَيَخْلُعُ ثِيَابَهُ الَّتِي عَلَيْهِ عَلَى وَزِيرِهِ وَيَأْخُذُ دَوَاءَ بِيَلَاطْسَ وَيَجْعَلُهَا فِي رَقْبَةِ الْوَزِيرِ وَيَقُولُ لَهُ: دَنْ بِالْحَقِّ كَمَا دَاتَ بِيَلَاطْسَ<sup>۲</sup> .

وَإِذَا دَخَلَ الْفَسِيلِفَسَ الْكَنِيَسَةَ لِيَصْلِي إِسْتَوِيَّ عَلَى عَرْشِهِ خَاصٌ وَأَعْتَبَ بِمَسْوَحًا مِنَ اللَّهِ لِيَنْوَبَ عَنِ الْمَسِيحِ فِي الْأَرْضِ . وَاسْتَحْقَقَ التَّنَاوِلُ بِيَدِهِ مِنَ الْمَائِدَةِ

المقدسة . ولكنه لم يرئس الكنيسة كما توهם البعض .  
وكان على الفسيفس ان يراعي هذا التقليد في حياته الخاصة ايضاً .  
فكان كلما انتهى من الطعام كسر الخبز وشرب الماء . واذا ما جلس  
إلى المائدة ، جلس حواليه اثنا عشر شخصاً . وعند كثرة الضيوف كانت  
تقام اثنتا عشرة مائدة . وفي ليلة عيد الميلاد ، كان عليه ان يدعوا أفقراً  
القراء لتناول الطعام معه . فالكل أخوان في المسيح . وكان يضيء غرفة  
نومه صليب أخضر وعدد من الكواكب . وكان يطل عليه من فسيفساء  
الجدran باسيليوس الاول المقدوني وعائلته وفي ايديهم الانجيل !

ولما كان الفسيفس نائب المسيح على الارض كانت ارادته مطلقة  
وكان الشعب عباده . وكان هو مصدر جميع السلطات التنفيذية والتشريعية  
والقضائية . فهو يعين الوزراء ويعزلهم ، ويسن الشرائع ويلغيها ، ويوافق  
على انتخاب البطريرك المسكوني ويعزله اذا شاء . وكانت سلطته بطبيعة  
الحال مسكنية تشمل العالم باسره فلا تقف عند حد من المحدود ولا  
يعترض عليها معترض . وأصبح البطريرك الجالس الى يمينه الثاني بعده في  
الدولة بطريركاً مسكونياً ايضاً له حق التقدم على سائر البطاركة بعد  
بطريرك رومه .

وضاقت لا بل تضاءلت صلاحيات مجلس الشيوخ مصدر السلطة في  
رومة القديمة ، فاضحى في هذين القرنين متفرجاً يشاهد الحوادث الجسام  
دون ان يشترك فيها . وأمسى الشعب بعيداً عن المشاوره ، وبات الزرق  
والحضر في جملة المترججين لا مجال لهم ولا صلاحيات . واستبدلوا  
اهازيج القتال بتواتيل الصلاة ، يأترون باشارة الموسيقار بدلاً من سيف  
القائد المغوار .

**البطريرك المسكوني :** وجارت الكنيسة الدولة في نظمها واحكامها ،  
فكانت كنيسة واحدة جامعة كما كانت الامبراطورية واحدة جامعة .

وكان جائز للامبراطورية ان يكون لها امبراطوران في آن واحد ، كذلك جاز للكنيسة ان تخضع لاكثر من رأس واحد<sup>١</sup>. وتقبل المجمع المسكوني الثاني (٣٨١) هذه النظرية فأوجب في قانونه الثاني على الاساقفة الالا يتعدى احدهم على الكنائس التي تقع خارج حدود ابرشيته . وأقر في قانونه الثالث ان يكون التقدم في الكرامة لاسقف القدسية بعد اسقف روما «لكونها روما الجديدة»<sup>٢</sup> . ثم أقر المجمع المسكوني الرابع في قانونه الثامن والعشرين هذا التقدم في الكرامة لبطريرك القدسية بعد بطريرك روما<sup>٣</sup> . وجاء يوستينيانوس الكبير يشرع فتعرف الى بطاركة خمسة في امبراطوريته : بطاركة روما والقدسية والاسكندرية وانطاكية واوروسليم ، واعتبرهم اساس النظام والسلطة في الكنيسة<sup>٤</sup> .

وكان هذا البطريرك في بادئ الامر ينتخب انتخاباً . وكان الشعب يشاطر الاكليروس حق الانتخاب . ثم قضى قانون يوستينيانوس الكبير بان ينتخب الاكليروس ووجهاء العاصمة ثلاثة ، فينتقي الاسقف ، المشرطن افضل هؤلاء للسدة البطريركية<sup>٥</sup> . ثم حرّم الجمuan المسكونيان النيقاوي (٧٨٧) والقدسية (٨٧٠) سياماً بطريرك ينفرد امير<sup>٦</sup> بانتقامه ، كما حرّم ما تدخل الشعب في الانتخاب . وأصبح انتخاب البطريرك بعد هذا محصوراً في مطرانة الكرسي . وجاء في كتاب التشريفات لقسطنطين السابع (٩٥٩-٩١٢) ان المطرانة ينتخبون ثلاثة ينتقي الفسيلفس احدهم . وبقي الحال على هذا

*Bréhier, L., Inst. Emp. Byz., 447.*

١

*Mansi, Amplissima Collectio Conciliorum, III, 559.*

٢

*Mansi, Amplissima, VII, 428-429.*

٣

*Lingenthal, Novelles de Jus'iniens, 109, 123, 131.*

٤

*Lingenthal, op. cit., 174.*

٥

المنوال حتى آخر ایام الامبراطورية : المجمع ينتخب والفسيلفس يرقى<sup>١</sup>. وبعد هذا كان الفسيلفس يدعو اعضاء مجلس الشیوخ والمطارنة وعددًا كبيراً من رجال الاکلیروس الى القصر ليقول : « ان النعمة الالهیة وقدرتنا المستمدۃ منها تعلن ان ترقیة فلان الى رتبة بطريرک القسطنطینیة ». ويظهر البطریرک ليتقبل تھانی الشیوخ والمطارنة . ثم يصار الى رسالته بطریرکاً في الاحد التالي في کنیسة الحکمة الالهیة . فيترأس حفلة الرسامۃ رئيس اساقفة هرقلیة . ويقدم له الفسیلفس العکاز والمنڈیة الارجوانیة والصلیب<sup>٢</sup> . ويدعى بعد هذا صاحب القداسة ويخاطبه المطارنة بالعبارة : « ایها السيد الفائق القداسة » ، ويوقع هكذا : « بنعمۃ الله رئيس اساقفة القسطنطینیة رومۃ الجدیدة وبطریرک المسکونة<sup>٣</sup> ». وقد سبق وأشارنا ان لقب بطریرک المسکونة ظهر في شرائع یوستینیانوس ، وان رومۃ لم تعترض عليه قبل ایام البابا بلاجیوس الثاني وغیریفوریوس الكبير ، وان المجمع الخامس السادس أقره على الرغم من اعتراض رومۃ واحتجاجها<sup>٤</sup>.

وكان البطریرک بوجب نص الاباناغوغ (٨٨٦ - ٨٨٤) صورة المسيح على الارض وراعي نفوس المؤمنین وحامی العقیدة . وكان ايضاً صاحب السلطة الروحیة العليا . ولذا احيط بهالة من الاحترام فلا تمس كرامته ولا يعتدى عليه . ولما كانت الدولة والکنیسۃ متهدتين متفقین كان للمقام البطریرکی نفوذ كبير في شؤون الدولة ، فاصبح لزاماً عليه اذ ان

*Patrologia Graeca, CXII, 1040-1048.*

١

*Patrologia Graeca, CLV, 441-444.*

٢

*Patrologia Graeca, CVII, 403, 415-416; Laurent, Byzantion, 1929,* ٣  
629-631.

*Vailhe, S., Titre de Patriarche Oecumenique, Echos d'Orient, 1908,* ٤  
65-69.

يعاون الفسیلفس في ادارة دفة الامور . فكانت الاوامر العليا والبيانات تصدر ، في بعض الظروف الهامة ، باسم الاثنين معاً . ولا يغيب عن البال انه كان على الفسیلفس ان يتسلم تاجه من يد البطريرک وفي الكنيسة وان يعلن موقفه من بعض الشؤون الهامة الى البطريرک قبل التتويج . وكان لا يتم تتويج بدونه لأن الفسیلفس الحقيقي كان في عرف الشعب المسيح نفسه كما سبق ان أشرنا . وكان للبطريرک على الفسیلفس سلطة روحية . فهو عرّاب الامراء ابناء الفسیلفس ، وهو الذي يعلن شرعية ولادتهم ، وهو الذي يعقد زواج الفسیلفس والامراء .

**الفسیلفس والكنيسة :** وقال الروم بان الدولة والكنيسة شخص واحد يديره الفسیلفس والبطريرک ، وان الاول يتسلط على الجسم والثاني على الروح ، وانه لا دولة بدون كنيسة ولا كنيسة بدون دولة<sup>٢</sup> . ولا يخفى ان الآباء الاولين رأوا في شخص قسطنطين الكبير الداعي الاكبر للنصرانية فمنحوه لقب « المساوي للرسل » Isapostolos وان احداً من خلفائه المسيحيين لم يتنازل عن هذه المنحة وان اساقفة الجامع المسكونية نادوا مراراً بالفسیلفس حبراً اعظم Pontifex Maximus لانهم رأوا فيه ابنآ روحياً أعلى وأكبر من المؤمنين العاديين . ومن هنا في الارجح نشأت هذه الامتیازات الروحية التي تقع بها ملوك الروم في داخل الكنيسة كمنحولي العهد اكليل الاكلیروس ، والسامح للفسیلفس بالدفاع في اثناء مسحة فسیلفساً كأنه شمامس ، ودخوله الى الهیكل من الباب الملوكي وتناوله الذبيحة بيده عن المائدة<sup>٣</sup> .

Dolger, F., *Regesten*, 823; Grummel, R. P., *Regestes des Actes du Patriarcat Byzantin*, I, 830; Schlumberger, G., *Epopée*, III, 60.

Epanagoge, II-III; Treitinger, O., *Die Ostromische Kaiser und Reichsidee*, 158-159.

Bréhier, L., *Institutions*, 432.

وأدى هذا التمسك الشديد بالنصرانية والتعصب لها إلى انقسامات وتحزبات آلت في بعض الأحيان إلى العنف والأخلال بالأمن. واضطر الفسيفس أن يتخد موقفاً معيناً من بعض العقائد الدينية فكان يلجأ عادة إلى دعوة المجامع المحلية والمسكونية فيرعاها بعنایته وينفذ مقرراتها. وكان في بعض الأحيان يفرض الحل فرضاً. فاما أن يؤيد هذا الفريق أو ذاك او ان يقترح حل لا يرضي هذا او ذاك كما فعل هرقل عندما اقترح القول بالمشيئة الواحدة<sup>١</sup>.

وكان على الفسيفس أيضاً ان يتدخل في شؤون الكنيسة للمحافظة على نظامها، وتنفيذ قرارات بجامعتها واصحاب السلطة فيها. فقضى أحد قوانين يوستينيوس الكبير (٥٣٥) بان يحافظ على شرف الكهنوت فيقول كلمته في انتقاء الكهنة والأساقفة<sup>٢</sup>. وقال بعض كبار رجال الناموس بوجوب ترأس الفسيفس للمجامع ووجوب اشرافه على تنفيذ مقرراتها وتدخله لضبط سلوك الكهنة وللتثبت من صحة احكام الأساقفة<sup>٣</sup>.

وكان للفسيفس أيضاً ان يتدخل فيقرر بعض الاعياد الكنائسية الرسمية. فيوستينيوس الاول (٥٢٧ - ٥١٨) هو الذي عمم الاحتفال بعيد الميلاد في الخامس والعشرين من كانون الاول. ويوستينيوس الكبير هو الذي ثبتت عيد دخول المسيح الى الميكل في الثاني من شباط<sup>٤</sup>. وموريقيوس (٦٠٢ - ٥٨٢) هو الذي قرر الخامس عشر من آب عيداً

*Bréhier, L., Institutions, 432-435.*

١

*Lingenthal, Z., Nov. Just., 16 Mars, 535.*

٢

*Jus Graeco — Romanum, V, Responsio II; Patrologia Graeca, ٣  
Balsamon, 93.*

*Pargoire, Eglise Byzantine, 114; Leclercq, H, Dict. d'Arch. Chrét., ٤  
XII, 910-916, XIV, 1720.*

لانتقال العذراء<sup>١</sup>. ويعود الفضل في الاحتفاء بعيد النبي الياس في العشرين من توز الى باسيليوس الاول ( ٨٦٧ - ٨٨٦ ) فانه كان شديد التعلق به والتوصل اليه<sup>٢</sup>. وفي السنة ١١٦٦ تدخل الفسيلفس عمانوئيل كومينينوس فيجعل الاعياد الكنائسية انواعاً منها ما تجب البطالة فيه طوال النهار، ومنها ما تنتهي البطالة فيه عند الانتهاء من خدمة القدس<sup>٣</sup>.

**الانجيل دستور الدولة :** وقضت هذه الفلسفة الدينية السياسية بان يُعترف بقدسية الانجيل الظاهر ووجوب تطبيق احكامه . فأصبحت دولة الروم ديموقراطية في تساوي ابناءها ، مطلقة مستبدة في تنفيذ مبادئ الانجيل واحكامه . فلم يبق فيها اي تفوق نظري لطبقة على سواها . وأصبح بامكان اوضع الرجال ان يتسم على المراتب . أو لم يكن لا وون الاول **حاماً** ، ويوليانوس الاول راعياً للخنازير ، وفوفاس قائد مئة ، ولا وون الثالث شحاذأً متسولاً ، وباسيليوس الاول فلاحاً ، ورومانيوس ليكابينوس افacaً؟ أو لم يُنعت قسطنطين الخامس بالزبلي ، وميخائيل الثالث بالسكيير ، وميخائيل الخامس بالقلفاط اي نقّال البضائع ؟ والفسيلسات ألم تكن احداهن خزارية ، وآخرى مغنية ، وغيرها مروضة للدببة او عمومية؟ أو لم يكن عدد كبير منهن بنات موظفين عاديين ؟

وترفع الفسيلفس ، عملاً بتعاليم الانجيل ، عن الشموخ والتكبر فدعا الى مائدته البوماء والمتشردين . وفتح بابه لجميع الرعايا من عباد الله يلتجونه انى شاؤوا . وما يروى عن ثيوفيلوس الفسيلفس انه خرج في يوم احد من الآحاد في موكب رسمي مهتمطاً جواداً . فاعتبرضت سبيله بائعة سماك

Dolger, F., Regesten, 147.

١

Theophanes Continuatus, V, 8.

٢

Dolger, F., Regesten, 1466.

٣

وامسكت بقود الجواد وقالت : « هو لي وقد صادره أحد عمالك فاعده اليّ ». فنزل ثيوفيلوس عن ظهر الجواد وقدم لهما . وتتابع سيره مشيًّا على الأقدام ! وشخص امامه في الملعب مهرجان وهز كلّ منها قارباً صغيراً بيده وقال احدهما للآخر : أبلغني هذا القارب . فقال الآخر : ابداً لا يمكنني ذلك . فقال الاول : وكيف ؟ ألم يبلغ مدبر القصر مر كباً بكامله محلاً بضائع ؟ فأدرك الفسيفس معنى التلميح واستدعي المدعى عليه وقابلة بالمدعين . وظهر له الحق . فأمر بحرق الجاني ببنته الرسمية في الهيبودروم .

واشتتدت عنابة الفسيفس والبطريوك وغيرهما بالمرضى والمصابين والعجز . فكثترت المآوى واللياتم ولاسيما المستشفيات . فأنشأَ الكسيوس كومينوس ( ١٠٨١ - ١١٩٨ ) مؤسسة خيرية استعملت على مitem وmaوى للعميان ، ومستشفيات متنقلة للجيش ، وآوت في وقت من اوقاتها سبعة آلاف شخص . وأشهر هذه المؤسسات دير الاله القوي Pantocrator الذي انشأه يوحنا كومينوس ( ١١٤٣ - ١١٦٨ ) في عاصمة ملكه ، وفيه مستشفى للرجال ، وأخر للنساء ، وثالث للأمراض المعدية . وقد خص كل مريض بغرفة مؤثثة بسرير نظيف وفراش ووسادة وحاف ومشط واسفنجية ومغطس وسطل ومناشف اربع وقميص ، ويبلغ من المال يوم عيد الفصح يتمكن به المريض من شراء ما يلزمه من الصابون . وكان يمر المقتشون في كل صباح على المرضى يصفون لذمراههم ويسألونهم عن الطعام . وكان بين وسائل الراحة طريقة خاصة للتدفع . وكان يوم المستشفى لمعالجة المرضى طبيب استاذ ورهط من طلبة الطب وعقاقيري . وكان يفاخر الاستاذ الطبيب بطريقته الخاصة في تنظيف ادوات الجراحة وتطهيرها .

*Oeconomus, L., Les Oeuvres d'Assistance et les Hopitaux Byzantins; 1  
Codellas, S., The Pantocrator, Bull. of Hist. of Medicine, 1942, 392-410.*

وسمات نصرانية الدولة بين الرجل والمرأة فكان للنساء شأن كبير في الحياة الاجتماعية ولا سيما بعد الزواج . وشاطرن ازواجهن السلطة في كثير من الاحيان . ولم يتناول الطعام ذي جانس اكيرياتس قبل حضور والدته . وقامى تورمارخوس بزيارة نقداً شديداً وأعتبر مسيحيّاً مقصراً لأنه حبس زوجته في خدر الحريم يوم الامتناب . وتكتفى الاولاد في بعض الاحيان بامهاتهم فعائدة دلسانة تحدرت من اب اسمه شارون . ولكن والدتهم حنة دلسانة فاقت زوجها شهرة واحتراماً . ومن هنا هذه الصعوبة التي يعانيها العلماء عندما يعنون بالانساب البيزنطية . وقضى العرف بأن يتظاهر الوالد بمشاركة الام باوجاع الولادة ان هو رغب في ان يسيطر على المولود فيها بعد !

واهم من هذا وذاك في التدليل على تحرر المرأة عند الروم حقوق الفسيلة زوجة الفسيلفس . فانها شاركت زوجها حق السيادة والسلطة ونيابة المسيح على الارض ، وسبقته الى تقبل طاعة الشعب وولائه . فالسجود وتعفير الرؤوس بالتراب وتقديم الاعلام كانت لها وحدها قبل ان تكون للفسيلفس . وكان الشعب لدى خروجها من الكنيسة يهتف لها وحدها : « اهلاً بالاوغسطة المنتقة من الله ، اهلاً بالاوغسطة الحميّة من الله ، اهلاً بلا بستة الارجوان ، اهلاً بمحبوبة الكل ». وقضى العرف بأن تشترك في جميع المآدب وجميع الحفلات في القصر ، وان تطل على الشعب في الحفلات العمومية . وكانت لها موازنة خاصة تتصرف بها كيف تشاء ودون استئذان الفسيلفس . وما يروى من هذا القبيل ان ثيوفيلوس الفسيلفس رأى يوماً من نافذة القصر مركباً تجاريّاً فخماً يدخل الميناء . فهب ساعته الى المرفأ ليتقرّج على السفينة . ولدى وصوله اليها سُأله عن صاحبها فقيل له

هي الفسيلة ! وكانت هذه السفينة محملة بضائع ثمينة استقدمتها الفسيلة للاتجار بها . وأبهج وأغرب وأدل على مكانة الفسيلة وحريتها واستقلالها ان ثيودورة زوجه يوستينيانوس الكبير كانت تميل الى القول بالطبيعة الواحدة فأجلست على كرسي القسطنطينية اثنيميوس الشهير . ثم قفت الظرف السياحية بعزله ونفيه فاختفى . وبعد التقى الدقيق عنه **ظن** انه توفي . وبعد اثنتي عشرة سنة توفيت ثيودورة . ودخل يوستينيانوس الى خدرها فالتقى البطريرك المعزول في خدر زوجته حياً صحيحاً . وتوفي زينون الفسيلفس ، فلم تبكه ارملته في خدرها بل انتقلت فوراً الى القصر ثم الى المبيوضروم وقامت تخطب في الشعب . فقالت ان مجلس الشيوخ والمجلس الملكي الاعلى سيجتمعان برئاستها للنظر في الولاية وسيتعاونان مع الجيش لانتقاء خلف صالح . ثم عادت الى الخطابة فقالت انها ستعنى هي بذلك ! فهتف الشعب موافقاً مؤكداً انها هي صاحبة السيادة والامبراطورية .<sup>٢</sup>

والواقع هو ان هذه الديموقراطية البيزنطية لم تكن في اي وقت من الاوقات وليدة نضح سياسي او فلسفى ، ولكنها تأتت بطبيعة الحال عن تقبل الانجيل واتخاذه دستوراً للدولة . فالدافع نفسه الذي جعل من الفسيلفس نائباً للمسيح على الارض أدى الى السعي لجعل المجتمع الارضي ممائلاً بقدر المستطاع للمجتمع الرباني . ومن هنا ايضاً هذه القسوة في العقوبات : في قطع يدي التاجر المزور ، وزج الحباز الذي تقاضى اكثراً ما سمح به القانون في الفرن نفسه الذي كان يخزى فيه عجينة ، وحرق المدبر المرتشي حياً في المبيوضروم . فالقانون الملي في مصدره والخروج عليه خطيبة تستوجب نار جهنم !

Guerdan, R , op. cit., 27- 28.

١

Bury, J. B., Later Rom. Emp., I, 429-432.

٢

الدولة ومن لا يدينون بالنصرانية : وهؤلاء واحد من اثنين اما  
يهودي يصر على تهوده فيستحق الاذلال والتضييق او غير يهودي يجب  
اجتنابه ودهيه . وكان اليهود قلة لا يتجاوز عددهم المائة عشر الفاً .  
ولم يكونوا من طبقة الاغنياء . ولكنهم كانوا مصرين على تهودهم مستمسكين  
به . فاعتبرهم الروم احفاد اولئك الذين صلبوا السيد واضطهدوا الرسل  
والآباء والشهداء ، فحججو عنهم الثقة وانزلوا بهم الواناً من الذل والهوان .  
فلم تسمع لهم دعوى او شهادة على مسيحي ، ولم يقبلوا في وظائف الدولة .  
وحرّم عليهم التجار بالرقيق ، وملك الاراضي المقدسة ، ودخول الحمامات  
العمومية . ووجبت عليهم ضريبة خاصة دفعوها صاغرين . وحرّم على  
اطبائهم ركوب الحيل وختن الاطفال النصارى ، واستحقوا الموت ان  
فعلوا . ومن تنصر منهم ثم ارتد ارتكب جرمًا كبيراً .

واما التجار والاسرى من المسلمين المقيمين في هذه الدولة المسيحية فانهم  
كانوا احراراً طلقاء يتمتعون بقسط وافر من الحقوق المدنية والاجتماعية . وكان  
لهم في عاصمة الدولة مسجد يقيمون فيه الصلاة كأنهم في بلادهم . وكان سغل  
الروم الشاغل اقناع هؤلاء بتقبيل الدين المسيحي . فالسلطات صارت امير  
اقريطش الاسير انه اذا تنصر أصبح فور تنصره عضواً في مجلس الشيوخ .  
ولكنه لم يفعل . وقبل ابنه النصرانية فرقى المراتب العسكرية بسرعة  
وقاد الروم الى النصر اكثر من مرة .

الادارة : وبقيت الادارة المركزية رومانية لاتينية في جوهرها  
والقابها حتى نهاية القرن السادس . فكان يحيط بالامبراطور الشرقي عدد  
قليل من كبار الموظفين يحملون القاب الرومانيين القدماء . ثم تشرقت  
الدولة فكثرت الوظائف وكثير عدد الكبار في الدولة وقتل صلاحياتهم

وصغرت ادوارهم وأمست القاهم يونانية .  
 وأصبح عظماء الدولة في القرنين العاشر والحادي عشر القيسرو الشريف  
 Nobilissimus ، ومارشال القصر Curopalates . وجاءَ بعد هؤلاء افراد  
 الاسرة المالكة كلّ بلقبه ، ثم ثمانية من كبار الحصيان يتزعمهم الحاجب  
 الاعظم Parakoimumenos . وأدار دقة الحكم خارج القصر اربعة وزراء  
 حمل كلّ منهم لقب لوغوبيت Logothetes . وكان أعظم هؤلاء لوغوبيت  
 الذرموس وبهذه الامور الداخلية والخارجية وكان يدعى اللوغوثيت  
 الاعظم . وجاءَ بعده لوغوبيت المالية ، ولوغوبيت الجيش ، ولوغوبيت  
 الخاصة الملكية . وكان هناك محاسب عام يدعى السكيلاريوس Sakillarios  
 ووزير عدل يحمل اللقب اللاتيني القديم الكوايستور Qnaestor . وخضع  
 الجنود للذوميسيكوس الاعظم Domesticus ، والبحارة للذرونغار الاعظم  
 Drungarius . وكان يرأس حكومة العاصمة ابارخوس Eparchus ، ويدبر  
 كلّ ثيمة من الثيمات الثلاثين استراتيجوس عسكري Strategos <sup>١</sup>.

**الاحزاب السياسية :** واختلفت الآراء في لاهوت السيد وناسوته وفي  
 العذر وتبaint ، فانقسم رجال الدين والشعب احزاباً وتخاصموا . فنهم  
 من قال بخلق الابن في الثالث ، ومنهم من قال بمساواته للأب في  
 الجوهر ، ومنهم من قال بالطبيعة الواحدة ، ومنهم من قال بالطبيعتين ،  
 ومنهم من قال بالمشيئة الواحدة ، ومنهم من قال بالمشيتين ، ومنهم من  
 كرم الايقونات ، ومنهم من حرّمها ، وما الى ذلك من اختلافات  
 لاهوتية نشأت عن هذه المحاولة الاساسية لجعل الدولة تتفق قدر المستطاع  
 والوضع الذي يريد لها السيد الخلاص ملوكها ورعايتها . وهذا فانك

كنت ترى وتسمع الجدل في الالهوت أني وجدت ، ان في الحانات والخمارات ، او في الملاهي والملاعب ، او في المشاغل والمصانع ، او في القصور وال المجالس ، او في الاديرة والكنائس . فالبيزنطي لم يكن ذاك التقى الضجور الذي لا يرى في هذه الدنيا الا حياة فانية يتبرم ببطولها وينظر نهايتها للتخلص من متابعتها ومشكلاتها ، وإنما كان تقىً مت蛔ساً مندفعاً في سبيل تطبيق الدين القويم قدر المستطاع ليirth ملكوت السموات .

**نزاع الطبقات :** والغريب المستغرب الا يكون هذا الاستمساك الشديد بالأنجيل قد اثر في نفوس الأفراد . فهذه الدولة المسيحية المتطرفة في مسيحيتها عانت نزاعاً شديداً وغيظاً متطايرآ وحقداً ضغوناً بين الفقراء والاغنياء . ولم يدر هذا النزاع ، كما هي الحالة بينما اليوم ، على مثال اعلى يعترف بصحته الطرفان ويحاول كل منها ان يقنع الآخر بان الوصول اليه هو عن هذه الطريق لا تلك . وإنما كان نزاعاً فجأا حاول فيه القوي ان يتلع الضعيف ابتلاءً . ولم يقم هذا النزاع في المصانع وبين المداخن ، وإنما دارت رحاه في الحقول الباسمة والمراعي الضاحكة في الريف لا في المدن . فالمزارع الصغير كان يقاسي الامررين من الحروب الطاحنة والغزوات الخاربة والضرائب الفادحة والوسائل الزراعية العاشرة . وكان جاره الكبير الطامع كبيراً في المال والجاه والنفوذ . وما زاد في الطين بلة ان العرف السياسي في الدولة قضى بان يتربع المزارع الكبير على كراسي الحكم وان يسعى كل موظف كبير الى استملك الاراضي .

وأدى هذا التكالب على المراعي والمزارع الى الغش والخداع . فقد يعرض مزارع كبير على جار فقير استكراء ارضه لقاء مبلغ معين من المال يغريه به . فيقبل الفقير وتم الصفقة ثم يمتنع المزارع الكبير عن الدفع فيليجاً الفقير الى القضاء . فيمتطي الكبير جواده ويهدد ويعربد ويستخف بادعاء جاره ويوشك ان الملك له وان مثله لا يليجاً الى فقير يستكري

ارضه . و اذا اضطر ابتعاد ضمير القاضي . وقد تجعل المواسم فيدسُ هذا  
الطامع الكبير عـلاءه بين جيرانه القراء يزّينون لهم بيع املاكه ،  
فيليعونها بابنـس الاثمان . وقد يشرف فقير ضعيف على الموت ولا وريث  
له ، فيطلب عليه احد اخـصـاء جـارـهـ الكـبـيرـ يـسـأـلـ عـنـهـ ويـقـدـمـ لهـ المـعـونـةـ  
والمـدـاـيـاـ ثمـ يـنـصـحـ لهـ انـ يـتـبـنيـ جـارـهـ الغـنـيـ العـظـيمـ . فـتـأـخـذـ الفـقـيرـ العـاطـفـةـ  
وـتـعـتـرـيـهـ مـوـجـةـ مـنـ الـكـبـرـيـاءـ فـيـرـضـيـ . وقدـ يـلـجـأـ الـكـبـيرـ القـوـيـ إـلـىـ الـاحـتـيـالـ ،  
فـيـحـيـطـ هـذـاـ الـمـرـيـضـ الـخـتـرـ بـرـجـالـهـ فـيـشـهـدـوـنـ لـذـيـ وـفـاتـهـ بـاـنـهـ اوـصـىـ  
بـمـتـلـكـاتـهـ إـلـىـ جـارـهـ الكـبـيرـ . وـكـانـ الـقـانـونـ الـبـيـزـنـطـيـ يـحـيـزـ الـوـصـيـةـ اـمـامـ  
شـهـودـ ثـلـاثـةـ . وـقـدـ يـسـتـهـوـيـ الـكـبـيرـ الطـامـعـ جـابـيـ الـضـرـائـبـ فـيـنـقـدـهـ شـيـئـاـ مـنـ  
الـنـقـدـ لـيـتـلـبـ مـنـ فـرـيـسـةـ أـخـرـىـ اـكـثـرـ بـكـثـيرـ مـاـ يـجـبـ فـيـقـضـيـ عـلـىـ مـعـنـوـيـاتـ  
هـذـاـ مـزـارـعـ الـفـقـيرـ وـيـهـدـ الـطـرـيـقـ لـجـارـهـ الغـنـيـ القـوـيـ كـيـ يـسـتـولـيـ عـلـىـ اـمـلاـكـهـ .  
وـلـاـ نـجـدـ كـبـارـ الـرـهـبـاـنـ أـقـلـ جـشـعـاـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـمـزـارـعـينـ الـاـقـوـيـاءـ .  
فـاـنـهـمـ رـغـبـواـ فـيـ الدـنـيـاـ بـقـدـرـ مـاـ كـانـ يـجـبـ عـلـيـهـمـ اـنـ يـزـهـدـواـ فـيـهـاـ . وـتـعـدـواـ  
عـلـىـ حـقـوقـ الـجـيـرانـ الـفـقـراءـ فـوـسـعـوـاـ حـدـودـ الـاـوـقـافـ عـلـىـ حـسـابـهـمـ وـاسـتـولـوـاـ  
فـيـ بـعـضـ الـاـحـيـاـنـ عـلـىـ الـمـوـاشـيـ وـعـلـىـ الـحـيـلـ وـالـجـمـالـ . وـعـاـشـواـ عـلـيـشـةـ هـنـاءـ  
وـرـخـاءـ . وـدـعـواـ لـرـهـبـاـنـيـاتـ فـتـزـاـيدـ عـدـدـ الـرـهـبـاـنـ فـتـزـاـيدـ مـخـيـفاـ . فـافـرغـواـ  
الـحـقـولـ مـنـ الـيـدـ الـعـامـلـةـ وـقـطـعـواـ عـنـ صـنـدـوقـ الـخـزـينـةـ الـعـامـةـ دـخـلـاـ كـبـيـراـ .  
وـتـضـاءـلـتـ الـطـبـقـةـ الـمـتو~سطـةـ فـيـ الـأـرـيـافـ ، وـازـدـادـ الـاـقـوـيـاءـ قـوـةـ وـالـضـعـفـاءـ  
ضـعـفـاـ ، وـقـلـتـ الثـقـةـ بـالـحـكـومـةـ . وـاـفـطـعـواـ مـاـ هـنـالـكـ اـنـ خـجـاجـ الـاـقـوـيـاءـ فـيـ  
ابـلـاعـ الـضـعـفـاءـ الـمـدـنـيـنـ شـيـعـ اـولـئـكـ عـلـىـ مـدـ الـاـيـدـيـ إـلـىـ مـزارـعـ الـعـسـكـرـيـنـ  
الـذـيـنـ كـانـوـاـ قـدـ أـقـطـعـواـ الـأـرـاضـيـ لـيـعـيـشـواـ مـنـهـاـ وـيـتـسـلـحـواـ بـمـدـخـوـلـهـاـ .

وـهـبـتـ الـحـكـومـةـ الـمـرـكـزـيةـ تـعـالـجـ هـذـهـ الـمـشـكـلـاتـ ، فـمـنـعـتـ الـكـبـارـ بـاـدـيـءـ  
ذـيـ بـدـءـ مـنـ الـاـسـتـفـادـةـ مـنـ دـيـونـ هـيـ مـوـضـعـ جـدـلـ وـخـصـامـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ  
الـصـفـارـ . وـمـنـعـتـ هـؤـلـاءـ عـنـ وـضـعـ شـعـائـرـ الـكـبـارـ عـلـىـ اـبـوابـ بـيـوتـهـمـ مـاـ دـامـتـ

هذه البيوت او الحقول موضع خصم بينهم وبين كبير قوي . وأصدرت الحكومة في القرن التاسع ، كما سبق وأشارنا في حينه ، قوانين ثلاثة منعت بوجبها انتقال الملكية من ضعيف الى قوي بالتبني او الهبة او الوصية ، كما حرمت بيع املاك الضعفاء وتأجيرها . وألفت كذلك معمول مرور الزمن في جميع هذه الحالات ، فجمدت بذلك كل علاقة من هذا النوع بين الفريقين<sup>١</sup> .

وعلى الرغم من هذا كله فإن هؤلاء الكبار Dunatoi ما فتئوا يطاردون الصغار Penes حتى فسخوا الدولة تفسيخاً وقضوا على معنوياتها ودفأوها .

الدولة ورجال الصناعة : وفي الوقت الذي كان فيه الفلاح الصغير يعني هذه المتابع والمصاعب كان الصانع في المدن منهكًا في اشغاله ميسوراً . فدولة الروم لم تعرف عهداً في تاريخها زهدت فيه الصناعة والتجارة فهوهما في هذين القرنين . ولم تكن القسطنطينية في اي وقت من اوقاتها اكثر نتاجاً وأوفر ربحاً . وأصبحت بوفرة مالها وحذق صناعتها ام المال والذهب والفن والعجبات للعالم اجمع . وقد صدرا أمراء الصناع وأطعم التجار من سواحل البلطيق حتى الاسود والادرياتيكي ، ومن ارمينية والقوcasus حتى اسبانيا والبرتغال . وتنى بذخها وثروتها امراء الاقطاع في الغرب المسيحي وأسياد السياسة في الشرق الاسلامي .

ويستدل من وثيقة ترقى الى عهد لاوون السادس ستها رجال الاختصاص «كتاب البرايفكتوس» (حاكم العاصمة) انه علاوة على البقالين والحامين والخبازين والبناءين والنجاتين والرخامين والنجارين والحدادين والخياطين

Vasiliev, A.A., On The Question of Byzantine, Feudalism, Byzantion, 1933, 584-604; Diehl et Marçais, Monde Oriental, 523-531.

والرسامين ، كان هناك طبقة من التجار والصناع يعنون بنسج الحرير وصياغة وتربيته بالرسوم وبالفضة والذهب ، وان هؤلاء أدهشوا العالم بدقه صنفهم ومهارتهم ، فجمعوا اموالاً طائلة ، وجعلوا من القسطنطينية ، ومن ثيسالونيكيه وثيبة وكورونتوس وبتراس ، قبلة انتشار أهل البذخ والترف في الشرق وفي الغرب معاً . ويستدل من هذه الوثيقة ايضاً ان صناعة الروائح الطيبة لم تقل شأنها عن صناعة الحرير ، وان رجالها توصلوا الى درجة من الرقي مكنتهم من بسط بضاعتهم في كنف القصر نفسه « وان روائحهم الطيبة التي تصاعدت كالبخور الى ايقونة المسيح فوق باب خلقة عطرت جو هذا المدخل الفخم » .

ولم تست الحكومة اهمية هذه الصناعات فضبّطت احوالها وأخفت اسرارها وراقبتها مراقبة شديدة . فحدّدت مدى اختصاص كل حرفة ، وعيّنت شروط الانتاج اليها ، وحدّدت عدد الصناع فيها ، ونوع النتاج وكميته ، ومقدار الاجور . ودققت في قيودها وحساباتها وموازينها . ونهت عن الفش في الصنع وأنزلت بالمرتكب عقاباً صارماً . ثم حمت هذه الصناعات من مزاحمة الاجانب فحدّدت الاستيراد او منعه كما جاء في كتاب البرايفكتوس عن صابون مرسيلية .

## الفصل السابع والعشرون

### الآداب والفنون في عهد الأسرة المقدونية

مميزات آداب هذا العصر : وكان قد انسلاخ عن الدولة عدد من العناصر غير اليونانية ومعظم من خرج على تعاليم الماجامع المسكونية فطفت اليونانية بعنصرها ولغتها وفكرها وبدت الدولة متجانسة أكثر بكثير من ذي قبل . ونزع القوم إلى لغة الاجداد وعلومها وأدابها ، فتميز هذا العصر بالعودة إلى الخلافات الهلينية الكلاسيكية . فكانت يقظة في عالم الفكر والفن أدت بنتائجها إلى عصر اليقظة والنهضة في إيطالية فسائر أنحاء أوروبا ، وفاخر أدباء القسطنطينية بجموعاتهم الأدبية واستنسخوا المراجع الكلاسيكية اليونانية الكبرى وتباحثوا فيها كما يستدل من مصنف البطريرك فوطيوس العظيم الـ *Myriobiblion* وقد سبقت الإشارة إليه فلتراجع في محلها . وعرف جميع المؤلفين هوميروس وبندار وارستوفانس وأفلاطون وارسطو وبلوقارخوس ولبيانوس وثوقيديدس وبولينيوس وغيرهم . وأصبحت الآداب اليونانية الكلاسيكية ، نحوها وبيانها ونصولها ، أساس التهذيب البيزنطي . واعيدت جامعة القسطنطينية إلى سابق عهدها وزهرت مدرسة الحقوق فيها ، وقام عدد من كبار الأطباء يبحثون كسلفائهم من قبل . ومن مميزات هذه النهضة الفكرية الأدبية أن رجالها آثروا الاحاطة في المقام الأول فمالوا نحو التوسيع والموسوعات . وهي خطوة لازمة لكل

نهضة في بدء عهدها . ومن هنا مجموعات القرن العاشر في القانون ، ومن هنا ايضاً مجموعة الاكسربة Excerpta التي أشار بتصنيفها قسطنطين السابع خدمة للتاريخ والمؤرخين ، فجاءت في ثلاثة وخمسين كتاباً . واعيد النظر في كل ما سبق تأليفه في العصور الغابرة لاستخلاص النافع منه في الحياة العملية ظهرت رسالة السفراء ، ورسالة الفضائل والرذائل ، ورسالة التآمر ، ورسالة الفتوحات . وصنفت رسالة في الزراعة Geponica ، وفي الطب Iatrica <sup>١</sup> . وما تجنب ملاحظته في هذا الباب انه قام في هذا العهد ، بالإضافة الى هؤلاء المنقبين عن الماضي الناقلين عن غيرهم ، عدداً من العلماء الباحثين المجددين وفي طليعة هؤلاء البطريرك فوطيوس ، والاستاذ المربي ميخائيل بسلوس . فالاول اضاف الى ما تحلى به من سعة اطلاع وتفوق في الانشاء جرأة لا بل جسارة <sup>٢</sup> في التفكير الحر المستقل يغبطه عليها كل من أطلع على رسائله . والثاني كان أمع أهل زمانه وأشدتهم رغبة في الاطلاع واكثرهم تجدداً <sup>٣</sup> .

وما تجنب اعادته هنا هو عطف لا وون السادس «الحكيم» على معلمه البطريرك فوطيوس وحماته لعله وتفكريه واستعداده لتشجيع جميع العلماء . وقد قيل ان القصر في عهده تحول الى معهد علمي <sup>٤</sup> . وجاء قسطنطين السابع فألف وشجع غيره على التأليف .

**المؤلفون والمؤلفات :** وأهم مؤلفات قسطنطين السابع سيرة جده باسيليوس الاول وارشاداته في ادارة الدولة وقد دوّنها خصيصاً لابنه ووريثه ، ورسالته في الشیات ، وكتابه في التشریفات ، ووصفه لـ <sup>لـ</sup>كيفية

Rambaud, A., *Empre Grec au Dixième Siècle*, 50 ff.

١

Rambaud, A., *Etudes*, 109-171; Diehl, C., *Figures Byzantines*, I, 2  
291-316.

Popov, N., *Leo VI*, 232.

٣

نقل المنديل المقدس من الرها الى القدسية .  
 وبين المؤلفين الذين كتبوا في ظل قسطنطين السابع يوسف غناسيوس  
 Genesius الذي دون اخبار لاوون الخامس ولاوون السادس ( ٨١٣ - ٨٨٦ ) . وبين الموسوعات التي اعدت في كنف هذا الفسليفس اخبار  
 القديسين لسمعان متافراستس Metaphrastes ، وقاموس سويداس Suidas وهو مؤلف نفس كثير القائمة بين معاني المفردات واسماء الاشخاص  
 والأشياء<sup>١</sup> .

وفي طليعة رجال العلم في القرن العاشر البطريرك نيكولاوس ميسطيكوس .  
 فقد خلف مئة وخمسين رسالة وجهها الى امير اقريطش العربي ، وسمعان البلغاري ، ورومانوس ليكابينوس ، وعدد من البابوات والاساقفة والرهبان .  
 وما جاء في رسالته الى امير اقريطش قوله : « الروم والعرب اعظم قوتين في العالم يعلوان ويتألقان كالشمس والقمر في السماء . ولذا يجب ان نعيش إخوة على الرغم من اختلافنا في الطبائع والعادات والدين » .  
 وعاصر باسيليوس الثاني لاوون الشهاب شاهد حوادث الحرب البلغارية ، فكتب عشرة كتب في حوادث السنوات ( ٩٥٩ - ٩٧٥ ) ، وذكر اشياء عن الحرب العربية . وآثاره مفيدة جداً لتاريخ نيقفوروس فوقياس ويوحنا جيمسكي لانه المرجع اليوناني المعاصر الوحيد . ومن أشهر مؤرخي القرن العاشر مؤلفان مجهولان احدهما أكمل تاريخ ثيوفانس والآخر ذيل تاريخ هامار تولوس<sup>٢</sup> . وبين هؤلاء ايضاً لاوون النحوي وسمعان المايستر والوغوثيت<sup>٣</sup> .  
 وقارب القرن العاشر النهاية وتعددت الحروب ورافقتها نصر مبين ،

Krumbacher, K., *Gesch. der Byz. Litt.*, 568.

١

Shestakov, S. P., *Continuation of Theophanes*, (*Congrès International des Etudes Byzantines*, 1929).

Leo the Grammarian, Symeon Magister, (*Corpus Script. Hist. Byz.*)

٢

٣

فتغى الناس بالحرب وتضاءلت عنائهم بالعلم . ومن هنا قول حنة كومينية في القرن الثاني عشر ان معظم الناس أعرضوا عن العلم في الفترة بين عهد باسيليوس الثاني وعهد قسطنطين مونوماخوس ، وانه لم يبقَ من يعني به سوى افراد قلائل سهروا الليلالي في طلب المعرفة على ضوء القناديل<sup>١</sup> . وفي منتصف القرن الحادي عشر عاد بعض كبار العلامة وفي طليعتهم ميخائيل بسلوس الى المطالبة بتشجيع العلم والاعطف عليه ، فكان لكلامهم وقع في نفس الفسيفس قسطنطين مونوماخوس فوعد خيراً ، فانقسموا فتین ، فئة تطالب بإنشاء مدرسة للفلسفة بزعامة بسلوس نفسه ، وفئة تطالب بمدرسة للحقوق . واستد الجدل في هذا الموضوع ووصل الى الشارع . فحقق الفسيفس طلبتهم في السنة ٤٠٤ بانشاء مدرسة للحقوق ومدرسة للفلسفة<sup>٢</sup> . واستهر ميخائيل بسلوس برسائله وبمؤلفاته في اللاهوت والفلسفة ولاسيما فلسفة افلاطون ، وفي العلوم الطبيعية ، وفقه اللغة ، والتاريخ . ويعتبر تاريخه افضل المراجع لتاريخ القرن الحادي عشر<sup>٣</sup> .

ويرى رجال الاختصاص ان القصائد الحماسية والاهازيج الشعبية تطورت تطوراً سريعاً في العصر المقدوني فتآلت بانتصارات الامرة المقدونية واعتزت بعها . وهم يرون ايضاً ان القتال المتواصل في الجبهات الشرقية الجنوبيّة فسح في المجال للمغامرات الحربية وللبسالة الفردية ، فهزَّ الشعرا ورجال الرجل هزاً ودفع بهم الى النظم والمناخرة . وأشهر ما ينسب الى هذه الفترة ملحمة باسيليوس ديجينس اكريتس . وديجينس digenes لفظ يوناني معناه المولود من شعيبين . فوالد باسيليوس كان عربياً مسلماً وامه

*Anna Comnena, Alexias, V, 8; Buckler, G., Anna Comnena, 262.*

١

*Fuchs, F., Hohene Schulen von Konstantinopel, 24-25.*

٢

*Psellus, Michael, Chronographia, Bibliotheca Graeca Medii Aevi, IV; French Translation by E. Renaud, in 2 vols., Paris, 1926-1927.*

٣

رومية مسيحية . وأكريتis لفظ يوناني أيضًا معناه الذي ينتمي إلى حدود الدولة . وباسيليوس هذا قضى معظم حياته في مناطق الحدود بخارباً العرب مغامراً منتصراً . وقد حفظت لنا ملحمة دافع القتال والاسْمَاتة ( فهي في نظره الدفاع عن الارثوذكسيّة وعن الروم ) كـ خلدت صوراً رائعة لقلاع أسياد البر وقصورهم في آسية الصغرى<sup>١</sup> . ولا يزال إبناء قبرص يتغنون بـ اجاد باسيليوس حتى يومنا هذا ، كما لا يزال إبناء طرابزون يشيرون إلى مثواه ويؤكدون ان زيارة قبره تحمي الصغار من الأرواح الشريرة . ولا يزال بعض رجال الاختصاص يتبعون البحث في تاريخ هذه الملحمة . وهم يميلون إلى الاعتقاد بأنها نشأت أولاً حول مغامرات ديجينس في الحروب العرية في أواخر القرن الثامن ، ثم تطورت فازدهرت بـ اجاد الأسرة المقدونية . ويرون علاقة متينة بينها وبين قصة بطّال غازي التركية وبعض نواحي الف ليلة وليلة العرية<sup>٢</sup> . ويلمس المؤرخ الروسي كرمزين صلة وثيقة بين هذه الملحمة وبعض اساطير الروس القدية<sup>٣</sup> .

بقي علينا ان نشير إلى مؤلفين مفيدين خلفهما ميخائيل أتالياتس Attaliates أولها يتضمن حوادث السنوات ١٠٣٤ حتى ١٠٧٩ ، وفيه وصف دقيق لما جرى في أواخر عهد المقدونيين ، وهو مبني إلى حد كبير على الخبرة الشخصية . والثاني موجز في الحقوق وضعه أتالياتس للمحامين وغيرهم من يرغب في الاطلاع<sup>٤</sup> .  
الفن وآثاره : ويرى رجال الفن ان العصر المقدوني هو العصر

Bury, J. B., *Romances Chivalry on Greek Soil*, 18-19.

١

Crégoire, H., *Autour Digenes Akritas*, *Byzantion*, 1931, 481-508, 1932, 287-320.

٢

Pascal, P., *Le Digenis Slave*, *Byzantion*, 1935, 301-334.

٣

Vasiliev, A.A., *Byz. Emp.*, 371.

٤

الذهبي الثاني في تاريخ الفن عند الروم . والعصر الذهبي الاول في عرفهم هو عصر يوستينيانوس الكبير . ويقولون انه بعد ان حرر مخاربو الايقونات الفن البيزنطي من قيود رجال الـ كليروس والرهبان تطور تطوراً سريعاً في انتقاء مواضعه من خارج الـ كنائس والادبار ، فعاد الى الطبيعة والى مخلفات العصر الهليني والى فن الزخرف العربي . وجاء العصر المقدوني بتعلقه بالخلفات الـ كلاسيكية والـ هلينية ، فازداد رجال الفن فيه اكباراً لماضي بعيد واستيهاء منه<sup>١</sup> . ولم يكتفوا بهذا الوحى ولم ينقلوا نقلابل اضافوا الى جمال المظهر الهليني ولطفه شيئاً كثيراً من قوة العصر الـ كلاسيكي السابق وجده . واسبغوا عليه شيئاً من الهيبة والتركيز والتوازن والنقاء والصفاء فأصبح بـ يـ زـ نـ طـ يـاً بكل معنى الكلمة<sup>٢</sup> .

وذهب الفنان المؤرخ النمساوي استريجيـ كـ وـ فـ سـ كـ مـ ذـ هـ بـ اـ خـ اـ صـ اـ لاـ يـ قـ رـهـ عليه معظم زملائه . فهو يرى ان وصول الاسرة المقدونية الـ اـ رـ مـ نـ يـةـ الاـ صـ لـ الـ حـ كـ مـ جـ رـ وـ رـ اـ رـ اـ هـ اـ قـ بـ اـ لـ اـ عـ لـ الـ فـنـ الـ اـ رـ مـ نـ يـ وـ تـ اـ ثـ اـ رـ اـ بـهـ . ويرى بعبارة اخرى ان العلاقة الظاهرة بين الفن البيزنطي والفن الـ اـ رـ مـ نـ يـةـ التي عزها المؤرخون الى اثر بـ يـ زـ نـ طـ يـةـ في اـ رـ مـ نـ يـةـ هي في الحقيقة اثر اـ رـ مـ نـ يـةـ في بـ يـ زـ نـ طـ يـةـ<sup>٣</sup> . وقام في القسطنطينية في عهد هذه الاسرة المقدونية من برـ زـ في تصوير الاـ يـ قـ وـ دـ رـ يـنـ جـ دـ رـ اـ نـ الـ كـ نـ اـ سـ ، فأخرج عـ دـ دـ اـ كـ بـ يـ رـ اـ جـ دـ اـ من الاـ يـ قـ وـ صـ دـ رـ هـ اـ لـ سـ اـ ئـ اـ نـ اـ هـ الـ اـ مـ بـ رـ اـ طـ وـ رـ يـةـ . وـ عـ نـ يـ رـ جـ الـ فـنـ اـ يـ اـ ضـ اـ بـ تـ زـ يـنـ الـ مـ خطـ وـ طـ طـ اـ تـ بـ الـ صـورـ الـ مـ لـ وـ نـ ةـ الـ مـ ذـ هـ بـةـ .

*Diehl, C., Monde Oriental, 516-517.*

*Dalton, O. M., East Christian Art, 17-18.*

*Strzygowski, J., Die Baukunst der Armenier und Europa; Diehl, C., Art* ٣

*Byzantin, I, 476-478.*

## الباب التاسع تأخر الدولة وانحطاطها

( ١٠٥٧ - ١٢٠٤ )

•

الفصل الثامن والعشرون

الفوضى والفتنة الداخلية

( ١٠٥٧ - ١٠٨١ )

وتوفيت ثيودورة وانتطعت سلالة باسيليوس الاول مؤسس الاسرة المقدونية . وكان خلفها ميخائيل السادس قد أصبح هرماً كبير السنّ . وكان لا يزال في صفوف الجيش وخارجها عدد من القادة الطامعين . فنشبت مشادة عنيفة بين كبار المدنيين في القصر وبين هؤلاء العسكريين . وقبل ان تنتهي السنة الاولى من حكم ميخائيل السادس دبر العسكريون مؤامرة لخلع ميخائيل . فوصل الى عرش روما الجديدة اسحق كومينيوس زعيم العسكريين .

اسحق كومينيوس : ( ١٠٥٧ - ١٠٥٩ ) وانتسب الكومينيون الى قرية كومنة في ضواحي ادرنة . واشهر والد اسحق ايروتيكوس في

دفاعه عن نيقية ضد هجمات برداس اسكليروس في السنة ٩٧٨ وذلك في عهد باسيليوس الثاني ، فاكتسب ارضين واسعة في آسية الصغرى مكتنته من الدخول في عداد الارستو قراطين العسكريين<sup>١</sup>. وانتصر العسكريون بوصول اسحق الى العرش واستواه عليه . ووزع الفسيلفس الجديد المكافآت على من عاونه في الوصول ، وأمر بتمثيله متشقاً حسامه على العملة التي سُكت باسمه دلالة على انتصار العسكريين<sup>٢</sup>. ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بالسلطة اكثراً من سنتين .

وأصبح اسحق في السنة الاولى من حكمه بالمرض . وجوبه بخزينة خاوية فلجأ الى الاقتصاد ولم يستثن منه احداً ، فأغضب الشيوخ والشعب والجيش والرهبان . وكان في بداية عهده قد كافأ البطريرك المسكوني ميخائيل لاستراكه في ازاحة الفسيلفس السابق ميخائيل السادس استراتيويتكوس عن العرش فمنحه الحق في ان ينتقي ويعين ايكونوموس كنيسة الحكمة الالهية ( اي مدير املاکها ) ، وامين الاولاني الكنائسية فيها ( اسكييفوفيلاكس ) . وكان البطريرك قد طلب ذلك من ثيودورة وميخائيل السادس فلم يفلح<sup>٣</sup> . وظن البطريرك انه سيمكن من ارشاد الفسيلفس وتوجيهه . ولكن اسحق تقبل هذا الارشاد بشيء من الفتور في اول الامر ثم ردَّ ما جاءَ من نوعه بعده<sup>٤</sup> . فنشأ شيئاً من البعض بين الاثنين ما لبث ان تحول الى عداء . وسرعان ما أخذ البطريرك يهدد الفسيلفس ثم احتذى الحداء الارجواني ، وادعى ان الاحتداء بالارجواني حق قديم من حقوق السيدة

Cedrenus, G., *Synopsis Historion*, II, 353.

١

Sabatier, *Monnaies Byzantines*, II, 162; Ostrogorski, G., *Gesch. des Byz.* ٢

*Staates*, 238-239.

Dolger, F., *Regesten*, 938, Sept., 1, 1057; Cedrenus, G., *Synopsis Historion*, II, 353.

البطيركية<sup>١</sup>. وكانت الاقدام على الاحتلاء بالارجوانى في عرف الروم آنئذٍ اول دليل على الطمع في السلطة العليا<sup>٢</sup>. وفي الثامن من تشرين الثاني حين كان البطيرك متوجهاً مع اخصائه ليخدم القدس في دير الملائكة ألقى الفسیلفس القبض عليه ونفاه مع اولاد أخيه الى جزيرة ايمبرس . وهاج الشعب وطلب ارجاع البطيرك . فاستحضره الفسیلفس وجمع مجمعاً وطلب حاكمته لانه عطف على راهبين كانوا يتعاطيان الشعوذة ، ولانه كان يقرأ أشعار الشعرا ووقت الخدمة ، ولانه ايضاً ثار على الفسیلفس السابق . ولم يحر البطيرك جواباً عن شيء من هذا . وقام في النهاية وسامح الفسیلفس والقضاة ، ودعا للشعب ولاعدائهم ، وسقط ميتاً وهو يقول : «السلام لجميعكم» مسيراً بيده اليمنى اشارة البركة . فأمر الفسیلفس بدفعه بمحفأة فائقة في دير الملائكة واستترك بنفسه في تشليم الجثمان<sup>٣</sup> . ورقى الكرسي المسكوني بعده قسطنطين الثالث (ليخوذى) . ومرض الفسیلفس فاستقال فبدل الارجوان بشوب الراهبة وأقام في الدير الاستودي<sup>٣</sup> .

**قسطنطين العاشر (دوكم) :** (١٠٥٩ - ١٠٦٧) وتحدر هذا ايضاً من اسرة عريقة في الشرف . ولكن شرفها لم يكن عسكرياً ريفياً بقدر ما كان ارستقراطياً مدينياً . وهذا سبب التفاهم بينه وبين أقطاب رجال السياسة والادارة في العاصمة . ومن هنا نفوذ ميخائيل بسلوس في عهده وتوليه تربية الامير ميخائيل ابن الفسیلفس ، ووصول قسطنطين الثالث الى السدة البطيركية ، واكره يوحنا الثامن على قبول العكاز البطيركي بعد

Cedrenus, G., op. cit., II, 372; Bréhier, L., Schisme Oriental, 276-277. ١

Bréhier, L., Byzance, 273-274; Cedrenus, G., op. cit., II, 372-373. ٢

Psellus, M., Chronographia, II, 129-138. ٣

وفاة قسطنطين الثالث (١٠٦٤)<sup>١</sup>. ومن هنا ايضاً عطف الفسيلفس على العلم واكرامه للعلماء واكراهولي العهد ميخائيل على الدرس والمطالعة واجتياز امتحان في الحقوق العمومية قبل اشرافه في الحكم<sup>٢</sup>. ولهذا ايضاً منح عضوية مجلس الشيوخ الى عدد من كبار رجال الطبقة المتوسطة بما اغضب طبقة الاراكنة Archontes<sup>٣</sup>. واضطر قسطنطين العاشر الى ان يعني بالخزينة عنایة سلفه اسحق ، فاقتصر في كل شيء . وأدى به اقتضاده الى الاقدام على عمل جنوبي اذ سرّح عدداً غير يسير من الجنود ، وأنقص مرتبات الباقيين ، بينما كان خطر الحرب يهدّد الدولة في اكثـر من جبهة واحدة<sup>٤</sup>.

وفي عهد قسطنطين العاشر ، وعهد البطريرك المسكوني يوحنا الثامن ، وعهد البابا السكيندروس الثاني (١٠٦١ - ١٠٧٣) ، وفي السنة ١٠٦٤ توجه عدد من اساقفة الغرب يتقدمهم سيفريد رئيس اساقفة ماينتس ، وعدد كبير من الاشراف وغيرهم ، الى زيارة الاماكن المقدسة . ومرّوا بالقسطنطينية فأكرمههم الفسيلفس اكراماً جزيلاً وزاروا كنيسة الحكمة الالهية . ولدى وصولهم الى المدينة المقدسة خرج صفرونيوس البطريرك الاوروشليمي بنفسه لملاقتهم ومعه الاكليروس والشعب بالمبادر والشروع وأدخلهم باحتفاء عظيم كنيسة القبر المقدس ! وهو أمر ذو بال في موقف رجال الدين في الغرب والشرق معـاً من حرم البابا لاوون التاسع ،

*Bréhier, L., Byzance, 274-275; Dolger, F., Regesten, 954.*

١

*Psellus, M., Chron., II, 144.*

٢

*Psellus, M., op. cit., II, 146-147.*

٣

*Psellus, M., op. cit., II, 139.*

٤

*Annales Altahenses Majores (M. B. SS., XX); Lambert de Hersfeld (M. G. SS., V, 168-169).*

٥

وحرم البطريرك المسكوني ميخائيل الاول ، اللذين صدر ا قبل ذلك  
بعشر سنوات فقط ! وحسن قسطنطين العاشر علاقاته مع الخليفة الفاطمي  
فيحسن بذلك حالة المسيحيين في المدينة المقدسة اذ منح الخليفة الفاطمي  
بطريرك هذه المدينة حق السلطة المدنية على ابناء رعيته في القدس<sup>١</sup>.

وفي شهر ايار من السنة ١٠٦٧ اقرب اجل قسطنطين العاشر فاوصى  
بالمملك لاولاده الثلاثة بوصاية امهم افذوكية على ان لا تتزوج<sup>٢</sup>. وكانت  
اذوكية من اذاد عصرها في العلم ، وكانت تجيد النظم ايضاً . ولكنها  
بعد وفاة زوجها لم تستطع القيام باعباء الحكم وحدها نظراً لتجدد الموقف  
الحربى الدولى . وأخذ سكان العاصمة يتهامسون عن مستقبل المملكة ، ثم  
قالوا بضرورة اقامة ملك قدير . وخشيتم اذوكية سوء العاقبة فأخذت  
شك قسم اليمين من البطريرك وتزوجت بعد سبعة أشهر من وفاة قسطنطين  
بالقائد رومانوس ديوجانس قائد الجيش في بلغاريا<sup>٣</sup>.

رومأنوس الرابع (ديوجانس) : (١٠٦٨ - ١٠٧١) وكانت  
رومأنوس من كبار رجال الجيش واصحاب الاملاك الواسعة في قبوديقية .  
وكان محبوباً محترماً من الجندي شجاعاً قوياً . ولكنها كان يحب السلطة ،  
فاستأثر بها . فاغضب اذوكية بعد مرور شهرين فقط على زواجهما .  
فخرج من القصر وأقام في آسية عبر البوسفور بعد حملة عسكرية شنها  
على الاتراك السلاجقة<sup>٤</sup>.

وكان احوال الروم قد ساءت في البلقان وفي ايطالية . فالبحر عبروا

Guillaume de Tyr, *Historia Rerum*, IX, 17-18.

١

Psellus, M., *op. cit.*, II, 147-148.

٢

Psellus, M., *op. cit.*, II, 154-157 ; Cedrenus, G., *Synopsis*, II, 391-396.

٣

Psellus, M., *Discours*, II, 159.

٤

الدانوب وحاصروا بلغراد ثلاثة أشهر في السنة ١٠٦٤ . وكان الغز ابناء عم السلاجقة قد تزحوا من شمالي قزوين الى جنوي روسية ، فأجلوا البشناق عن مراعيمهم ودفعوا بهم الى مصب الدانوب . فعبر هؤلاء الدانوب في السنة ١٠٦٥ وأوغلو في البلقان حتى ثيسالونيكيه وثيسالية . ولم تقو الجيوش على صدهم . فسمح قسطنطين العاشر ببقاءهم في مقدونية على ان ينخرطوا في خدمة الدولة<sup>١</sup> . وأدى النزاع في ايطالية بين البابا نيكولاوس الثاني والبابا بندكتوس العاشر في السنة ١٠٥٩ الى تفاهم وتحالف بين نيكولاوس الثاني والنورمنديين . فأقر البابا نيكولاوس شرعية مطالبة هؤلاء بكابوة وكلابيرية . وانطلق روبر غيسكار واخوه روجيه فأخضعوا كلابيرية . فأنفذ قسطنطين العاشر حملة الى ايطالية الجنوبية . فعاد روبر من صقلية حيث كان يعاون اخاه روجيه في اخضاع هذه الجزيرة ليحافظ على ممتلكاته الجديدة في جنوي ايطالية . وبدأت بذلك حرب بين الروم والنورمنديين انتهت بسقوط باري في السادس عشر من نيسان ١٠٧١ وخروج الروم من ايطالية الجنوبية بعد حكم دام ثلاثة قرون متالية . ولم يجد قسطنطين العاشر نفعاً تدخله في سياسة الكنيسة الرومانية وتأييده للبابا اونوريوس الثاني مناظر الكسندروس الثاني<sup>٢</sup> .

وكان طغرل بك زعيم الاتراك السلاجقة قد توفي في السنة ١٠٦٢ فخلفه السلطان ألب ارسلان واستولى على آني Ani الارمنية في السنة ١٠٦٤ فذبح ونقى . ثم قام الى الرها فصده عنها دوق انطاكية في السنة ١٠٦٥<sup>٣</sup> . وفي ربيع السنة ١٠٦٧ هاجم ألب ارسلان الروم من الشرق

Cedrenus, G., *Synopsis*, II, 384-385 ; Dolger, F., *Regesten*, 955.

١

Bréhier, L., *Byzance*, 278-279.

٢

Matthieu d'Edesse, *Chronique*, 91.

٣

والجنوب في آن واحد ، فدخلت جيوشه البوسط وقليقية . ووصل الى قيصرية قبدوقة فخر<sup>ها</sup><sup>١</sup> .

واستوى رومانوس على العرش فتولى مهمة صد الاتراك السلاجقة ، وقاد الى الميدان كل رجل استطاع ان يجند في اوروبه وآسية . فطردهم من البوسط اولاً وأنزل بهم هزيمة كبيرة عند تقريرية . ثم قام الى سوريا الشمالية فأحرز نصراً مبيناً في العشرين من تشرين الثاني سنة ١٠٦٩ عند هيرابليس ( منبج ) . وكان السلاجقة قد توغلوا في غلاطية فعاد رومانوس اليها وحررها . وفي السنة ١٠٧٠ حاصر ألب ارسلان مدينة الرها دون جدوى . وجاءت السنة ١٠٧١ فأعاد رومانوس تنظيم جيشه وقام في منتصف آذار الى الجبهة الشرقية الجنوبيه فوصل الى منزيكرت ( ملادكرد ) على الفرات الاعلى فوجد نفسه وجهاً لوجه ، ليس امام جيش واحد من جيوش السلاجقة فحسب ، بل امام قوة السلطنة السلاجقوية كلها ، وامام ألب ارسلان نفسه . وكان قد حلّ بجيش الروم شيء من الارتباك بسبب السير الطويل . وكان الفسيليفس قد ارسل فرقه كاملة الى رسول دي بايول القائد النورمندي الذي كان قد اتجه نحو بحيرة وان . وعلى الرغم من هذا كله بقي الفسيليفس متلهماً الى القتال ، شاعراً ان السلاجقة لم يتاحوا له من قبل ميداناً صالحًا للقتال مثل هذا ، متيقناً من ان جنوده المدرعين سيقضون قضاءً مبرماً على الفرسان السلاجقة مهما بلغ عددهم . وكان ألب ارسلان قد زاد خصميه وثوقاً من نفسه بان ارسل اليه تقارير كاذبة تفيد ان السلاجقة عازمون على الرحيل متوجهين الى بغداد . وفي السادس والعشرين من آب سنة ١٠٧١ انبرى ألب ارسلان لقتال الروم .

*Michel d'Attalie, 94; Cedrenus, G., Synopsis, II, 389; Laurent, J.,  
Byzance et les Turcs Seljoucides, 25.*

فأبلى فرسان الروم المدعون بلاءً حسناً وظلوا يوماً كاملاً يخترقون خطوط اعدائهم . ولكن هؤلاء كانوا دائماً يسدون الثُلُمات بسرعة وبجموع جديدة كانت تقد باستمرار . وفي المساء كان القتال لا يزال مائعاً . وفي اثناء الليل رأى رومانوس ان يسحب جنوده الى المعسكر . فأمساء بعضهم الاوامر فانقلب التراجع المنظم الى فرار مستعجل : وأصبح القسم الذي قاده الفسيليفس محاطاً بالعدو من جميع النواحي . وجراح رومانوس نفسه وسقط عن حصانه ووقع اسيراً<sup>١</sup> .

وسيق رومانوس الى خيمة عدوه واستقبل بحفاوة . ثم تقاؤض الكباران في الصلح فاتفقا على ان يدوم خمسين سنة ، وعلى ان يدفع الروم في كل سنة ثلاثة مئة وستين الف قطعة ذهبية ، وعلى ان يفدي رومانوس نفسه بليون ونصف مليون من هذه القطع عينها . وبتصدعت جبهة الروم واختل نظامهم الدفاعي في هذا القطاع . ثم اندلعت نيران حرب اهلية مكنته السلاجقة من الدخول الى آسيا الصغرى والاستقرار فيها<sup>٢</sup> .

**ميغائيل السابع :** ( ١٠٧١ - ١٠٧٨ ) وما ان علمت افذوسكيية بما حلّ برومانيوس حتى استقدمت الى العاصمة القيصر يوحنا دوكاس اخا قسطنطين العاشر وأعلنت نزول رومانوس الرابع عن العرش . وترك ألب ارسلان الفسيليفس رومانوس دون ان يدفع له شيئاً معتمداً في ذلك على وعده فقط . واتجه رومانوس نحو العاصمة على رأس من تكمن من جمعهم من الرجال . فصده قسطنطين دوكاس ابن القيصر يوحنا . والتبع رومانوس الى قلعة تيروبويون Tyropoion . وكاد يخسر كل شيء ولكن دوق

١ اومن ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٨ .

Psellus, M., Chron., II, 161-162; Michel d'Attalie, 159 ff; Laurent, J., ٢  
op. cil., 1-44; Dolger, F., Regesten, 972; Ostrogorsky, G., Gesch. des  
Byz. Staates, 243-244.

انطاكية مدّه بالمساعدة فأنقذه وقام به إلى قيليقية ليستعدا معاً للمقاومة . وفي بدء السنة ١٠٧٢ أكره رومانوس على الدخول إلى ادنه والاعتصام بها . ثم سلّم شرط ابقاءه في قيد الحياة . ولكن القيصر يوحنا أمر بقص شعره وسلم عينيه ثم نفاه إلى دير في جزيرة بروتي حيث مات بعد قليل<sup>١</sup> .

وكان ميخائيل السابع مهذباً مثقفاً ، يحب العلم ويكرم العلماء ، ولكنه كان خواراً متربداً بعيداً عن الجيش لا يرغب في الحرب والقتال . وتمكن الحبي نيقيفوريوس دوق انطاكية من الوصول إلى القصر والسيطرة على ميخائيل ، فأبعد بسلوس عن القصر ، وأزال الحظوة عن القيصر يوحنا . ثم انصرف إلى جمع المال فاستحوذ على تجارة القمح واحتكرها . ثم رفع الأسعار فضائق العباد ، فنال ميده ميخائيل لقب Parapinakes ومعناه أبو الربعة . والسبب في هذا أن الناس أصبحوا نتيجة لاحتكار الخبطة يتذعون ربع المد بالقيمة نفسها التي كانوا يدفعونها من قبل لشراء مدي كامل<sup>٢</sup> .

الأتراك السلجوقة : وتدل المصادر العربية والاسلامية على أن يوم منزىكرت أقر السلجوقة في أرمينية نهائياً ، وأمّلهم في الاستيلاء على مناطق الراها وانطاكية . وفيما سوى هذا اعترف ألب ارسلان بالوضع الراهن ، وبالغ في احترام الفسليفس الاسير واطلق سراحه محلاً بالمهدايا<sup>٣</sup> . وبدلاً من أن يتبع النصر بالنصر في آسية الصغرى ، قام ألب ارسلان

*Psellus, M., Chron., II, 168-172 ; Bréhier, L. Byzance, 281-282.*

١

*Laurent, J., Byzance et Antioche, (Revue des Etudes Arménienes, 1929), 64-65 ; Cedrenus, G., Synopsis, II, 444-445.*

*Laurent, J., Byzance et les Seljoucides 95 ; Cahen, Claude, La Campagne de Menzikert, (Byzantion, 1934), 636-639.*

إلى حدوده الشرقية وتوفي عندها (١٠٧٢). فتولى الحكم بعده ابنه جلال الدولة ملکشاه . ويستفاد من هذه المراجع الاولية وغيرها أن الروم انفسهم تشاغلوا عن حماية حدودهم الشرقية والجنوبية ، ولهوا بطامع قادتهم وأمرائهم ، وأن الجنود تركوا الحدود والتغور ليؤيدوا هذا أو ذاك في حروب داخلية ، بما أتاح للسلاجقة أن يتفوقوا عصابات عصابات للنهب والسلب<sup>١</sup>.

وطمع روس دی بايول النورمندي في السنة ١٠٧٣ بالاستقلال في مناطق قونية وانقرة . فاستعان ميخائيل السابع بالسلاجقة . فدخل منه الف من هؤلاء بقيادة سليمان قطامش فقشو البلاد حتى خفة البوسفور (١٠٧٤) . ووقع روس النورمندي في الأسر ثم افتدى نفسه وجمع حوله عصاباته من جديد وحارب الاتراك والروم في منطقة سيواس . فهرع اليه اليكسيوس كومينيوس باسم الفيلبس لاخضاعه . وظهر في هذه اللحظة قائد تركي جديد تتخ ( طوطاخ ) بجموع سلاحه جديدة فاستعان به اليكسيوس وقضى على روس وعلى حركته النورمندية . ولكن هذا النصر جاءَ على حساب الروم لأن طوطاخ وجماعاته استقروا في قبدوقيا<sup>٢</sup>.

**نيقيفوروس الثالث (بوتانيات)** ( ١٠٧٨ - ١٠٨١ ) وبينما كان السلاجقة يزدادون قوة وتقديماً في أراضي الروم كاد كل قائد من قواد هؤلاء ينادي بنفسه فسيلفساً . وأهم هؤلاء القادة الطامعين نيقيفوروس بريانيوس Bryennius في البلقان ، ونيقيفوروس بوتانيات Botaniates في آسيا الصغرى . وقبل هذا في صفوفه عدداً كبيراً من الاتراك السلاجقة ، فاستولوا باسمه على قيزيقية ونيقية ونيقوميدية وخريسبوليس واستقروا

Laurent, J. op.cit., 63 ; Cahen, op. cit., 641.

١

Chalandon, F., Alexis Comnène, 30-31.

٢

فيها<sup>١</sup>، وكانوا لا يزالون جيوشاً مرتبة في خدمة الروم . وتدخل الشعب في العاصمة لوضع حد لهذه الفوضى . واهتم رجال الدين للأمر نفسه . فنادى اميليانوس بطريرك انطاكية ، الذي كان آئذن<sup>٢</sup> في العاصمة ، بنيقيفروس بوقانياتس فسيلفساً . ونزل ميخائيل السابع عن العرش ولبس ثوب الراهبة<sup>٣</sup> . وكان نيقيفروس الثالث عسكرياً لاماً فطناً متبرراً في الامور ولكنه لم يتمكن من اعادة النظام الى صفوف الجيش . وطبع نيقيفروس ميليسانوس في الحكم وثار على نيقيفروس الثالث . فحالف سليمان ابن قطلمش على شروط اهمها ان يقدم سليمان الرجال للزحف على القسطنطينية « فيستولي » على نصف المدن والمقاطعات التي تستخلص من يد نيقيفروس<sup>٤</sup> . فرحب بهؤلاء من سباقهم من اخوانهم الى ضفة مرمرة والبوسفور من تربع في المدن المشار اليها اعلاه باسم نيقيفروس الثالث نفسه . فأرسل هذا قسطنطين اخا ميخائيل السابع بجيش لخاربة السلاجقة وآخر اجهم من المدن التي امتنعوا فيها ، فعاص قسطنطين بدوره وطالب بالعرش .

**البابا غريغوريوس السابع :** ( ١٠٧٣ - ١٠٨٥ ) وعلى الرغم من الانشقاق الذي وقع في السنة ١٠٥٤ بين فرعي الكنيسة الرئيين ، فان العلاقات بين الفسيفس والبابا لم تنتفع . ولذا فان ميخائيل السابع كتب الى غريغوريوس السابع يطلب المعونة ضد الاتراك السلاجقة واعداً بالسعى لاعادة العلاقات بين الكنسيتين الى ما كانت عليه قبل الانشقاق . قبل البابا اقتراح الفسيفس وارسل الى القسطنطينية رئيس اساقفة البندقية يمثله فيها ( ١٠٧٣ ) . وقام هو في الغرب يدعو الى حملة عسكرية يكون هدفها تحرير الكنائس الشرقية من تسلط المسلمين . ولكن دعوة البابا

Attaliates, 241, 266-269, 276-278

١

Bréhier, L., Byzance, 275-287.

٢

Laurent, J., op. cit., 98.

٣

لم تلق آذاناً صاغية ، فعدل الخبر الروماني عن مشروعه العظيم<sup>١</sup> .

وأتصل ميخائيل السابع في الوقت نفسه بروبر غيسكار النورمندي خاطباً أحدي بناته لأخيه قسطنطين . فرفض غيسكار هذا التحالف العائلي . ثم رزق ميخائيل ولداً ذكرأً وريثاً فأعاد الكرة وخطب أحدي بنات غيسكار لولي العهد . فوافق غيسكار ، وقادت الأميرة الصغيرة إلى القسطنطينية حيث دعيت هيلانة . ثم جاء انقلاب السنة ١٠٧٨ فقضى على هذا التحالف . وأمر نيقفروس الثالث باقامة الأميرة النورمندية في دير من الأديار . فغضب ميخائيل السابع كلّ من البابا وغيسكار . فحرم البابا غريفوريوس السابع نيقفروس الثالث ، وأعلن غيسكار نفسه مدافعاً عن حقوق الفسiliques المخلوع<sup>٢</sup> .

**ارمينية الصفوی:** وكان الروم قد استولوا على ارمينية الكبرى واكرهوا الاسرة الازرؤنية على التخلي عن الحكم في السنة ١٠٢٢ ، كما أكرهوا الاسرة البغراتية على الامر نفسه في السنة ١٠٤٥ والسنة ١٠٦٤ . وكانوا قد أخفقوا في الدفاع عن الارمن ضد الاتراك السلجوقة . وجاءت موقعة متسيكرت في السنة ١٠٧١ فاحتفظ احد قادة الروم براخاميوس فيلاريتوس Brakhamios Philaretos الارمني الاصل بجنوده المرتزقة . وكان عدد هؤلاء لا يقل عن ثانية آلاف جلهم من الفرنجة . وامتنع فيلوتة هذا عن الاعتراف بميخائيل السابع واعتصم بجبل مرعش . وأراد في السنة ١٠٧٣ ان يفرض سلطته على طورنيق ابن موشيل Thornik Mouchel زعيم ساسون ولكنه خسر المعركة وفقد احد كبار زعماء جنوده الافرنج .

Dolger, F., *Regesten*, 988 ; Mansi, *Amplissima Collectio*, XX, 74-75. ١  
100, 153 ; Chalandon, F., *Domination Normande*, I, 235-236.

Dolger, F., *Regesten*, 939, 1003 ; Anne Comnène, *Alexiade*, I, 10-12 ; ٢  
Grégoire VII, *Registre*, I, 330.

فاستعاد بالاتراك السلاجقة وقضى على طورنيق واقتسم امواله مع أمير ميافارقين ( ١٠٧٤ ) . وتنطع اوصال دولة الروم في هذه الفترة فأصبح فيلرية ، بقوته العسكرية وبصفته المسلكية العسكرية العالية ، الممثل الوحيد الفعال لسلطنة الفسليفوس الشرعية في مناطق الحدود الجنوبية . وكثير قصاده ، وعلت مكانته في أعين الموالين للروم في هذه المناطق ، فانقاد الناس اليه وتعاونوا معه وشدوا ازره ، فبلغت قواته العسكرية ثلاثين ألفاً ، وامتد سلطانه من خربوط شرقاً حتى طرسوس غرباً . وفي السنة ١٠٧٧ أرسل أحد ضباطه باسيليوس ابن أبي خاب الى الراها ليحكمها ويدبر شؤونها ، فصدح حاكمها عن ذلك ولكن اهلها ثاروا على هذا وذبحوه وسلموا المدينة لممثل فيلرية . وجرى مثل هذا تماماً في انطاكية ، ففي شتاء السنة ١٠٧٨ - ١٠٧٩ قام سكانها الروم على حاكمها الارمني فاساك باهلافوني Vassak Pahlavouni فقتلواه وطلبوه الى فيلرية ان يتولى امرهم ففعل<sup>١</sup> . اما شيزر حصن الروم على العاصي بالقرب من حماة فانها سقطت في يد علي ابن منقذ في التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٠٨١ . واعترف نيقيفروس بالواقع فحكم فيلرية باسم الفسليفوس جميع هذه المناطق واسس بذلك ارمينية الصغرى<sup>٢</sup> .

ثورة اليكسيوس كومينيوس : ( ١٠٨١ ) ولم يوفق نيقيفروس الثالث في مسعاه . وتطورت احوال الدولة من سيء الى اسوأ . وتزوج الفسليفوس للمرة الثالثة واتخذ مريم زوجة ميخائيل السابع زوجة له . وكان ميخائيل لا يزال في قيد الحياة ، فلم يرض الشعب . ثم ثار ثائره عندما

*Mathieu d'Edesse, ch. 107, 175-176 ; ch. 116, 180-181 ; ch. 111, 178-179.* ١

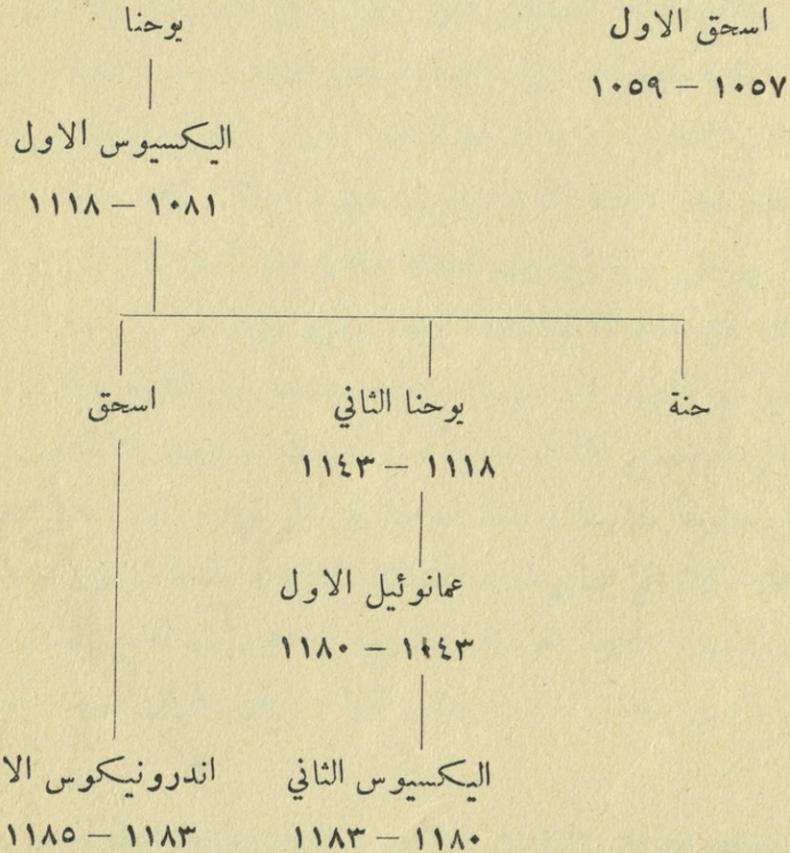
*Laurent, J., Byzance et Antioche, (Rev. des Etudes Arméniennes), 2  
1929, 69-07 ; Groussel, R., Emp. du Levant, 176-181.* ٢

علم ان نيقيفوروس سيجعل ابن عم له بدلاً من قسطنطين ابن ميخائيل السابع . وخشيته اسرة كومينيوس ما كان يدبر لها وزراء نيقيفوروس من دسائس ومكائد ، فانتهزت هذا الظرف وخرج اليكسيوس وانحوه من العاصمة في منتصف شباط من السنة ١٠٨١ الى تشرلو حيث

اسرة كومينيوس

( ١٠٨١ - ١١٨٥ )

عمانوئيل



كانت تجتمع قوى الجيش لمحاربة السلاجقة . ولدى وصولها نادى الجندي  
باليكسيوس فسيلفسً . وفي اواخر اذار ظهر الفسيلفس الجديد بجنوده  
امام اسوار العاصمة ، فانحاز اليه القائد ميليسينوس ، وخات المرتبة  
الالمانيون نيقيفوروس ، فدخل اليكسيوس كومينينوس العاصمة في اول  
نيسان سنة ١٠٨١ وتنازل نيقيفوروس ودخل الدير وعاش راهباً باقي عمره .

الفصل التاسع والعشرون  
اليكسيوس الاول كومينيوس  
( ١٠٨١ - ١١١٨ )

شخصه : وجاء في كتاب الاليكسياذة لخالة ابنة اليكسيوس كومينيوس ان والدها الفسيلفس تبوأ العرش في الثالثة والثلاثين من عمره ، وانه كان قصيراً ، مهليء الجسم ، قاسي الوجه ، أسود اللحمة ، برأس العينين ، ثاقب النظر . وتعترف حنة بانه كانت ينقص والدها شيء من الهيئة والوقار حين يخالط القوم ويترج معهم ، ولكنها كان جليلأ عظيماً عندما يستوي على عرشه ويتولى السلطة ويحكم بين الناس<sup>١</sup> .  
ويستدل من هذه الاليكسياذة ايضاً ومن غيرها من المراجع الاولية ان اليكسيوس الاول كان مهذباً مثقفاً ، متضلعأ من الفلسفة واللاهوت ، سريع الحاطر ، فصيح اللسان خطيباً ، وانه كانت دمث الاخلاق سلساً حلو المعشر عطوفاً رؤوفاً رحيمأ سمحاً في كل شيء ما عدا العقيدة الدينية . فانه كان فيما يظهر شديد التمسك « بالعبادة الحسنة الارثوذكسيه » ، مندفعاً في سبيلها ، محارباً المهرطقة والخروج على مقررات الجامع المسكونية . وظل اليكسيوس يتغنى الحرب وينحن اليها ، وبقي طوال عهده يعطف

✓ Anne Comnène, Alexiade, I, 110.

على الجنود ويرعاهم بعانته . وظل هؤلاء بدورهم متعلقين به متفانين في سبيله . وكان الفسيلفس الجديد مفاوضاً من الطبقة الاولى ، يخاطب كلّا باللغة التي يفهم ، كما كان سياسياً محنكأً يجيد فن التفرقة ويحسن اساليب التقريب والجمع . وكان لبقاً للغاية ، لا كذوباً كما اتهمه بعض المتطفلين على التاريخ من كتاب الفرنجة الذين لا يدرؤون ، ولا يدرؤون انهم لا يدرؤون<sup>١</sup> .

مطامع النورمنديين الايطاليين : وكان ميخائيل السابع ، كما سبق ات أشرنا ، شديد الرغبة في التحالف مع البابا والنورمنديين الايطاليين للصمود في وجه الاتراك السلجوقة . وكان قبيل نزوله عن العرش قد خطب ابنة روبر غيسكار النورمندي الايطالي لابنه وولي عهده قسطنطين واستقدمها الى القسطنطينية . وكان روبر غيسكار يطمع في توسيع دولته الايطالية عبر الادرياتيك . فلما أُنزل ميخائيل عن العرش أعلن روبر غيسكار نفسه مدافعاً عن حقوق هذا الفسيلفس . وكان ما كان من أمر نيقيفروس الثالث ومن أمر الفوضى التي عمّت جميع أنحاء دولة الروم . فعمد روبر في ربیع السنة ١٠٨١ الى تحقيق مطامعه عبر الادرياتيك ، فأنفذ ابنته بوهيمند بطلايئر الجيش الى أفلونية Avlona وقام هو بنفسه على رأس الجيش الى إبيروس<sup>٢</sup> .

وكان اليكسيوس الاول يخشى الاتراك السلجوقة في آسية الصغرى ، وينظر بعين الخدر الى مطامع البشناق عبر الدانوب . ولم تكن نفسه مطمئنة لوقف السكان في ساطىء الادرياتيك الشرقي . أما خزينته فقد كانت خالية ، وجيشه كان مضطرباً ضعيفاً لا يعتمد عليه . وكانت يعلم

ان امبراطور الغرب هنريكسوس الرابع كان لا يزال معوزاً فأرسل وفداً يقدم اليه مبالغ من المال كبيرة ووعوداً سياسية عظيمة، ويطلب في الوقت نفسه تدخلاً في ايطالية ضد العدو المشترك روبر غيسكار<sup>١</sup>. ثم اتصل بالبنادقة وأبان لهم الخطر المدحى بهم وبتجارتهم من احتلال النورمنديين لشاطئ الادرياتيك عند مداخله، ووعدهم بفتح جميع مرافيع الدولة لراكبهم وتجارتهم ما عدا البحر الاسود، وأعنى جميع بضائعهم الداخلة الى هذه المرافع والخارجة منها من جميع الضرائب. فدخل البنادقة معه في حلف عسكري شاملٍ ضد النورمنديين<sup>٢</sup>.

وكان روبر قد احتل جزيرة كورفو وفرض الحصار على مدينة ديراتزو وذلك في حزيران من السنة ١٠٨١. فعزم اليكسيوس على ان يقوم بنفسه الى منطقة القتال لفك هذا الحصار. فأُسند الحكم الى والدته حنة دلسانة وعين لوغوثيتاً قديراً يعاونها في ذلك<sup>٣</sup>، وقام الى جبهة القتال. ورأى كبار القادة ان يحصر النورمنديون المحاصرون بين اسوار ديراتزو والبحر وان يضيق عليهم هذا الحصار فتضطرهم فلة المؤن الى طلب الصلح. ورأى غيرهم من كانوا دونهم سنًا وخبرة ان يصار الى القتال حالاً. فأُصفع اليكسيوس الى هؤلاء فأخفق اخفاقاً ذريعاً وسقط ديراتزو في يد النورمنديين في الحادي والعشرين من شباط سنة ١٠٨٢. وكان من الطبيعي ان يتوجه روبر بجيشه نحو القسطنطينية. وما ات وصل الى كستوريه حتى تسلم رسالة من البابا غريغوريوس السابع يتبئه فيها بقدوم الامبراطور هنريكسوس الرابع الى ايطالية ويرجو معونته. وعلم روبر

Anne Comnène, op. cit., I, 133-136.

١

Dolger, F., Regesten, 1081.

٢

Diehl, C., Un Haut Fonctionnaire Byzantin, (Mélanges Jorga, 1933), ٣  
217 ff.

٣

ايضاً ان بعض زعماء النورمنديين في ايطالية شقوا عصا الطاعة ، فوكل  
 أمر القيادة الى ابنه بوهيوند وعاد الى ايطالية . ولم يتبع بوهيوند  
 الزحف على القسطنطينية بل اتجه جنوباً وحاصر يينية . وجيش اليكسيوس  
 جيشاً جديداً وقام الى الجبهة يعيّد الكرة في ايار السنة ١٠٨٢ ولكن  
 أُخْفِقَ مَرَّةً ثَانِيَةً . فاحتل بوهيوند منطقة البِحَيرات وسيطر على جميع  
 مقدونية الغربية ثم نزل الى ثيساليا وحاصر لاريسة . فجاءه اليكسيوس  
 في ربيع السنة ١٠٨٣ وأتاه بالحيلة فأُبَلَسَ ميليسنوس احد رجاله ثياب  
 الفسيفس واحاطه بالمية والوقار وجعله ينزل بوهيوند . وتحادل ميليسنوس  
 امام بوهيوند ، فلحق به القائد النورمندي ، فابتعد عن قاعده ، فسطأ  
 عليها اليكسيوس وأنتف ما فيها . فاضطر بوهيوند الى ان يتراجع نحو  
 الشاطئ . وكانت مراكب البنادقة قد اوقعت مراكب النورمنديين خسارة  
 كبيرة في بحر الادرياتيك ، وتآخرت جماجمة العساكر والضباط ،  
 فاستغل اليكسيوس هذا الموقف وأوغر صدور هؤلاء الضباط كـ اغدق  
 على بعضهم المال ليعودوا الى ايطالية . فاضطر بوهيوند الى ان يذهب  
 الى ايطالية بنفسه لتأمين اعطيات الجندي وضباطهم . فاضطربت احوال الجيش  
 النورمندي واستعاد اليكسيوس كستوريه في خريف السنة ١٠٨٣ . وعاد  
 روبر الى القتال في السنة ١٠٨٤ وأنزل بالبنادقة خسائر كبيرة واحتل  
 كورفو ثانية . ولكن وباء حلّ في صفوف الجيش فشل كل حركة  
 عسكرية . وأعاد روبر الكرة في صيف السنة ١٠٨٥ ولكنـه توفي في  
 الجبهة . وكان روبر قد خص ابنه الاصغر روبر بالملك بعده فنشبت حرب  
 اهلية اوقفت كل عمل عدائي ضد الروم<sup>۱</sup> .

Anne Comnène, Alexiade, II, 7-57 ; Chalandon, F., Alexis Comnène, ۱  
 83-91.

ثورة مانوية بتشناغية : ( ١٠٨٤ - ١٠٩١ ) وكان يوحنا جيمسكي قد سبا جماعات من المانويين من حدود الدولة الشرقية الجنوبية الى منطقة فيليي في البلقان . وحافظ هؤلاء على عقيدتهم الخاصة فلم ينسجوا مع الروم وأصبحوا مشكلة سياسية داخلية . وفي الحرب النورمندية افتروا خيانة ضد الدولة وانسجوا من ساحة القتال في آخر الاوقات . فاغتاظ اليكسيوس واستدعى زعماء المانويين اليه وأنزل بهم أشد الوان العذاب . فقضب قومهم لهم واعلنوا ثورة على الحكم ( ١٠٨٤ ) واستعنوا بالبشناخ . فعبر هؤلاء الدانوب مخررين محرقين ، وما فتئوا كذلك حتى مداخل ادرنة والى مسافة قصيرة من شاطئ مرمرة . وقدر للروم ان يصدوا في وجههم في السنة ١٠٨٦ والسنة ١٠٨٧ فارتدوا على اعقابهم الى ما وراء الدانوب . ورأى اليكسيوس ان يستغل هذين النصرتين فأعاد حملة كبيرة . وقطعت جيوشه البلقان الى الدانوب ، وقام اسطوله عبر البحر الاسود الى مداخل هذا النهر . وكانت موقعة كبيرة امام دريسترة في صيف السنة ١٠٨٦ . فانكسر الروم وخسروا رداء العذراء العجائبي . واخضط البشناخ الى ان يحاربوا من جاورهم من القبائل عبر الدانوب فلم يعودوا الى الحرب مع الروم قبل السنة ١٠٨٩ ، وفيها وصلوا ثانية الى مداخل ادرنة ، فاضطر الفسليفوس الى ان يشتري السلام شراءً . ولكن البشناخ عادوا الى الحرب في السنة ١٠٩٠ وهددوا العاصمة نفسها . واستد القتال وطال أمده فاستعان الروم باعداء البشناخ : قبيلة البولوف Polovtzes . وكانت موقعة حاسمة في التاسع والعشرين من نيسان سنة ١٠٩١ عند نهر الابورنيون Leburnion فانهزم البشناخ وتراجعوا ليقعوا في قبضة البولوف ، فكانت مجزرة كبيرة .

ازدياد نفوذ الاتراك السلاجقة : وفي اثناء هذا كله ، بينما كان  
 اليكسيوس يحارب النورمندين في الغرب ، والبتشناق في الشمال ، كان  
 الاتراك السلاجقة يزدادون نفوذاً وسلطاناً في آسية الصغرى وفي شمالي  
 سوريا . فاصبح حق الفسليف في السيادة على سليمان ابن قطمش حقاً  
 نظرياً لا فاعلية له . واتخذ هذا لقب سلطان وشرع يوسع حدود منطقته  
 ويعلم وكأنه دولة مستقلة . فاحتل انطاكية في كانون الاول من السنة  
 ١٠٨٤ دون ان يبدي اليكسيوس ايّة حركة . ثم تطاول على فيلرته  
 وبسط سلطنته على جميع امارته<sup>١</sup> . وعيثاً حاول فيلرته ان يحتفظ بسلطته  
 بتقبل الدين الاسلامي<sup>٢</sup> . وما ان طالب امير حلب سليمان بمال الذي  
 كان يدفعه فيلرته له حتى قام اليه بجيشه وفرض سلطته عليه . فدب  
 الذعر في نفوس سائر امراء سوريا . وجيش تتش امير دمشق وقام الى  
 حلب فنازل سليمان بالقرب منها في شهر تموز من السنة ١٠٨٥ وقضى  
 عليه . وما ان توفي سليمان ابن قطمش حتى رفض معظم الامراء الذين  
 كانوا قد دخلوا في حكمه ان يقرروا بالطاعة لابنه وولي عهده قلوج  
 ارسلان . فسادت الفوضى جميع ارجاء سلطنة سليمان (سلطنة الروم  
 فيما بعد) . وأنفذ ملكشاه قوة الى سوريا وأعاد توزيع الاقطاع والسلطة  
 فيها . وغضب جلال الدولة ملكشاه على وزيره الكبير نظام الملك ودسَّ  
 اليه من قتلها ، ثم توفي هو في التاسعة والثلاثين من عمره (١٠٩٢) .  
 فاضحلت عظمة الدولة السلجوقية وتفكركت اواصرها . وكان الخليفة المستظر  
 قد أقر ابن ملكشاه الرضيم في السلطنة فطلبها اخوه بركياروق فقام  
 عليه عمه تتش . فبذر التشويش وعممت الفوضى سوريا والعراق . وأحب

Anne Comnène , op. cit., II, 64; Laurent, J., Byzance et Antioche, Rev. ١  
 Etudes Arm., 1829, 71-72.

Laurent, J., Byzance et les Turcs Seljoucides , 85-86.

اليكسيوس الفسليفس ان يستغل الموقف لصالحه وصالح الروم ، ولكن الغرب كان قد بدأ يتمخض بالحروب الصليبية .

**الروم والصلبيون :** ولم يكن امر الجهاد في سبيل الدين امراً مستحدثاً جديداً . فمنذ ان تصرت الدولة الرومانية أصبح رئيسها حامي الدين بجاهداً ومبشراً ايضاً . ولم تنطبع حروب النصارى وحدهم بهذا الطابع الديني . فيحروب الفرس ضد الروم كانت تحمل ايضاً طابعاً دينياً خاصاً . وحروب العرب كانت في اساسها حروباً دينية لا قومية كما سبق ان أشرنا . ولكن الجديد في الحروب الصليبية كان اشتراك جميع الطبقات فيها لغرض ديني معين . ولا يختلف اثنان فيما نعلم في ان بعض الصليبيين اندفع بدوافع مادية غير دينية ، ولكن التيار الجارف ظل دينياً في الدرجة الاولى .

والحروب الصليبية كانت حروباً غربية قبل ان تكون حروباً شرقية . والمحرك الاكبر فيها كان البابا او ربانوس الثاني ( ١٠٨٨ - ١٠٩٩ ) . فانه خشي فيها يظهر تجدد النشاط الاسلامي بظهور الاتراك السلاجقة وبانتصار اتهم المتواترة ، وآلمه ضغطهم المتزايد على الكنائس الشرقية ، فأحب ان يتحد جميع ملوك النصارى وامراءهم وشعوبهم في حملة واحدة لتحرير هذه الكنائس الشرقية ولحماية القبر المقدس وتأمين سبل الحجاج . فسعى منذ ان تبوا السدة الرومانية لتقريب القلوب بين فرعى الكنيسة الام . ورفع الحرم الذي كان قد وضعه سلفه غريغوريوس السابع على اليكسيوس فسليفس الروم . وأرسل وفداً الى القسطنطينية يعلن هذه السياسة الجديدة ويرجو السماح باستعمال الفطير في كنائس القسطنطينية اللاتينية واعادة اسمه

الى الذبيحة<sup>١</sup>. وتقبل اليكسيوس الفسليفس والبطريرك المسكوني هذه  
 البادرة الطيبة بحرارة وأرسلوا وفداً الى روما يرجو حبرها العظيم ان  
 يشرف القسطنطينية ويرئس معاً مسكونياً يعيد المياه الى مجاريها . وهب  
 اكليريكي امالفي اللاتيني ورئيس اساقفة اخريدة الارثوذكسي يبينان خسة  
 التخاصم حول «الطقوس» عندما تكون العقيدة «واحدة»<sup>٢</sup>. وعلم  
 مناويء اوربانوس الثاني وخصمه اقليميس الثالث بهذا كله فعرض على  
 الفسليفس ان يوقع هو صك الاتحاد بين الكنيستين . ولكن اليكسيوس  
 آثر الامانة لاوربانوس لان الفضل في ذلك عائد اليه . فشاغب البابا  
 المناويء ، فلم يتمكن اوربانوس من القيام الى القسطنطينية<sup>٣</sup>. وهكذا  
 يكون الواقع التاريخي ان اليكسيوس لم يتسلس حرباً حلية ولم يحث  
 الغرب عليها « ليقلب لها ظهر المجن » كما جاءَ في بعض المؤلفات الحديثة .  
 وفي اوائل توز من السنة ١٠٩٦ وصلت الى البلقان جموع بطرس  
 الناسك ناهبة مقتلة مخرّبة . وتقدمت هذه الجموع نحو القسطنطينية فرحب  
 بها الفسليفس واكرمنها ، واستقبل بطرس الناسك واوضح له وجوب  
 الانضباط واحترام حقوق السكان . وكان اتباع بطرس قد أقاموا خارج  
 اسوار المدينة ، فعاثوا في الضواحي فساداً وخرقوا حرمة الكنائس . فرأى  
 اليكسيوس ان يجاههم بجيشه الاتراك السلاجقة عبر البوسفور لعلهم  
 يفهون . وما ان حطت رحالهم في آسية حتى هاجموا الاتراك ، فبدد  
 هؤلاء شتمهم . فارعوا وكفوا عن القبيح ورضوا ان يعودوا الى ضواحي  
 القسطنطينية عزّلاً .

*Malaterra, G., Historia Sicula, P. L., 149; Bréhier, L., Byzance, 307.* ١

*Michel, A., Amalfi und Jerusalem, 34-37; Holtzmann, Kaiser Alexios und* ٢

*Papst Urban II, Byz. Zeit., 1928, 38 ff.*

*Bréhier, L., Byzance, 310.*

٣

وفي صيف هذه السنة نفسها قذف البحر الى ساطيء إبيروس اخا ملك فرنسة هوغ دي فارمندوی Hugues de Vermandois ، فوقع في ايدي الروم ونقل الى القسطنطينية . فاحاطه اليكسيوس بشيء كثير من الاعلام والاحترام ، ورأى فيه خير وسيط بينه وبين زعماء الصليبيين القادمين . وزاد في اكرامه فتعلق الامير الافرنسي بالفسيلفس وبابيعه على الطاعة والولاء .

ثم جاء في كانون الاول من هذه السنة نفسها غودفروي دي بويون Godefroy de Bouillon بجموعه . وكان اليكسيوس قد سمع بشجاعته وثرائه وكرمه فأكرمه . ولكن غودفروي رفض مبايعة الفسيلفس . فقوترت العلاقات بين الاثنين . وقلت المؤونة لدى اتباع غودفروي خارج اسوار العاصمة ، فلتجأوا الى العنف وارادوا اقتحام احد مداخل القسطنطينية . فصدتهم الروم بالقوة وتغلبوا عليهم . فأخذوا الى السكينة . ودعا الفسيلفس الزعيم الصليبي الى مأدبة اقيمت في القصر المقدس على شرفه ، فبائع غودفروي الفسيلفس على الطاعة والولاء ، ومضى في نيسان سنة ١٠٩٧ بجموعه الى آسيا .

وفي ربيع السنة ١٠٩٧ أطل بوهي蒙د النورمندي الايطالي ، فأعلن فور وصوله استعداده لمبايعة الفسيلفس على الطاعة والولاء ورغبة الاكيدة في التعاون مع الروم الى اقصى الحدود . وكان بوهي蒙د قد حارب اليكسيوس في ألبانيا وفي اليونان ، كما سبق ان أشرنا ، فاعتذر علاقاته مع الروم في باديء الامر شيء من الخدر والبرودة . ولكن شخصيته الجذابة ومواهبه الكبيرة ونجاحه في التظاهر بالصدق والاخلاص عاونت على ازالة هذا الخدر وذلك الفتور . فقد قالت ابنة الفسيلفس صاحبة الاليكسيدا ان بوهي蒙د فاق جميع رجال عصره في جميع انجاء الامبراطورية جسماً وروحًا ومقدرة . وأعجبت على الرغم من كرهها للعنصر اللاتيني بلينيه

ومرونته ولباقة ومقدرته في التعبير وفضاحته . ولم ترَ أَفضل منه سوى والدها العظيم . وزال الشك وتقاهم الكبار ، واستقبل الفسيلفس ضيفه واهدى اليه شيئاً كثيراً من الذهب والدرام والاقنعة النفيسة ، ثم ارسل اكثر منها الى محل اقامته . فاغبط بوهيموند بما أُتي من نعمة وطلب الى الفسيلفس ان يدخل في خدمته ويتولى قيادة جيوشه . فاجابه اليكسيوس ان كل آتٍ قريب وانه بانتظار ذلك سقطعه اراضي فسيحة في منطقة انطاكيه . ولم يتردد بوهيموند في دخوله في طاعة الفسيلفس فاقسم بين الولاية . ثم جاء روبر دي فلاندر Robert de Flandre فدخل في طاعة الفسيلفس . اما ريموند دي سان جيل Raymond de Saint - Gilles فانه وصل مُكدرّاً مسناً غير مستعد لمبايعة اليكسيوس . فأقمعه بوهيموند النورمندي بوجوب الدخول في طاعة الفسيلفس ففعل وأصبح من أخلص اصدقاء اليكسيوس وأشدّهم وفاءً له . وأعجب اليكسيوس بحكمة هذا القومنس واتراه وصدقه واحلاصه واستقامته . أما تنكريد الصقلي Tancrede نسيب بوهيموند فانه لم يرض أن يمر بالقسطنطينية او ان يقسم بين الولاية والطاعة لفسيلفس الروم ، وأعلن ان هذا القسم لا يفرض عليه الا نحو سيده بوهيموند<sup>٢</sup> .

وكان ينقص هؤلاء جميعاً فيما يظهر الشيء الكثير من آداب السلوك وحسن المعاشرة ، فكانوا يدخلون على الفسيلفس في الصباح الباكر ولا يفارقونه إلا في نهاية المساء متطلبين متطاولين او مسترشدين او متهددين مسامرين . وكانوا في كثير من الأحيان متتهكين سفهاء خالعين برفع الحياة ضعفاء

الارادة لا ينتعون عن شيء مما يرغبون فيه ، متكلمين بما لا ينبغي متشدقين<sup>١</sup> . وكان اليكسيوس مثال الدماثة واللطف والصبر . فأحبوه واعجبوا به . وتمكن بصبره ودهائه ولطفه وكرمه من التوصل إلى تفاهم قائم معهم . ففي شهر أيار من السنة ١٠٩٧ وقع الطرفان معاهادة قضت بان يرفع الفسيلفس علم الصليب ، وان يضع تحت تصرف الزعماء فرقاً محاربة ، وان يحمي طريقهم في أثناء مرورهم في اراضي الدولة البيزنطية ، مقابل دخول هؤلاء في طاعته ومبايعته<sup>٢</sup> .

وقام الزعماء الصليبيون من القسطنطينية بما لديهم من رجال وعبروا البوسفور وانضموا إلى جموع غودفروى دي بويون ، وحاصروا نيقية فسقطت في يدهم ، فاستولوا على الغنائم وأعادوا المدينة إلى الفسيلفس . ثم اتجهوا جنوباً مذلين الصعب في قلب دولة السلجوقية ، متعاونين في ذلك مع فرقة بيزنطية بقيادة تتيكيوس Tatikios أحد كبار قادة الروم . وجهز اليكسيوس حملة بحرية بحرية بقيادة يوحنا دوقاس فاستولى على افسس وساردس وازمير واضاليا . وقام الفسيلفس بنفسه على رأس قوة ثانية فاخضع جميع بيزنطية . وغلب قلوج ارسلان وتقوضت اركان سلطنته . واستعاد اليكسيوس قلب آسية الصغرى وشواطئها الغربية<sup>٣</sup> .

مشكلة انطاكية : ونفذ كل من الطرفين المتعاقدين ما نصت عليه المعاهادة وساد الحب والوئام . وقام اليكسيوس من القسطنطينية على رأس جيش قوي ليتحقق بالصليبيين . ولكن بودوان استأثر بالرها وجهاتها ولم يعدها إلى الفسيلفس . وطفى بوهيموند وتحير وطمع بانطاكية وملحقاتها ،

Diehl, C., *Figures Byzantines, Série II, ch. I, 5 ff.*

١

Hagenmeyer, H., *Epistulae et Chartae ad Historiam Primi Belli Sacri Spectantes, XII, 154.*

٢

Anne Comnène, *Alexiade, III, 3-27.*

٣

وكذب على تيكيوس القائد الرومي فقال له ان زعماء الصليبيين لا يضرون الا السوء له ولسيده وحرّضه على الخروج ثم وصيّه بالجن. وقام كربولاً أمير الموصل لصد الصليبيين . فيخسي اليكسيوس هجوماً تركياً جديداً على قتوحاته في آسية الصغرى فعاد الى عاصته<sup>١</sup>. وما ان تربع بوهيموند في انطاكية حتى بدأ يطبع في توسيع امارته . فيحاول في حزيران السنة ١٠٩٩ ان يخرج الروم من اللاذقية . وفي السنة ١١٠٠ هجم على ابامية وحلب ثم مرعش . وكانت هذه قد اعيدت الى الروم بوجوب شروط المعاهدة . وعلى الرغم من وقوع بوهيموند في يد الاتراك اسيراً في نوز السنة ١١٠٠ فان نسيبه تنكريد الذي تولى الحكم في انطاكية في غيابه استولى على طرسوس وادنة . ثم حاصر اللاذقية ثانية عشر شهراً واستولى عليها في السنة ١١٠٢ وأخرج الروم منها<sup>٢</sup> . وأفسد هذا الطبع السياسي مرة اخرى العلاقة بين الكنيسة الارثوذكسيّة والكنيسة اللاتينية . فانه على الرغم مما كان قد حدث في السنة ١٠٥٤ بين البطريرك المسكوني وبابا روما ظل البطريرك الانطاكي يذكر ببابا روما في الذبائح<sup>٣</sup> . ولكن طمع بوهيموند دفعه الى طرد البطريرك الانطاكي يوحنا السابع من انطاكية لانه كان يونانياً والى اسناد هذا الكرسي الرسولي الى القس برnardos فلانسية اللاتيني . ولا صحة في القول بان يوحنا السابع استقال استقالة فشقر كرميه فتنصب برnardos ، لأن يوحنا لم يستقل قبل وصوله الى القسطنطينية ، ولأن استقالته هذه ارتبطت منذ لحظتها الاولى بانتخاب خلف ارثوذكسي له يوحنا الثامن (?) وذلك بالطريقة القانونية المرعية

*Grousset, R., Hist. des Croisades, I, 100 ; Dolger, F., Regesten, 1210.*

١

*Grousset, R., Croisades, I, 382-386.*

٢

*Runciman, S., First Crusade, 237.*

٣

الاجراء آنئذٍ<sup>١</sup>.

وعاد بوهيموند من الاسر في صيف السنة ١١٠٢ واستقر في انطاكية. فطلب اليه اليكسيوس الفسيلفس ان ينفذ شروط المعاهدة المعقودة ويعترف بسلطته على انطاكية، فرفض بوهيموند. فلما جاء اليكسيوس الى العنف وال الحرب. واحتل الروم طرسوس وادنة وبيسترة، وحاصروا اللاذقية وأنزلوا قواتهم في نقاط متعددة على الشاطئ السوري. وهب<sup>٢</sup> السلاجقة للأخذ بالثأر وأوقعوا بالصليبيين هزيمة شنعاء عند الرقة ثم حاصروا الراها. وخشي بوهيموند سوء العاقبة فانسل<sup>٣</sup> من بين قوات الروم البحرية ووصل الى كورفو وكتب منها رسالته الشهيرة الى اليكسيوس الفسيلفس : « وسائل الى القارة الاوروبية وسأجمع اللومبارديين واللاتينيين والامات ومواطني الافرنج فأعود اليك مائتاً مدنك بجثث القتلى وبالدم ، ولن اتوقف الا بعد ان اكون قد غررت رحبي في أرض بيزنطة<sup>٤</sup> ». ووصل بوهيموند الى ايطالية في اوائل السنة ١١٠٥ واتصل بمبر روما ، فرحب به وعين ممثلاً يطوف معه ليسنهض المهم . ثم زار فرنسة فاستقبله ملكها فيليب الاول بالاكرام والاحترام وأظهر اليه . وكان بوهيموند حينها حل<sup>٥</sup> يطعن بفسيلفس الروم ويلقي على عاتقه مسؤولية اخفاق الصليبيين في سورية الشمالية . فاوغر الصدور ضد الروم في عواصم اوروبا وامهات مدنها . ونشأ كره لايكسيوس دام قرونًا طوالاً . وما فتئت اوروبا تلوم هذا البطل الشرقي حتى قام علماؤها يبحثون ويدققون في النصف الثاني من القرن الماضي . وفي خريف السنة ١١٠٧ أنزل بوهيموند اربعة وثلاثين الفاً في أفلونة ، ثم قام الى ديراتزو وبدأ بمحصارها . وما ان فعل حتى هب<sup>٦</sup> اليكسيوس

Grummel, *Les Patriarches d'Antioche du nom de Jean, Echos d'Orient*, XXXII, 286-298; Runciman, S., *First Crusade*, 320-321.

Anne Comnène, *Alexiade*, II, 129-130.

٢

لقتاه براً وبحراً. فقطع اسطول الروم كل علاقة بين بوهيموند وأوروبة الغربية، وحصر الفسيلفس بنفسه بوهيموند في البر. فقتل المؤمن لدى بوهيموند واخضربت جموعه، فاضطر إلى أن يفاوض في الصلح. فآملي عليه الفسيلفس شروطاً أمهما أن يعتبر بوهيموند نفسه أحد رجال الاقطاع في خدمة الفسيلفس، وأن يقسم بين الولاء والطاعة للفسيلفس ولو لي عهده من بعده، وأن يتعذر عن حمل السلاح في وجهه، وأن يحارب في صفوف الفسيلفس كلما قضا الحاجة بذلك، وألا يطمع في توسيع سلطته على حساب دولة الروم، وأن يعيده إلى الروم جميع الأراضي التي كان قد اقتطعها من جسم الدولة، وأن يعيد إليها اللاذقية وغيرها من شاطئ سوريا، وأن يحكم انطاكية باسم الفسيلفس، وأن يكون بطريق كها أرثوذكسيّاً من رجال كنيسة الحكمة الالهية. ثم انعم اليكسيوس على بوهيموند بالهدايا وبلقب سفاستوس<sup>١</sup>.

وعاد بوهيموند إلى إيطالية وتوفي فيها بعد قليل فلم يصر انطاكية ثانية. ورفض تنكريد أن ينفذ شروط هذه المعاهدة، وعاد إلى التوسيع على حساب الروم فاحتل إبامية في السنة ١١٠٦ فاللاذقية وميسرة وجزءاً من قيليقية في السنة ١١٠٨ فجبلة في السنة ١١٠٩. وجرت مفاوضات حول هذه الأمور في طرابلس وفي مدينة القدس فلم تسفر عن شيء. وتوفي تنكريد في السنة ١١١٢ وبقيت مشكلة انطاكية تنتظر الحل طوال القرن الثاني عشر<sup>٢</sup>.

**ملكشاه الثاني وال الحرب التركية:** وتوفي قلج أرسلان في السنة ١١٠٦ فيخلفه ابنه ملكشاه الثاني وتوحدت صفوف السلجوقية وعادوا إلى الأغارة.

Anne Commène, *Alexiade*, III, 228-248.

١

Diehl, C., *Europe Orientale*, 26-27.

٢

وهاجموا فيلادلفية في السنة 1111 وحاصروا نيقية في السنة 1112 وتوعلاوا في اراضي الروم في السنة 1115 . فتصدى لهم اليكسيوس بنفسه في السنة 1116 محاولاً اقتحام قونية . فأحرز نصراً كبيراً عند فيلوميليون وأملأ على ملكشاه الثاني معاهدـة وطـدت اقدام الروم في آسـية الصـغرـى لأول مرـة بعد مـنـيـكـرـت . فاستحوذ اليكـسيـوس على دـوقـيـة طـرابـزوـن وـفـقـمـ منـ ثـيـمة اـرـمـينـيـة ، وـعـلـى كـلـ ما وـقـعـ غـرـبـيـ خطـ اـمـتدـ منـ سـينـوبـ حـتـيـ فيـلـومـيلـيونـ ، وـعـلـى شـوـاطـئـ الـاـنـاضـولـ الـجـنـوـبـيـةـ<sup>١</sup> .

**الـيـكـسيـوسـ وـالـغـربـ** : وـخـلـاـ الجـوـ لـاـيـكـسيـوسـ فيـ اـيـطـالـيـةـ الـجـنـوـبـيـةـ اـذـ اـصـبـحـ هـذـهـ المـنـاطـقـ وـلـيـسـ فـيـهاـ سـيـدـ كـبـيرـ يـدـبـرـ شـؤـونـهـاـ . وـاـشـتـدـ النـزـاعـ بـيـنـ هـنـرـيـكـوـسـ الـخـامـسـ وـالـبـابـاـ باـسـكـالـ الثـانـيـ (ـ1099ـ -ـ1118ـ) وـطـلـبـ حـبـرـ رـوـمـةـ مـعـوـنـةـ الـفـسـيـلـفـسـ . فـأـرـسـلـ اليـكـسيـوسـ وـفـدـاـ مـفـاـوـضـاـ إـلـىـ رـوـمـةـ فـيـ صـيـفـ السـنـةـ 1112ـ . وـكـانـتـ مـحـادـثـاتـ وـوـعـودـ حـوـلـ اـتـحـادـ الـكـنـيـسـيـنـ وـتـوـحـيدـ التـاجـ الـإـمـبـراـطـورـيـ بـيـنـ الشـرـقـ وـالـغـربـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـشـمـرـ . فـالـاـكـلـيـرـوـسـ الشـرـقـيـ أـظـهـرـ اـسـتـعـدـادـاـ تـامـاـ لـلـعـوـدـةـ إـلـىـ ماـ كـانـتـ عـلـيـهـ اـخـالـ قـبـلـ الـانـشـاقـقـ ، ايـ اـلـىـ التـمـشـيـ بـمـوجـبـ قـرـاراتـ الـجـامـعـ الـمـسـكـونـيـةـ ، وـلـكـنـ حـبـرـ رـوـمـةـ لـمـ يـرضـ بـالـتـقـدـمـ بـالـكـرـامـةـ فـقـطـ بـلـ طـالـبـ بـالـسـلـطـةـ<sup>٢</sup> .

**الـسـيـاسـةـ الدـاخـلـيـةـ** : وـكـانـتـ الـفـوـضـيـ قدـ عـمـتـ جـمـيعـ دـوـائـرـ الـدـوـلـةـ ، فـعـمـلـ اليـكـسيـوسـ الـأـوـلـ عـلـىـ اـعـادـةـ النـظـامـ وـتـوـطـيدـ الـأـمـنـ وـتـوزـيـعـ الـعـدـلـ . وـرـأـيـ انـ شـيـئـاـ مـنـ هـذـاـ لـنـ يـكـونـ إـلـاـ إـذـاـ اـسـتـعـادـ هوـ السـلـطـةـ كـلـ السـلـطـةـ إـلـىـ يـدـيـهـ . وـلـمـ يـرضـ بـمـجرـدـ تـسـيـرـ دـفـةـ الـحـكـمـ ، بلـ رـغـبـ فـيـ السـيـطـرـةـ كـيـ يـصـبـحـ سـيـدـ الـمـوـقـفـ فـيـعـيـدـ الـهـيـبةـ وـالـوـقـارـ الـلـازـمـيـنـ لـلـحـكـمـ .

Dolger, F., *Regesten*, 1269 ; Anne Comnène, *Alexiade*, III, 208-209. ١

Patrologia Latina, 127 ( Chrysolaras ), 911 ff; Chalandon, F., *Alexis* ٢  
Comnène, 263 ; Bréhier, L., *Byzance*, 318.

وبدا بالجيش . ولمس نقصاً مخيفاً في عدد الخيالة ونوعهم . فادخل تعديلاً على نظام الاقطاع العسكري وانشأ البرونية . فاقطع الرجال عدداً من القرى وسمح لهم بمحاباة الضرائب فيها شرط ان يقدموا للجيش عدداً معيناً من الفرسان بخيولهم وأسلحتهم . وكان النظام القديم يقضي باقطاع الجنود ارضًا معينة يستغلونها للقيام بالخدمة العسكرية في زمن الحرب . وأضاف الى هؤلاء الخيالة الجدد عدداً من الفرسان المرتزقة . وجاء هؤلاء من شعوب اوروبة ولاسيما السكسون<sup>1</sup> . فاستعراض بذلك عن النقص الذي حلّ بفرق الخيالة من جراء تقلص الدولة في آسيا الصغرى . ثم التفت الفسيفس الى الاسطول فرأى ان معاونة البندقية لم تكن كافية وانه لا يجوز الاعتماد عليها وحدتها فعاد الى انشاء اسطول رومي جديد . ثم رأى ان يعتمد بقيادة قواته البرية والبحرية الى انسبيائه الاقرباء ليضمن بذلك ولاء القادة للعرش .

وكانت طبقة الاشراف قد خسرت شطرًا كبيراً من نفوذها واحترامها في القرن الحادي عشر وكان عدد اعضائها قد قلّ . فأنشأ اليكسيوس طبقة جديدة باللقب افيخم وأعظم كانت مخصصة من قبل لافراد الاسرة المالكة . فمنح هذه الالقاب لعدد كبير من انسبيائه واقربائه . فأحاط نفسه بطبقة جديدة من الاشراف موالية له . وقلّ اكترااث الفسيفس بن بقي من اعضاء مجلس الشيوخ وانشأ مجلساً خاصاً من الاشراف ذوي النسب العالي ومن كبار الموظفين المدنيين والعسكريين . وامتنع بعض الشيوخ وبعض القادة وبعض افراد الطبقة الارستوقراتية القدية ، وكثير النامر فصادر الفسيفس اموال المتأمرين المنقوله وزاد

هؤلاء ضعفاً على ضعف .

وكان دخل الخزينة قد نقص نقصاً فاضحاً لأسباب منها : كثرة الحروب الداخلية والخارجية ، وتقلص مساحة الدولة ، وقلة التباج في الاريف . فأمر اليكسيوس بمحسج جديد وضمَّ إلى أملاك الدولة جميع الأراضي التي احتلها الكبار دون حق شرعي<sup>١</sup> . ثم جاءَ إلى تزييف النقد فسكَّ نقوداً لا تحمل القيمة نفسها من معدنها التي كانت تحملها قطع العملة السابقة . وفرض الضرائب على أساس العملة الجديدة ولكن جباها بقيمة العملة الصحيحة . فأحدث عمله هذا اضطراباً في الأسواق وهياجاً في النفوس بما حمله على إعادة النظر في الضرائب بين السنة ١١٠٦ والسنة ١١٠٩ وطرق جبايتها . وعدل اليكسيوس في فرض الضرائب وجبايتها فقلَّ الاعفاء وتساوى القوم<sup>٢</sup> . وكثير دخل الخزينة فأورث الفسيلفس ابنه جيشاً منظماً مدرباً ومملاً وافراً<sup>٣</sup> .

**اليكسيوس والدين والكنيسة :** وكان اليكسيوس شديد الورع والتقوى وكان يحب علم اللاهوت ويناقش فيه ويؤلف في بعض مسائله . وكانت ابنته حنة صاحبة الاليكسياذة تعجب بسعة اطلاعه في هذا العلم وبتقواه فجعلته « ثالث عشر الرسل »<sup>٤</sup> . وما يروى عنه في هذا الشأن ان جنوده في ابان الثورة التي اوصلته الى العرش هبوا العاصمة وسلبوا وسبوا . فهبه<sup>٥</sup> اليكسيوس بعد ان استوى على عرشه يحمل نفسه وافراد اسرته صوماً وتقشفاً وغير ذلك ليكفر عمما جرى .

Roullare, G., *Un Ouvrage Recent sur l'Etat Byzantin, Rev. de Philologie*, 1942.

Chalandon, F., *Alexis Comnène*, 302.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 31-33.

Anne Comnène, *Alexiade*, II, 300.

٢

٣

٤

وفي السنة الاولى من ملكه استقال البطريرك المسكوني فزما  
 الاوروشليمي لانه كان قد قضى حياته كله في الزهد بعيداً عن العالم  
 ومشاكله فلم يرق له البقاء في سياسة الكرسي . ففي الثامن من شهر ايار  
 ١٠٨١ أَكمل خدمة القدس ثم قال خادمه « هات المزامير واتبعني » ،  
 وترك الكنيسة وذهب الى ديره ولم يعد . فتولى السدة المسكونية بعده  
 افستراتيوس . وكان قليل الثقافة ضعيف الارادة فسقط في بدعة يوحنا  
 الايطالي وقال بتقمص الارواح ، فأنزله المجمع القسطنطيني عن كرسي  
 الرئاسة وأقام بعده البطريرك نيكولاوس الثالث الملقب بالغراماتيكوس .  
 وكان عالماً كبيراً وراهباً باراً وديعاً تقىاً . فساس السدة القسطنطينية  
 سبعة وعشرين عاماً . وتوفي شيخاً طاعناً في السن في السنة ١١١١ . وكان  
 يوحنا الايطالي الاستاذ الاول و « قنصل الفلاسفة » في جامعة القسطنطينية .  
 وكان افلاطونياً في فلسفته يكبر رجال الفكر الكلاسيكي فيقدمهم على  
 بعض آباء الكنيسة . وكان يقول فيما يظهر بأزليّة المادة وازليّة الافكار ،  
 ويتناصح الارواح وتقمصها . وفي السنة ١٠٨٢ شكاه البعض الى الفسیفس ،  
 فامر بالتحقيق معه ، ثم بثوله امام المجمع المقدس . فاعترف يوحنا برکوبه  
 من الشطط في بعض النقاط ولكنه أصر على غيرها وامتنع عن التراجع  
 عما اعتقده حقاً ، فحرمه المجمع . ولكنه لم يضيق تلامذته واتباعه فبقيت  
 هذه الافكار الافلاطونية شائعة في الاوساط العلمية العالية في القسطنطينية  
 وظل اللقب « حب افلاطون » لقباً مشرفاً في عاصمة الروم<sup>۱</sup> . وقام بعد  
 ذلك الراهب المصري نيلوس تلميذ يوحنا الايطالي يعلم في القسطنطينية ان  
 جسد المخلص تأله حاماً اتحد باللاهوت فحرمه المجمع القسطنطيني في السنة

Uspenski, T., Jean Italo, Bull. Inst. Russe de Constantinople, 1897; ۱  
 Oeconomus, L., Vie Religieuse au Temps des Comnènes, 18 ff; Bréhier,  
 E., Hist. de la Phil., I, 627 ff.

١٠٩٤ وحرم اتباعه<sup>١</sup>.

وكان قد رغب بعض اسلاف اليكسيوس من اباطرة القرن الحادي عشر في اصلاح الرهبනات ، فأقطعوا بعض العلمانيين الاكتفاء اديرة معينة واوقفها ووكلوا اليهم أمر ادارتها وذلك لكي ينقطع الرهبان والراهبات فيها للتعبد وعمل الخير . وُعرف هذا النوع من الاقطاع بالخريستيجة . فعممه اليكسيوس ليرضي به بعض كبار الرجال من أهل السياسة ولزيyd دخل الخزينة . ولكن هذا التعميم ادى الى امتعاض شديد في بعض الاوساط الدينية . فقد جاء في ذكريات يوحنا الانطاكي ان هؤلاء الملتزمين العلمانيين اكلوا الاخضر واليابس ومنعوا عمل الخير وقثروا على الرهبان فيما يأكلون ويشربون وتصرفو بالاوقاف كأنها املاكهم الخاصة . وجاوزوا بذوهم واصدقائهم الى الاديرة واكلوا وشربوا وغنووا مالا يليق ، وافسدو حياة الرهبان وسلوكهم<sup>٢</sup>.

وسمع اليكسيوس هذا واكثر منه ولكنه أبقى على نظام الخريستيجة لانه اوقف توسيع اوقاف الاديار وزاد في دخل الخزينة . وحاول ان يصلح الرهبان ، وعلم باندفاع احدهم الراهب خريستوديلوس في هذا السبيل ، فقربه اليه وشله بعطفه وشجعه على انشاء دير غوذجي في جزيرة باقوس . وفي السنة ١٠٨٨ وهب هذا الدير الجديد جميع ما في الجزيرة وأعفى جميع اوقافه من الضرائب ورفع عنه سلطة البطريرك<sup>٣</sup> . وأظهر الفسیلفس اهتماماً مماثلاً في شؤون الكهنة خدام الرعية ، فأمر بوجوب تقييدهم بقواعد

Draeseke, *Zu Eustratios, Byz. Zeit.*, 1896, 323 ff.

١

*Patrologia Graeca*, Vol. 132, cols. 1117-1149.

٢

Miklosich et Muller, *Acta et Diplomata Graeca*, VI, 44-48 ; Dolger, F., ٣  
Regesten, 1147 ; Oeconomus, L., op. cit., ch. VIII.

السلوك وانتقاء الصالحين من العامة للقيام بهذه الخدمة الشريفة وبوجوب  
تشييفهم وتنوير عقولهم .

**اقتراب الاجل :** وكبرت حنة الفسيلسة الوالدة ( حنة دلسانة )  
وتتحت عن السياسة ( ١١٠٩ ) فجاء دور كناتها ايرينة الفسيلسة . وكان  
اليكسيوس قد بدأ يشكوا من داء المفاصل . فعنيدت به ايرينة عنابة فائقة  
فاعترف بجميلها . وراقت سير السياسة في القصر مراقبة مجده ونقلت  
اخبارها بامانة الى الفسيلفس . فشكر لها هذه الامانة ايضاً . ولكنه شعر  
في الوقت نفسه بميلها نحو ابنتهما حنة وصهرهما نيقيفوروس بريانوس وتأييدها  
لهم في سعيهما للوصول الى العرش بعده ، فأمر بوجوب بقائهما معه . فل كانت  
تنقل معه حيث توجه في خارج العاصمة . وفي السنة ١١١٨ أحس باقتراب  
الاجل فاستدعى ابنه يوحنا اليه وألبسه خاتم الملك وأمر بتنويمه فسيلفساً .  
فكان له ذلك . ثم توفي بعد قليل في السادس عشر من آب سنة ١١١٨ .

## الفصل الـ١٢٧

### خلفاء اليكسيوس كومينيوس

( ١١٨٥ - ١١١٨ )

يوحنا الثاني : ( ١١١٨ - ١١٤٣ ) وكان يوحنا في الثلاثين من عمره عندما تبوأ عرش والده. وجاء في الاليكسياذة لشقيقته حنة انه كان قصيراً، صغيراً، اسرم اللون ، عريض الجبهة ، أسود العينين ، ضامر الوجه. ومن هنا لقبه « المغربي ». وأجمع شعبه على حبه واحترامه للطفه ودماثة أخلاقه ورحابة صدره وكرمه وتأدبه واستقامته فأطلقوا عليه لقباً آخر وعرفوه به هو « يوحنا الصالح » Caloyan . وكانت كسائر افراد اسرته جندياً كاملاً حازماً عادلاً جريئاً شجاعاً يشارك جنوده المشقة ويشهر على راحتهم . وكان يشعر بمسؤولية الحكم ويحافظ على وقاره ويسعى سعياً حثيثاً للدفاع عن كرامة الدولة<sup>١</sup>.

وليس لدينا لتاريخ الروم في عهد هذا الرجل الصالح من المرجع الاولية ما يمكننا من التوسع في اخباره وفهمه فهماً كافياً . فحنة صاحبة الاليكسياذة وقفت فيها يظهر في روایتها عند وفاة والدها .

Nicetas Choniates, Historia, 45, 63, 64; Anne Comnène, Alexiade, II, 63; ١  
Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 375-376.

وقناموس *Cinnamus* ونيقيتاوس مؤرخا القرن الثاني عشر عُنيا بأخبار  
عمانوئيل الاول ابن يوحنا . وما جاء في كتابيهما عن يوحنا اما ورد  
متقدمة لأخبار عمانوئيل . ويحوز القول ان يوحنا الثاني سعى لاعمار الدولة  
فاستقدم بعض العناصر الجديدة وانشأ هذه الغاية بعض القرى والدساكر .  
ويستدل من الخريسوبرة التي أصدرها لانشاء دير البانتوفراتور Pantocrator  
انه سعى ايضاً لتخفييف الboss والشقاء والعواز . ولكن همه الاول كان  
فيما يظهر اعلاه شأن الدولة وتدعم كرامتها .

**اخباره في اوروبا :** وفي السنة الثالثة من حكمه عبر البتشناغ  
الدانوب وانتشروا في البلقان مخربين ناهبين . ولكنهم لم يتمكنوا من  
الوقوف في وجه جيش منظم مدرب . فخسروا معركة بيردة وانقطعت  
اخبارهم . وتدخل يوحنا في امور الصرب تدخلًا فعليًا فأقام على هؤلاء  
امراء موالي له مخلصين للروم كل الاخلاص .

وعلى الرغم من ان زوجته الفسيلسة كانت اميرة مجرية فان طمع  
بعض الزعماء المجريين في الوصول الى ساحل الادرياتيك عن طريق البلقان  
والتقارب بين هؤلاء وبعض الزعماء الصربيين أوجب اللجوء الى القوة  
لابقاء المجريين ما وراء الدانوب . وتفوق الجيش البيزنطي المدرب على  
العشائر المجرية وأتزل بهم خسائر جمة ولكن هذا كله لم يجعل المشكلة  
المجرية حلًا دائمًا<sup>٢</sup> .

وكبر على يوحنا الثاني ان يدفع للبنادقة المال السنوي الذي كان  
قد أقره والده في اثناء حملته ، فأعلن البنادقة الحرب وأنفذوا اسطولهم  
الى مداخل الادرياتيك والى بحر ايجه فاحتلوا كورفو وروودوس ونخوس

Diehl, C., *Europe Orientale*, 40-41.

١

Regel, W., *Fontes Rerum Byzantinarum*, II, 334.

٢

في السنة ١١٢٤ وساموس ولسيوس واندروس ومودونة في المورة سنة ١١٢٥ وقيفالونية في السنة ١١٢٦ . فاضطر يوحنا الى ان يعترف بمعاهدة السنة ١٠٨٢ وان ينفذ شروطها . ورأى يوحنا ان يوثق علاقاته مع بعض المدن الايطالية الاخرى ليجد من نفوذ البندقة ، فأقرّ تجارة بيزنة امتيازاتهم في السنة ١١٣٦ ودخل في تعاون مماثل مع تجارة جنو في السنة ١١٤٢ . ومن هنا ما جاء في تاريخ نيقetas من ان مراكب ايطالية سارت مبسوطة القلوع نحو ام المدن<sup>١</sup> .

حربه في آسية : وكان يحيط بذلك في آسية إمارات تركية سلاجوقية ثلاث : مسعود في قونية وما جاورها ، وملك غازي في سيواس وجهاتها ، وطغرل أرسلان ابن قلوج أرسلان في ملاطية وتوابعها . وكان السلطان مسعود يهدى وادي المياندر وسهل دوريلة لاجداد المراعي اللازمة بجموعه الرحيل . اما ملك غازي فانه كان يطمع في مرافق البحر الاسود . وكان طغرل لا ينفك عن الاغارة على سواحل ادنة وسائر قيليقية . فهبّ يوحنا في السنة ١١١٩ الى قلب آسية الصغرى ، الى حدود سلطنة مسعود ، فاحتل لاذقية الاناضول وانشأ فيها حصناً منيعاً يسيطر به على وادي المياندر<sup>٢</sup> . وفي السنة ١١٢٠ استولى على سوزوبوليس Sozopolis فتيسر له تأمين المواصلات مع اخالية في الجنوب<sup>٣</sup> . وفي كانون الاول من السنة ١١٢٤ هجم كل من السلطان مسعود وملك غازي على اماراة طغرل في ملاطية فاكرهاه على الالتجاء الى يوحنا . ثم دب الشقاق في سلطنة قونية فثار عرب على

*Nicetas Choniates, Historia, 25 ; Dolger, F., Regesten, 1304.*

١

*Chalandon, F., Les Comnènes, II, 45-47.*

٢

*Cinnamus, J., Historia, I, 2.*

٣

*Historiens des Croisades, (Arm.), I, 142*

٤

أخيه مسعود فالتجأَ هذا إلى القسطنطينية . ثم تعاون مسعود وغازي على عرب ، فاكرهاه على اللجوء إلى القسطنطينية<sup>١</sup> . فعظم أمر ملك غازي واتسع سلطانه واستندت مطامعه في ساحل البحر الأسود وفي وادي الفرات . فحاربه الفسيلفس أكثر من مرة بين السنة ١١٣٢ والسنة ١١٣٥ واستولى على قسطموني وعلى جميع شاطئ البحر الأسود . وبعد وفاة ملك غازي في السنة ١١٣٤ صادق الفسيلفس السلطان مسعود واتجهت انتظاره نحو قيليقية<sup>٢</sup> . وفي السنة ١١٣٧ حشد يوحنا قوة كبيرة في إضالية . وبعد أن وصل إليها بحراً قام على رأسها إلى قيليقية فأبْعد عنها أميرها لاوون الارمني وأولاده واحتل مدنهما وسهولهما . وفي السنة التالية التي القبض على لاوون وأولاده وارسلوا مخورين إلى القسطنطينية<sup>٣</sup> .

وكانت مشكلة انطاكية لا تزال قائمة تنتظر حلّاً لائتاً . وكان قد توفي بوهي蒙د الأول في إيطالية كما سبق أن أشرنا . وكان قد قتل في الميدان كل من تكرييد الصقلي (١١١٢) وبوهي蒙د الثاني (١١٣٠) وتولى الوصاية على قسطنطينية ابنة بوهي蒙د الثاني روجيه السالرنوي Roger de Salerne . فارتوى يوحنا الثاني أن يُزوج ابنه عمانوئيل من قسطنطينية . ووافقت والدة الأميرة الورثة . ولكن فولك دانجو ملك القدس أزوج الأميرة من ريون قومس بواتيه . فغضب يوحنا الثاني لكرامتها . وكان عماد الدين زنكي حاكم الموصل أحد أتابكة السلجوقية يتأنب للاغارة على دول الفرنج . فما كاد يستولي على Montferrand في بعرن في تلال النصيرية المطلة في حماه ويحصر فيها ملك القدس وقومس طرابلس حتى

*Michel le Syrien, III, 223-224.*

١

*Michel le Syrien, III, 227, 232-237.*

٢

*Nicetas, Choniates, Historia, 6-7 ; Chalandon, F., Les Comnènes, II, ٣ 107-118.*

٣

ظهر يوحنا امام اسوار انطاكية (آب ١١٣٧) . فحاصرها فسقطت في يده فرفع علمه على قلعتها وأكره اميرها ريمون على بيع الولاء والطاعة<sup>١</sup>. وفي السنة ١١٣٨ زحف على حلب بجموعه وجمع الافرنج الموالين له فلم يتمكن من دخولها . وحاصر شيزر على العاصي ثلاثة اسابيع (٢٦ نيسان - ٢١ ايار) فلم يقو عليها<sup>٢</sup> . فعاد الى انطاكية ليجاهد ثورة دبرها له امير الراها جوسلان Jocelin . فقام الى القدسية متعضاً<sup>٣</sup> .

ولم يتمكن يوحنا من العودة الى ميدان القتال في سوريا لأن محمد ابن ملك غازي أغاد على حدود الدولة الشرقية . فصده يوحنا في السنة ١١٣٩ ثم تأثره داخل حدوده محاولاً الاستيلاء على حصن قصري الجديدة الذي انشأه محمد فلم يفلح واضطر الى انت يعود الى عاصته في اواخر السنة ١١٤٠ .

وتوفي محمد وتنازع الحكم بعده ابناءه وغيرهم . فأعد يوحنا حملة جديدة قام بها الى انطاكية ليؤسس اماراة لابنه عمانوئيل تشمل قبرص واضالية وماجاورها حتى انطاكية<sup>٤</sup> . وفي ستاء السنة ١١٤٢ تقبل خضوع جوسلان Jocelin قومس تل باشر وتقدم نحو انطاكية واضطر الى انتحاصرها . وكتب الى فولك ملك القدس انه ينوي زيارة الاماكن المقدسة بمعه . فأجاب فولك انه يتذرع عليه ايجاد المؤذن اللازمة لجيش صديقه الكريم . فكتب يوحنا ثانية مبيناً انه لا يمكنه القيام الى القدس

Dolger, F., *Regesten*, 1314.

١

Cinnamus, J., *Historia*, I, 8; Grousset, R., *Hist. des Crois.*, II, 100-111.

٢

Chalandon, F., *op. cit.*, II, 151-152; Grousset, R., *op. cit.*, II, 121-123.

٣

Cinnamus, J., *Historia*, I, 10; Chalandon, F., *op. cit.*, II, 184.

٤

دون حرس لائق بربته ومكانته . ثم عدل عن هذه الزيارة<sup>١</sup> . وقام من اقطاعية الى قيليقية لتمضية الشتاء . وفي اثناء اقامته فيها أصابه سهم مسموم في اثناء الصيد ، فشعر باقتراب الاجل . فنظر في ولاية العرش . وكان ابناء الاكبران قد توفيا ولم يبق من اولاده الذكور الاربعة سوى اسحق وعمانوئيل ، فولى الاصغر عمانوئيل وقام الى القسطنطينية وتوفي فيها في الثامن من نيسان سنة ١١٤٣ .

**عمانوئيل الأول :** ( ١١٤٢ - ١١٨٠ ) وخشي عمانوئيل مطامع عمه اسحق الذي كان قد تامر مراراً على أخيه يوحنا واضطر الى ان يلتجأ الى الاتراك . وكان لا يزال آثناً منفياً في هرقلية . وخشي ايضاً اخاه اسحق الذي كان اكبر منه سنًا وأحق في الملك . ولكن ولاء الشعب لوالده يوحنا ومقدرة وزيره الاول يوحنا اخوخ<sup>٣</sup> ضئلاً له الوصول الى العرش سالماً ساكناً . وكان قد بقي في اضالية حتى منتصف السنة ١١٤٣ فقام الى القسطنطينية وتقبل التاج من يد البطريرك المسكوني في كنيسة الحكمة الالهية كالعادة .

وكان عمانوئيل طويل القامة قويًا جميل الطلة طلق المعايا أسمر اللون فاتن العينين . وكانت مُعجبًا بقوته وفروسيته يستغل كل ظرف لاظهار ما أُتي منها . فذاع صيته في الآفاق وبلغت شهرته الداني والقاصي . وبما يروى من هذا القبيل انه تقلد أنقل الاسلحة وان امراء الصليبيين سمعوا بذلك فلم يصدقوه . وأتيح لامير اقطاعية ان يمثل امام الفسليفس الجبار . وشاهد هذا السلاح الثقيل فآراد ان يتثبت من نوعه وزنه ، فطلب

Dolger, F., *Regesten*, 1324 ; Grousset, R., op. cit., II, 150-152.

١

Cinnamus, J., *Hist.*, I, 10 ; Croussel, R., op. cit., II, 152-154.

٢

Chalandon, F., *Les Comnènes*, II, 19.

٣

إلى الفسيلفس أن يسمح له بحمل رمحه وترسه . وما ان فعل حتى أُعجب  
بما أُتي الفسيلفس من قوة وعظمة . فاعاد السلاح مؤكداً ان صاحبه كان  
في الواقع جباراً ، واعتذر عن تطفله<sup>١</sup> . وكان الفسيلفس الجديد جندياً رائعاً  
مدهشاً يجيد ركوب الخيل ويسيطر جنوده التعب وشظف العيش ويرع  
لعونتهم غير مبالٍ بالتعب او الخطر . وما جاءَ من هذا القبيل انه رمى  
بنفسه مرة في نهر الدانوب لينقذ مركباً أشرف على الخطر وفيه عدد  
من الجنود . وقد جاءَ ايضاً انه كان يررع الى حصانه احياناً فيمتنشه  
ويسرع به لمطاردة العدو قبل ان يستكمل سلاحه . بيد ان توقد عاطفته  
الذى ألهب فيه هذا النوع من الشجاعة غضى من قيمته كقائد عسكري .  
فقد كانت الصعوبات في ميدان القتال توهن عزائم وترتبط همتة فتؤدي به  
إلى التضعضع والتراجع .

وأُعجب عمانوئيل بالفرسان الصليبيين وبصلابتهم وبأسهم ، فجاء لهم في  
عاداتهم وتقاليدهم الحربية . ووكل الى بعضهم ادارة شؤون الدولة ، وأدخل  
غيرهم في الجيش وقلدهم مناصب هامة . وأكبروا لهم فيه مواهبه الحربية  
ومقدراته الجسدية وثقته بهم . وتدرّب هو على اساليبهم الحربية . وراقته  
مبارياتهم في الفروسية ، فقامها كما كانوا يقيمونها ، وباراهم فيها في  
انطاكية ، فقلب الكثيرين منهم عن سرور خيولهم<sup>٢</sup> .

وخالف عمانوئيل اباء يوحنا في بذخه ومرحه . وأصبح البلاط في  
عصره كثير الحفلات زاهياً رائعاً ، تؤمه الظريفات الجميلات من جميع  
انحاء الدولة ، وتكثر فيه المغازلات والمغامرات . وكانت الفسيلفس يحب  
الجمال والاناقة والرشاقة فعني بهن بغیر حساب . وضاقت نفسه بزوجته

بروته الالمانية التي لم تتنزّن ولم تتدلّس ولم تتغنج ، فــال نحو ثيودوره احدى قريباته . ثم تزوج من مريم الانطاكيـة الافرنجية التي فاقت افروديـة « بعينيها الساحرتين وشعرها الذهبي وابتسامتها العذبة وجسمها الفتان<sup>١</sup> ». وألم بالفسيلفس مرض واستندت وطأته عليه وقد الاطباء كل أمل في شفائه ، فطلب اليه وزراؤه تعين خلفه وأشار عليه البطيريك المــسكوني بالنداـمة والصلة . ولكن عمانوئيل أكد لهؤلاء جميعاً ان المنجمين كشفوا له بخته وقالوا انه سيعيش اربع عشرة سنة وانه سيعود اليه نشاطه وسابق حبه ومحــامــراته<sup>٢</sup> !

وميــز عمانوئيل بين زملائـه في الشرق والغرب معــاً بعلمه وادبه وسعــة اطلاـعـه . فــانــه كان يقرأ كثــيراً ويكتب جــيدـاً ويجد لذــة خاصة في الفلســفة فيــجادــلــ فيها بنجــاحــ . وكان مــولــعاً بالطب يــجالــ رجالــه ويــباحثــهم فيه وــمارــسه . فهو الذي عــالــجــ كونراد الثالث في اثنــاء الحــرب الصــليــبية الثانية . وهو الذي قــدــمــ الاسعــافــ الاولــيــ لبــودــوانــ مــلكــ القدســ عــنــدــماــ وــقــعــ عنــ ظــهــرــ حصــانــهــ في اثنــاء الصــيدــ فــكسرــ ذــراعــهــ . وكان مــوقــفــهــ منــ الدينــ وــعــلومــهــ مــوقــفــ كلــ فــســيلــفســ اــرــثــوذــكــسيــ قبلــهــ وــبعــدــهــ . فــانــهــ أــظــهرــ رــغــبةــ فيــ بــحــثــ المشــاـكــلــ العــقــائــدــيةــ وــقــامــ بــجــمــيعــ الفــروــضــ الطــقــســيــةــ . وــانــشــأــ الــكــنــائــســ وــالــادــيرــةــ . وــاهــتمــ بــنــوــعــ خــاصــ بــكــنــيــســةــ دــيرــ الــبــانــتوــقــرــاطــورــ الجــمــيــلــةــ وــأــحــبــ انــ يــدــفــنــ فيهاــ هوــ وــســائــرــ اــفــرــادــ اــســرــتــهــ<sup>٣</sup> .

واتســعــتــ آــفــاقــ عــمــانــوــئــيلــ الســيــاســيــةــ وــطــمــعــ فيــ اــيــطــالــيــةــ وــصــقلــيــةــ وــفيــ اــمــارــاتــ الشــرــقــ الــلــاتــيــنــيــةــ ، فــكــثــرــ عــدــدــ دــعــاتــهــ وــجــوــاســيــهــ . وــتــدــخــلــ فيــ اــمــورــ وــاــمــورــ فأــصــبــحــتــ

*Nicetas Chaniates, Hist., 151.*

١

*Nicetas, op. cit., 286.*

٢

*Cinnamus, J., Hist., 190, 291.*

٣

القسطنطينية مر كزا هاماً جداً للسياسة الدولية في القرن الثاني عشر . وأثارت مطامعه هذه خاوف شديدة في بلاط فريديري~~يكوس~~ بارباروسه وابنه هنري~~يكوس~~ السادس كما أيقظت روح العداء بين الروم والصلبيين . ولم يرض الروم عن عطفه على الغربيين وادخلهم في ملأك الادارة وتقليلهم المناصب الهامة فقاموا عند وفاته بثورة واسعة النطاق ادت الى تواري زوجته مريم اللاتينية وابنه والى ذبح الايطاليين في العاصمة .

**مشكلة انطاكيّة :** وانتهز ريمون دي بواتيه امير انطاكيّة فرصة وفاة يوحنا الثاني فاحتل بعض الاماكن داخل حدود الروم في سوريا الشمالية وأغار على قيليقية . فاضطر الفسيليقس عمانوئيل ان ينفذ حملة عسكريّة الى انطاكيّة نفسها ، واضطر ريمون بدوره ان يقوم بنفسه الى القسطنطينية ليطلب العفو عما صدر عنه كما اضطر ان يزور قبر يوحنا الثاني ويركع امامه تكفيراً وتعظيماً ( ١١٤٥ ) .

**سلطنة قونية :** وضعف امارة ملك غازي في شرق آسيا الصغرى وطبع سلطان قونية مسعود فيها فالتجأ اميرها الى الفسيليقس طالباً المعونة . فقام عمانوئيل في السنة ١١٤٦ الى قونية مخرباً مدمرأً . فأُكره سلطانها على شروط معينة مرضية . وعاد الى القسطنطينية يتذرع بأمر الحملة الصليبية الثانية التي كانت قد بدأت تتحرك متوجهة نحو الشرق .<sup>٢</sup>

**الحملة الصليبية الثانية :** ( ١١٤٧ - ١١٤٩ ) وهال الغرب سقوط الراها في يد عماد الدين زنكي في السنة ١١٤٤ وهب القديس برناردوس يطوف اوروبا الغربية مستنهضاً مستثيراً المهم ، فلبى النداء ملوك اوروبا هذه المرة لا امراؤها كما في الحملة الاولى . وترعى القيادة كونراد الثالث

Cinnemus, J., Hist., II, 3; Grousset, R., Croisades, II, 172-173.

١

Cinnemus, J., op. cit., II, 4-10; Dolger, F., Regesten, 1343-1346, 1352.

٢

امبراطور المانيا (١١٣٨ - ١١٥٢). وكتب البابا اوجانيوس الثالث الى عمانوئيل يدعوه الى الاسترالك في الجهاد. وأرسل لويس السابع ملك فرنسة وفداً خاصاً لهذه الغاية نفسها. فاجاب عمانوئيل مرحباً واعداً بتقديم المؤن والراكب والمعونة العسكرية اذا سمحت الظروف بذلك. وكثير القيل والقال في عاصمة الروم حول عدد المجاهدين. واجمعت الآراء على ان الحملة الصليبية الثانية ستتشتمل على مئة واربعين الف فارس وعدد لا يحصى من المشاة وان مجموع القوى قد يقارب المليون. واضطرب عمانوئيل في قراره نفسه وحسب الف حساب. ولم يخش طمع الاماں لان والده كان قد وَّطَ العلاقات معهم ووقع تحالفًا أصبح ركن سياسة القدسية في علاقاتها الدولية، ولأنه هو كان قد تزوج في السنة ١١٤٦ من اميرة المانيا مت الى الامبراطور بصلة النسب. ولكن خشي جموع الفرنسيين لان لويس السابع كانت يعطف كثيراً على النورمنديين الایطاليين اعداء الروم ولأن امراء انطاكيه والقدس كانوا فرنسيوين.

ووصل الاماں اولاً وكانوا قد نهبوا ذات اليمين وذات الشمال في اثناء مرورهم في اراضي الروم، فطلب عمانوئيل الى كونراد ان يعبر جنوده الدردنيل لا البوسفور في طريقهم الى آسيا. ولكن كونراد رفض وتابع سيره نحو القدسية. وحطت رحال جنوده خارج اسوارها وسلبوا ونهبوا وأحرقوا. ولم يرض كونراد عن التقاليد المتبعة في التشريفات في القصر المقدس، فسألت العلاقات بين الكبارين. ولكن عمانوئيل تمكن من اقناع ضيفه الكبير بوجوب الانتقال الى آسيا ومتتابعة السير نحو الاراضي المقدسة<sup>١</sup>. وبعد هذا بقليل في خريف السنة ١١٤٧ أطلَّ لويس

السابع بجموعه في حلٍّ ضيقاً مكرماً على الفسيلفس . واشترك الضيف والمضيف في عيد القديس دنيس في التاسع من تشرين الاول . وساد الحب والتفاهم الاحاديث والعلاقات كلها . ثم طلب عمانوئيل الى لويس السابع وامرأته وأشرافه ان يقسموا بين الطاعة والولاء كما فعل امرأة الجملة الاولى . فلم يرض الملك الافرنسي بذلك وشاركه في الرفض جميع حاشيته من كبار الرجال . وارتدى احد الاساقفة الافرنسيين ان يصار الى احتلال القسطنطينية ، ولكن لويس أبي مذكراً الاسقف وغيره بالنذر الصليبي<sup>١</sup> .

واصطدم كونراد بالاتراك السلاجقة عند دوريلة ولم يتمكن من مجابتهم . فجعل عمانوئيل انكساره نصراً . وما ان سمع الافرنسيون بهذا «النصر» حتى هموا بالرحيل ليتسنى لهم الاشتراك بالنصر . وعبروا البوسفور واتجهوا جنوباً حتى اخالية فانهكهم التعب وقل انتظامهم . فقام لويس على رأس قسم من جموعه الى الاراضي المقدسة على مقن مراكب رومية واتجه الباقيون برأا بدون انتظام . وكان عماد الدين زنكي قد خرَّ صريعاً بضربة خنجر في السنة ١١٤٦ فتمكن الامير جوسلان الصليبي من الاستيلاء على الراها . ولكنه لم يتمكن من صد غارات نور الدين على اراضيه . فلما وصل ملوك الفرنجية الى سوريا الشمالية رأى ملك القدس بودوات الثالث ان يتوجه الملوك المجاهدون نحو دمشق . فوصلوا اليها في توز السنة ١١٤٨ وأحاطوا بها وخرّبوا غوطتها ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة . وأخفقت الجملة الصليبية الثانية وعزّا امراؤها هذا الاحراق الى عمانوئيل وحكومته . وعادوا الى الغرب يعدون العدة لجملة ثلاثة توجه ضد الروم انفسهم<sup>٢</sup> .

**الحرب النورمندية:** (١١٤٧ - ١١٥٨) وكان روجه الثاني قد خلف روبر غيسكار في صقلية وجنوبي إيطالية. وكان يحلم منذ تتوبيه في بالرمو في السنة ١١٣٠ بتوسيع كبير عبر الادرياتيك. وما ان ابتدأ عمانوئيل بمشاكل الحملة الصليبية الثانية في صيف السنة ١١٤٧ حتى أعلن روجه الحرب عليه واحتل كورفو. ثم قام منها الى المورة وما فتئ حتى احتل كورونثوس. وكثُرت غنائم ونقل فضة وذهبًا كثيرًا. ولكن افضل ما وقعت يده عليه صناعة الحرير التي كانت لا تزال سرًا من الاسرار خارج لبنان والمورة. فنقل الى صقلية عدداً كبيراً من سكان مناطق التوت ودود الحرير الى صقلية، فانهى بذلك احتكاراً كبيراً كانت القسطنطينية قد متعنت به زمناً طويلاً.

ولم يتمكن عمانوئيل من صد روجه فور نزوله في كورفو والمورة لانشغاله بمشاكل الحملة الصليبية الثانية. واول ما فعل انه اتصل بالبنادقة وعقد معهم تحالفاً جديداً ضد روجه وذلك في خريف السنة ١١٤٧، ثم أعقبه بتحالف آخر في آذار السنة التالية. وقضى هذا التحالف بان يشترك البنادقة في صد روجه عن مطامعه مقابل امتيازات تجارية جديدة يمنحهم ايها الفسليفس. وأهم هذه الامتيازات فتح مرافيع قبرص ورودس لتجارتهم وتوسيع منطقة اقامتهم في عاصمة الدولة<sup>١</sup>. وفي اواخر السنة ١١٤٨ ضرب الروم والبنادقة الحصار على كورفو واستولوا عليها في صيف السنة ١١٤٩ وأنزل اسطول الروم باسطول النورمنديين هزيمة كبيرة عند رأس هالي. ففرزعت نفس عمانوئيل الى صقلية وايطالية الجنوبية لا بل الى جميع ايطالية. وفُكِن الفسليفس من الاحتلال انكوبة في السنة ١١٥١. فهبَ روجه

يفتش عن حلفاء يعاونه في الدفاع عن ملكه . فلقي استعداداً كبيراً لذلك لدى حبر روما او جانيوس الثالث وترحيباً حاراً في عاصمة الفرسان . وأثار الصراع على الروم . وتزاءى البعض رجال السياسة ان الحرب الرومية النورماندية ستصبح حرباً اوروبية عامة لان الامبراطور الغربي كونراد الثالث كان لا يزال يؤيد الروم تأييداً شديداً .

وتوفي كونراد الثالث في السنة ١١٥٢ وتولى العرش بعده فريديرييكوس الاول بارباروسه ( ١١٥٢ - ١١٩٠ ) . وكان يطمع في الاستيلاء على ايطالية فلم يندفع في تأييد الروم اندفاع مسلفة كونراد الثالث بل تقرب من البابا او جانيوس الثالث فتفاهموا . ولم ترض البندقية عن احتلال انكوبة ورأت في مطامع عمانوئيل في ايطالية خطاً على مصالحها في الادرياتيك ووقعت صلحًا منفرداً مع النورمانديين في السنة ١١٥٤ . وتوفي روجيه في هذه السنة نفسها وخلفه على العرش وليم الاول . وخشي وليم مناورة كبار النورمانديين له فأرسل يفاوض عمانوئيل في الصلح . فلم يقبل الفسيلفس ولم يعترف بالملك الجديد . ثم وقع حلفاً مع جنوبي في خريف السنة ١١٥٥ وأتزلج جيشاً في ايطالية الجنوية واستولى على باري وتراني وحاصر بونديزي . ثم غلب على أمره فيها ووقع قائد جيوشه في الاسر . وتغلب النورمانديون عليه في موقعة بحرية في بحر ايجه بالقرب من شبه جزيرة إفوبية . وخشي البابا ادريانوس الرابع مطامع فريديرييكوس الاول في ايطالية فتدخل في النزاع الناشب بين الروم والنورمانديين وألح بوجوب انتهاء الحرب في ايطالية . وكان الفسيلفس يرغب في استالة البابا وخشي في الوقت ذاته تطور الموقف في البلقان وفي سوريا الشمالية فقبل بالصلح ووقع مع وليم الاول معاهدـة هذه الغاية في السنة ١١٥٨ . ولا نعلم تفاصيل هذه المعاهدـة . وجل ما نعلمه عنها انها شملت تحالفاً بين الروم والنورمانديين لمدة ثلاثين عاماً . ولعل هذا التحالف كان موجهاً

ضد فريديريكوس ومطامعه في إيطالية.

الفسيلفس سيد سوريا وفلسطين ولبنان : وفشل الصليبيون في حملتهم الثانية . وقتل ريون امير انطاكيه في الحرب ضد المسلمين في السنة ١١٤٩ فشمل الفسيلفس ارملته قسطنطس بعطفه وحمايته . وعلى الرغم من عدم انصياعها له في أمر زواجه واقدامها على التزوج من رينو دي شاتيون فإنه ظل يعتبر نفسه سيد انطاكيه وتوا بها . وفي السنة ١١٥٠ اندثرت قومية الراها . فشمل الفسيلفس اميرتها بعطفه وعرض عليها ابتياع حقوقها <sup>1</sup> فيها . وفي السنة ١١٥٢ ثار طوروس ابن لاوون الارمني على عمانوئيل واعتصم بتلال قيليقية واستولى على طرسوس وغيرها . فاستعان عمانوئيل برينو امير انطاكيه ووعده بمكافأة مالية جزيلة . فجرد رينو حملة على طوروس وكاد يضايقه ، ولكن شعر ان مكافأة الروم قد تكون غير كافية فانضم الى طوروس وتعاون معه في اغارة كبيرة على قبرص <sup>2</sup> . فاستشاط الفسيلفس غيظاً . وجاءت معاهدة السنة ١١٥٨ تنهي الحرب في إيطالية فنهض عمانوئيل بنفسه الى قيليقية فاخضع طوروس ثم أنفذ رجاله الى انطاكيه . فخشى رينو عاقبة خيانته والتوجه الى سيد بودوان الثالث ملك القدس طالباً توسطه في الامر . ولكن بودوان كان قد ساءه تصرف رينو وكانت قد صاهر الفسيلفس فلم يجب سؤله . فيحار رينو في أمره ، ولما لم يجد من يعينه أمّ مصيصة مقر عمانوئيل في قيليقية أعزل ، عاري القدمين ، حامر الرأس ، ممسكاً بسيفه من طرف نصلته ، ووارثي عند موطئ قدمي الفسيلفس . وما فتء كذلك حتى أمره عمانوئيل بالنهوض فنهض واعترف بسيادة الفسيلفس ثم رضي بتسليم قلعة انطاكيه وبعودته

البطريوك الارثوذكسي الى مقره فيها<sup>١</sup>. ووفد على الفسیلفس في انطاکية ملک القدس بودوان الثالث فاعترف بسيادة عمانوئيل ايضاً ووعد بتقدیم المساعدة العسكريّة التي يتطلّبها سیده منه<sup>٢</sup>. وقام الفسیلفس الى انطاکية فدخلها متّطلاً حصانه يواكبہ رینو وغيره من امراء الصليبيّين مشياً على الاقدام . ثم دخلها بعده ملک القدس متّطلاً جواده ولكن دون اية شارة من شارات الملك والسيادة . وفي اثناء اقامته في انطاکية فاوض عمانوئيل نور الدين امير حلب في أمر الاسرى الافرنج فأخلى سبيل ستة آلاف منهم . وتعهد نور الدين بتأمين سير الحجاج داخل منطقته<sup>٣</sup> . وعاد عمانوئيل في السنة ١١٥٩ مكملًا بالظفر والمجد .

وظلت علاقات الروم مع الصليبيّين حسنة طيبة حتى نهاية عهد عمانوئيل . وظل هو محافظاً على احترامه لامرء الفرنجة مكيراً فيهم مثلهم العليا في الفرسية طوال ایامه . وبعد وفاة زوجته الاولى برتبة الالمانية اتجه نحو قصور هؤلاء الامراء يفتّش عن فسیلسة جديدة . وكاد يجد لها في طرابلس في شخص شقيقة اميرها الصليبي . ثم آثر الاقتران ببريم ابنة قسطنطسية ووريثة انطاکية فتزوج منها في السنة ١١٦١<sup>٤</sup> . وفي السنة ١١٦٤ وقع بوهيموند الثالث في يد المسلمين اسيراً فتدخل عمانوئيل واطلق سراحه . فقام هذا الامير الصليبي الى القسطنطينية يشكر للفسیلفس صنيعه وتزوج من اميرة رومية . وفي السنة ١١٦٢ توفي بودوان الثالث ملک القدس فتسلّم العرش بعده اخوه اموری . فتزوج هذا ايضاً من اميرة رومية

Dolger, F., *Regesten, 1430-1431.*

١

Dolger, F., *Regesten, 1428-1429.*

٢

Dolger, F., *Regesten, 1432.*

٣

Chalandon, F., *op. cit., II, 517-524 ; Grousset, R., Croisades, II, 428-433.* ٤

واعترف بسيادة عمانوئيل . وأنفق الفسیلفس على كنائس الاماكن المقدسة وآثارها واعترف الملك أموري بذلك وأقام النقوش تخليداً لاهتمام سیده . ولا تزال هنالك كتابة باليونانية تحفظ ذكر عمانوئيل في كنيسة بيت لحم حتى يومنا هذا . وقد جاء في مطلعها ما يدل على سيادة الفسیلفس . فان هذا النقش التاريخي يبدأ بالعبارة : « في عهد عمانوئيل ولما كان أموري ملك اورشليم <sup>١</sup> ». وتعاون الاثنان في حملة على دمياط في السنين ١١٦٧ و ١١٦٩ ولكن دون جدوی . ثم تحالفوا لهذه الغایة <sup>٢</sup> . ولكن وجه صلاح الدين كان بدأ يتألق في سماء مصر اذ اصبح وزير الخليفة الفاطمي في السنة ١١٦٩ ، ثم خلفه على العرش في السنة ١١٧١ . ولما توفي نور الدين في السنة ١١٧٤ جمع صلاح الدين في شخصه امارة الموصل ومصر . وعلى الرغم من وصول اسطول رومي الى مياه عكّة في السنة ١١٧٧ فان موقعة عسقلان كانت آخر نصر احرزه الصليبيون على صلاح الدين <sup>٣</sup> .

**المشكلة الايطالية :** وعظم سلطان هذا الفسیلفس في الشرق وكاد ان يكون صاحب القول الفصل في جميع ارجائه . ولكن مطامعه في اوروبا أضاعت عليه النفوذ والعز والمجد وأتاحت لصلاح الدين فرصة عسكرية ثمينة ظهرت نتائجها بعد وفاة عمانوئيل بدة وجيبة .

وطمع عمانوئيل في ايطالية ونزعت نفسه الى بجد الاباطرة المؤسسين واعتبر كارلوس الكبير وخلفاءه في الغرب مفتضبين <sup>٤</sup> . فنشبت نزاع بين عمانوئيل وبين فريديريكوس دام عشرين عاماً ( ١١٥٨ - ١١٧٨ ) . ففي السنة ١١٥٥ فاتح عمانوئيل البابا ادريانوس الرابع بأمر اتحاد الكنيستين

Corpus Inscript. Graecarum, 8736; Vincent et Abel, Bethlehem, 156-161. ١

Dolger, F., Regesten, 1481 ; Bréhier, L., Byzance, 338-340. ٢

Grousset, R., Croisades, II, 636 ff. ٣

Cinnamus, J., Hist., 218-220. ٤

فوطد بذلك علاقته مع روما . وأصبح الفسيلفس والبابا حليفين متاحلين ضد فريديريكس الامبراطور . وتوفي ادريانوس الرابع في السنة ١١٥٩ فرقي السدة الباباوية الكسندروس الثالث . فخشى فريديريكس متابعة التعاون بين روما والقسطنطينية . فأقام رأساً للكنيسة مناؤاً : فيكتوريوس الرابع . فانقسمت كنائس أوروبا الغربية سطرين بين هذين الرأسين . ووافت كنيسة فرنسة وانكلترة وال مجر والبندقية الى جانب الكسندروس الثالث . وراسل هذا الحبر عمانوئيل ووافقه فيما يظهر في نظرية الاعتصاب . فأَكرم الفسيلفس الوفد الباباوي ووعده خيراً . وفي السنة ١١٦٣ أرسل عمانوئيل وفداً مفاوضاً الى عاصمة الفرنسيس ولكن ليس السابع آخر التراث . ولم تظهر البندقية اهتماماً مشجعاً ولكن عمانوئيل لم ييأس . فانه عندما نزل فريديريكس الى ايطاليا في السنة ١١٦٦ واخضر الكسندروس الثالث الى ان يخرج من روما ( ١١٦٧ ) فاوض عمانوئيل هذا البابا في أمر التاج الغربي وأظهر استعداداً كبيراً لازالة الحواجز التي تفصل بين فرعى الكنيسة الام في حقل العقيدة شرط ان يضع هذا البابا التاج الغربي على رأس الفسيلفس . ورضي البابا بذلك ولكن الاكليروس الشرقي عارض معارضه شديدة فتردد البابا ثم امتنع<sup>١</sup> .

**عمانوئيل والكنيسة :** وفي السنة ١١٥١ استعفى البطريرك المسكوني نيقولاوس الرابع خلفه البطريرك ثيوديتوس . ثم استعفى هذا ايضاً في السنة ١١٥٣ فانتخب بعده نيو菲طوس الاول . وتوفي هذا في السنة ١١٥٤ فرقي السدة المسكونية البطريرك قسطنطين الرابع الملقب بليخوداس . وتوفي قسطنطين الرابع في السنة ١١٥٦ خلفه البطريرك لوقا . وتوفي هذا في السنة ١١٦٩ خلفه « مقدام الفلسفه » البطريرك ميخائيل الثالث . ثم

جاءَ بعده البطريريك خاريطون في السنة ١١٧٧ فالبطريريك ثيودوسيوس الثاني سنة ١١٧٨ .

وكان لعمانوئيل موافق تشهد له باندفاعة في سبيل العقيدة الارثوذكسيه ، فانه ضايق البوليسين كل المضايقه وأمر بحاكمه زعيمهم نيفوت الراهب ( ١١٤٧ ) . ثم اهتم لشذوذ ديمتريوس لامبه ( ١١٦٦ ) وعاقب الاساقفة الثلاثة الذين كانوا لا يزالون يقولون قول يوحنا الايطالي ( ١١٥٧ - ١١٤٦ ) وحاول محاولة جدية للتوفيق بين كنيستي الارمن والسريان من الجهة الواحدة والكنيسة الارثوذكسيه من الجهة الأخرى . ورأى قسوة جارحة في النص الذي كان يُفرض على المسلمين لقبو لهم في الكنيسة فأمر بتعديلها ضنًا بحسن العلاقة بين المسلمين والنصارى<sup>١</sup> .

سلطنة قونية : وكان يوحنا الثاني قد استفاد من انقسام الاتراك السلاجقة ومن مناظراتهم ومشاخصاتهم . وكان هذا الانقسام قد دفع مسعوداً سلطان قونية الى الالتجاء الى القسطنطينية . وبعد السنة ١١٤٢ استفاد مسعود نفسه من الانقسامات التي نشبت في امارة سيواس فاضطر عمانوئيل الى ان يقوم بنفسه الى قونية في حملة حربية سنة ١١٤٦ . وفرّ مسعود من وجهه واتجه شرقاً يستنفر عشائر التركان . فخشى عمانوئيل اطاله الحرب . وعلم بتجمع الصليبيين في حملة ثانية فعاد الى القسطنطينية قبل ان يستولي على قونية . واراد عمانوئيل ان يدفع الصليبيين الى اخضاع قونية وصاحبها ، ولكن المشادة التي نشأت بينه وبين كونراد الثاني جعلته يستعين بقونية على الصليبيين ( كانون الثاني ١١٤٨ ) . واستتب الامر بعد مسعود لابنه قلوج أرسلان الثاني ( ١١٥٥ - ١١٩٢ ) . وهو اول سلاجوفي اناضولي اتخذ لنفسه لقب سلطان في المسكونيات . والمراجع العربية المعاصرة تحفظ بهذا

اللقب لامراء السلاجقة الكبار في فارس ولا تذكر لامراء الاناضول سوى لقب ملك . و اذا اخذنا بشهادة المؤرخين النصارى كان قلج أرسلان الاول اول سلطان سلجوقي في الاناضول<sup>١</sup> . وعاون عمانوئيل أمراء سيواس على قلج أرسلان الثاني وحرّك ضده نور الدين امير حلب ( ١١٥٩ - ١١٦٠ ) فاضطر سلطان قونية في السنة ١١٦١ الى ان يرثي في حضن عمانوئيل واعداً بتقديم المعونة العسكرية كلما طلبها الفسیلفس ، وبمحاربة اعدائه ، وباعادة المدن اليونانية التي كانت قد وقعت في يد المسلمين . وأمّا قلج أرسلان القسطنطينية في السنة ١١٦٢ فاستقبل فيها بحفاوة فأكده ولاءه واخلاصه للفسیلفس ، وجعل رجال البلاط يعتقدون ان قونية أصبحت في عهده محيمية من محيمات الروم<sup>٢</sup> .

وعاد قلج أرسلان الى قونية يوطد دعائم ملكه وينظر اخلال الحلف الذي كان عمانوئيل قد أحاطه به . وبين السنة ١١٧٠ والسنة ١١٧٧ فتكن قلج أرسلان بشتى الوسائل من القضاء على امارة سيواس وضم معظمها الى سلطنته . واخضر صاحبها ذو النون الى ان يلجاً بدوره الى القسطنطينية . وأحسن عمانوئيل بقصر نظره وتقديره في حقل سياسة الاناضول اذ انه أتاح لصاحب قونية ان يوحد الاتراك السلاجقة بعد ان تفرقوا وتخاصموا . وببدأت عصابات الترك تهاجم تخوم الروم ولاسيما وادي الميندر فتنزل بأهل الريف خسارات متتالية . وطالب عمانوئيل سلطان قونية بذلك فاجاب متأسفاً مؤكداً ان لا علم له بما جرى !

فعمد عمانوئيل الى القوة . وفي ربيع السنة ١١٧٦ أنفذ أحد كبار القادة بثلاثين الفاً الى شرق الاناضول الى قيصرية الجديدة لاعادة ذي النون

الى ملكه . وقام هو بععظم الجيش الى قونية ليحطّمها تحطيماً . وجاءَها من الغرب متبعاً اعلى نهر الميندر . واستصرفر مقدرة خصمه ولم يتخذ الاحتياطات العسكرية الازمة من حيث الاستكشاف وغيره . فدخل ممراً جبلياً ضيقاً بعد حصن ميريو كيفالون Myriokephalon . وما ان تم دخول الجيش باكمله في هذا الضيق حتى انقض الاتراك من اعلى التلال على مؤخرته فأبادوها . ولم تتمكن طلائع الجيش من اعانة المؤخرة لازدحام الطريق الضيق بالمركبات الحربية وببغال النقل . ولم يكن عمانوئيل من يصبر عند الشدة فضاقت حيلته وضاق خلقه ايضاً وصاح الفرار الفرار . وطلب النجاة بنفسه فقدر له ذلك فاخترق صفوف الاعداء وخرج مثقب الترس ، مكسّر الخوذة ، لا يطن في اذنه سوى صوت سبابك خيل الاتراك<sup>١</sup> . وصباح اليوم التالي فوجىء عمانوئيل بالتفاوضة بصلاح دائم بين الدولتين وبشروط مشترفة . فاستشرط قلچ أرسلان الثاني لقاءً تراجع منظم وعوده سالمة الى الحدود ان يرضي الفسيفس بده حصني دوريله وسبليون<sup>٢</sup> . وبما جاءَ في تاريخ نيكيتاس ان عمانوئيل لم يضحك بعد ذاك ابداً وانه عاش اربع سنوات ، وانه اذ رأى قواه تنحط لبس ثوب الرهبنة الخشن الى انت وافته منيته سنة ١١٨٠ . وقبل وفاته خطب لابنه اليكسيوس وهو في الثانية عشرة من عمره آغنى ابنة لويس السابع ملك فرنسة وهي ابنة ثانية سنين . واحضرها لتتربي في قصره وسمها حنة . ولم يكن له من امرأته الاولى سوى بنت واحدة اسمها مريم ازوجها سنة

١١٧٨

**وصاية مويم الانطاكيّة :** ( ايلول ١١٨٠ - نيسان ١١٨٢ ) وبعد

Nicetas Chaniates, Hist., 231-245 ; Chalandon, F., op. cit., II, 507-513. ١

Nicetas Chaniates, Hist. 246 ; Dolger, F., Regesten, 1522, 1524. ٢

وفاة عمانوئيل نفَّذت زوجته مريم الانطاكية الفرنسية وصيَّتها فتردَّت بثوب الرهبة وتولَّت الوصاية على ابنها القاصر . وطلبت إلى اليكسيوس ابن أخي زوجها أن يساعدها في الحكم نظراً لما كان قد عرف عنه من عطف على الأفرنج وتأييده لسياسة التعاون معهم . وطمَّعت مريم اخت الفسليف الصغير وزوجها رينيه دي مونتي فرات Renier de Montferrat في الحكم . ولم يرضَّ جهور من الأشراف ومن رجال القصر عن إدارة اليكسيوس المساعد واتهموا الفسليسة الجميلة باشياء واشياء . فتآمروا جميعاً على نزع السلطة من يد الفسليسة الوالدة . واندلعت ثورة داخلية في الثاني من أيار سنة ١١٨١ . وبلغت الفسليسة إلى كنيسة الحكمة الالهية . وتدخل البطريرك المسكوني ثيودوسيوس وصالح الخزبين المتنازعين ووبح مريم الفسليسة واليكلسيوس مساعدها على سلوكهما . فاتهمه اليكسيوس بالخيانة والاستراك مع الثنائي ونفاه . ولكنه اضطر إلى أن يرجعه نظراً لتعلق الشعب به<sup>١</sup> .

**اندرونيكوس الأول :** ( ١١٨٢ - ١١٨٥ ) وكان لعمانوئيل الأول ابن عم اسمه اندروليكس . وكان هذا الأمير طويل القامة جميل الطلة قوياً . وقد اشتهر بأنه فارس بحرب مغوار . وكان أيضاً ذكياً معلماً فصيحاً ، يجيد المناظرة ، ويحسن الدفاع عن جميع وجهات النظر في المشاكل القائمة ، فعرف « بالحرباء » . وقد عرف بكثرة المغامرات ، وبالسراف في العشق والفسق . وكان قد طمع في الملك وتأمر على سلامه ابن عمه الفسليف ، فاضطر إلى أن يفر من وجهه وان يتبعه إلى حماية أحد أمراء الروس . ثم عاد إلى القسطنطينية فاوْدَع السجن في القصر . ثم فرَّ فجأةً انطاكيةً والقدس فكانت له مغامرات مع ثيودورا ارملة

بودوان الثالث . ولم يجرؤ أحد في الشرق على ايمائه وحمايته . فعاد إلى القسطنطينية تائباً متراجعاً على قدمي الفسيلفس . فنفاه إلى آينابون في البحر الأسود . وظلّ يحكم بالحكم على الرغم من تقدمه في السن<sup>١</sup> .  
 واذ رأى اندرونيكيوس الامور على ما كانت عليه في القسطنطينية بعد وفاة عمانوئيل أعلن عصيانه فالفتّ حوله جيش من المغاربين القدماء وقام بهم إلى العاصمة . فطلب طرد مريم الفسيلسة وعشيقها وبقاء الملك في يد ابنها اليكسيوس . فساعدته الشعوب على ذلك وقبضوا على اليكسيوس المساعد وأرسلوه إلى اندرونيكيوس فسمل عينيه . وأيد الأفرنج الساكنون في العاصمة مريم الفسيلسة فأعلنها اندرونيكيوس حرباً قومية دينية باسم الروم والارثوذكسيّة وأنفذ قوة بحرية بحرية فقتل معظم الأفرنج في العاصمة ونهب بيوتهم ومتاجرهم وأحرقها . ودخل العاصمة وسجن الفسيلسة مريم وصلى على ضريح عمانوئيل ثم أمر بتتويج اليكسيوس الصغير وسار كه في الملك . وادعى على مريم باشياه واسياه . وسعى بالحكم عليها بالموت ، واجبر ابنها الصبي على أن يوقع على الحكم بشنق والدته . ثم سعى في اوساط القصر بـلا يكون فسليفسان في وقت واحد . وشنق اليكسيوس الصغير وتزوج من خطيبته حنة ابنة لويس السابع . وقتل كثيرين من انصار مريم وابنها وسمل عيون كثيرين منهم . ثم كلف البطريرك المسكوني ، باقامة اكليل غير مسموح به . فاجابه البطريرك : « كنت اسمع عنك واما الآن فقد رأيتكم بعيني » ، واستعفى<sup>٢</sup> .

وازداد اندرونيكيوس طغياناً وتجبراً ففر من وجهه عدد كبير من كبار رجال العاصمة والتتجأوا إلى الامراء الصليبيين في انطاكية وغيرها

ولاسيا القدس . وقام بعضهم الى صقلية وايطالية والبعض الآخر الى قونية . وكانت اندرونيكس قد نفى اليكسيوس كومينوس آخر الى بلاد روسية فهرب منها واحتى ملك صقلية وليم الثاني وطلب مساعدته ضد اندرونيكس . فاجاب وليم الثاني التاسه وجرسد حملة في السنة ١١٨٥ واستولى على بعض الجزر وعلى قلعة ديراشيون . ثم قام الى ثيسالونيكيية فدخلها بعد حصار قصير فقتل ونهب وأحرق . ودخل رجاله الكنائس في وقت الخدمة بسيوفهم يشوشون ويطأون حيث لا يجوز ويكسرن ويسلبون . وفي اواسط ايلول زحفوا الى القسطنطينية . وكان اندرونيكس في جزائر الامراء يتنعم ويتلذذ . فقام اسحق الجيلوس وضم الشعب اليه واستولى على القصر المقدس . ورجع اندرونيكس الى العاصمة فدفع اسحق به الى المجهور ليみて كا يشاء . وهب اسحق يسعى في قتال النورمنديين<sup>١</sup> .

**العاصمة في القرن الثاني عشر :** وبقيت القسطنطينية بجموعها كا كانت في القرنين العاشر والحادي عشر مدينة كبيرة شرقية تجمع بين العظمى والصغر . فهناك شوارع رئيسة تحيط بها الابنية الفخمة والقصور العظيمة والكنائس الجميلة . وهناك ايضاً احياء فقيرة مظلمة قذرة . وكانت لا تزال ام المدن المتقدمة وأغناها وأرقاها ذوقاً وفناً وعلماء . وهو أمر تجمع على صحته جميع المراجع المعاصرة . فقد جاء في اخبار رحلة بنiamin تودله المعاصر ان دخل الخزينة اليومي من مخازن العاصمة واسواقها وكاركها لم يقل عن العشرين الف فلس ذهباً<sup>٢</sup> ، وات مظاهر البذخ في الشوارع

Nicetas Choniates, Hist., 453-460 ; Cognasso, F., Polotici, 299-316.

١ وكانت البيزة *Bezant* عملة البيزنطيين الذهبية تساوي حوالي اربعين عشر فرنكاً ذهبياً . وكانت تقسم الى اثني عشر ميلياريسية كل منها يقسم بدوره الى اثني عشر فلساً *Pholles*

كانت مدهشة تأخذ بلبّ الزائر . فالخيول المطهمة وثياب فرسانها الحريرية المزركشة المذهبة كانت تبهر الزائر فيخالهم ابناء ملوك . وما جاءَ في هذه الرحلة أيضاً ان القسطنطينية كانت تجذب رجال الاعمال من كل حدب وصوب فأضحت تفوق جميع المدن تقدماً وازدهاراً ما عدا بغداد . الواقع ان ازدهار التجارة في البندقية وبيزنطة وجنوبي وظروف الحروب الصليبية ومطامع عثمانوئيل في ايطالية والغرب استدرجت عدداً كبيراً من رجال الفرنجة الى القسطنطينية فأقاموا فيها وأنشأوا المتاجر والارصفة عند القرن الذهبي ، كما أقاموا المنازل والكنائس ، فيجعلوا من احياءهم الخاصة بفضل امتيازاتهم مستعمرات لاتينية بكل معنى الكلمة<sup>١</sup> .

وابنى مؤسس الاسرة الكومينية اليكسيوس الاول قصراً جديداً في محله القرن الذهبي هيمن على هذا القرن وعلى المدينة وضواحيها . وأنفق عليه بسحاء فجاءَ فخماً عظيماً رائعاً . وما قاله احد الزائرين المعاصرين : « ولست ادري ما الذي جعله ثميناً جيلاً ! أَسْدَةُ الاتقانِ في فنِ بنائه ، ام قيمة المواد الداخلة في تشييده<sup>٢</sup> ». وكان سلفاءُ اليكسيوس من قبل قد أقاموا في قصر على شاطيء بحر مرمرة فرأى هو ان ينتقل الى المضبة المطلة على القرن الذهبي . وأنشأَت حنة دلسانة كنيسة الخلاص بالقرب من هذا القصر . وحدت حدوها حمام اليكسيوس مريم دوقاس فأنشأت بجوار القصر الجديد ايضاً كنيسة ثانية باسم الخلاص . وقامت في هذا الحي ايضاً كنيسة للعذراء « الكلية القدسية » وكنيسة البانتوكتور الجميلة . وأنشأَ يوحنا الثاني كنيسة لضم رفات اسرته بين هذه الكنائس . وعلى الرغم من صغر حجم هذه الكنائس فانها جاءت جميعها رائعة بتناسب مقاييسها

Diehl, C., *Europe Orientale*, 92-93.

١

*Ende de Deuil, De Ludovici VII, P. L. 185, col. 1221,*

٢

وجمال رخامها واتقان فسيفساها<sup>١</sup>. ولا يزال بعض هذه الكنائس قائماً حتى  
يومنا هذا وقد حول الى جوامع في اثناء الفتح العثماني.

وأدى اهتمام اليكسيوس الاول بالرهبانية وبالاعمال الخيرية الى انشاء ديرين  
في هذا الحي الجديد احدهما للرجال والآخر للنساء. وكرست الفسيلسة  
دير الراهبات للعذراء «المبتلة نعمّة». ولا تزال البراءة التي صدرت  
لتثبيت هذا الدير محفوظة حتى يومنا هذا<sup>٢</sup>. وهي تنبئ بالغاية التي من  
اجلها انشئت هذا الدير فتنص على انه دير نموذجي يهدف الى اصلاح  
الرهبانيات مثل الدير الذي انشأه الفسيلفس في جزيرة باتوس وقد سبقت  
الإشارة اليه. وتخص الفسيلسة ايرينة الراهبات على عمل الخير وترشدهن  
الى كل ما من شأنه ان يظهر حياتهن وتوجوههن الا يدعهن «الحياء»  
توسوس في اذن راهبة فتجعل منها حواء ثانية.

ومن آثار الفن في القرن الثاني عشر المخطوطات المزروقة كمزامير بوريني  
ومواعظ الراهب يعقوب واسفار القصر الثانية الاولى. وقد حوت هذه  
ما لا يقل عن ثلاثة وثلاثين وخمسين منمنمة. ولعل بعض  
هذه الرسوم من صنع يد اسحق اخي الفسيلفس يوحنا الثاني. ومن اثنين  
ما تحفظه المخطوطات المزروقة التي تعود الى هذا القرن منمنات غير  
دينية. فمخطوطة غريغوريوس النزيانزي في القدس وفي جبل آثوس تحمل  
منمنات لمشاهد هلينية وكلاسيكية. وفي هذه دليل آخر على ان  
عصر النهضة الغريبة الذي تميز بالعودة الى العصور الكلاسيكية بدأ في  
القسطنطينية ثم انتقل منها الى ايطالية<sup>٣</sup>.

Stewart, C., *Early Christian Architecture*, 73-74.

١

Miklosich et Muller, *Acta et Diplomata Graeca*, V, 327-391.

٢

Diehl, C., *Art Byzantin*, II, 595-632.

٣

العلم والادب : وقامت في هذا القرن نفسه في جوار كنيسة الرسل  
 مدرسة كبيرة لتدريس العلوم الابتدائية المتوسطة والعالية . ففتى الصغار  
 في أروقتها وحوالى حدائقها كما مشى الاحداث متبعين دفاترهم مسمعين  
 دروسهم في النحو واللغة عن ظهر قلب . وانعزل البعض الآخر من  
 الطلبة الكبار ليحلوا بعض المسائل العويصة . وقام الاساتذة في الداخل  
 يحاضرون في خواص الاعداد وفي الهندسة والطب ، كما قام كبار الموسقيين  
 يشرحون فهم لمن حولهم من الطلبة . وكان بعضهم يتباھي فيؤكّد ان  
 علماء العاصمة آتئذٍ فاقوا ذميوستانيس في الفصاحة ، وارسطو وافلاطون  
 في الفلسفة ، وأقلیدس في الهندسة ، وفيشاغوروس في الفيزياء<sup>۱</sup> . وخصت  
 البطريركية المسكونية العلوم الدينية العالية برعايتها فقبلت الطلاب  
 الاكليريكيين في مدرستها ولقتهم اللاهوت وسواه . وكانت جامعة  
 القسطنطينية لا تزال زاهرة بفرعيها الادبي والفلسفي . وتولى ادارة التعليم  
 الفلسفي فيها « قنصل الفلسفة » يوحنا الايطالي . فذاع صيته وكثُر طلابه  
 ومریدوه وفاحر التلامذة والاصدقاء بانهم من « محبي افلاطون » . ومن  
 استهر بعده في الفلسفة في هذه الجامعة نفسها افستاثيوس اليسالونيكي الذي  
 اظهر مقدرة كبيرة في تدريس هوميروس وليندار . وما قيل فيه آتئذٍ  
 ان محاضراته جمعت بين علم ارسطو ووحى الشعراء . والواقع الذي يعترف  
 به رجال الاختصاص من علماء هذا العصر ان قسطنطينية القرن الثاني عشر  
 أيدت الثقافة الكلاسيكية وجعلت منها اسس التهذيب والتثقيف لابنائهما<sup>۲</sup> .  
 وظل التاريخ واللاهوت يحتلان المكانة الاولى في التتاج الادبي .  
 فقامت حنة ابنة اليكسيوس الاول تؤرخ حياة والدها فصنفت ملحمتها

Heisenberg, A., Apostelkirche in Konstantinopel, Leipzig, 1908.

۱

Diehl, G., Europe Orientale, 106.

۲

الشهيرة الـ *إليسيادة* وقد سبقت الاشارة اليها . وكتب زوجها  
نيقيفوروس بريانوس في وصول الاسرة الكومينية الى العرش فـ *أرّخ*  
السنوات ١٠٧٩ الى ١٠٧٠ . وكتب اليكسيوس الاول نفسه في اللاهوت  
ضد المراطقة فصنف تأملاته *Muses* ووجهها الى ابنه وولي عهده يوحنا<sup>١</sup> .  
ولا نعلم ما اذا كان يوحنا من تذوق الادب ولتكنا نعلم جيداً ان  
اخاه اسحق كتب في تطور ملحمة هوميروس في العصور الوسطى . وكتب  
عمانوئيل الفسيلفس في التنجيم دفاع عن هذا « العلم » ضد تهمات الاكيروس .  
وارسل مصنف بطليموس الجسطي الى ملك صقلية النورمندي فقبل  
حوالى السنة ١١٦٠ الى اللاتينية<sup>٢</sup> .

ومن أشهر مؤرخي هذا القرن يوحنا *كتاموس* Cinnamus فانه دون  
اخبار الفسيلفسين يوحنا وعمانوئيل فأكملا *إليسيادة* حتى . واتبع هذا  
المؤرخ هيرودوتوس وبروكوبيوس في طريقة التاريخ ودافع دفاعاً شديداً  
عن حقوق الامبراطورية الشرقية والكنيسة الارثوذكسيه ضد مطامع  
الامبراطورية الغربية ومطالب الكنيسة الباباوية . وأشهر من *كتاموس*  
بكثير *نيقيتاス الخونياني* Nicetas Choniates . ولد في خونة من أعمال  
الاناضول في منتصف القرن الثاني عشر وتلقى علومه في القسطنطينية ثم  
استوظف في اواخر عهد عمانوئيل ولمع في عهد الاسرة الانجليوسية . ولدى  
استيلاء الصليبيين على القسطنطينية التجأ الى الفسيلفس ثيودوروس النيقاوي .  
وأشهر مؤلفاته تاريخه الكبير الذي جاء في عشرين مجلداً . وفيه تاريخ  
الروم منذ ان تبوا العرش يوحنا كومينوس حتى سقوط العاصمة في يد

Maas, *Die Musen des Kaisers Alexios*, Byz. Zeit., 1913, 348-367.

١

Diehl, C., *La Société Byz. à l'Epoque des Comnènes*, Rev. Hist. du S.E. ٢  
Européen, 1929, 198-280.

الصلبيين ( ١١١٨ - ١٢٠٤ ) . ويرى ثيودور اوسبنسكي العلامة الروسي ان نيقetas فاق جميع زملائه في الشرق والغرب معاً امانة وتدقيقاً<sup>١</sup>. واستد الاقبال على مطالعة التاريخ في هذه الآونة فنশط للتأليف فيه عدد آخر من الرجال امثال كدرينوس Cedrenus وزوناراس Zonaras وماناسيس Manases وغليقاس Glykas الذين أخرجوا موجزات للتاريخ العالمي على الطريقة الحريقونية القديمة . ويستدل من اسلوبهم في الكتابة ومن بعض الفاظهم انهم لم يكونوا أقل اطلاعاً من سواهم من علماء ذلك العصر على نتاج العهد الكلاسيكي القديم . فساهروا بعملهم هذا في بدء النهضة العلمية الحديثة في اوروبا جماء .

وقضت ظروف الكنيسة ، من حيث المشادة التي كانت ناشبة آنذاك بين روما والقسطنطينية ومن حيث ظهور بعض البدع ، بان تهب للدفاع عن الارثوذكسيّة الحقة . فقام افتيموس زيجابينوس Zigabenos بانوبليته الشهيرة ( الدرع الكاملة العدة ) لدحض هرطقات ذلك العصر ونقضها بالحججة<sup>٢</sup> . ومن استهر في هذا الجدل الديني في القرن الثاني عشر نيكولاوس ميثنوس Methonius ونيقيtas الحونياني المؤرخ الذي ورد ذكره آنفاً . وقضت ظروف التشريفات في القصر وفي المقر البطريركي المسكوني بان يجتهد عدد من الادباء في فن الخطابة والفصاحة . فعاد هؤلاء ايضاً الى مخلفات العصر الكلاسيكي لاستيعابها والافادة منها . وبين هؤلاء افسيتاسيوس الثيسالونيكي وميخائيل الحونياني اخو نيقetas المؤرخ ورئيس اساقفة آثينا وميخائيل الايطالي ونيقيفوروس باسيلاكس Basilakes

*Uspensky, Th., A Byzantine Writer, See Vasiliev, A. A., Byz. Emp.* ١

*p. 495.*

*Patrologia Graeca, CXXX, 9-1362.*

٢

وباسيليوس رئيس اساقفة اوخرية . وفي مكتبة الاسكوريال مجموعة من هذا النوع من التصنيف تعود الى القرن الذي نحن نحن بصدده<sup>١</sup> .

ويرى العالمة الافرنسي شارل ديل المتخصص في تاريخ الروم وفنونهم ان ادباء الروم في القرن الثاني عشر وعلماء هم اذا ما قورنوا بزملائهم في الغرب في هذا القرن نفسه ظهروا اساتذة معلمين لا مناظرين . ومن الطف ما جاء في تأييد هذا القول تلك الملاحظة العلنية التي جرت في عهد يوحنا الثاني في القسطنطينية في السنة ١١٣٥ بين أنسيلموس اسقف ابلبرج اللاتيني ونيقيتايس رئيس اساقفة نيقوميدية . فان انسيلموس بعد ان جادل نيقيتايس جدالاً طويلاً في انشاق الروح القدس وفي استعمال الفطير استند في تأييد آرائه على ان الكنيسة اللاتينية كانت دائماً مستقيمة الرأي ، وطعن في الكنيسة الارثوذك司ية واتهمها بان كل المهرطقات قامت فيها . فأجابه نيقيتايس بانه لا ينكر ذلك وانا يعزو هذه الظاهرة لانكباب رجال كنائس الشرق على العلوم والفلسفة . ثم قال : وافهم يا صاح انه وان تكون جميع المهرطقات خرجت من اليونان فان هدمها ايضاً تم على أيدي طائفة من ابناء اليونان . وخلص الى القول بانه لم يكن يمكن ان تولد هرطقات في رومة لأن العلم وتقدّم الذهن وقوّة العقل في رجالها كانت امراً نادراً . ثم قال انت لا تنكر على كنيسة رومة تقدمها على اخواتها الكنائس الباربريكية الاربع الاخرى ، ونونافق على ان ترأس المجامع المسكونية ، ولكنها خرجت عن حدود سلطانها وقسمت بين مملكة الشرق والغرب وبين الكنائس . ونحن وانت لم يكن بيننا وبين الكنيسة

الرومانية انقسام في الاعان البتة فكيف يكنا ان نقبل قوانين مسنونة  
دون معرفتنا<sup>١</sup>!

١ ولا بد من القول بان ما اورده الاب هنري موسه في المجلد الاول من تاريخه  
للكنيسة في هذا الموضوع هو ناقص ، فلتراجع مراجمه في محلاتها :  
*Musset, H., Hist. du Christianisme Sp. en Orient, I, 467-469.*

## الباب العاشر تفكك وانهيار

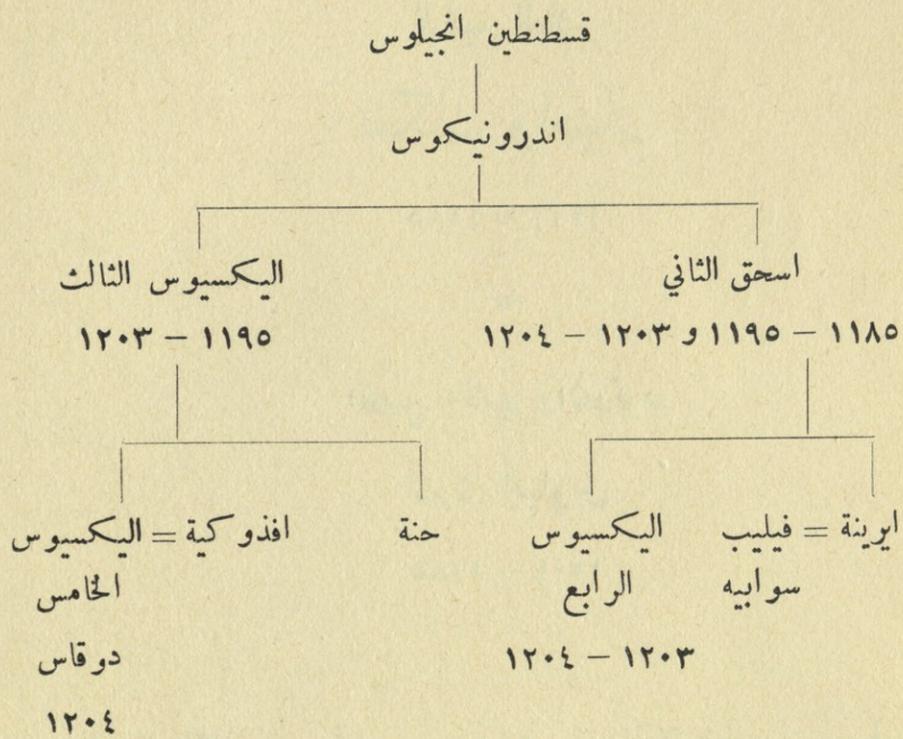
١٢٦١ - ١١٨٥

### الفصل الثاني والثلاثون أسرة أنجيلوس

١٢٠٤ - ١١٨٥

اسحق الثاني : وتحدرت هذه الاسرة المالكة الجديدة من قسطنطين  
أنجيلوس الفيلادلفي معاصر اليكسيوس كومينيوس الاول وصهره زوج ابنته .  
ولم يكن اسحق ابن بجدته . وكان اكولاً بطيناً يهوى اللحم والخمر  
والخبز . فكنت تجده على مائته « تللاً من الخبز وغابات من الطيور  
وبحراً من الاسماك ومحيطاً من الخمر » . وكانت يلبس في كل يوم بدلة  
جديدة . وكان يستحم مرة في كل يومين فيتطيب ويخرج خروج العروس

المنغمس في ملذات عرسه . وكان يحب الحمر والنساء ويحيط نفسه بالجحان والمهرجين والمعنفات .



وكان الخطر النورمندي لا يزال يحدق بالدولة ويهدد كيانها ففاوض اسحق القيادة النورمندية في السلم فرفضت . فأُنفدت قوة جديدة بقيادة اليكسيوس براناس أحد كبار رجال الجيش فانتصر على النورمندين في تشرين الثاني من السنة ١١٨٥ عند ديميتريتسa Dimitritza . فتراجع هؤلاء وأخلوا ثيسالونيكيه وديراتزو وكورفو ووقعوا الصلح<sup>١</sup> . ولم يَهَبْ رجال البر من أصحاب الاملاك الكبيرة اسحق ولم يخافوه .

وتجاوز اسحق الحدود المنشورة في الانفاق فزاد الضرائب . وازداد طمع الجباة فأثقلوا كاهل الاهلين وابتزوا المال ابتزازاً . فاندلعت ثورة داخلية في السنة ١١٨٦ بزعامة اليكسيوس براناس بطل ديمترية . ومشى هذا القائد الى العاصمة . فاضطراب اسحق ودعى عدداً كبيراً من الرهبان والقسيسين الى القصر ليتهلوا الى الله ان يبعد شر الانقسام الداخلي . وقام كونراد مونتفران عديل الفسيلفس على رأس ثلاث مئة فارس افرينجي وعدد من المشاة فهزم براناس وقطع رأسه ورماه عند قدمي الفسيلفس . ثم انقض واتبعه على انصار براناس في العاصمة فنهب وأحرق وزاد بذلك كره الروم لللاتين<sup>١</sup> .

وفي السنة ١١٨٨ عاد البلغار والفلاخ الى السلاح وانتشروا في تراقيا . ولم يوفق اسحق الى صدهم واخذتهم فهادهم ثم صالحهم على ان يكونوا احراراً ما بين البلقان والدانوب<sup>٢</sup> . وفعل مثل هذا في السنة ١١٩٣ عندما ائتم على اسطفان نيميني Nemanya بلقب سبستوقاتور وازوجه من اميرة رومية . وقام ثيودوروس منقافس في الاناضول بـ اول الاستقلال في فيلاذيفية ولديه ولكن غلب على أمره واخظر الى ان يتبعه الى سلطان قونية<sup>٣</sup> .

وسقطت القدس في يد صلاح الدين في الثاني من تشرين الاول سنة ١١٨٧ فاهتزت اوروبا باسرها . وهب الامبراطور فريدريكس يدعو لحملة صليبية ثالثة . فقبل الصليب في السابع والعشرين من اذار سنة ١١٨٨ وكتب الى اسحق الثاني الفسيلفس ينبهه بذلك وبأنه سيتخذ طريق البر ماراً براضيه . ووقع الاثنان معاهدتا في نورمبرج في ايلول السنة ١١٨٨

Nicetas Chon., Hist., 509-513.

Dolger, F., Regesten, 1580.

Bréhier, L., Byzance, 351-252.

تعهد بها الفسيفس بالسماح للصلبيين بالمرور في اراضيه مقابل امتناعهم عن ايقاع الاذى برعاياه<sup>١</sup>. ولكنه بعد ذلك ببضعة اسابيع وقع تحالفاً مع صلاح الدين<sup>٢</sup>. ولم يكن فريدريكوس أقل حذرًا وتلوناً فانه فاوض البلغار والصرب والنورمنديين في الوقت الذي كان يفاوض فيه اخاه الفسيفس. فنشأ عن هذا كله جو من الالتباس والمواربة وقلة الثقة. وقضت تقاليد القصر المقدس بـألا يكون في العالم كله سوى امبراطور واحد وبات يستقبل فريدريكوس كملك لا كامبراطور. فاشتد القلق وأصبح تقدم الصليبيين الامان في اراضي الروم زحفًّا عدو بغيض. ودخل فريدريكوس أدنة في خريف السنة ١١٨٩ فكتب الى ابنه هنريكوس ان يُعد اسطولاً وان يستعين بالبنادقة وغيرهم ليهاجم القسطنطينية بحراً في الوقت الذي يزحف هو فيه من البر<sup>٣</sup>. وتبيّن هذا كله للفسيفس اسحق الثاني في السنة ١١٩٠ فموَّن الامان وقدم لهم المراكب اللازمة لينتقلوا بهـا الى بر الاناضول ، ففعلوا. ولكن الروم ازدادوا بغضًا لللاتين وطورو ذلك في صدورهم .

وكانت الحاجة الى المعونة الحربية قد قضت بتوسيع الامتيازات المنوحة للبنادقة (١١٨٧) فرأى اسحق ان يزيد في امتيازات بيزة وجنوى ليقلل الضرر الناجم عن امتيازات البنادقة . فغضب تجـار العـاصمة ووجهـاؤها لكرامتهم ومصالحـهم . وكانت الحكومة المركزية تردد ضعـفـاً .

**اليكسيوس الثالث :** (١١٩٥ - ١٢٠٣) وفي السنة ١١٩٥ خرج اسحق الثاني بنفسه لمحاربة الفلاح والبلغار . فلما وصل الى كيسالة (آبسيلار)

Dolger, F., *Regesten*, 1581, 1587.

١

Dolger, F., *Regesten*, 1584, 1591.

٢

Norden, W., *Papstlum*, 119.

٣

خرج للصيد . فدخل أخوه اليكسيوس خيمته وأعلن نفسه فسيليكس<sup>١</sup> .  
 وبغض على اسحق وسمل عينيه وسجنه هو وابنه اليكسيوس . ورفض  
 اليكسيوس كنية عائلته وتسمى اليكسيوس الثالث كومينيوس . وأبطل  
 مشروع الحرب ضد البلغار والفالاخ ، وزع مال الحزينة على الجنود .  
 واد نفد المال وزع اراضي الدولة وعاد الى العاصمة . وكانت افروسين  
 دوقاس زوجته شديدة الاعتزاز بنسبيها ، كثيرة العناية بالسياسة ، واسعة  
 الاتصالات ، ذكية نشيطة مغربية مضللة . فنجحت في جمع الكلمة على  
 تأييد زوجها ، وأعدت له استقبالاً حافلاً . وعاد الفسيليكس الجديد الى  
 العاصمة ومال الى العيشة المهنئة ولم يبال بواجباته الادارية والسياسية .  
 ويقول نيقetas المؤرخ المعاصر « ان اليكسيوس الثالث كان يوقع كل  
 شيء يقدم له ولا يكتثر ما اذا كان هذا الشيء مجموعة من الكلمات  
 الفارغة ، او طلباً للباحث في البر ، او الفلاحة في البحر ، او نقل جبل  
 الى البحر ، او رفع جبل آثوس من مكانه الى قمة جبل او لمبوس<sup>٢</sup> .  
 وسأط احوال البلقان السياسية . فخر زعيم البلغار يوحنا آسن صريعاً ،  
 فأيد الفسيليكس نيفوكو الجاني فالتجأ اخوه القتيل كالويات Kalojean الى  
 البابا انوسنت الثالث ( ١١٩٩ ) مقدماً خضوع الكنيسة البلгарية لقاء  
 تتوبيه ملكاً على بلغاريا . فقبل البابا وأرسل كرديناً الى تونوفو وتوج  
 كالويان ملكاً وجعل رئيس اساقفة تونوفو رئيساً على الكنيسة البلгарية .  
 فظهرت الامبراطورية البلгарية الثانية الى حيز الوجود . واضطرب اليكسيوس  
 ان يعترف بها في السنة ١٢٠١<sup>٣</sup> . وحدث مثل هذا في بلاد الصرب . فان

Nicetas Chon., Hist., 607.

١

Nicetas, Hist., 599-600.

٢

Bréhier, L., Byzance, 357-358 ; Luchaire, A., Innocent III, 87-97.

٣

اسطfan نيمنيه استقال في السنة ١١٩٦ ولبس ثوب الرهبنة . فنشاً نزاع شديد بين ابنيه اسطfan وفوك . فالتجأ اسطfan الى البابا واعاد زوجته الاميرة البيزنطية الى القسطنطينية ونال لقب الملك من يد البابا ولكن لم يخرج في النهاية عن الكنيسة الارثوذكسيّة<sup>١</sup> .

**هنريكوس السادس والروم :** وتوفي فريديريكوس بارباروسة في العاشر من حزيران سنة ١١٩٠ غريقاً في نهر كوك صو في قيليقية . فيخلفه ابنه هنريكوس السادس في امبراطورية الغرب . وكان هذا قد اقترب بقسطنطينة ورثة وليم الثاني في صقلية وجنوبي ايطالية . فكتب في السنة ١١٩٤ الى اسحق الثاني فسليفس الروم يطالب بالأراضي التي افتحها النورمنديون في البلقان من ديراتزو حتى ثيسالونيكيّة . ولدى وصول اليكسيوس الثالث الى العرش عاد هنريكوس فأرسل وفداً الى القسطنطينية بين الasaة التي لحتت بالامبراطور فريديريكوس في اثناء مروره في اراضي الروم ويطلب التعييض . وكان فيليب اخو هنريكوس السادس قد تزوج من ايرينة ابنة اسحق الثاني . وعلى الرغم من النزاع الذي نشب بين هنريكوس وفيليب لدى وفاة والدهما الامبراطور فات فسليفس الروم ظل يخشى تدخل فيليب في صالح اليكسيوس ابن اسحق وانجي ايرينة زوجته .

وخشى حبر رومه هذا التوسيع في سلطة الامبراطور الغربي في ايطالية وصقلية . ولم ترق له مطامع هنريكوس السادس عبر الادریاتيك . ورأى من ناحية اخرى ان التعاون مع فسليفس الروم يفيده من اخرين اذ انه يعاون على اعادة توحيد الكنيسة جمعاء وعلى محاربة المسلمين في الاراضي المقدسة لاسترجاع السلطة على القدس وغيرها من الاماكن التي كانت قد وقعت في يد صلاح الدين . وفي السنة ١١٩٨ رقي السدة

الرومانية انوشنشن الثالث . وكان عالماً ذكياً حازماً قوياً مؤمناً تقىً ، فرأى ما رأه سلفه كاستينوس واتصل باليكسيوس الثالث وطلب اليه ان يسعى لتوحيد الكنيسة وان يشترك في حملة صليبية رابعة تحرر القدس وغيرها من حكم المسلمين .

**الحملة الصليبية الرابعة :** وبعث انوشنشن الثالث برسالة الى الملوك الاوروبية يروج فكرته ويحض الملوك والامراء والشعب على التطوع في حملة جديدة . ولكن احداً من كبار الملوك لم يلبِ النداء . ففيليب الثاني ملك فرنسة كان لا يزال تحت الحرم الباباوي لهجره زوجته الثانية وتزوجه من ثلاثة . وكان يوحنا الثاني ملك انكلترة لا يزال في خصم شديد مع اشراف بلاده واعيائها . وكان هنريكوس السادس قد توفي في خريف السنة ١١٩٧ في صقلية فنشبت مشادة عنيفة لتنسم العرش الامبراطوري بين اخيه فيليب واوتون الرابع ابن هنريكوس الاسد . بيد ان هذه كلها لم يمنع الفرسان الغربيين من تقبل الدعوة . فاشترك في هذه الحملة الرابعة نخبة من افضل فرسان فرنسة وانكلترة والمانية والبلدان الواطئة وصقلية . وألْعَ من حمل الصليب بهذه المناسبة شيخ البندقية هنريكوس دندولو Dandolo الاعمى . وكان قد عرف القسطنطينية حق المعرفة وقد بصره فيها عندما حوال بعض الروم نور الشمس الى عينيه برأة مقعرة . فقضب وحقد وأضمر السوء . وكان سياسياً محنكاً ومفاوضاً حاذقاً . فلبى نداء البابا ليقضي على دولة الروم وينشئ على انفاسها امبراطورية بندقية غربية<sup>١</sup> .

و حين فكر القائدون بهذه الحملة في كيفية الزحف على الاراضي المقدسة ارسلوا وفداً الى البندقية يفاوضون في نقل الجنود الى مصر اولاً لأن مصر

كانت مركز السلطة المستولية على فلسطين . فتم الاتفاق على ان تنقل  
البندقية ٤٥٠٠ فارس و ٢٠٠٠ جندي وعلى ان تطعمهم شرط ان يدفع  
الصليبيون لها مبلغاً معيناً من المال وان تقسم الغنائم في المستقبل مناصفة  
بينها وبينهم<sup>١</sup> .

وتجمعت الجملة في البندقية في شهر يموذ وآب من السنة ١٢٠٢ وعجز  
الصليبيون عن دفع المبلغ المتفق عليه ولم يتمكنوا الا من دفع نصفه .  
فانتهز دنجلو هذه الفرصة واقتصر ان يدوس الصليبيون مدينة زاره Zara  
عبر الادرياتيك لحساب البندقية لأنها كانت تتأسف هذه مناسفة شديدة .  
فقام الصليبيون الى زارة وحاصروها . وعيثاً حاول اهلها اظهار شعائر  
النصرانية على الاسوار لردع الصليبيين عن حاربة ابناء دينهم . وعيثاً  
ايضاً حاول البابا ردع البندقية عن هذه الاساءة لمبادئ الحروب الصليبية .  
واستولى الصليبيون على زارة وقدموها للبندقية لفترة مائة<sup>٢</sup> .

وقد مرّ بنا في تضاعيف الفصول السابقة كيف تزايد البعض وتفاقم  
بين الشرق والغرب ولاسيما في اثناء القرن الثاني عشر . فقد رأينا ملوك  
النورمنديين الصقليين يحتذرون الادرياتيك لاحتلال شواطئ الشرقية منذ  
ايم روبر غيسكار حتى ايم روجه الثاني وخلفه ووريثه في صقلية  
الامبراطور هنريكيوس السادس . ورأينا ايضاً اباطرة الشرق يخشون  
الصليبيين في اثناء مروارهم في اراضيهم فينشأ عن هذا الخوف شيء من  
التوتر ، فيزداد احياناً ويؤدي الى التفكير الجدي في احتلال القسطنطينية .  
وقد رأينا في الوقت نفسه هذا البعض يتفاقم فينفجر في شوارع عاصمة  
الروم فيلحق بالطالبات اللاتينية فيها شيئاً كثيراً من الفرار والخسارة .

Villehardouin, Geoffroi, Conquête de Constantinople, I, 21-28, 30.

١

Innocent III, Epistolae, V, 161; Luchaire, A., Innocent III, Quest. d'Orient, 103-105.

٢

ويجر البندقية الى الحرب للمحافظة على مصالحها التجارية في الشرق .

وفي اثناء السنة ١٢٠٢ أفلت اليكسيوس انجلوس ابن اسحق الثاني من السجن الذي كان قد اودع فيه سنة ١١٩٥ وجاء صقلية فرومدة يستعطف البابا على قضيته . ثم اتجه شمالاً سطراً المانية يستعين بشقيقته ايرينة زوجة فيليب سوابيه في هذا الامر نفسه . فرجت ايرينة زوجها وألحت عليه . وكان فيليب آنذاك منهنكاً في نزاع مستميت ضد آتون ، كما سبق ان أشرنا ، فأوفد وفداً الى زارة يرجو البندقة والصلبيين مساعدة اسحق الفسليفس وابنه اليكسيوس للوصول الى العرش . ففتحت امام دندولو آفاق جديدة وهب يقنع الصليبيين بالقبول . وقام اليكسيوس بنفسه الى زارة وفاوض دندولو والصلبيين في ذلك مباشرة ووعد بدفع مبلغ كبير من المال مقابل هذه المعونة ، كما أظهر استعداده لادخال كنيسة الروم في طاعة البابا واستراكه استراكاً فعلياً في الحرب المقدسة<sup>١</sup> . وقد اختلف رجال الاختصاص في اسباب تحول الصليبيين عن مصر وفلسطين الى القسطنطينية . فقام في السنة ١٨٦١ ماسلاتري الافرنسي يتهم البندقية وشيخها بالوصول الى تفاهم سري سابق مع سلطان مصر لتحويل هذه الحملة عن اراضيه<sup>٢</sup> . وأيد قوله كارل هوبف الالماني فحدد تاريخ هذه المعاهدة السرية وجعله في الثالث عشر من ايار سنة ١٢٠٣ . وفي السنة ١٨٧٥ قام الكونت دي ريان الافرنسي يلقي المسؤولية في هذا التحول في مجرى الحملة الرابعة على عاتق فيليب سوابيه فيجعل التحول عن مصر مظهراً آخر من مظاهر النزاع بين الامبراطور الغربي والبابا لأن انوسنتش

Villehardouin, G., op. cit., I, 90-101, Luchaire, A., op. cit.; 111; Nicetas ١  
Chon., Hist., 712.

Mas - Latrie, Hist. de l'Ile de Chypre, I, 162-163. ٢

Hopf, K., Gesch. Griechenlands, I, 188. ٣

الثالث كان يميل الى مناظر فيليب آتون البرنزيكي<sup>١</sup>. وفي هذا كله تسرع<sup>٢</sup>  
للوصول الى استنتاجات جديدة تلقت النظر ، وخروج في الوقت نفسه عن  
ابسط قواعد المصطلح . والواقع انه لا يجوز ان يقال في هذا الموضوع  
اكثر مما جاءَ في الفقرة السابقة .

وفي آخر حزيران من السنة ١٢٠٣ ظهر اسطول الصليبيين امام اسوار  
القسطنطينية ونزلوا بالقرب من غلطة قطعوا السلاسل الحديدية التي حمت  
مدخل القرن الذهبي ، فدخلت مراكب البنادة وأحرقت مراكب الروم .  
ثم اقتحم الفرسان الصليبيون اسوار العاصمة واستولوا على المدينة في نوز  
من السنة نفسها . وفرَّ اليكسيوس الثالث بخزينة الدولة وجواهيرها .  
وأطلق سراح اسحق الثاني وأعلن ابنه اليكسيوس شريكاً له في الحكم .  
وأخذ هذا لقب اليكسيوس الرابع .

وطالب الصليبيون ودندو لو بتنفيذ نص المعاهدة ، اي بدفع المال المتفق  
عليه وباعداد قوة تقوم معهم الى الاراضي المقدسة . فاستمهلهم اليكسيوس  
الرابع ورجاهم ان يقيموا خارج اسوار العاصمة . وامتنع الروم من  
اللاتين الفاتحين واتهموا الفسیلفین اسحق وابنه اليكسيوس باخيانة ، وهب  
شهر اليكسيوس الثالث اليكسيوس دوقاس الى السلاح . وكانت ثورة  
في اوائل السنة ١٢٠٤ ادت الى وفاة اسحق وختق ابنه اليكسيوس  
الرابع . ونودي باليكسيوس دوقاس فسیلفساً ، فعرف باسم اليكسيوس  
الخامس .

وفي اذار السنة ١٢٠٤ وقع الصليبيون والبنادة اتفاقاً فيما بينهم لاقتسام  
الامبراطورية الشرقية بعد احتلال العاصمة . وقضت شروط هذا الاتفاق  
بان تقام في العاصمة حكومة لاتينية وان تقسم الغنائم فيما بين الطرفين وان

تتولى لجنة مؤلفة من ستة بنادقة وستة افرنسيين أمر انتخاب امبراطور يحكم «لجد الله وبجد الكنيسة الرومانية المقدسة وبجد الامبراطورية». واتفق الطرفان ايضاً على ان يحكم هذا الامبراطور ربع العاصمة وربع الدولة التابعة لها، وعلى ان يوضع تحت تصرفه قصران من قصور العاصمة. ونص الاتفاق ايضاً على تقسيم ما بقي من العاصمة واراضي الدولة مناصفة بين البندقية وبين سائر الصليبيين. وفرض على جميع الصليبيين الباقيين في اراضي الدولة الجديدة ان يقسموا بين الطاعة والولاء للامبراطور. ولم يشمل هذا البند دنديلو وبندقيته.<sup>١</sup>

ثم حاصر الصليبيون القدسية بضعة ايام ففر<sup>٢</sup> اليكسيوس الخامس، فتدفقوا اليها في الثالث عشر من نيسان سنة ١٢٠٤ ناهين. واسترک في اعمال النهب الفظيع الجنود الصليبيون وفرسانهم والرهبان اللاتينيون ورؤساؤهم<sup>٣</sup>. وشمل هذا النهب كنيسة الحكمة الالهية وغيرها من كنائس العاصمة وأديارها كما قضى على عدد كبير من اثمن الخطوطات.<sup>٤</sup>

ولم يزح دنديلو نفسه لعرش القدسية، ولم يرض<sup>٥</sup> مرکيز مونتفرات Boniface de Monferrat ان يتسلمه لانه كان اميراً اقطاعياً ايطالياً قوياً لا تبعد املاكه عن ممتلكات البندقية. فالتآمت لجنة الانتخاب وأقامت بلدوبن قومس فلاندر امبراطوراً على القدسية. ثم قسمت الممتلكات فتولى الامبراطور على خمسة اثمان العاصمة وعلى الاراضي التي تاختت المضيقين وبحر مرمرة وعلى بعض جزر الارخبيل الكبرى.

Tafel, G. L. F. und Thomas, G. M., *Urkunden zur Alteren Handels und* ١

*Staatsgeschichte*, I, 446-452.

Nicetas Chon., *Hist.*, 753-763. ٢

Chronicle of Novgorod, 186-187. ٣

واستولى مركيز مونتفرات على ثيسالونيكيه وماجاورها من ارض مقدونية وعلى ثيسالية . ونال دندولو حصة الاسد ، فاستولى باسم البندقية على ديراتزو وغيرها من النقاط الهاامة في ساحل الادرياتيك الشرقي ، كما احتل كورفو وغيرها من جزر مداخل هذا البحر ، وبعض اماكن في شبه جزيرة المورة وجزيرة اقريطش ، وبعض المرافئ على شاطئ تراقيه وغالبولي وثلاثة اثاثان القسطنطينية . واتخذ دندولو لنفسه بهذه المناسبة لقب ذسبوتس despotus ولقب « سيد الرابع ونصف جميع امبراطورية رومانية »<sup>۱</sup> . وظل خلفاؤه في البندقية يستعملون هذا اللقب حتى منتصف القرن الرابع عشر . وتسلّم اكليروس البندقية كنيسة الحكمة الالهية واقاموا بموافقة البابا توما موروسيني بطريركًا على الكنيسة الكاثوليكية في الامبراطورية الجديدة . فاستخف به الروم « بجهله وحقارته »<sup>۲</sup> .

واتخذ مركيز مونتفرات لنفسه لقب ملك وقام الى آثينه فاحتلها وجعل منها ومن ثيبة دوقية وحول كنيستها الكاتدرائية في قلب البارثينون الى كنيسة لاتينية . وانتظمت الامبراطورية اللاتينية على اساس اقطاعي فقسمت الى عدد من الاقطاعات ، واقسم امراء هذه الاقطاعات بين الولاء والطاعة للامبراطور<sup>۳</sup> .

وكتب الامبراطور بلدوين الى البابا انوشتش الثالث يعلمه بفتح القسطنطينية وبارتقائه عرشه بنعمة الله ، ويؤكّد خضوعه للسدة الباباوية Miles Suus . فأجابه انوشتش « متھلاً بالرب لتمجيد اسمه بالاعجوبة التي نعمت فشرفت العرش الرسولي وشعب المسيح ». وطلب الى جميع

« Quartae Partis et Dimidiae Totius Imperii Romanie Dominator » .

۱

Nicetas Chon., Hist., 854-855.

۲

Vasiliev, A. A , Byzantine Empire, 465-467.

۳

الاكيروس وجميع الملوك والشعوب ان يؤيدوا بلدوين ليتمكن بعد  
 فتح القسطنطينية من الاستيلاء على الاراضي المقدسة<sup>١</sup>. ثم علم هذا الخبر  
 الكبير با اقترافه الصليبيون من آثام في القسطنطينية فحزن وقلق واضطرب .  
 وكتب الى مركيزه مونتفرات يقول : « لقد حدمتم عن طهارة نذركم  
 عندما زحفتم على المسيحيين بدلاً من المسلمين فاستوليت على القسطنطينية  
 بدلاً من القدس . وآثرتم كنوز الدنيا على كنوز الآخرة . وما هو اهم  
 من هذا وذاك ان بعضكم لم يوقر الدين ولم يحترم العمر او الجنس<sup>٢</sup> ». .  
 وهكذا فانه لم يكتب لهذه الامبراطورية الجديدة عمر طويل<sup>٣</sup> . فانها  
 كانت منذ نشأتها اقطاعية ضعيفة في السياسة وال الحرب . وكانت مقسمة  
 الولاء في الدين ينقصها الشيء الكثير من توحيد الكلمة . فرعايا الامبراطور  
 الجديد ظلوا ارثوذكسيين بعيدين عن دين الدولة الجديدة ، ورجال الدين  
 فيها ظلوا طوال عهدها يتبعون بطريرك ارثوذكسيًا جالسًا في نيقية كا  
 سنرى .

*Tafel und Thomas, op. cit., I, 502, 516-517.*  
*Epistolae, VIII, 133.*

١

٢

٢٤٢  
١٨٥  
\_\_\_\_\_  
١٨٥

## الفصل الثاني والستون

امبراطورية نيقية

( ١٢٦١ - ١٢٠٤ )

على انقاض دولة الروم : وقام على انقاض دولة الروم في النصف الاول من القرن الثالث عشر عدد من الدولات والامارات الافرنجية اللاتينية اهمها : امبراطورية القسطنطينية ، وملكة ثيسالونيكيية ، وامارة آخية في المورة ، ودوقيه آثينه وثيفه . وشلت امبراطورية البندقية اهم الجزر في مداخل بحر الادرياتيك وبحر ايجه ، وجزيره اقريطش ، وعددًا وافياً من النقاط الاستراتيجية في سواحل شبه جزيرة البلقان . وقامت دولة رومية يونانية في كل من نيقية وطرابزون وإيبروس . وكان هناك امبراطورية بلغارية ثانية وسلطنة سلجوقية في قونية .

وتاريخ هذا النصف من القرن الثالث عشر هو تاريخ نزاع بين الروم واللاتين ، وفيها بين الروم انفسهم ، وبين الروم والاتراك ، وبين الافرنج والبلغار . ولم يقدر للافرنج في الشرق في هذه الآونة ان يتبعوا سياسة ايجابية عمرانية فيوطدوا بذلك ملكاً راسحاً مستقراً . وأدى بقاوئهم فيه الى تخريبه وتخريب انفسهم في آن واحد .

امبراطورية نيقية : ومن نيقية خرج في النهاية من جمع الشمال وقام بعمل ايجابي فتغلب على الافرنج وأعاد الملك للروم . والإشارة هنا

ليخائيل باليولوغوس . ولذا فان سير الامور في دولة نيقية وتطور احداثها وظروفها اكثرا فائدة للباحث من اخبار غيرها من دوبلات ذلك العصر .

ولا نعلم شيئاً دقيقاً عن أصل اسرة اللاساكرة Lascaris ولا عن مسقط رأس مؤسسها ثيودوروس الاول ( ١٢٠٤ - ١٢٢٢ ) . وجل ما نعلم عن ثيودوروس قبل تسلمه عرش نيقية انه كان صهر اليكسيوس انطيلوس الثالث زوج ابنته حنة . ونعلم ايضاً ان ثيودوروس هذا حارب الصليبيين في عهد اليكسيوس الثالث بامانة واخلاص وان اكليروس العاصمة رأوه لائقاً لتولي الملك بعد اليكسيوس دوقاس<sup>١</sup> .

### ثيودوروس الاول

( ١٢٢٢ - ١٢٠٤ )

ايرينة = يوحنا الثالث دوقاس

( ١٢٥٨ - ١٢٢٢ )

ثيودوروس الثاني

( ١٢٥٤ - ١٢٥٨ )

يوحنا الرابع

( ١٢٦١ - ١٢٥٨ )

وفر ثيودوروس الاول عند سقوط القسطنطينية في يد الافرنج الى آسية الصغرى . والتبعا اليها عدد من وجاهء الروم من الاوساط العسكرية والمدنية . وجاءها بعض كبار رجال الدين . أما البطريرك المسكوني يوحنا كاتيروس فإنه آخر الاقامة في عاصمة البلغار . وأم الاناضول عدد من الوجاهء والاعياد وغيرهم من سائر اقطار دولة الروم . وأحب أحد اعيان جزيرة افيفيا بالقرب من الساحل اليوناني الشرقي ان يتوجيء الى نيقية ، فكتب ميخائيل الحونياني رئيس اساقفة آثينة كتاب توصية بهذا الرجل الى ثيودوروس الاول . ومن أغرب ما جاء في هذا الكتاب قول متروبوليت آثينة انه اذا حظي هذا الرجل بجمالية ثيودوروس نظر جميع الروم الى ثيودوروس نظرهم الى مخلص « رومانية » العام<sup>١</sup> . وكانت مهمة ثيودوروس شاقة فان سلطان ايقونية كان يهدده من الشرق والجنوب . وكان امبراطور القسطنطينية يهدده من الغرب . وكانت الفوضى في الداخل اكثر خطراً . وقام اللاتين في السنة ١٢٠٤ نفسها بمحاولات اخضاع آسية الصغرى . ونجحوا في اعماهم التمهيدية بنجاحاً كبيراً . وظنوا ان الشعب في آسية الصغرى يؤيدهم كل التأييد<sup>٢</sup> . ولكنهم توافقوا فيجأوا وتراجعوا عندما علموا ان البلغار اسرروا امبراطورهم بلدوين في الحرب .

**تعاون الروم والبلغار :** ولم يحسن اللاتين السياسة في البلقان وحقروا البلغار وامبراطورهم وجعلوا هذا يشعر انه دون امبراطورهم مكانة ومرتبة . وهددوه بالدمار والخراب . وأثاروا عليهم غضب الروم في تراقيا ومقدونية فسخروا من عقائدهم وطقوسهم وشعائرهم . فنشأ تعاطف شديد بين الروم والبلغار . ويجوز الافتراض ان البطريرك المسكوني يوحنا كاتيروس الذي

Michael Acominatus, Works, II, 276-277.

Villehardouin, op. cit., I, 323.

١

٢

كان قد التجأ إلى عاصمة البلغار لعب دوراً هاماً في التحالف الذي تم في السنة ١٢٠٥ بين هذين الشعرين<sup>١</sup>. فتشجع كالويان إمبراطور البلغار وقوّى قلبه ورأي في هذا التفاهم سبيلاً لانشاء دولة رومية بلغارية تقضي على سيطرة اللاتين في البلقان وتتوح رأسه باكليل القسطنطينية<sup>٢</sup>.

ولجاً البلغار والروم في أوروبا إلى العنف . وسحب بلد़وين جنوده من ميدان القتال في آسية الصغرى . وفي الخامس عشر من نيسان سنة ١٢٠٥ التقى الجيشان بالقرب من ادرنة . فدارت الدائرة على اللاتين وسقط في ميدان القتال خبطة فرسان الفرنجة وأسر بلدُوين ثم ذبح ذبحاً . وتوفي دندولو متاثراً بما عالمه من ذبح وخسارة ، ودفن في كنيسة الحكمة الالهية . وما فتئ مغموراً بترابها حتى أمر السلطان محمد الثاني العثماني بخراجه وبالتمثيل ببقاياه<sup>٣</sup>.

ولم يدم هذا التضامن بين الروم والبلغار طويلاً . فما كاد روم البلقان يصرون قبساً من نور مشعاً في سماء نيقية حتى فتر تحالفهم مع البلغار واتجهت أنظارهم إلى ثيودوروس الأول عبر المضائق . وكان ثيودوروس قد اغتنم فرصة الحرب في البلقان وانشغل اللاتين عنه فوطد اركان عرشه في نيقية . واستقال البطريريك المسكوني يوحنا العاشر فأقام ثيودوروس ميخائيل الرابع أوتونوس بطريركَ مسكونياً في نيقية (١٢٠٨) ثم تسلم التاج الامبراطوري من يده . وأصبحت نيقية مركز المقاومة في الدين والدنيا . وتقوّت فيها يظهر هذه الامبراطورية الجديدة بسرعة شديدة لأنها نجدها تفاوض البندقية في السنة ١٢٢٠ فتعقد معها معاهدة تعترف فيها البندقية

Zalatarsky, V. N., *Greek - Bulgarian Alliance*, 8-11.

١

Uspensky, Th., *Second Bulgarian Kingdom*, 245-246.

٢

Kretschmayer, H., *Gesch. von Venedig*, I, 321-472.

٣

باللقب ثيودوروس التقليدية الفخمة<sup>١</sup>.

وتبوأ العرش اللاتيني في القسطنطينية هنريكوس اخو بدويين ، وكان نشيطاً قدراً . فعاد الى الحرب في آسيا . ولكن الخطر البلغاري من ورائه حمله على ان يعود الى السلم في علاقاته مع ثيودوروس ولاسيما ان الاتراك السلجوقة كانوا يهددون ويزبدون ولا يفرّقون في النهاية بين دولة مسيحية غربية ودولة مسيحية شرقية .

وكان اليكسيوس الثالث انجلوس قد التجأ الى ايقونية . فلما استتب الامر لثيودوروس في نيقية وأعلن نفسه امبراطوراً وريثاً لعرش روما الجديدة طالب اليكسيوس بهذا العرش نفسه . فكتب سلطان ايقونية غياث الدين كيخسرو الاول الى ثيودوروس يطلب اليه ان يتنازل عن العرش . فتشبت الحرب بين الروم والاتراك ودارت رحاها بنوع خاص عند انطاكية كارية على نهر الميندر . فأظهر فرسان ثيودوروس الغربيون المرتزقة شجاعة فائقة وكبدوا الاتراك خسارة فادحة . وظفر ثيودوروس في معركة تالية بسلطان ايقونية نفسه فصرعه في ساحة القتال وأسر اليكسيوس الثالث وعاد به الى نيقية وأكرهه على قبول النذر فعل ودخل أحد الاديار . ولم تحدث هذه المعركة الحاسمة بعنوانها اي تغيير فيما يظهر في حدود الدولتين<sup>٢</sup> ، ولكنها أحيت ماضياً عسكرياً مجيداً وثبتت الدولة الجديدة وملأت قلوب الروم بالغبطه والنشاط وجعلتهم يرون في نيقية مرکزاً جديداً لتجتمعهم وتتوحد صفوفهم<sup>٣</sup> . وكتب رئيس اساقفة آثينة

« Thedorus, in Christo Deo fidelis Imperator et Moderatur Romeorum et Semper augustus Comnenus Lascarus », Tafel und Thomas, op. cit., II, 205.

Jerphanion, G., Inscription Coppadociennes, Orientalia Christiana, ٤ 1935, 242-243.

Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 515.

٤

ميغائيل الحونيسي رسالة الى ثيودوروس هنأ فيها بنصره ورجا ان يكون هذا النصر « مقدمة للاستيلاء على عرش قسطنطين الكبير في المثل نفسه الذي انتقام له السيد له المجد<sup>١</sup> ». وتقوى قلب ثيودوروس وأعلن الحرب على هنريكوس امبراطور القسطنطينية . وكان قد أعاد تنظيم جيشه وأصبح لديه اسطول قوي . وخشى هنريكوس سوء العاقبة واعتبر ثيودوروس اخطر اعدائه فتحرر من برغاموس نداء الشهير الى جميع اصدقائه مستنجداً مستعيناً في منتصف كانون الثاني من السنة ١٢١٢<sup>٢</sup> . ولكن مخاوف هنريكوس لم تكن في محلها . فانه انتصر على ثيودوروس وتغلب في اراضيه<sup>٣</sup> . ووقع الاثنين صلحًا حدد الحدود بين الدولتين ولم يزد في ممتلكات هنريكوس شيئاً يذكر<sup>٤</sup> . وفي السنة ١٢١٦ توفي هنريكوس امبراطور القسطنطينية فزال بوفاته خطر الالatin وتمكن ثيودوروس الاول من متابعة عمله الداخلي ليستم الى وريثه اداة فعالة لمتابعة الكفاح .

**يوحنا الثالث باطاجي<sup>٥</sup> :** ( ١٢٢٢ - ١٢٥٤ ) وتوفي ثيودوروس الاول في السنة ١٢٢٢ فتولى العرش بعده صهره يوحنا الثالث زوج ابنته ايوبنة . وتميز يوحنا الثالث بنشاطه وبثاقب نظره وبسرعة تنفيذه . وكان من حسن حظه ان مناظريه في سياسة الشرق الرومي امبراطور القسطنطينية وذيسپوتس ابيروس وامبراطور البلغار لم يتفاهموا فيما بينهم . فلماجاً يوحنا الثالث الى التحالف مع البعض منهم على البعض الآخر وحفظ بذلك مركزاً ممتازاً بينهم .

Michael Acominatus, op. cit., II, 353 ff.

١

Recueil des Hist. des Gaules, vol. 18, 530-533.

٢

Lauer, M. P., Lettre d'Henri d'Angre, Mélanges Schlumberger, I, 201.

٣

Gardner, A., op. cit., 85-86.

٤

John Ducas Batatzes.

٥

وكان قد استقر في مقاطعة إبيروس ميخائيل ابن يوحنا دوقاس الجيلوس غير الشرعي ، فاتخذ لنفسه اسم ميخائيل الأول الجيلوس دوقاس كومينوس ( ١٢٠٥ - ١٢١٤ ) . وشملت مقاطعته بادىء ذي بدء كل ما وقع بين ديراتزو وخليج كورونوس . وكانت مدينة أرطا Arta عاصمة هذه المقاطعة . وأبقى ميخائيل الأول على الادارة البيزنطية فيها . وأدت ظروف هذه الفترة العسكرية إلى العناية بالجيش لاصمود في وجه الطامعين : ملوك نيسالونيكية في الشرق وعمال البندقية في الغرب . وكانت إبيروس ولا تزال جبلية وعراة صعبة المنال فقدر لها ان تحيى مستقلة كل الاستقلال . وقتل ميخائيل في ساحة الوغى فتولى الحكم بعده اخوه ثيودوروس . وكان ثيودوروس هذا قد بقي في نيقية في بلاط امبراطورها ، فكتب ميخائيل الأول إلى ثيودوروس الاول ان يسمح لأخيه بالاتصال به في سبيل الدفاع عن الروم . فسمح امبراطور نيقية بذلك شرط ان يقسم ثيودوروس اخو ميخائيل بين الولاء والطاعة له ، ففعل . ولكنه ما كاد يستوي على عرش إبيروس حتى حصل في مينه .

وتوفي هنريكوس امبراطور القسطنطينية في السنة ١٢١٦ فانتخب الاشراف بطرس الكورتناي Pierre de Gourtenay خلفاً له ، وكان هذا قد تزوج من يولندة اخت بلدوبن وهنريكوس . وكان بطرس وقت انتخابه في فرنسة ، فقام وزوجته إلى القسطنطينية عن طريق روما ، وتسلم تاجه من يد البابا اوノوريوس الثالث خلف انوشتش الثالث . وأرسل بطرس زوجته يولندة إلى القسطنطينية بحراً ، وقام هو وجنوده عبر الادرياتيك ونزل بالقرب من ديراتزو . فكمن له ثيودوروس وانقض عليه فاسره مع اكثراً من جنوده . وتوفي بطرس في السجن في إبيروس . فحكمت يولندة امبراطورية القسطنطينية سنتين متاليتين ( ١٢١٧ - ١٢١٩ ) .

وكان بونيفاتيوس ملك نيسالونيكية قد سقط في ميدان القتال في

السنة ١٢٠٧ في الحرب ضد البلغار ، فاضطررت أحوال مملكته الداخلية .  
ولكن الامبراطور هنريكوس تمكن في أثناء حياته من الدفاع عن هذه المملكة ضد أعدائها الروم والبلغار . فلما توفي هنريكوس وبطرس  
بعده خلا الجو ثيودوروس ذيسبوتس إيروس . فأعلن هذا الحرب على  
مملكة ثيسالونيكية واستولى عليها في السنة ١٢٢٢ ، واتسع ملكه من  
الادرياتيك حتى اتجه فاتخذ لنفسه لقب فسيلفس ولم يبر بيمينه ليوحنا  
باطجي امبراطور نيقية . وطلب إلى متروبوليت ثيسالونيكية ان يتوجه  
فامتنع هذا مبيناً ان التتويج من حقوق البطريرك المسكوني . ولما كان  
هذا البطريرك جالساً في نيقية عاصمة يوحنا باطجي الامبراطور التجأ  
ثيودوروس إلى متروبوليت أودريدة المستقل في سلطته آنذاك . فتوجه  
هذا المتروبوليت ( ١٢٢٣ ) . وتردى ثيودوروس بالارجوان واحتدى  
الحذاء الارجوانى . وقام في الشرق بعد هذا امبراطوريات ثلاث . وخشي  
رومة سوء العاقبة فكتب البابا اونوريوس الثالث إلى الملكة بلانش ام  
لويس التاسع ملك فرنسة يستحسنها لسداء المعونة إلى امبراطور القسطنطينية .  
وتسباق الفسليسان نحو عرش القسطنطينية . فتمكن يوحنا الثالث  
باتطي بقوة اسطوله من احتلال بعض جزر اتجه ثم لبى نداء الروم في  
أدربة ونزل في اوروبة واحتل هذه المدينة دون مقاومة<sup>١</sup> . وهبَّ  
ثيودوروس للقتال فاستولى على معظم تراقيا . واقترب في السنة ١٢٢٥  
من أدربة فتراجع يوحنا عنها . ثم تابع ثيودوروس زحفه حتى وصل إلى  
اسوار القسطنطينية . وكاد يعيد حكم الروم إلى مقره الرئيسي لو لا تدخل  
يوحنا آسن الثاني امبراطور البلغار ( ١٢١٨ - ١٢٤١ ) .  
وتوفي روبر كورتني امبراطور القسطنطينية في السنة ١٢٢٨ وكانت

اخوه وخلفه بلدوبن الثاني لا يزال في الحادية عشرة من عمره ، فنشأت مشكلة الوصاية على هذا الامبراطور القاصر . ورغم يوحنا آسن الثاني في هذه الوصاية واقترح زواج بلدوبن من ابنته ووعد بتحرير الاراضي التي كان قد احتلها الروم . ولكن الاكليروس اللاتيني وبعض فرسان الفرنجة اصرروا على انتخاب يوحنا بريانوس صاحب الحق في عرش القدس الذي كان آئندٍ في اوروبه . فتحالف ثيودوروس ويوحنا آسن . ثم نكث ثيودوروس وعده . فنشبت القتال وانتصر يوحنا آسن في السنة ١٢٣٠ في كولوكوتينتسا Kolokotinitza بين ادرنة وفيلىبي ، ووقع ثيودوروس في الاسر ثم سُملت عيناه<sup>١</sup> . فتلشت الامبراطورية الغربية ولم يبقَ في ميدان التسابق للاستحواذ على عرش القسطنطينية سوى يوحنا آسن البلغاري ويوحنا باطاجي النيقاوي .

وغضب يوحنا آسن لاختفائه في الاستيلاء على الوصاية في القسطنطينية فدخل في تحالف بينه وبين يوحنا باطاجي وعمانوئيل الجيلوس خلف ثيودوروس في ثيسالونيكيه . فأدى هذا التحالف وهذا العمل المشترك الى التقارب بين روم الغرب وروم الشرق ، بين ثيسالونيكيه ونيقيه ، وفتح الباب على مصراعيه ليوحنا باطاجي ان يزيد نفوذه في ثيسالونيكيه وتوا بها . وحاصر الروم والبلغار القسطنطينية في السنة ١٢٣٥ من البر والبحر معًا ولكنهم اضطروا الى ان يتراجعوا . وقام بلدوبن الثاني امبراطور القسطنطينية في رحلة الى الغرب يستنهض المهم لمساعدته ضد صفوف «المتشقين» عن الكنيسة . وكان السبب الاكبر في تراجع الروم خوف يوحنا آسن من زميله يوحنا باطاجي من شخصيته وموهبه وقوته .

وما ان لمس هذه الحقيقة حتى اتصل برومة معلنًا استعداده للعودة الى حضن الكنيسة طالبًا ارسال ممثل بابوي الى عاصمه . ومدّ هذا الفكك بين الحليفين في عمر الامبراطورية اللاتينية فترة اخرى من الزمن .

**يوحنا الثالث فريديريك الثاني :** ورقي عرش الامبراطورية الغربية في السنة ١٢٢٠ فريديريك الثاني اعظم اباطرة الغرب في العصور الوسطى . وكان قد نشأ وتترعرع في صقلية ، فشبّ اوسعاً افقاً وأرحب صدرًا من غيره ولاسيما في المسائل الدينية . فكان يجيد الايطالية واليونانية والعربية . وعطف على العلم والعلماء فقصده عدد من علماء العرب واليهود ، وانشأ جامعة نابولي ، وعطف كثيراً على مدرسة الطب في سالرنو . وكان يتميز بعقل مولود جريء فرأى ان يمارس صلاحياته وسلطته الى اقصى الحدود ، فاصطدم برئاسة الكنيسة التي كانت تعتبر نفسها فوق جميع الملوك والامراء<sup>١</sup> .

ورأى فريديريك الثاني في الامبراطورية اللاتينية مظهراً من مظاهر سلطة البابا وأداة لتوسيع نفوذه في الشرق والغرب معاً ، فقاومها مقاومة شديدة وعطف على مناوئيها ، فأمده ثيودوروس إبيروس وثيسالونيكية بنفوذه وشيء من ماله فوق بعمله هذا تحت حرم البابا . وكان يوحنا الثالث باطاجي يرى في حبر روما غريغوريوس التاسع (١٢٤١ - ١٢٢٧) عدواً لدولة الروم لانه لم يعترف ببطريقيته نيقية ، فأصبح بذلك حجر عثرة في سبيل الوصول الى القسطنطينية . فقام العاهلان يوحنا وفريديركوس وتحالفاً في اواخر العقد الرابع من القرن الثالث عشر<sup>٢</sup> . وحارب الروم في صفوف فريديركوس في ايطاليا . وتوفيت الفسيلة

فتزوج يوحنا من ابنة فريدريكوس قسطنطس<sup>١</sup>. ولكن هذا التحالف لم يدم طويلاً لأن مانفرد Manfred الذي تولى عرش صقلية بعد فريدريكوس تألف على نيقية وعاداها.

يوحنا الثالث وكيخسرو الثاني : وتختض الدهر في اواسط آسية فأقى بتموشين خان الذي عرف بجنكينز خان اي اخان العظيم ( ١١٥٤ - ١٢٢٧ ) . وقام احد احفاده باتو بجموع كبيرة من التتر فدخل جنوي روسية واستولى على كييف في السنة ١٢٤٠ ، ثم قطع جبال الكربات فوصل الى بوهيمية مخرباً مدمرأً وفرض الاتواة على الصقالبة الجنوبيين وعلى البلغار فدفعوها صاغرين . وجاءت جموع من هؤلاء آسية الصغرى مهددين سلطنة ايقونية ودولة الروم في طرابzon . فوحد الاتراك والروم صفوهم لصد التتر ، ولكنهم لم يفلحوا . ففي السادس والعشرين من حزيران سنة ١٢٤٣ تغلب التتر على الاتراك والروم في ارزنجان<sup>٢</sup> . ودخل كيخسرو الثاني وعمانوئيل طرابzon في طاعة اخان الكبير . وأصبحت حدود التتر متاخمة لحدود فسيلفس نيقية في آسية . وجمعت المصيبة بين يوحنا وخصمه التقليدي سلطان ايقونية ولكنها أثرت بهذا خسائر فادحة هدت أركان حكمه فلم يعد بعد ذلك خصماً يعبأ به<sup>٣</sup> .

يوحنا الثالث عدو الالاتين الاوحد : وتوفي يوحنا آسن الثاني في السنة ١٢٤١ فانتهى بوفاته بجد مملكة البلغار الثانية . ولم يتمكن خلفاؤه من الاحتفاظ بقواته . وانتهز يوحنا الثالث هذه الفرصة الشهينة فعبر الى اوروبا بجنوده وأعاد الى الروم كل ما كان يوحنا آسن قد ضمه الى

Nicephorus Gregoras, Hist. II, 7, 3; Diehl, C., Fig. Byz. 207-225.

١

Grousset, R., Empire des Steppes, 325-328.

٢

Bréhier, L., Byzance, 390-381.

٣

ملكه من مقدونية وتراقية . وفي السنة ١٢٤٦ استولى على ثيسالونيكيه وعلى ما بقي من مدن تراقية في حكم اللاتين . واعترفت إبیروس بسيادته . فلم يبقَ وحاله هذه اي منافس يشاطره الطموح الى الاستيلاء على عرش القسطنطينية . وعند وفاته في السنة ١٢٥٤ امتدت سلطته في اوروبه من شاطئ البحر الاسود حتى شاطئ الادرياتيك . ولم يبقَ خارجاً عن حكمه سوى القسطنطينية واواسط بلاد اليونان وشبه جزيرة المورة . وأحب الروم يوحنا الثالث وقدروه حق قدره واعتبروه اباً مجدداً باراً تقىاً . وقام بعد وفاته من أطلق عليه لقب قديس . ولكن الكنيسة الارثوذكسيه لم تعترف بذلك . ولايزال أهل مغنيسيه حتى يومنا هذا يحتفلون بذكره في كنيستهم المحليه في الرابع من تشرين الثاني من كل عام<sup>١</sup> .

**ثيودوروس الثاني :** ( ١٢٥٤ - ١٢٥٨ ) ولدی وفاة يوحنا الثالث حمل الجنود ابنه ثيودوروس حسب التقاليد الموروثة على ترس خاص ونادوا به فسليفساً . وكان البطريرك المسكوني عمانوئيل الثاني قد توفي منذ زمن قريب ، فعرض ثيودوروس البطريركية على استاذه نيقفوروس البليميدي فرفض . فانتقى ثيودوروس الراهب ارسانيوس افطوريانوس ، فوافق المجمع ، فشرط بطريرك مسكنيناً . وفي الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٢٥٤ توج البطريرك الجديد ثيودوروس فسليفساً . وكان يوحنا الثالث قد عني عنایة فائقة باعداد ثيودوروس للملك ، ان من حيث حمل السلاح ومارسة القتال ، او من حيث العلم والادب والفلسفة . فانه وكل أمر تهذيبه العلمي الى اكابر اساتذة زمانه : الى نيقفوروس البليميدي Blemmydes والى جورج أکروبولیتس Acropolites . ومن هنا كانت

عقيدة ثيودوروس ان العلم والفضيلة لا ينفصلان . وورث ثيودوروس عن والده داء النقطة فنشأ سقيماً ضعيفاً . وكثرت نوباته بهذا الداء فافتت في جهازه العصبي ، فلم يكن يقوى دائماً على ضبط اعصابه ، فأصبح سريع التهيج متسرعاً في احكامه . ولكنه ظل يحسن القيادة والادارة ، فقد جيوشه الى النصر اكثر من مرة ، ووكل الادارة الى رجال اكفاء ونفذ احكامهم بدون تردد . وأدى هذا الحزم في تنفيذ القانون الى شيء كثير من الامتعاض في الاوساط العالية ولاسيما بين أصحاب الاملاك الكبيرة . فسهّل بذلك وصول آل باليولوغوس الى الحكم كما سنرى<sup>۱</sup> .

وما ان علم ميخائيل الثاني ملك البلغار وصهر ثيودوروس زوج اخته بوفاة عمه يوحنا الثالث باطاجي حتى انقضَّ على مقدونية وتراقية يستعيد ما ضمه يوحنا الثالث الى مملكته منها . فعبر ثيودوروس الثاني الى اوروبا في شتاء السنة ۱۲۵۵ وطرد البلغار من جميع الاماكن التي كانوا قد احتلوها . وفي ربيع السنة ۱۲۵۶ عاد الى اوروبا فاصلقاً عاصمة البلغار فضد البلغار في وجهه ، وقبل الطرفان بصلاح يعيد الحدود الى ما كانت عليه عند بداية الحرب<sup>۲</sup> .

وكان ميخائيل الثاني ديسبوتس اميروس قد خطب مریم ابنة ثيودوروس لابنه نيقفوروس . فلما صمد ثيودوروس في وجه البلغار كما ذكرنا آنفأً سعى الديسبوتس لعقد الزواج وأرسل ابنته وخطيبته الى قصر ثيودوروس فاستقبلهما بحفاوة ، وقام هذا الى ثيسالونيكيه ليشتترك في حفلة الزواج . ولكنه طلب الى زميله ميخائيل والد صهره ان يتخلّى بهذه المناسبة عن البنية وصربيا وديراترو « مفاتيح الشرق » وان يسلمهما له . فحاول

Diehl, C., *Europe Orientale*, 171; Bréhier, L., *Byzance*, 384-385.

۱

Theodori Lascaris Epistulae, Festa, 279-282.

۲

ميغائيل ان يتملص واستعan بالصرب والالبان ولكن دوت جدوى .  
فاضطر الى ان يقبل (١٢٥٧) .

وكان ثيودوروس قد سلم دفة الامور في نيقية الى ميغائيل باليلوغوس ، فخشى هذا تقلبات ثيودوروس ففر من نيقية والتوجه الى كيخسرو الثاني في ايقونية . وأطل المغول ہددون الاتراك السلاجقة ، فأبلى ميغائيل بلاءً حسناً في صفوف كيخسرو وانتصر على المغول بالقرب من تسكارة على حدود ارمينية . ثم غالب المغول كيخسرو فراح هذا يطلب معاونة ثيودوروس في مغنيسيه (١٢٥٨) . وبعد ذلك بقليل اضطر كيخسرو الى ان يدخل في طاعة المغول مؤدياً اتاوة سنوية . ثم جاء دور ثيودوروس فاستقبل في مغنيسيه وفداً مغولياً . وقدر له النجاح لأن المغول كانوا قد بدأوا يتطلعون الى سوريا . فوقع الوفد المفاوض معاهدة سلم مع ثيودوروس ونحت بذلك دولة نيقية من مطامع المغول وتخريهم . ورأى ميغائيل باليلوغوس ان لا مفر من التفاهم مع الفسليفس ، فعاد الى نيقية طالباً الصفح عما مضى واعداً بالامانة والاخلاص . فطلب اليه الفسليفس ان يقسم بين الطاعة والولاء له ولابنه يوحنا من بعده ، ففعل ميغائيل وعاد الى سابق عزه وسطوه .

واستغل ميغائيل الثاني ديسبوتis إبيروس انشغال ثيودوروس في الشرق فاستعان بالالبان والصرب واستعاد « مفاتيح الشرق » وجميع مقدونية ما عدا ثيسالونيكية . وأنفذ ثيودوروس ميغائيل باليلوغوس بقوة صغيرة الى مقدونية فلم يقوَ هذا القائد على ميغائيل الثاني . فآخر ثيودوروس بالقاء القبض عليه واودعه السجن في نيقية مدعياً ان سحره أعاد اليه مرضه .

وفي آب السنة ١٢٥٨ شعر ثيودوروس باقتراح الاجل ، فعاش عيشة الرهبة ووزع الصدقات بسخاء على الفقراء والمساكين وطلب إلى استاده نيقيفوروس الباهياني أن يحمله من خططيته فأُبلي . فالتجأ ثيودوروس إلى متروبوليتي ميتيلينا . ثم توفي في السادسة والثلاثين من عمره . فتقل إلى دير سوسندرة في مغنىسية ليُدفن مع والده يوحنا الثالث .

يوحنا الرابع : ( ١٢٥٨ - ١٢٦١ ) وتوفي ثيودوروس عن أربع بناتٍ فاقصرات وعن ولد واحد هو يوحنا وكان حيئندَ ابن عشر سنوات . وكان قد أقام ثيودوروس على ابنه القاصر وصيًّا كلاً من البطريقي أرسانيوس والوزير الصديق الحميم القديم جاورجيوس موزالن .<sup>١</sup> Muzalon

وأحسَّ موزالن بعدم رضى الاستقراريين عنه وعن وصيته ، فطلب إلى مجلس الشيوخ أن ينتخب وصيًّا غيره . ولكن بعض الشيوخ ألحَّ عليه بوجوب متابعة العمل ، وفي طليعة هؤلاء ميخائيل باليولوغوس الذي كان يدبر مكيدة لاغتياله . وفي اليوم التاسع لوفاة ثيودوروس ذهب الوصيّان وأفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة والأعيان إلى مغنىسية لاقامة الصلاة عن نفس ثيودوروس . وبينما هم يصلون دخل عدد من فرسان الأفرينج المرتقة من رجال ميخائيل باليولوغوس إلى الكنيسة واغتالوا الوصي موزالن واسقاءً<sup>٢</sup> . ثم اجتمع الأعيان والشيوخ وانتخبوا ميخائيل باليولوغوس وصيًّا بلقب دوق عظيم Megaduc ، ثم انتخبوه ديسبوتاسًّا . وبعد أن قوي على حزب الفسليفس الصغير طلب أن يصير فسليسفًا شرط أن يقسم اليدين ، على أن يحفظ حياة يوحنا وإن يسلمه الدولة متى بلغ

سن الرشد . وأقسم اليمين في مطلع السنة ١٢٥٩ في مغنىسية . ثم قام الى نيقية ليتسلم تاجه من يد البطريرك . فطلب ان يتوج قبل يوحنا فأبى البطريرك ، فألح الشعب والاكليلوس على البطريرك فقبل ان يتوج ميخائيل وان يؤجل تتويج يوحنا الى ما بعد رشده . فتوّجه البطريرك فسليفاساً واستعفى واقام في دير . فاقيم بعده نيقيفوروس الثاني وتوفي في اوائل السنة ١٢٦١ .

**فتح القسطنطينية :** ( ١٢٦١ ) وكان بدؤين الثاني امبراطور اللاتين قد طلب اعادة ثيسالونيكية ومقدونية وتراقية اليه . فطلب ميخائيل نصف ايراد كارك العاصمة ومضرب النقود وهدد بالحرب . فسكت بدؤين ووقع معاهدة مع ميخائيل في اواخر السنة ١٢٥٨<sup>٢</sup> . فحوال ميخائيل اهتمامه سطراً سمه ميخائيل الثاني ديسپوتوس إبيروس . وكان هذا قد ضمّ مقدونية حتى الفردار ، وانشأ تحالفًا ضد نيقية بينه وبين ملك صقلية وامير المورة . فأنفذ ميخائيل اخاه يوحنا بقوة الى الغرب فاحتل ارنة عاصمة الديسپوتوس وأسر امير المورة ، ثم وقع معاهدة مع الديسپوتوس في اواخر السنة ٣ ١٢٥٩ .

وتقاهم ميخائيل والمغول في آسيا ولم يعبأ بصير حليفه سلطان ايقونية<sup>٤</sup> . ثم حالف عمانوئيل كومنيوس امبراطور طرابزون<sup>٥</sup> . وكانت البندقية قد جارت على جنوبي منذ السنة ١٢٠٤ فطردت الجنويين من القسطنطينية ومن سائر اسواق الروم . فلجاجات جنوبي الى القرصنة وأثارتها حرباً على البندقية

*Dict. Hist. Geog. Eccl., IV, 750.*

١

*Dolger, F., Regesten, 1858.*

٢

*Dolger, F., Regesten, 1882.*

٣

*Dolger, F., Regesten, 1887.*

٤

*Bréhier, L., Byzance, 389.*

٥

لا هوادة فيها . وشاهدت عـكـة في حزيران السنة ١٢٥٨ قـتـالـاـ سـدـيدـاـ بين الطرفين في شوارعها . وخسرت جنوبي موقعـةـ بـحـرـيةـ في نـضـالـهاـ هذاـ فـلـجـاتـ إلىـ صـورـاـ . وـتـدـخـلـ الـبـابـ الـكـسـنـدـرـوـسـ الـرـابـعـ لـيـضـعـ حدـاـ لهذاـ النـزـاعـ وـأـرـسـلـ مـهـمـلاـ خـاصـاـ إلىـ عـكـةـ (١٢٥٩) لـيـنـقلـ حـكـمـهـ فيـ الـأـمـرـ ،ـ ولـكـنـ الـبـنـادـقـ فـيـهـاـ لمـ يـقـبـلـواـ شـيـئـاـ منـ هـذـاـ . فـاتـصـلـتـ جـنـوـيـ مـيـخـائـيلـ بـالـيـولـوـغـوسـ وـعـرـضـتـ تـعاـونـهـاـ فـيـ سـبـيلـ عـودـةـ الرـومـ إـلـىـ الـحـكـمـ فـيـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ .ـ وـلـمـ يـكـنـ لـدـىـ مـيـخـائـيلـ اـسـطـوـلـ كـافـ يـغـيرـ بـهـ عـلـىـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ بـحـراـ ،ـ فـقـبـلـ عـرـضـ جـنـوـيـ وـوـقـعـ فـيـ نـفـيـةـ Nymphaeumـ فـيـ الثـالـثـ عـشـرـ مـنـ آـذـارـ سـنـةـ ١٢٦١ـ مـعـاهـدـةـ هـجـومـيـةـ دـفـاعـيـةـ خـدـ الـبـنـدـقـيـةـ وـالـإـمـپـاطـورـ بـلـدـوـنـ الثـانـيـ .ـ وـقـضـتـ شـرـوطـ هـذـهـ الـمـعـاهـدـةـ بـاـنـ تـضـعـ جـنـوـيـ اـسـطـوـلـهـاـ تـحـتـ تـصـرـفـ الـفـسـيـلـفـسـ وـاـنـ يـنـحـهاـ هوـ جـمـيـعـ الـامـتـياـزـاتـ الـتـيـ كـانـتـ الـبـنـدـقـيـةـ تـتـمـتـعـ بـهـاـ فـيـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـغـيرـهـاـ مـنـ اـجـزـاءـ دـوـلـةـ الرـومـ .٢ـ

وـبـعـدـ هـذـاـ بـوقـتـ قـصـيرـ اـرـسـلـ الـفـسـيـلـفـسـ الـقـائـدـ الـيـكـسـيـوـسـ اـسـتـراتـيـغـوـبـولـسـ Strategopoulosـ عـلـىـ رـأـسـ ثـانـيـ مـئـةـ جـنـديـ ليـقـومـ بـمـناـورـةـ عـلـىـ الـحـدـودـ الـبـلـغـارـيـةـ .ـ فـلـمـ وـصـلـ إـلـىـ غـالـيـوليـ انـضـمـ إـلـيـهـ مـتـطـوـعـونـ كـثـيـرـونـ مـنـ الرـومـ وـأـقـعـوهـ بـجـوـبـ الـقـيـامـ إـلـىـ ضـواـحـيـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ مـؤـكـدـيـنـ لـهـ اـنـ حـامـيـتـهاـ خـرـجـتـ لـتـحـارـبـ بـعـيـدـاـ عـنـهـاـ ،ـ فـخـشـيـ القـائـدـ سـوـءـ الـعـاقـبـةـ .ـ وـلـكـنـ اـحـدـ اـبـنـاءـ الـعـاصـمـةـ خـرـجـ فـيـ مـسـاءـ ذـلـكـ الـيـوـمـ مـنـ بـيـتـهـ بـسـرـدـابـ إـلـىـ خـارـجـ السـوـرـ .ـ فـامـسـكـهـ الرـومـ وـفـهـمـوـاـ مـنـهـ حـالـةـ الـعـاصـمـةـ ،ـ فـادـخـلـوـاـ مـنـ السـرـدـابـ خـمـسـيـنـ جـنـديـاـ ،ـ فـتـمـكـنـ هـؤـلـاءـ مـنـ الـاسـتـيـلاءـ عـلـىـ بـابـ مـنـ اـبـوـابـ الـمـدـيـنـةـ .ـ فـدـخـلـ الـجـنـدـ جـيـعـهـمـ فـيـ الـخـامـسـ وـالـعـشـرـيـنـ مـنـ تـوـزـ دونـ مـقاـمـةـ وـنـادـوـاـ مـيـخـائـيلـ وـيـوحـناـ

فسيفسين ، فانضم الروم في العاصمة إلى الجيش . وأما السكان الأفرنج  
 فمنهم من قتل ، ومنهم من هرب ، ونجاً بدلوين الامبراطور على قارب  
 تار كـ كل ما لديه غنيمة للفاتحين . فلما سمع جيش الأفرنج بما جرى عاد  
 أفراده إلى العاصمة ليخلصوا عيالهم . فقابلهم الروم بالقتال والاحراق  
 والتخييب . فيئس الأفرنج وأخذوا من استطاعوا من عيالهم وساوروها .  
 فلما بلغ ميخائيل فتح القسطنطينية لم يصدق ، ثم ثبت من الأمر فابتعد .  
 وقام إلى العاصمة وفي صحبته ابنه وزوجته وزراؤه ومجلس دولته ،  
 فوصلوا في الرابع عشر من آب وباتوا خارج الأسوار . ثم أمر الفسيفس  
 أن يفتح الباب الذهبي الذي سدّه الأفرنج . وفي الغد صعد متروبوليت  
 كيزيكوس إلى أحد الأبراج حاملاً ايقونة العذراء . وصل على مسمع من  
 الجماهير ثلاثة عشر افশيناً . وكان الفسيفس عند تلاوة كل افشن يكشف  
 رأسه ويركع على الأرض فيجدون حذوه سائر الحاضرين . وعند نهاية كل افشن  
 كانوا ينهضون ويصرخون معًا « كيرييه ايلايصون » يا رب ارحم ! وبعد  
 إقام الصلاة مشى ميخائيل وراء الايقونة إلى دير الاستودي حيث وضعت  
 ايقونة العذراء . ثم امتطى جواداً وذهب إلى كنيسة الحكم الالهية .  
 فصلى وشكراً ، ثم ذهب إلى القصر وكافأ القائد الظافر مكافأة لائقة وأمر  
 بذكره مع الملوك سنة كاملة . وأرجع البطريريك ارسانيوس من عزلته ،  
 فتوّجه مرة ثانية في كنيسة الحكم الالهية . ومنع ذكر يوحنا الرابع  
 وسمّ عينيه<sup>١</sup> .

انوشنتش الثالث والكنيسة الارثوذكسيّة : ولم يرض هذا الخبر  
 الكبير باديء ذي بدء عن احتلال القسطنطينية وانشاء امبراطورية لاتينية

Pachymerius, G., *Historia*, II, 26-29, 31-35 ; Chapman, Michel Paléolo-  
 gue, 43-47.

في الشرق لانه رأى في ذلك ابتعاداً عن الهدف الاسمى الذي نشأت من أجل تحقيقه الحروب الصليبية . ثم عاد فرأى في التطور الذي طرأ على الاوضاع السياسية في الشرق نتيجةً لقيام هذه الامبراطورية اللاتينية ظرفاً ملائماً لقوى الكثلكة وتدعم السلطة فيها . فعني أولاً بتنظيم الكنائس الكاثوليكية التي نشأت في المناطق الصليبية . ثم نظر في علاقتها مع السلطات السياسية المحلية ومع الشعب الارثوذكسي والسلطات الارثوذكسيّة الروحية . ثم اتسع افقه فحاول توحيد الكنيستين الشقيقتين الارثوذكسيّة اليونانية والكاثوليكية اللاتينية .

وكان قد بقي في المقاطعات الصليبية عدد غير من الارثوذكسيين شعباً واكليروساً . فسمح انوشنتش في الابرشيات التي تغلب فيها الغنصر الارثوذكسي على غيره ان يسام فيها اساقفة ارثوذكسيون وان تقام الشعائر الارثوذكسيّة بما فيها استعمال الخمير في الذبيحة . ولكنه بث رسالته في هذه المناطق يدعون لتوحيد الكنيسة ، اي للاعتراف بسلطة البابا .

وفي السنة ١٢٠٤ أم القسطنطينية قاصد رسولي يدعو الاكليروس الارثوذكسي للتتفاهم وتوحيد الكلمة . وجرت مفاوضات في هذا المعنى في كنيسة المحكمة الالهية ولكن دون جدوٍ<sup>1</sup> . ثم تابع الطرفان البحث في السنة ١٢٠٥ - ١٢٠٦ ، واستدرك في التفاوض كل من نيقولاوس ميزاريتس (رئيس اساقفة افسس فيما بعد) ونيقولاوس اوترانتو الذي كان يجيد اللاتينية واليونانية فيتترجم للطرفين . ثم توفي البطريرك المسكوني يوحنا العاشر (١٢٠٦) وكان قد جأ الى بلغاريا عند احتلال القسطنطينية ، فطلب الاكليروس الارثوذكسي في الامبراطورية اللاتينية الى الامبراطور هنريكووس ان يؤذن لهم بانتخاب بطريرك جديد . فوافق الامبراطور

ولكنه اشترط ان يخضع البطريرك الجديد لسلطة البابا . فأخذت المفاوضات التي كانت لا تزال قائمة في القسطنطينية للتوفيق بين الكنسيتين<sup>١</sup> . وقضت ظروف ثيودوروس الاول لاسكاريس ان يكون لديه بطريرك في نيقية . وأنتخب ميخائيل الرابع ، كما سبق ان أشرنا ، فاتجهت انتظار الارثوذكس في المناطق الصليبية الى نيقية ، الى فسليفسها وبطريركها للتحرر من ضغط الامبراطور اللاتيني وضغط رئيس كنيسته .

وجرت مفاوضات جديدة لتوحيد الصفوف في السنة ١٢١٤ في القسطنطينية فمثل الكنيسة اللاتينية القاصد بيلاجيوس Pelagius وناب عن البطريرك المسكوني نيكولاوس مizaritis « متربولي افسس واكسرخوس جميع آسية » . ولكن صلف بيلاجيوس وضغطه على الاكيروس الارثوذكسي في العاصمة وتشبهه بوجوب الاعتراف « بسلطة » البابا حالت دون الوصول الى اي تفاهم بين الكنسيتين<sup>٢</sup> .

وجل ما توصل اليه البابا انوشتنش الثالث هو اعتراف المجمع اللاتراني الذي التأم في السنة ١٢١٥ بسلطة البابا على بطاركة الالatin في الشرق ، في القسطنطينية وانطاكيه والقدس . ولكن الكنيسة الارثوذكسيه لم تر في هذا المجمع مجمعاً مسكونياً وبالتالي فانها لم تذعن لمقرراته . ولم يتمكن انوشتنش من فصل الدين عن السياسة . فانه لم يعتد بلقب الفسليفس الذي اتخذه لنفسه ثيودوروس الاول لاسكاريس ، ولم يخاطبه باي لقب اعلى من لقب « شريف<sup>٣</sup> » . ورأى في رسالته اليه ان الالatinيين باحتلالهم القسطنطينية كانوا اداة الحق في الاقتراض من اليونان لات هؤلاء لم

Heisenberg, A., *op. cit.*, II, 5-6, 25-35.

١

Gerland, E., *Gesch. des Lateinischen Kaiser-reiches*, 233-243.

٢

« Nobili Viro Theodoro Lascari ».

٣

يعترفوا بسلطنة روما<sup>١</sup>.

وفي السنة ١٢٣٢ انطلق خمسة رهبان فرنسيسكانيين من الاسر في ايقونية فجاؤوا نيقية وفاتحوا البطريرك المسكوني جرمانوس الثاني في اتحاد الكنيستين . فسر البطريرك بهم وأطاع الفسیلفس يوحنا الثالث باطاجي على ما اقترحوه وكتب الى البابا غريغوريوس التاسع للنظر في أمر الاتحاد . فجاءَ نيقية في السنة ١٢٣٤ وفد باباوي لهذه الغاية . وانعقد مجمع لدرس مشروع الاتحاد في نيقية او لا ثم في نيقية . واستد الجدل بين الفريقين فطلب نيقفوروس البميدي ان يتم الاتحاد على قبول عبارة الآباء القديمة : ان الروح القدس ينبثق من الآب بالابن . ولكن الغربيين لم يرضوا . فرأى الفسیلفس ان يبقى الغربيون على عادتهم في تقديم الفطير ويحذفوا من دستور الایام الانبات من الابن . فرفض نواب البابا ذلك . وانقض المجمع دون الوصول الى اية نتيجة<sup>٢</sup> . وكتب عندئذٍ جرمانوس البطريرك مؤلفه الشهير في انبات الروح القدس .

وتوفي فريديريکوس الثاني امبراطور الغرب وصديق يوحنا الثالث باطاجي (١٢٥٠) وتولى شؤون صقلية بعده مانفرد . وتآلب هذا على الروم في نيقية ، فقاوض فسیلفس الروم البابا انوشتنش الرابع في أمر اتحاد الكنيستين واستشرط اعادة القسطنطينية وبطريركيتها الى الروم ، وخروج امبراطور اللاتين والاكيروس اللاتيني من عاصمة الشرق ، وقبل بالاعتراف بسلطنة البابا في مقابل هذا كله . فقبل انوشتنش الرابع . وكتب البطريرك الى البابا يعلن تفویض الوفد الارثوذکسی مفاوضة روما في أمر هذا

الاتحاد<sup>١</sup>. وتوفي البابا والفسيلفس في السنة ١٢٥٤ فظل اتفاقهما مشروع اتفاق غير موقع . ونهرج ثيودوروس الثاني نهرج والده يوحنا الثالث ، فرأى في اتحاد الكنيستين اداة حسنة للاستيلاء على القسطنطينية . فأوفد الى البابا الكسندروس الرابع في السنة ١٢٥٦ شريفين من أشراف المملكة يطلبان العودة الى التفاوض على الاسس نفسها التي كان قد اقترحها يوحنا الثالث . فلبي البابا النداء وأرسل الى نيقية وفداً مفاوضاً برئاسة قسطنطين اسقف اورفيتو Orvieto وخواصه حق الدعوة الى مجمع وحق الترؤس عليه وسن مقرراته . وتحسن ظروف ثيودوروس السياسية والعسكرية . فلما وصل الوفد المفاوض الى مقدونية منعه الفسيلفس من التقدم فيها وأمره بالخروج من الاراضي الخاضعة لسلطته<sup>٢</sup>.

وجاءت السنة ١٢٥٨ فتوفي ثيودوروس الثاني ، وتولى الوصاية ميخائيل باليولوغوس ، وطبع في الحكم فأعلن نفسه فسيلفساً في السنة ١٢٥٩ . وخشى حلفاً ينظم ضده في الغرب ، كما سبق ان أشrena ، فأرسل يفاوض البابا الكسندروس الرابع ويطلب معونته . ولكن هذا البابا كان قنوعاً متقاусاً فلم يحرك ساكناً ولم يستغل ظرف ميخائيل . ثم استولى ميخائيل على القسطنطينية دون معونة البابا<sup>٣</sup>.

**علماء نيقية وادباءها:** وعلى الرغم من الفظائع التي ارتكبها الصليبيون في القسطنطينية من سلب ونهب وتدمير وتخريب ، وعلى الرغم ايضاً من صغر الدولة التي قامت في نيقية ومن ضآلة مواردها فانها انجابت عدداً من العلماء والادباء خلدوا ذكرها على مهر الدهور . ويعود الفضل في هذا

Norden, W., *Das Papsttum*, 756-759.

١

Acropolita, G., *Annales*, 139-140.

٢

Norden, W., *Papsttum*, 382-383 ; Janin, R., *Sanctuaires de Byzance*, ٣  
*Etudes Byzantines*, II, 1945, 134-184.

إلى الأسرة الحاكمة. فان جميع اللاساكرة ما عدا الصبي يوحنا الرابع احبو العلم وعطفوا على العلماء. فيثودوروس الاول المؤسس دعا هؤلاء من جميع المناطق إلى بلاطه فأنفق عليهم بسخاء وشجعهم على متابعة اعمالهم. وبين هؤلاء نيقetas المؤرخ ، فإنه فرّ من القسطنطينية عند سقوطها بيده الصليبيين فوجد في جوار ثيودوروس وقتاً ودخلأ كافيين لاعادة النظر في تاريخه وأقامه واتصيف رسالته الشهيرة في الارثوذكسيه . وعلى الرغم من متابعته يوحنا الثالث باطاجي السياسية الداخلية والخارجية والعسكرية فإنه انشأ دوراً للمطالعة في مدن دولته وحضر الشبان على الالتحاق بالمدارس للتعلم . ولم يكتفى ثيودوروس الثاني وبنته وخلفه بإنشاء دور المطالعة بل ابتعى على نفقة الكتب لها وشجع امناءها على اعارتها للمطالعة خارج هذه الدور<sup>١</sup>.

**نيقيفوردس الباهي** : ( ١٢٧٢ - ١٢٩٧ ) وأشهر علماء نيقية في هذه الفترة من تاريخها نيقيفوردس الباهي . ولد في القسطنطينية في اواخر القرن الثاني عشر وفرّ منها مع والديه لدى سقوطها في يد الالatin الصليبيين والتوجه معهما إلى اراضي ثيودوروس لاسكاريس الاول . وقضى حداثته ينتقل بين مدن آسية الصغرى في طلب العلم . فتعلم الشعر والبيان والمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والحساب والهندسة والفيزياء والفالك . ثم استقر في دير وانكب على درس الاسفار المقدسة . ووري في السدة البطريركية في عهد يوحنا الثالث باطاجي البطريرك جرمانوس الثاني . وكانت يحب نيقيفوردس ويعطف عليه ، فاستدعاه إلى الدار البطريركية وأطلبه تدریجياً على مشاكل الكنيسة . وأثر نيقيفوردس العزلة والحياة الرهبانية فترك الدار البطريركية وانعزل في دير بالقرب من ميليطس . ثم خرج من

هذا الدير ليشترك في المفاوضات التي جرت في عهد يوحنا الثالث وجرمانوس الثاني مع رومة في أمر اتحاد الكنيستين . وعاد الى العزلة يدرس ويؤلف ليخرج منها بامر من الفسیلفس للتفتيش عن الخطوطات في تراقية ومقدونية وآثوس وابتهاجها لحساب الفسیلفس . ثم طلب اليه يوحنا ان يعني بتوبية ابنه ثيودوروس الثاني ففعّل وانشأ ديرًا خاصاً وكاد يصبح بطريركًا مسكونياً ، وتوفي في ديره في السنة ١٢٧٢ .

وأهم مصنفات هذا العالم سيرته وفيها معلومات هامة مفيدة عن السياسة والاجتاع والعلم في النصف الاول من القرن الثالث عشر . ويحيىء بعدها في الاهمية كتابه سنة الفسیلفس الذي صنفه خصيصاً لتميذه ثيودوروس الثاني وفيه رأي العالم في واجبات الحاكم وسلوكه . وكتب مختصرين في الفيزياء والمنطق فأصبحا مرجعين هامين لطلاب هذين العلمين في الشرق والغرب ولاسيما ايطالية .<sup>٢</sup>

**أكروبوليتة وثيودوروس :** وأشهر تلميذ نيقفوروس جاورجيوس أكروبوليتة Acropolita وثيودوروس الثاني الفسیلفس . ولد الاول في القسطنطينية وأمّ نيقية في صباح في عهد يوحنا الثالث باطاجي . ودرس على نيقفوروس مع ثيودوروس الثاني . والتحق بخدمة الدولة فوصل الى اعلى مراتبها . ثم دخل القسطنطينية في ركب ميخائيل باليولوغوس وتولى في عهده بعض المفاوضات الدولية الهامة . فهو الذي مثل ميخائيل في مجمع ليون سنة ١٢٧٤ كاسيميء معنا . وأهم خلفاته تاريخه الشهير الذي ضمّنه حوادث الشرق ما بين السنة ١٢٠٣ والسنة ١٢٦١ . وروايته فيه جلية

Bréhier, L., *Blemmides, Dict. d'Hist. et de Geog. Eccl.*, IX, 178-182 ; ١

Barvinok, V., *Nicephorus Blemmides and His. Work* ; Vasiliev, A. A.

Byz. Emp., 549-553.

Heisenberg, A., *Curriculum*, 68.

٢

واضحة لها قيمتها العلمية لأن واضعها اشترك في بعض ما روى ، او شاهد البعض الآخر وعاصر الباقي<sup>١</sup> .

اما ثيودوروس الفسيلفس فانه درس على نيقفوروس ثم على اكروبوليتة فاًحب المعرفة والفضيلة بفضلهما ، وشجع العلم والعلماء ، وانشأ المدارس ودور الكتب ، وأظهر عناء بالطلبة فدعهم الى قصره وحدثهم في ما تعلموه وشجعهم . وتعشق الفلسفة ولا سيما فلسفة ارسطو . وكتب في الفلسفة والدين والعلوم الطبيعية والرياضية<sup>٢</sup> .

ادباء إبيروس وعلماؤها : واخبار الادب اليوناني في إبيروس وملحقاتها في النصف الاول من القرن الثالث عشر مهمة لانها تعزز الباحث في تتبع اخبار النهضة في ايطالية والغرب فتظهر أثر اليقظة اليونانية . وأشهر ادباء إبيروس وتوابعها يوحنا ابو قوقوس متروبوليت ليبيانتو ، وجاورجيوس باردانس متروبوليت كورفو ، وديمتريوس خوماتينوس رئيس أساقفة اخرية .

ولا نعلم الشيء الكثير من أخبار هؤلاء . ولكننا نعلم ان الاول Apocaucus تعلم في القسطنطينية وتعشق الادب اليوناني القديم فاكثر من مطالعة هوميروس واريسوفانوس وثوقيديدس ، وارسطو ، وانه كتب كثيراً في الناموس ونظم كثيراً من الشعر الحكمي<sup>٣</sup> .

اما رئيس أساقفة ليبيانتو Georgeos Bardanes فانه ولد في آثينا ، وتلمنذ على رئيس أساقفتها ميخائيل الخونياني ثم أمّ نيقية وقضى في بلاطها مدة ، ثم عاد الى الغرب فسيم اسقاً على كورفو . وخلف رسائل متنوعة

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 553-554.

١

Theodore Lascaris, *Epistolae*, ed. Festa.

٢

Petrides, S., *John Apocaucus, Russian Arch. Inst. Const.*, 1919.

٣

بأسلوب يوناني كلاسيكي نقى ، بعضها ديني جدلي ، وبعضها حكمي ادبى .  
وعنى رئيس أساقفة اخرية دة Dimitrios Chomatenos بقرارات الجامع  
وبالناموس والقانون<sup>١</sup> .

## الباب الحادي عشر

### البيضة الأخيرة وأخفاقيها

( ١٢٦١ - ١٣٨٩ )

## الفصل الثالث والثلاثون

### دولة صغيرة ارثها كبير وظرفها خطير

( ١٢٦١ - ١٣٢٨ )

سياسة ميخائيل الثامن الداخلية : وعني ميخائيل باقالة عشرة العاصمة واعادتها الى سالف بجدها ، فترتب عليه ترميم الاحياء التي كانت قد التهمتها النار ، وتشيد المؤسسات الخيرية من جديد ، واستهواه السكان للعودة الى المدينة وضواحيها ، وتوزيع ممتلكات البنادية ، وايواء تجار جنوبي ، وتعهد الاسوار بالصلاح ، وانشاء اسطول حربي جديد .

واشتدت رغبته في توطيد سلطته وحقه في الملك ، فسمى عيني الولد يوحنا الرابع ، وشوه كاتم اسراره عمانوئيل هولوبولس لانه شهد بام عينه الجريمة التي ارتكبت بحق الفسیلفس الولد . وهال البطريق ارسانيوس هذا الامر فوضع ميخائيل تحت الحرم الكنائسي . فأُنزل عن عرشه

البطريركي ونفي ، وتسمى هذا العرش جرمانوس رئيس أساقفة ادرنة . فدخلت الكنيسة في ازمة شديدة دامت زمناً طويلاً<sup>١</sup>.

ومال ميخائيل الثامن الى الأشراف وربط بالزواج بين كثير من افرادهم وافراد اسرته . وخص انسباءه بالوظائف الكبرى فجعل اخاه يوحنا القائد الاعلى للجيش . فامتنعت الاوساط الشعبية ومالت عنه وأيدت البطريرك ارسانيوس وانضمت الى حزبه . وفي السنة ١٢٧٢ أشرك ميخائيل ابنه البكر اندرونيكس في الحكم فتوّجه فسليفوساً في السادسة عشرة من عمره وأزوجه من مريم ابنة اسطفان الخامس ملك المجر<sup>٢</sup> .

### ميخائيل الثامن

( ١٢٦١ - ١٢٨٢ )

(١) مريانا المجرية ( حنة ) = اندرونيكس الثاني = ايرينة الايطالية (٢)

( ١٣٢٨ - ١٢٨٢ )

زينه ماريا = ميخائيل التاسع

( ١٣٢٠ - ١٢٩٥ )

حنة صفوية = اندرونيكس الثالث

( ١٣٤١ - ١٣٢٨ )

وقضت ظروف ميخائيل العسكرية والسياسية الدولية بالانفاق ، وقطعت المعاهدة مع جنوبي موارد ثمينة ففرغت خزينة ميخائيل من المال وتعسر عليه اسعاد الدولة وتعدرا<sup>1</sup>. وظهر النقص في امانة ابناء جنوبي فتألبوا على ميخائيل في السنة ١٢٦٤ وتأمروا مع مانفرد عدو ميخائيل على تسلیم القدسية الى الافرنج ، فتقرب الفسیلفس من البناية<sup>2</sup>. فخشى الجنويون سوء العاقبة وقبلوا ان يتخلوا عن حیّهم في داخل العاصمة وان يقيموا خارجها عبر القرن الذهبي ، فقادت غلطة مدينة اجنبية عند مدخل العاصمة ! ( ١٢٦٥ ) .

**سياسته اخارجية :** وتلخص سياسة ميخائيل الثامن اخارجية في انه سالم المفول في آسيا ليتسنى له فرض سلطته على جميع ممتلكات الروم السابقة في شبه جزيرة البلقان ، وفي انه بذل جهده للحيلولة دون قيام حملة صليبية جديدة لاحتلال القدسية ، فاضطر اضطراراً الى ان يتعدد لببر روما فيعيد التحاد الكينيستين ليضمن معارضته لكل مشروع صليبي يؤدي الى السيطرة على القدسية .

وفي السنة ١٢٦٢ اطلق من الاسر وليم فيلهرودان الذي كان قد وقع في يد الروم سنة ١٢٥٩ بعد موقعة بالاغونية لقاء بين الطاعة والولاء للفسیلفس ولقاء تحويل ثلاث قلاع من قلاعه في اقصى المورة الى الروم . وكان قد وصل البابا اوربانوس الرابع الى السدة الباباوية في السنة ١٢٦١ وبعد سقوط القدسية في يد الروم . وكان هذا البابا يرغب رغبة شديدة في اعادة الالاتين الى سابق حكمهم في القدسية فحل<sup>3</sup> وليم فيلهرودان من يمينه . فحاول ميخائيل التقرب من مانفرد ملك صقلية فلم يفلح ، فتقرب من

Ostrogorsky, G., *Gesch. des Byz. Staates*, 341-342.

١

Dolger, F., *Regesten*, 1928, 1934.

٢

البابا الجديد وأغراه بالاتحاد الكنسيتين . فعدل اوربانوس الرابع عن فكرة  
الحملة على القسطنطينية . وبدأت المفاوضات في اتحاد الكنسيتين ولكن  
اوربانوس توفي في الثاني من تشرين الاول سنة ١٢٦٤ . وخلف اوربانوس  
الرابع اقليمس الخامس ، فغضد هذا البابا كارلوس آنجو في مطامعه في  
قليلية . وكانت حرب بين كارلوس ومانفرد انتهت في السنة ١٢٦٦ بسقوط  
مانفرد في ميدان القتال . فعاد ميخائيل الثامن يفاوض هذا البابا الجديد  
في أمر اتحاد الكنسيتين خوفاً من مطامع كارلوس . وعدها هذا البابا أشد  
اندفعاً من سلفيه في إعادة الامبراطورية اللاتينية في الشرق . فصارح  
ميخائيل مهدداً بأنه لا يضمن له شيئاً قبل أن يخضع الفسيفس وكتسيته  
وأكليروسه لسلطته دون قيد أو شرط (١٢٦٧) <sup>١</sup> . وتبع كارلوس آنجو  
ملك صقلية استعداداته للعمل السياسي الحربي في الشرق ، فاستمال زعماء  
عساكر مانفرد في إبيروس ، وحالف أمير المورة اللاتيني ، ووقع معاهدة  
مع بدويين الثاني امبراطور القسطنطينية السابق ، حدد فيها توزيع الغنائم  
(١٢٦٧) . وتوفي اقليمس الرابع في ٢٩ من تشرين الثاني سنة ١٢٦٨ ، وانقسم  
الكرادلة على بعضهم ، فقدت السدة الباباوية ساغرة ستين وتسعة أشهر .  
فخشى ميخائيل سوء العاقبة ، فلجأ إلى لويس التاسع ملك فرنسة راجياً  
وضع حد لمطامع أخيه كارلوس آنجو في ممتلكات الروم مؤكداً استعداده  
للاعتراف بسلطة البابا وقرب اتحاد الكنسيتين <sup>٢</sup> . فأحال لويس هذا  
الاقتراح إلى جمع الكرادلة وأوقف إخاه عن القسطنطينية ووجهه نحو  
تونس <sup>٣</sup> .

Dolger, F., *Regesten*, 1943, 1947.

١

Dolger, F., *Regesten*, 1968, 1971

٢

Bréhier, L., *Ambassade Byzantine devant Tunis, (Mélanges Iorga)*, ٣  
139-146.

٣

**حاولة توحيد الكنيستين :** (١٢٧٤) وتوفي لويس التاسع في السنة ١٢٧٠ فعاد كارلوس آنجو من تونس الى صقلية وعادت مطامعه في الشرق . فازوج احد ابناءه من ابنة امير المورة فيلهيردوان وأمد هذا الامير بالعساكر فحيث بيمنه وحارب الروم وقدر له النصر في احدى المواقع (١٢٧١) . ثم انفق الـ *الـكـراـدـلـة* وانتخبوا غريغوريوس العاشر رئيساً على الكنيسة الغربية . وكان غريغوريوس شديد الحرص على نجاح الصليبيين في الاراضي المقدسة . وكان يرى ان هذا النجاح لن يتم دون تفاهم تام بين الكنيستين اللاتينية واليونانية . فلم يرض عن مطامع كارلوس آنجو في الشرق<sup>٢</sup> . ولكن هذا لم يثن عن غيه فمد اصابعه الى البانية وثيسالية وبلغارية وحرّض وألب . فقابلة ميخائيل الثامن بتحالف مع الفونس العاشر ملك كستيلية (قشتالة) وعدو كارلوس ، ومع اسطفانوس ملك الجر ، ومع الجنويين للمرة الثانية<sup>٣</sup> .

وجاءت معونة البابا غريغوريوس العاشر اكثر جدوی وانفع من كل هذا . فقبل ان يغادر عکة ليتسلم رئاسة الكنيسة كتب الى ميخائيل الثامن يؤكّد رغبته في اتحاد الكنيستين . وبعد وصوله الى روما ارسل اربعة رهبان فرنسيسكانيين ليؤكّدوا حماية البابا في حال الاتحاد . فدخل القسيلفس والبابا في طور من الصداقة والاخلاص المتبادل . وكانت غريغوريوس أَرْحَب صدرأً من سلفه اقليمس الرابع فلم يطلب الى الاكليروس سوى الاعتراف بسلطته القانونية والفعالية والعودة الى درج اسمه في الذبيحة .

Zakythinos, D. A., *Despotat Grec de Morée*, 50-55.

١

Norden, W., *Papsttum*, 470-474.

٢

Dolger, F., *Regesten*, 1990-1991.

٣

*Regesta Pontificum Romanorum*, 68.

٤

وَهُبْ مِيَخَايِيل بِيَث الدِّعَايَةِ فِي الْاوْسَاطِ الْاَكَلِيرِيكِيَّةِ اليونانيَّةِ لِلاعْتَرَافِ بِسُلْطَةِ الْبَابَا مِيَنَنَا عَلَاقَةً هَذَا الاعْتَرَافُ الْاَكِيدَةُ بِخَلاصِ الْقَسْطَنْطِينِيَّةِ وَسَلَامَتِهَا . وَلَكِنْ هَذِهِ الدِّعَايَةُ قَوْبَلَتْ بِقاوْمَةَ شَدِيدَةٍ وَمَكَبَرَةٍ لَا تَقْبِلُ النَّقْصَ<sup>١</sup> ، وَلَا سِيَّماً مِنَ الْبَطْرِيرِيكِ وَالْاَسَاقِفَةِ وَبَعْضِ اَعْصَاءِ الْاَسْرَةِ الْمَالِكَةِ . وَجَلَ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ مِيَخَايِيل بِيَث اَحَدِ عَلَمَاءِ الْلَّاهُوتِ يَوْحَنَانِ فِقْسِنْ وَعِدَّاً قَلِيلًا مِنَ الْاَسَاقِفَةِ .

وَدَعَا عَرِيفُورِيوسُ الْعَاشِرُ إِلَى جَمِيعِ مُسْكُونِيَّةِ لِيُونَ فِي السَّنَةِ ١٢٧٤ فِي حِضْرَهِ وَفَدِ رُومِيِّ شَرْقِيِّ مُؤْلِفِ مِنَ الْبَطْرِيرِيكِ الْمُسْتَقِيلِ جَرْمَانُوسُ<sup>٢</sup> ، وَالْلَّوْغُوَثِيَّوْسُ جَارِجِيُّوسُ أَكْرُوبُولِيَّةُ ، وَرَئِيسِ اَسَاقِفَةِ نِيقَيَّةِ . وَحَمَلَ اَعْصَاءُ هَذَا الْوَفَدِ كِتَابًا مِنَ الْفَسِيلِنْسِ إِلَى الْبَابَا يَعْتَرِفُ فِيهِ بِطَالِبِ غَرِيفُورِيوسِ الْعَاشِرِ . وَبَعْدِ تَلَوَّهِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَرِسَالَةِ غَيْرِهَا مِنْ نُوعِهَا مُوَقَّعَةً مِنْ بَعْضِ رِجَالِ الْاَكَلِيرِيوسِ اَرْثُوذُوكْسِيِّيِّ اُعْلَنَ رَسِيَّاً اِتْحَادُ الْكَنِيَّسَتَيْنِ فِي السَّادِسِ مِنْ تَوْزِيْنَةِ ١٢٧٤<sup>٣</sup> . وَوَقَعَ كَارْلُوسُ آنْجُو وَمِيَخَايِيل مَهَادِنَهُ فِي الْحَادِيِّ عَشَرَ مِنْ كَانُونِ سَنَةِ ١٢٧٥<sup>٤</sup> . وَأَقَامَ مِيَخَايِيل حَفْلَةً دِينِيَّةً اَبْتَهَاجًا بِهَذَا اِتْحَادِهِ وَلَكِنَّهُ خَشِيَّ الغَوَاءِ وَالضَّوْضَاءِ فِي شَوَّارِعِ الْعَاصِمَةِ فَاقَمَ حَفْلَتَهُ هَذِهِ فِي كَنِيَّسَةِ الْقَصْرِ لَا فِي كَنِيَّسَةِ الْحَكْمَةِ الْاَلهِيَّةِ . وَاسْتَقَالَ الْبَطْرِيرِيكُ الْمُسْكُونِيُّ يَوْسَفُ اَحْتِيجَاجًا عَلَى مَا جَرَى ، وَتَوَلَّ الرَّئَاسَةَ بَعْدَ يَوْحَنَانِ فِقْسِنْ نَفْسَهُ . وَقَرَّعَتْ اَفَوْجِيَّةُ اَخَاهَا مِيَخَايِيل الثَّامِنَ عَلَى مَا جَرَى ، وَضَرَجَ بَعْضُ الْاَمْرَاءُ فَأَمَرُ مِيَخَايِيل بِمُجْلِسِهِمْ . فَانْعَدَدَ جَمِيعُ اَرْثُوذُوكْسِيِّيِّيُّوْنَ فِي ثِيَالِيَّةِ لِتَوْبِيَّخِ الْفَسِيلِفِسِ وَتِكْدِيرِهِ وَلَقْطَعَ فِقْسِنْ<sup>٥</sup> . وَيَرِيَ كُلُّ مَنْ

*Bréhier, L., Byzance, 398.*

١

*Mansi, Amplissima, XXIV, 38-136.*

٢

*Dolger, F., Regesten, 2014.*

٣

*Crummel, V., Après le Concile de Lyon, Echos d'Orient, 1925, 321 ff.*

٤

المؤرخ الافرنسي الاستاذ لويس برهيه والاب جوغي انه لم يشترك في اعمال مجمع ليون سوى اكليريكيين ارثوذكسيين فقط وان اتحاد الكنائس لا يتم بالقوة<sup>١</sup>.

وواصل غريغوريوس العاشر اتصالاته بالقسطنطيني ، وفاضله في حملة صليبية جديدة تطرد الاتراك من آسية الصغرى وتثبت اقدام الصليبيين في الاراضي المقدسة<sup>٢</sup>. وأعلن غريغوريوس انه سيتولى بنفسه قيادة هذه الحملة ولكنه توفي في مطلع السنة ١٢٧٦ . فخلفه في رئاسة الكنيسة الغربية ببابوات ثلاثة في خلال ستين كانوا كلهم من رجال كارلوس آنحو فافسدوا على ميخائيل سعيه . وجاء نيكولاوس الثالث في اواخر السنة ١٢٧٧ يطالب بخضوع الكنيسة اليونانية خضوعاً تاماً . واستعفى فقُس من مهام البطريركية . ووفد على ميخائيل وفد ببابوي يتثبت من واقع الحال . فاضطر ميخائيل وأكَد اخلاصه وقال انه في حال اخفاقه تجاه مناوئيه في القسطنطينية ينفص ما تم من اتحاد الكنديسين . فأثر كلامه هذا في نفس البابا نيكولاوس الثالث وهب ساعته يتوسط بين كارلوس آنحو وابن بدلون الثاني وبين ميخائيل الثامن . وسعى ميخائيل في الوقت نفسه لتبنيت حق بطرس الثالث زوج ابنة مانفرد في الملك في صقلية . ووافق البابا على هذا الحل ولكنه توفي في صيف السنة ١٢٨٠ . وقضت مصلحة كارلوس بان يصل الى السدة الباباوية ورجل يشق في اخلاصه ومحافظته على مصالحه فـأيد الكريدينال الافرنسي سمعان ده بري Simon de Brie وتدخل تدخلًا فعلياً في الانتخاب فنُجح مرشحه وتبوأ السيدة باسم مرتينوس الرابع ( ٢١ شباط ١٢٨١ ) .

*Bréhier, L., Byzance, 399.*

١

*Laurent, V., Greg. X, et le Projet d'une Ligue Antiturque, Echos d'Orient, 1938, 257-273.*

٢

فذهبت آمال ميخائيل ادراج الرياح . « وكان قد عمل ما لا يعلم لثبتت  
الاتحاد فغشى الدولة بالجواسيس وعمل أعين بعض كبار رجال الاكليروس  
الارثوذكسي وحمل رعاياه ب مختلف الاساليب ليوصلهم الى طاعة روما .  
لكن مرتينوس الرابع افترى على الفسيلفس فاتهمه بالغش والخداع ثم وضعه  
تحت الحرم<sup>۱</sup> . وقام مرتينوس بعدئذٍ يدبر حلفاً جديداً لاخضاع الروم  
وإقامة الامبراطورية اللاتينية . فوفق بين كارلوس وفيليب تونتون والبنديقية .  
وتمَّ الاتفاق على ان تقوم الحملة في نيسان السنة ۱۲۸۳ للاستيلاء على  
القسطنطينية والاراضي المقدسة . ولكن مؤامرة ميخائيل وحليفه ملك  
اراغونة قضت على آمال البابا وعلى ملك كارلوس بأمساة صقلية في الحادي  
والعشرين من آذار سنة ۱۲۸۲ . وأنزل بطرس الثالث جنوده في صقلية  
وأعلن نفسه ملكاً عليها في صيف هذه السنة نفسها<sup>۲</sup> .

**ميخائيل الثامن والبلقان :** وقضت المحافظة على سلامة الدولة ضد  
مطامع كارلوس واعوانه ان يتخذ ميخائيل موقفاً دفاعياً في البلقان ،  
فاحتل في السنة ۱۲۶۲ الحصون الثلاثة في المورة وجعلها نقاط اطلاق  
استراتيجي في خطة دفاعية . ثم احتل جزيرة افيبيا ما عدا عاصمتها لغاية  
نفسها . ووجه غاراته المتقطعة سطراً بيروس والبلغار .

**ميخائيل في الشرق :** وتطورت احوال الشرق في اثناء هذا كله  
تطوراً خطيراً . فأسس المماليك في مصر في السنة ۱۲۵۰ دولة عسكرية  
فتية . واستولى على فارس منكو الخان المغولي الاكبر . واستحوذ على  
بغداد في السنة ۱۲۵۸ هو لاغر المغولي وازال خلافتها واستولى على معظم

Bréhier, L., *Byzance*, 401.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 209-210 ; Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.* ۲  
591 599.

سلطنة الروم . ولم يقوَ ميخائيل على مقاومته ومعاضدة اتراك ايقونية لانشغلة بأمور داخلية وخارجية هامة . ولم يكن هو لاغو مسلماً ولم يرضَ عن الاسلام وأحب المسيحيين وعطف عليهم . ولكن ركن الدين بيروس البندقداري الملك الظاهر ( ١٢٦٠ - ١٢٧٧ ) اعتبر نفسه زعيم الاسلام والمسلمين . وأصل بيروس وغيره من هؤلاء المماليك من قبائل القباجق Kiptchak المغولية الضاربة آنئذٍ في جنوبي روسية . فقضت مصلحة بيروس وغيره من كبار المماليك ان يظلو على صلة بانسبائهم في جنوبي روسية . ولما كان هو لاغو قد فصلهم عن ابناء جنسهم باحتلال العراق وقسم كبير من آسية الصغرى ، فاتح بيروس ميخائيل الثامن في ابقاء المضيقين مقتوفين له وللقباجقة لتم الصلة بين مصر وجنوبي روسية عن طريق البحر . وكان خان القباجقة في روسية قد سبق له ان تدخل في شؤون البلقان . فوافق ميخائيل على اقتراح بيروس وأزوج خان القباجقة من احدى بناته غير الشرعيات . وفي السنوات العشر ١٢٦٢ - ١٢٧٢ تبادل ميخائيل وبيروس الوفود السياسية . فوافق الفسليف في السنة ١٢٦٢ على مرور المماليك المنتقلين من روسية الى مصر في المضائق مقابل اقامة بطريرك ارثوذكسي في الاسكندرية . وفي السنة ١٢٦٣ انتهز ميخائيل فرصة مرور المماليك بالقسطنطينية فطلب الى السلطان المصري ان يقنع خات القباجقة بالتزام الحياد تجاه الوضع في البلقان . وفي السنة ١٢٦٨ استولى بيروس على انطاكية فضعف شوكة الصليبيين ولم يبقَ في ايديهم سوى طرابلس وصيدا وعكك ، فتحالف ميخائيل القباجقة في روسية والمماليك في مصر ضد كارلوس آنجو<sup>١</sup> .

Dolger, F., Regesten, 1902-1904, 1919, 1933, 1952, 1964, 1975, 1987, 2018,  
 2028, 2052.

وقدت مطامع كارلوس في القسطنطينية وتأيد بعض الباباوات له بعدم التفات ميخائيل إلى مصير آسية الصغرى فأهمل الدفاع عن حدوده فيها وألغى امتيازات فرق الأكارنة Akritai الذين كان قد وكل إليهم السهر على الحدود. فتوغلت جماعات من الاتراك والمغول في أراضي الروم وأقضوا مضجع المزارعين وسكان القرى. فالتجأ سكان الارياف إلى المدن المحسنة وأمست أراضي الروم مقفرة وتعذر بعد هذا الاتصال بامارة طرابزون برأ. وحاول ميخائيل في السنة ١٢٦٥ أن يصد هؤلاء فأنفذه يوحنا باليولوغوس على رأس حملة لاقصائهم بالقوة. وعلى الرغم من انتصار يوحنا عليهم فإنه اضطر إلى أن يسترني سكوتهم. وفي السنة ١٢٨١ قام اندرونيكيوس ابن ميخائيل بقوة عسكرية إلى وادي الميندر وكارية ليبعد عنها جماعات الاتراك والمغول. ففعل ورم مدينة تراس Tralles وأطلق عليها اسمه ولكنه لم يحكم تحصينها ولم يموتها بالمياه. فعاد الاتراك فاستولوا عليها. وعلى الرغم من أن اندرونيكيوس كان لا يزال في نفية فإنه لم يحرك ساكناً لإنقاذهما. وقدّر لهذه المدينة ، التي دعاها الاتراك آيدين والتي أصبحت مقر أمير تركي مستقل ، ان تلعب دوراً هاماً في مقدرات الروم في أواخر أيام حكمهم. وكان العمل الإيجابي المفيد الوحيد الذي قام به ميخائيل في آسية الصغرى تفاهمه ويوحنا الثاني كومينيوس فسيلفوس طرابزون . ففي آخر سنة من حكم ميخائيل الثامن أمّ يوحنا كومينيوس القسطنطينية وتزوج من أميرة باليولوغية ودخل في تعاون أكيد مع الأسرة المالكة في القسطنطينية . ولكن هذا التحالف بين هاتين الدولتين جاء متأخراً لأن معظم آسية الصغرى كان قد أفلت من يد الروم . فالنصر التركي كان قد طرد الروم من الارياف وحل محلهم وكان قد استقر في المدن متحضرًا بأدب فارسي تركي وفنٍ ساساني بيزنطي . وما بقي من الروم في آسية كان قد انحصر في نقاط معينة على شاطيء الارخبيل وفي

بيشينية وطرابزون . أما قيليقية فانها كانت قد أصبحت مستعمرة أرمنية . وكانت هذه الفترة فترة امارات تركية مستقلة كإمارة القرمان التي استولت على ايقونية في السنة ١٢٧٨ . وفي هذه الفترة ايضاً وصلت قبيلة كاي كان كلي التركية الحرسانية بقيادة اميرها ارطغرل الى ممتلكات سلطان ايقونية فارة من وجه المغول ، فضربت خيامها عند حدود الروم بين بروسة وكونتاهية في سكوت وما يليها<sup>١</sup> .

**اندرونيكوس الثاني :** (١٢٨٢ - ١٣٢٨) ولا تجوز المبالغة في غباء اندرونيکوس الثاني وقلة حذقه في تدبير الامور . فالدولة التي تسلم عرشه هذا الفسیلس كانت قد أصبحت صغيرة في مساحتها ، قليلة في عدد سكانها ، ضعيفة في مواردها . وكانت على صغرها وضعفها وريثة ماضٍ كبير جداً . وكان فسیلسها الاول ميخائيل الثامن قد اخبط لنفسه مشروعاً يتفق وظروف سلفائه لا خلفائه . وأفضل ما تخلى به اندرونيکوس انه كان يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وانه كان رجلاً مثقفاً يحب العلم والفصيلة ويعطف على العلماء الافاضل<sup>٢</sup> .

واول ما عني به الفسیلس الجديد المشكلة الدينية . فان عمته افلاجية التي أحبتها كانت قد نفت في عهد والده لتمسكها الشديد بالارثوذكسيّة واعترضها على الاعتراف بسلطة رومه . فلما تبأ اندرونيکوس العرش قامت افلاجية تحرّضه على فسخ الاتفاق الذي عقد مع رومه في عهد أخيها ميخائيل . وهذا حذوها مستشار الفسیلس الجديد ثيودوروس موزالن فانه كان قد ذاق آلام «الفلق» في عهد ميخائيل لاعترافه على

Cahen, C., *Turcomans de Rum, Byzantium*, 1939, 131-139 ; Herzberg, ١

Gesch. der Byzantiner und der Osmanischen Reiche, 435 ff; Gibbons,  
H. A., Foundations of Ott. Emp., 19-22.

Diehl, C., *Europe Orientale*, 221-222.

٢

الاتحاد . وكان خطر كارلوس آنجلو قد زال فرجع اندرونيکوس عن قول والده بالاتحاد ولبسى بذلك رغبات معظم الاكليروس والشعب<sup>١</sup> . وأمر بدفن والده خارج العاصمة دون ان يصلى عن نفسه في احد الاديارات وأبعد البطريريك فقش وأعاد البطريريك يوسف الى كرسى الرئاسة . وعلى الرغم من ان البطريريك ارسانيوس كان قد توفي في السنة ١٢٧٣ فان اتباعه ظلوا متكتلين منفصلين عن جسم الكنيسة . فحاول البطريريك غريغوريوس الذي خلف يوسف لدى وفاته في السنة ١٢٨٣ ان يسترضيهم ولكن دون جدوى . ثم سمح الفسيلفس بنقل جثمان ارسانيوس الى العاصمة بوكب فخم ولكن اتباعه اصرروا على موقفهم وازدادوا تعنتاً وصلفاً . فأدى هذا التفكك في الكنيسة الى الانقصاص من هيبة السلطة المدنية واضعافها . ولم تحدث هذه العودة الى الانفصال تأثيراً ما في الاوساط الاكليركية العالية في روما لان الباباوات كانوا منهمكين في نزاع شديد مع السلطات المدنية ولان الصليبيين كانوا على وشك الخروج نهائياً من الاراضي المقدسة . وكان بلد़ين الثاني امبراطور القسطنطينية اللاتيني قد توفي في السنة ١٢٧٣ فانتقل حقه في الملك الى ابنته كاتريننا . وكانت هذه مقيمة في نابولي . فسعى اندرونيکوس لتزويجها من ابنه ميخائيل . وطالت المفاوضات في ذلك واستمرت حتى السنة ١٢٩٦ ثم أُخافت . فتزوج شارل فالوى منها في السنة ١٣٠١<sup>٢</sup> .

**سياسة اندرونيکوس الداخلية :** وكان اندرونيکوس في الرابعة والعشرين من عمره عندما تبوأ العرش . وكان قد تزوج من حنة المجرية ورزق منها ميخائيل وقسطنطين . ثم تزوج من يولندة الايطالية حفيدة

امرأة ثيسالونيكيية اللاتين فخلفت له ذكوراً ثلاثة وأبنة . وكرهت يولندة ابني ضرها فسعت سعياً حثيثاً لاقطاع ابنائها مقاطعات كبيرة . وما فتئت تلح على زوجها حتى اتبعته . فضجر منها وتخلّى عنها . فلجأت إلى ثيسالونيكيية وناصبه العداء والدس<sup>1</sup> . ولم يرضَ اندرونيوكوس عن أخيه قسطنطين لعيرفته وبذخه . فلما انهم قسطنطين بالخيانة والتآمر في السنة ١٢٩١ أمر اندرونيوكوس بصادرة املاكه .

وكان يوحنا لاسكاريس الاعمى لا يزال حياً يرزق مقيماً في حصن في بيلينية فاضطره اندرونيوكوس سنة ١٢٩٠ إلى أن يعترف بشرعية سلطانه . ثم اشرك ابنه ميخائيل في الحكم وتوجه في كنيسة الحكمة الالهية وذلك في الحادي والعشرين من ايار سنة ١٢٩٥ . وجعل بعد ذلك ابنه يوحنا من زوجته الثانية ديسبوتاساً .

وعلى الرغم من قوة اندرونيوكوس الجسدية وشدة ايمانه في الدين ، فإنه كان متربداً ضعيفاً لا يقوى على ارادة اللوغوثيت الاكبر ثيودوروس موزالن ، ولا على رغبات معلم ذمه اندرونيوكوس رئيس اساقفة ساروس . فنفذه سياستها الدينية بقسوة وتطرف وزاد الانقسام الديني الداخلي تعقداً وحماساً . وكان من جراء هذا الضعف والتردد ان الفسليفوس لم يتمكن من تنفيذ رغباته وخططه في الاصلاح ولا سيما في حقل المالية . ولم يوفق في تغذية الخزينة ، فالقروض التي جأ إليها ، والضرائب الفادحة التي فرضها على الجبوب ، وانقص مرتبات الموظفين ، وتربيف النقد ، اثارت الاستياء وادت إلى نشوب الثورات . واسواً ما عمد إليه في سبيل الاقتصاد كان القاء الاسطول والاستعاذه عنه ببارج القرصان ومراكب الطليان<sup>2</sup> !

Pachymeres, G., Hist., And. I, 33, V, 5 ; Diehl, C., Figures, II, 226 ff. ١  
Bréhier, L., Bgzance, 413.414. ٢

جنوی والبندقية : ( ١٢٩٣ - ١٢٩٩ ) و آثر الفسیلفس الجنوین علی  
 البنادقة و نهج سیاست التفرقه بینهم کا فعل والده . فاندلعت حرب بین الدولتين  
 التجاریتين دامت ست سنوات . ویری رجال الاختصاص ان السبب  
 الرئیسي لهذه الحرب كان استیلاه الجنوین علی کفة Caffa المستعمرة  
 البيزنطية الخطيرة علی الشاطئ الشرقي لشبه جزیرة القرم واستئثارهم  
 بسوق القسطنطینیة<sup>۱</sup> . وحالفت البندقیة خان التر نوغای . وفي تموز السنة  
 ١٢٩٦ ظهرت بوارجها ومرکبها امام القسطنطینیة وانزلت الرجال الى  
 البر واحرقـت بیـرا وغـلـطة وحاـولـت اـقـتحـامـ القرـنـ الـذـهـبـیـ . وانـقضـ الجنـوـینـ  
 في القسطنطینیة علی البنادقة فذبحـوـهـمـ ذـبـحـاـ . ثمـ التقـىـ الـخـصـامـ فيـ مـوـقـعـةـ  
 بـحـرـیـةـ فـاصـلـةـ فيـ السـابـعـ منـ اـیـولـ سـنـةـ ١٢٩٨ـ بـینـ شـاطـئـ دـلـاسـیـةـ وـ جـزـیرـةـ  
 کـرـزـلـةـ Curzolaـ کـانـ النـصـرـ فـیـھـاـ حـلـیـفـ الجنـوـینـ . وـ وـقـعـ الـطـرـفـانـ صـلـحـاـ  
 فيـ مـیـلـانـوـ فـیـ اـیـارـ السـنـةـ ١٢٩٩ـ . وـ ماـ انـ تـمـ هـذـاـ الصـلـحـ حتـیـ قـاتـ البـنـدـقـیـةـ  
 تـطـالـبـ اـنـدـرـوـنـیـکـوـسـ بـالـتـعـوـیـضـ عـماـ جـرـیـ لـاـبـنـاءـہـ فـیـ السـنـةـ ١٢٩٦ـ فـیـ  
 القـسـطـنـطـینـیـةـ . فـرـضـ الفـسـیـلـفـسـ ، فـجـاءـ اـسـطـوـلـ بـنـدـقـیـ يـحاـصـرـ القـسـطـنـطـینـیـةـ  
 وـ يـطـلـقـ سـهـامـهـ إـلـىـ دـاـخـلـ الـقـصـرـ الـمـقـدـسـ . وـ فـيـ السـنـةـ ١٣٠٢ـ - ١٣٠٣ـ اـخـطـرـ  
 الفـسـیـلـفـسـ إـلـىـ أـنـ يـوـقـعـ صـلـحـاـ مـعـ الـبـنـادـقـةـ ، وـ اـنـ يـوـضـيـ الجنـوـینـ بـتوـسـیـعـ  
 حـیـّمـ فـیـ القـسـطـنـطـینـیـةـ ، وـ بـالـسـمـاحـ لـهـمـ باـحتـلـالـ جـزـیرـةـ خـیـوسـ لـلـدـافـعـ عـنـهـاـ ضـدـ  
 مـطـامـعـ الـأـتـرـاكـ ، وـ باـسـتـمـارـ مـفـعـولـ الـأـمـتـیـازـ الـذـیـ کـانـ قدـ خـصـ بـهـ الجنـوـینـ  
 لـاـسـتـثـارـ منـاجـمـ حـبـرـ الشـبـ بالـقـرـبـ مـنـ فـوـقـیـةـ فـیـ آـسـیـةـ الصـفـرـیـ<sup>۲</sup>ـ .  
**مـطـامـعـ الـصـرـبـ :** وـ کـانـ قدـ اـسـتـوـیـ عـلـیـ عـرـشـ الـصـرـبـ اـعـظـمـ مـلـوـکـهـمـ  
 فـیـ الـعـصـورـ الـوـسـطـیـ اوـرـوـشـ الثـانـیـ مـیـلـوـتـینـ . وـ کـانـ اوـرـوـشـ قدـ وـسـعـ

Bratianu, G., *Recherches*, 251 ff.

۱

Bratianu, G., *op. cit*, 284-286.

۲

بمتلكاته في مقدونية وفي وادي الفردار فاحتل قَوَّةً (١٢٨٢ - ١٢٨٣) وهدد ثيسالونيكيَّة . فأنجد اندرونيكيوس قوة لصده ولكنَّه لم يوفق في ذلك فاضطر إلى أن يفاوض جاره الصربي وان يتودد إليه عن طريق المعاشرة . فازوجه من ابنته الطفلة على الرغم من مقاومة البطريقي . ويرى بعض رجال الاختصاص ان اوروش كان يطمع في خُم بلاده إلى دولة الروم وان حماته ايرينة زوجة اندرونيكيوس الصاحبة شجعته على ذلك<sup>١</sup> . والواقع ان اوروش الثاني اشتهر بعد المؤسسات الخيرية التي انشأها في القدس وثيسالونيكيَّة والقدس<sup>٢</sup> .

**الخطر التركي :** وجاء في أحد المراجع الأولى ان اندرونيكيوس أظهر اهتماماً بشؤون آسية الصغرى منذ بدء عهده . فعبر البوسفور في فصل الشتاء وصد الاتراك وطردُهم من بيلينية وميزية وفريجية وأعاد انشاء المدن وحصن الحدود<sup>٣</sup> . ويلوح لنا انه بعد ان اتم عمله في بيلينية استقر مدة من الزمن في نفية في السنة ١٢٩٠ وتودد إلى ملك ارمينية هاثوم الثاني فازوج ولِي عهده ميخائيل التاسع من شقيقة هذا الملك<sup>٤</sup> . والواقع ان ظروف آسية الصغرى آنذاك تطلب أكثر بكثير مما بذل من العناية . فقبيلة كاي كان كلي التركية الخراسانية التي مر ذكرها كانت قد تقبلت الاسلام وكان قد تولى زعامتها الامير عثمان . وكانت مراعيها قد بدأت توسيع على حساب الروم . وفي السنة ١٣٠١ تكَّنت هذه القبيلة بخيوها المصفحة من اختراق صفوف الروم امام نيقوميذية<sup>٥</sup> .

Cam. Med. Hist., IV, 532-535.

١

Strzygowski, J., Miniaturen des Serbischen Psalters, 114-115.

٢

Guilland, R., Essai, 54-55.

٣

Pachymeres, G., Hist., And. III, 5-6.

٤

Pachymeres, G., op. cit., IV, 25.

٥

ولم تكن هذه القبيلة سوى امارة صغيرة بين عدة اامارات تركية كبيرة طامعة جماعها في الغزو والفتحات . وأشهر هذه الامارات آنذاك امارات صروخان وقرمان وآيدين . وكانت هذه الامارات قريبة من الشاطئ الغربي فبدأت تضغط على ساحل الارخبيل وعلى مدن الروم في الداخل<sup>١</sup> .

ورأى اندرونيكيوس ان يستعين بالعنصر الآلاني القوقاسي لوقف هؤلاء الاتراك جميعاً عند حد معقول . فجذب فرقه من هؤلاء وأمر عليها ابنه ميخائيل التاسع وأنفذها في السنة ١٣٠٢ الى الجبهة في آسيا . وكان ميخائيل قليل الخبرة فحضر نفسه في مغنيسية فتمرد الآلان مطالبين بالسرير . ففرّ ميخائيل بجعوه وسكان مغنيسية . فانقض عليهم الاتراك وأعملوا السيف في رقابهم . فالتجأ ميخائيل الى قيزيقة واقام فيها<sup>٢</sup> . وضاق صدر اندرونيكيوس وخشي سوء العاقبة فاستعان بغازان خان المغول في فارس وأزوجه من احدى بناته غير الشرعيات ولكن غازان توفى في الحادي والثلاثين من ايار سنة ١٣٠٢ . فضاقت حيلة اندرونيكيوس ويسافر ان يلتجأ الى المرتقة .

**فرقة المعاور الاسپانية :** ( ١٣٠٣ - ١٣١١ ) وكانت الحرب بين فريديريكيوس الثالث الاراغونى وكارلوس آنجو الثاني قد وضعت اوزارها فأصبح الجيش الذى كان قد جمع في قتلوبية واراغونة ونفار حراً لا عمل له . وكانت احدى فرق هذا الجيش فرقة المعاور الاسپانية قد اتخذت روجه دي فلور Roger de Flor قائداً لها بعد تسریحها . وكانت روجه قد بدأ حياته راهباً جندياً داوياً من الداوية Templier فاختلس وطرد .

Gibbons, H. A., *Foundations of Ott. Emp.*, 34-35.

Pachymeres, G., *op. cit.*, IV, 17-20.

١

٢

فعلم بحاجة اندرونيكيوس الملحة فاتصل به فاتتفقا على شروط اهمها ان يتضاعي المغادر ضعف ما كان يتضاعه المرتزقة العاديون وان تدفع الجماكية مسبقاً عن اربعة أشهر وان يطلق على القائد لقب «الدوق الاكبر» . وفي ايلول السنة ١٣٠٣ أطلت مراكب المغادر وكان عددهم ستة آلاف فنزلوا بخيوthem ونسائهم واولادهم الى القدسية . وما ان استقرروا فيها حتى طالبهم الجنوبيون بدين سابق فأطبقوا على اصحاب الدين واذاقوهم الموت .

وفي مطلع السنة ١٣٠٤ نزل المغادر في قيزيقه لفك الحصار الذي ضربه الاتراك حولها . فذبحوا المحاصرين جماعات وأسرموا الباقين واقاموا في قيزيقه بانتظار الربيع لمتابعة الحرب . وفي شهر نيسان قاموا الى الجبهة فاكتسحوا الموقف اكتساحاً بسرعتهم الخاطفة ووصولهم الى صفوف اعدائهم وانقضاضهم عليهم بالسلاح الابيض قبل ان يتمكن هؤلاء من ردهم برماتهم وسهامهم . وما فتئوا كذلك حتى وصلوا الى جبال طوروس في اقصى الجنوب . وفي آب السنة ١٣٠٥ اوقعوا بالاتراك عند هذه الجبال خسارة فادحة أدت الى فرار الاتراك والتجاءهم الى اعلى الجبال .<sup>٢</sup>

وكانت العلاقات قد توترت بين اندرونيكيوس وشودوروس سواتسلاف ملك البلغار فاستقدم المغادر الى غاليبولي ليستعين بهم . ولكن جنوده المحاربين على حدود البلغار رفضوا التعاون مع المغادر وهددوا الفسيفس بالتمرد . فأمر ببقاء المغادر في غاليبولي . ثم علم ان فريديريكيوس الثالث ملك صقلية سمع بظفر المغادر وبغنائهم فيحدثته نفسه بالقيام الى الشرق في

*Muralt, de, Chron. 6812, 1 ; Cronica Catalana, 194-200 ; Schlumberger, G., Exped. des Almugaveres, 24-29.*

*Cronica Catalana, 207 ; Schlumberger, G., op. cit., 103-108.*

سبيل الکسب والجذ وانه يفاوض المغاور في ذلك فرقى روجه زعيم  
هؤلاء الى رتبة قيسراً وأقطعه جميع ممتلكاته في آسية . فسرّ روجه  
سروراً عظيماً وأحب ان يقدم احترامه لميخائيل ولي العهد على حدود  
بلغارية ، فاستقبله هذا بحفاوة فائقة ودبر له مكيدة اهلکه بها . ثم أرسل  
قوة من الآلان الى غالبيولي ففاجأت المغاور وذبحت عدداً كبيراً منهم  
واغنمته خيولهم (١٣٠٧) . فاستشاط المغاور غيظاً وهبوا للدفاع عن انفسهم  
وللأخذ بالثار وانطلقوا في البلقان يخربون ويسلبون ويخربون طوال  
سنوات ثلاث فمهدوا بذلك السبيل لفتح تركي١.

تشوش وببللة : ( ١٣٠٨ - ١٣٢١ ) ولم يهأ اندرونيکوس بزوال  
خطر المغاور . فما كاد هؤلاء يغادرون آسية حتى عاد الاتراك الى سابق  
طمعهم وغزوه . ففي السنة ١٣٠٨ توغلوا في شبه جزيرة نيقوميدية  
وقضوا على مناورات المغول اصدقاء الروم . ثم استولى الامير سيسان  
حليف عثمان على افسس فنهب مقام القديس يوحنا فيها٢ . وكانت جزيرة  
رودوس قد أصبحت مركزاً للقرصنة . فلما اشتد الخلاف بين الاسبة اليين  
والملك هنريکوس الثاني في جزيرة قبرص رغب الاسبتاليون  
Hospitaliers في اتخاذ رودوس مقرًا لهم ، ففاوضوا اندرونيکوس في تسليمها من يده  
اقطاعاً لهم . ولكن الفسیلفس أبي فسقطرت في ايدهم في الخامس عشر  
من آب من السنة ١٣١٠٣ . فخسر الفسیلفس بذلك معاونة بحرية قيمة في  
نضاله ضد الاتراك .

وكان قد استعان المغاور ، في ابان مخطفهم على الروم ، بجماعات من

*Bréhier, L., Byzance, 417-422.*

١

*Pachymeres, G., op. cit., And., VII, 13.*

٢

*Delaville - Leroux, La France en Orient, 272-284.*

٣

الاتراك فلما انتهى أمر المغافر بقيت هذه الجماعات التركية في تراقيه تنهب وتخرب وتدمر . ففاوض الفسليفس زعيمهم خليلًا في ذلك وكاد يتوصل إلى شيء من التفاهم معه . ولكن أحد كبار الضباط طمع في بعض غنائم الاتراك فنشبت موقعة حامية خسر فيها ميخائيل التاسع كل متعاه . فبقي الاتراك في تراقيه ثلاث سنوات أخرى ( ١٣١١ - ١٣١٤ ) ، وبقيت تراقيه ارضاً بوراً طوال هذه الفترة . واضطر اندرونيکوس إلى أن يدرب جيشاً جديداً وأن يستعين بالصربيين قبل أن تكون من حصر هؤلاء الاتراك في شبه جزيرة غالیبولي والقضاء عليهم<sup>١</sup> . ولم يرض بابا روما عن نفوذ أوروش ملك الصرب في البلقان لتمسكه بالارثوذكسيّة ، فحضر ملك المجر شارل روبر ونسيه فيليب عاهل ترتونوم على محاربته فخسر أوروش بلغراد وقسمًا من بلاد البوسنة . واضطر خلفه اسطفانوس إلى أن يطلب المعونة من الغرب لعدم تمكن اندرونيکوس من تقديمها .

وكانَ كنيسة القسطنطينية لا تزال منقسمة على نفسها . وكان اتباع ارسانيوس لا يزالون مصرin على عدم تدخل السلطات المدنية في شؤون الكنيسة فتغيرت رئاسة الكنيسة خمس مرات بين السنة ١٣١٢ والسنة ١٣٢٣ وشعر العرش البطريكي مرتين في هذه الفترة .

و بما زاد في الطين بلة الاختلاف الذي نشأ بين افراد الاسرة المالكة . فان الفسليفس اندرونيکوس الثاني كان قد تعلق بجحفيده اندرونيکوس ابن ابنته ميخائيل التاسع الذي ولد حوالي السنة ١٢٩٦ . فشب هذا الحفيد مدلوعاً مضطرباً فاسداً . فأتفق بغير حساب واستدان من الجنوبيين مبالغ طائلة . ثم تعلق بخليفة وغار عليها من شركة شاب آخر ، وكمن له ليتخلص منه فأخذها وقتل أخيه الديسبوتس عمانوئيل . فاغتاظ والده ميخائيل التاسع

وتوفي حزيناً كسير الحاطر في ثيسالونيكية (١٢٢٠) . فشقّ هذا على الجد  
 اندرونيكيوس الثاني وأحب أن يمنع حفيده من الوصول إلى العرش  
 بعده ، فأعلن ميله نحو ولد غير شرعي من ابنه قسطنطين . فتامر  
 اندرونيكيوس الحفيد على جده وعاونه في ذلك كل من الوزير الأول يوحنا  
 كنتاكوزينوس *Cantacuzenus* واوروش ميلوتين ملك الصرب . وأراد  
 الفسيلفس ان يحكم على حفيده بالسجن المؤبد ثم عفا عنه . فطلب الحفيد العفو  
 عن اعوانه فأبى الجد ، ففرّ اندرونيكيوس الحفيد إلى ادرنة وانضم إليه اعوانه .  
 فدخلت الدولة في حرب أهلية دامت سبع سنوات ( ١٣٢١ - ١٣٢٨ )  
 واسفرت عن نجاح الحفيد ووصوله إلى العرش باسم اندرونيكيوس الثالث .  
 وبقي الجد متمتعاً بجميع مظاهر الملك حتى وفاته في السنة ١٣٣٢ .

الفصل الرابع والثانية

اندرونيكوس الثالث ويونا السادس

( ١٣٢٨ - ١٣٤١ )

اندرونيكوس الثالث : ( ١٣٢٨ - ١٣٤١ ) وما ان تبوا  
اندرونيكوس العرش حتى شئ عن ساعده الجد فابتعد عن الطيش والتلذذ ،  
وعني عناء فائقة باقالة العترة وانهاض الدولة . فقرب يوحنا كونتاكوزينوس  
من نفسه واعتمد عليه وعمل بارشاده . وكان يوحنا من افذاذ رجال عصره  
قديرأ في الحرب والسياسة ، فقضى على الفتنة والتآمر وأمن العباد وخفف  
الضرائب قدر المستطاع . وعني بالعدل والقضاء فحصر السلطة القضائية العليا  
في قضاة اربعة ، وزاد رواتبهم ليكتفوا ويستغنوا . ثم فرض عليهم ميناً  
مغلظة يقسمونها على ان لا يفرّقوا بين غني وفقير . واشرك البطريريك في  
اختيارهم وتعيينهم ليضمن بذلك تعاون الكنيسة في توزيع العدل واحقاق  
الحق . ووافق اندرونيكوس على هذا كله وعني بتنفيذ وتطبيقه . ولكنه  
اضطر بعد ثانية اعوام الى ان يعزل جميع هؤلاء لسوء تصرفهم . ورغم  
الفسيفس ووزيره الاول في التحرر من سيطرة الجنويين والبنادقة فأدخلوا

إلى العاصمة جاليات تجارية فرنسية غير إيطالية وشرعاً في إنشاء اسطول  
وطني ليستغليها به عن خدمات الجنوبيين<sup>١</sup>.

**حربه في البلقان:** وكان اندرونيوكوس الثالث جندياً مجرّباً  
يشاطر جنوده التعب والشقاء فيقودهم إلى الحرب بنفسه. وقضى سطراً  
وافرأً من سني حكمه في ميادين القتال في البلقان. فحالف في السنة  
١٣٣٠ البلغار للصمود في وجه الصربي الطامعين وقام إلى الجبهة محارباً.  
ولكن ميخائيل الثالث حليفه البلغاري نازل اسطفان ديشنسكي الصربي قبل  
وصول الروم إليه فانكسر في الثامن والعشرين من حزيران في ميدان  
قسطنطيل Kostandil ولاقي حتفه فيه. وطبع اندرونيوكوس في بعض  
حصون بلغاريا الجنوبيّة، فاغتنم فرصة وفاة ميخائيل وضمه إلى ملكه.  
وتوفي ديشنسكي وتولى الحكم بعده ابنه اسطفان دوشان (١٣٥٥ - ١٣٣١)  
قيصر الصربي العظيم. فصادق ملك بلغاريا الجديد يوحنا الكسندر وس  
وتعاون معه، فأعلنوا الحرب على اندرونيوكوس. فاستعاد يوحنا في السنة  
١٣٣٢ ما استولى عليه اندرونيوكوس. وتقىم اسطفان دوشان في Macedonia  
فاحتل أخريدة وكتسورة وغيرها. واضطر في السنة ١٣٣٤ إلى أن  
يصالح اندرونيوكوس ليدافع عن حدوده الشمالية ضد هجمات المجر.

وفي السنة ١٣٣٣ توفي ديسپوت ثيسالية اسطفان ميلسيسي، فاستولى  
حاكم ثيسالونيكية على نصف ثيسالية باسم اندرونيوكوس الثالث. وبعد  
ذلك بستين اضطر يوحنا أورسيسي ديسپوت إبیروس إلى أن يتخلّى عن  
القسم الجنوبي من ثيسالية للفسليفس. ثم استعان الفسليفس بفرقة تركية  
وأخضع القبائل الألبانية الجبلية وأعادها إلى الطاعة. واتجه بعد  
ذلك سطر إبیروس فضمّها سلماً. ثم ثارت في وجهه في السنة ١٣٣٩

زوجة المطالب بعرش الامبراطورية اللاتينية بدسيسة من كاترينة دي فالوي .  
فقام الفسليفس اليها في السنة ١٣٤٠ وأخضعاها<sup>١</sup>.

**حروبها في آسيا والارخبيل :** وتابع عثمان غزواته ، وسقطت بروسة  
في يده عند وفاته وذلك في السادس من نيسان سنة ١٣٢٦ فجعلها  
اورخان وريث عثمان عاصمة امارته . وفي السنة ١٣٢٩ حاصر اورخان  
نيقية ، فحاول الفسليفس فك الحصار فقاتل اورخان في السنة ١٣٣٠  
في بليكانون Palakanon ولكنه لم يفلح . واستولى اورخان على نيقية في  
الثاني من اذار سنة ١٣٣١ . وكان اورخان قد نزل في تراقيا في السنة  
١٣٣٠ وزحف على طوزلة ، ولكن اندرونيكيوس أُلحق به خسارة دامية .  
وعاد اورخان في السنة التالية ١٣٣١ فعبر الدردنيل واستولى على رودوستو  
Rodosto ثم ارتد عنها خاسراً . فاتجه اورخان سطراً نيقوميدية فعبر  
اندرونيكيوس البوسفور وصده عنها . وفي السنة ١٣٣٢ قام عامر السلاجوفي  
بنجمس وسبعين سفينة حربية فتهاجم جزيرة سموثراقيا ، ثم نزل في تراقيا  
فاعاده اندرونيكيوس الى سفنه وفاوض البنديقية في أمر التعاون ضد  
هذا العدو المشترك<sup>٢</sup> . وعاد اورخان في السنة ١٣٣٧ فأنزل قوات غير  
قليلة في ضواحي القسطنطينية ، فأُلحق به اندرونيكيوس خسارة فادحة  
واعاده الى آسيا . فهاجم اورخان نيقوميدية واستولى عليها . ولم يبقَ في  
يد الروم في آسيا سوى بعض مدن متفرقة كقيلاذفية وهرقلية .

وسجل اندرونيكيوس الثالث انتصارات هامين في بحر الارخبيل ،  
فاحتل في السنة ١٣٢٩ جزيرة خيروس ورفع سلطة اسرة زكريا الجنوبية  
عنهما بعد ان اعلنت استقلالها ، فزاد دخل الخزينة بعمله هذا مئة وعشرين

الف بزنت في السنة<sup>١</sup>. وفي السنة ١٣٣٦ طمع التاجر الجنوبي دومينيكوس كاتان في الاستقلال بفوفة الجديدة فاستعان بفرسان رودوس الاستباليين واستولى على جزيرة متيلينة . فحال اندرونيكوس امير صروخان التركي وحاصر لسبوس وفوفة الجديدة في آنٍ واحد واستولى عليهما .

**موقفه من الكنيسة :** وأفاق تقدم الاتراك وتوسيع سلطانهم اندرونيكوس الثالث وحار في أمره فعمد الى مقاومة روما والى طلب المعاونة من الغرب . ومر بالقسطنطينية في السنة ١٣٣٤ راهبان دومينيكيان عائدين من اراضي المغول بعد ان حاولا التبشير فيها فكلفهم اندرونيكوس الاتصال بالبابا يوحنا الثاني والعشرين ( ١٣١٦ - ١٣٣٤ ) لاطلاعه على تخرج الموقف في الشرق وحثه على المساعدة . فوافق البابا على طلب الفسليفس وأعاد هذين الدومينيكيين الى القسطنطينية حاملين شروطه في تقديم المساعدة . ولدي وصولهما لقيا مقاومة شديدة من الاكييروس الارثوذكسي فلم يتمكنا من البحث في كيفية تعاون الكنيستين . وفي السنة ١٣٣٥ أرسل اندرونيكوس ينبيء<sup>٢</sup> البابا بنديككتوس الثاني عشر ( ١٣٤٢ - ١٣٣٤ ) باستعداده للاشتراك في حملة صلبية جديدة بقيادة ملك فرنسة تكون مهمتها القضاء على مطامع الاتراك في الشرق المسيحي . ولكن الاختلاف الذي نشأ في هذه الآونة بين فيليب السادس ملك فرنسة وادوار الثالث ملك انكلترة والمشادة التي نشببت بين البنادقة والجنويين حال دون اي تعاون دولي اوروي في حملة صلبية مشتركة . وفي السنة ١٣٣٩ عاد اندرونيكوس فأوفد الى بنديككتوس الثاني عشر الاب بسلام رئيس دير المخلص في القسطنطينية واسطفالات دندولو البنديقي ليرجواه عقد مجمع مسكوني ينظر في اتحاد الكنيستين وفي تنظيم حملة صلبية تحرر نصارى آسية الصغرى من

ربقة الاتراك . فأجاب البابا بان مجمع ليون حل<sup>١</sup> المشاكل بين الكنسيتين  
ووعد خيراً ووقف عند هذا الحد<sup>٢</sup> .

**الفيورون والمعتدلون<sup>٣</sup>:** وكان قد قام في الكنيسة الارثوذكسيه منذ عهد  
ثيودوروس الاستوديتي في القرن التاسع من قاوم تدخل الفسيلفس والحكومة  
في شؤون الكنيسة بل من قال بوجوب تقييد الفسيلفس بالأنظمة الاكليريكيه .  
وكانت غيرة هؤلاء على الكنيسة قد اشتدت الى درجة أدىت بهم الى اللجوء  
الى العنف في سبيل الدفاع عن حرية الكنيسة واستقلالها . ولم يتطلب  
هؤلاء الفيورون من الاكليروس علماً وافراً او ذكاءً مفرطاً ولكنهم  
أوجبوا عليهم سيرة ظاهرة وتقشفاً صارماً . فنالوا اعجاب الرهبان وتائیدهم  
في غالب الاحيان . وكان من الطبيعي جداً ان يقول غيرهم من ابناء  
الكنيسة بالتعاون بين الدولة والكنيسة ، وهؤلاء هم المعتدلون . وأصر  
هؤلاء على وجوب تضع الاكليروس العالي من العلوم الدينية والزمنية  
ليحسنوا الدفاع عن الكنيسة جماء ومحظوا حرمتها . واشتد الخلاف  
حول هذه المبادئ واتسع حتى شمل جميع المؤمنين . فكنت ترى البيت  
الواحد مقسوماً على نفسه بحيث يختلف فيه الاب مع ابنته والابنة مع  
امها والكنفة مع حماتها<sup>٤</sup> .

وقف الفيورون الى جانب البطريرك ارسانيوس في نزاعه مع ميخائيل  
الثامن فعرفوا بالارسانيوسيين وانضم اليهم من شد أزر الشاب الاعمى  
يوحنا الرابع . وكثير الجدل واشتد الحماس وعلت الحرارة فاجتاحت الحكومة  
الى الجلد والسبعين والنفي وغير ذلك . وقضت ظروف ميخائيل السياسية

Gay, J., *Le Pape Clément VI*, 49-50, 115; Bréhier, L., *Byzance*, 1  
431-433.

«Zelotai» , «Politikoi» .

Pachymeres, G., I, 314.

٢

٣

بفاظه البابا في أمر اتحاد الكنيستين فضج الغيورون وأعلنوا مقاومتهم وسخطهم . ثم جاء اندرونيكتوس الثاني فألغى الاتحاد ولكن الغيورين ظلوا معاندين ، ووسعوا نطاق عملهم فتدخلوا في السياسة . واستد نفوذ الغيورين والرهبان في النصف الاول من القرن الرابع عشر فسيطروا على الاكليروس العلمني وهيمنوا على البطريركية المسكونية ولا يزالون<sup>۱</sup> .

**الصامتون :** وما كاد النزاع بين الغيورين والمعتدلين ينتهي حتى حلَّ حمله نزاع آخر حول الزهد الصامت Hesychia . وتفصيل ذلك انه كان قد شاع في بعض الاديارات انزعال عن عالم المادة باسره وعن كل ما يتصل به بصلة ، وانعكaf على التأمل فاتصال بالخالق عن طريق الصلة . فكان كل من هؤلاء « الصامتين » ينعزل انزعلاً تاماً فـلا يفكر الا بالله وبالموت ولا يردد الا صلاة داخلية واحدة هي : « يا يسوع ارحمني ، يا ابن الله خلصني » . وأشهر من قال بالصمت التام والتأمل الكامل غوريغوريوس بالامايس Palamas رئيس اساقفة ثيسالونيكية . وكان قد اشتهر بتقشفه عندما قبل النذر في آثوس ، ثم اشتهر بما كتبه في الصمت والتأمل . وكاد ينسحب من ثيسالونيكية ليبدأ ما قال به عندما فوجئ بالشجب الذي احدثه بولام الراهب Barlaam في جبل آثوس<sup>۲</sup> .

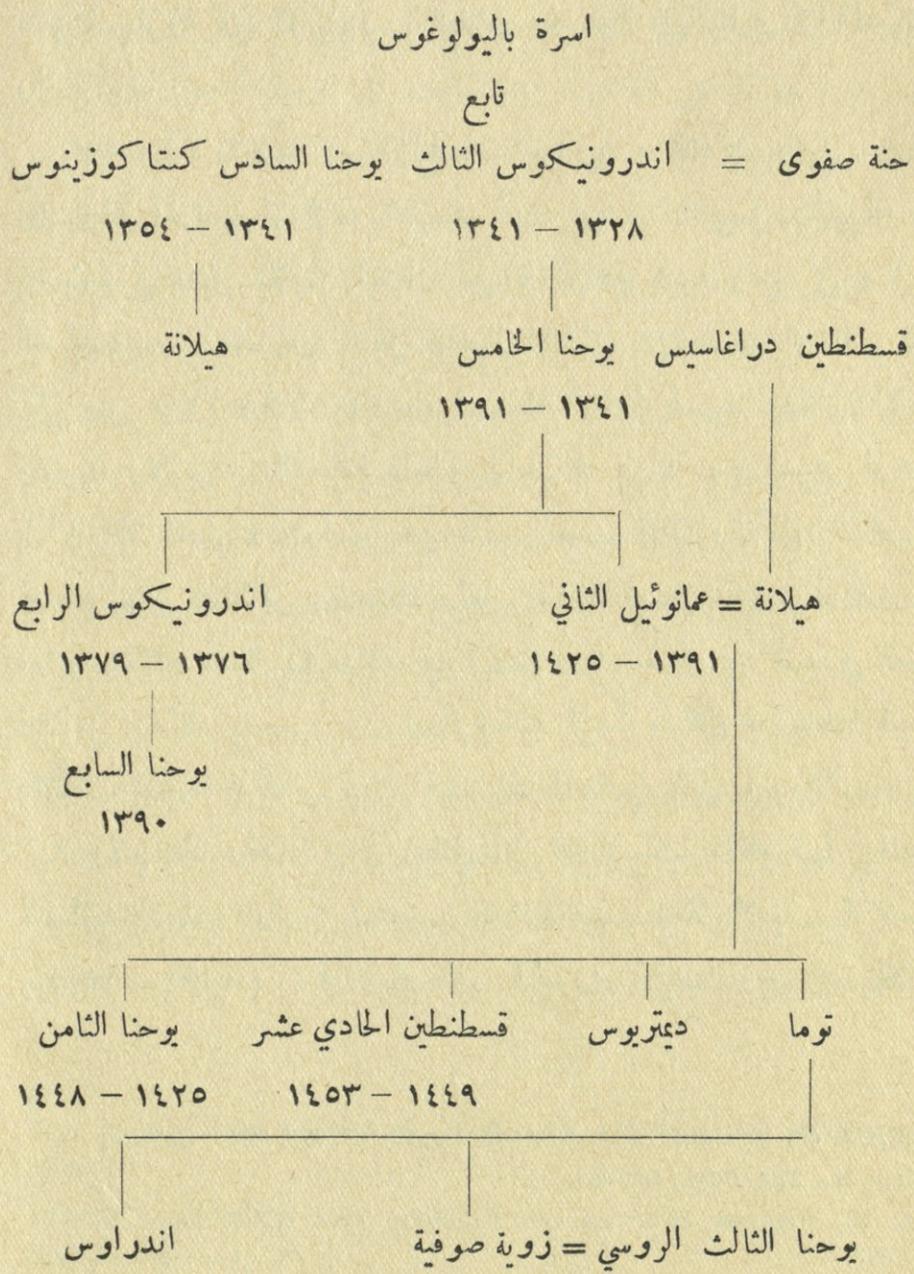
وبرلام هذا راهب يوناني ايطالي أم ثيسالونيكيه وأقام فيها . فاستمع لاقوال بالامايس رئيس اساقفتها فجادله فيها وملا المدينة ضجيجاً ( ۱۳۳۹ - ۱۳۳۳ ) . ثم قام الى افينيون ليفاوض بنديككتوس

Troizky, J. E., *Arsenius and the Arsenites*, 99-101, 178, 522; Quot. by ۱

Vasiliev, A., *Byz. Emp.*, 661-664.

Jugie, M., *Palamas et Controverse Palamite*, Dict. Théol. Cath., XI, ۱  
1735-1818.

الثاني عشر باسم اندرونيكيوس الثالث في حملة صليبية ضد الاتراك . ولدى عودته منها اطلع على رسالة النور الاهي التي كان قد أعدها بالاماس في



أثناء غيابه ، فكتب في دحضاها<sup>١</sup>. وقام إلى القسطنطينية يشكوا بالاماس  
 إلى البطريرك المسكوني يوحنا كاليلkas Calecas وأثار فيها ضجة اضطر  
 بسببها البطريرك إلى استدعاء بالاماس للمثول أمام المجمع . فالتأم المجمع  
 برئاسة الفسليفس اندرونيكيوس الثالث في العاشر من حزيران سنة ١٣٤١ .  
 وما ان افتتحت الجلسة حتى أعلن الفسليفس ان البت في العقيدة منوط  
 بالاساقفة وحدهم وأنه ليس على بلام الا ان يعتذر للرهبات عما صدر  
 عنه<sup>٢</sup> . فعاد بلام إلى الغرب ولكنه أذكى نار الشقاق فاستمرت طويلاً<sup>٣</sup> .  
**الحرب الأهلية :** ( ١٣٤١ - ١٣٤٧ ) وتوفي اندرونيكيوس الثالث  
 في الخامسة والأربعين من عمره في الحamus عشر من حزيران سنة  
 ١٣٤١ . وخلفه صبياً في التاسعة من عمره وفسليسة وصية غربية لاتينية .  
 وأوصى بأن يشاركتها الوصاية صديقه ووزيره الاول يوحنا كونتاكوزينوس .  
 وهب<sup>٤</sup> الوزير الوصي يعالج الامور ليعيد للدولة نشاطها وحيويتها . فرغب  
 في إعادة تنظيم الجيش وفي توفير المال ليخلص من طلبات الجنوبيين والبنادقة  
 ويكلل الاصلاح الذي بدأ به في عهد اندرونيكيوس الثالث<sup>٥</sup> . ووافقت  
 حنة الوصية وشرع كونتاكوزينوس في الاصلاح المنشود ولكنه لم يحسب  
 حساب اثنين كان قد أحسن إليهما فجعل أحدهما وهو يوحنا كاليلkas  
 بطريركاً مسكونياً على الرغم من مقاومة الاساقفة ، ورفع الآخر وهو  
 اليكسيوس ابوكوكوس Alexios Apocaukos إلى أعلى الرتب . فانهما تمنيا  
 منذ اللحظة الأولى زوال نعمته ودسانا عليه عند حنة الوصية وافتريا

Krumbacher, K., *Gesch. Byz. Litt.*, 103-105.

١

Tafrali, O., *Thessalonique au XIVe Siècle*, 188-191.

٢

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 665-670 ; Bréhier, L., *Byzance*, 433-434.

٣

Cantacuzenus, J., *Hist.*, II, 40.

٤

عليه انه يعمل لتفويض حكم الاسرة المالكة<sup>١</sup>. فـ "فـ حـسـ" الوزير الوصي بذلك فقدم استقالته فرفضت . ثم قام بمهمة ادارية خارج العاصمة فعاد اليكسيوس وصديقه البطريرك الى سابق فسادهما فأـ لـ حـاـ على الفسيلسة الوصية بوجوب تجريـد كـنـتاـ كـوـزـينـوـسـ منـ جـمـيعـ صـلـاحـيـاتـهـ دونـ مـحاـكـمةـ<sup>٢</sup> . فعلـمـ الوزـيرـ الوـصـيـ بـذـلـكـ فـنـفـدـ صـبـرـهـ وأـعـلـنـ نـفـسـهـ فـسـيـلـفـاسـاـ فيـ السـادـسـ وـالـعـشـرـينـ منـ تـشـرـيـنـ الـأـوـلـ سـنـةـ ١٣٤١ـ شـرـيكـاـ فيـ الـحـكـمـ معـ فـسـيـلـفـاسـ الصـغـيرـ يـوـحـنـاـ الـخـامـسـ<sup>٣</sup> .

وـ شـدـ أـزـرـ يـوـحـنـاـ كـنـتاـ كـوـزـينـوـسـ اـصـحـابـ الـأـمـلاـكـ الـكـبـيرـةـ وـسـائـرـ الـأـرـسـقـرـاطـيـنـ وـالـرـهـبـانـ ،ـ فـاستـهـوـيـ خـصـمـهـ اليـكـسـيـوـسـ الطـبـقـاتـ الـمـتوـسـطـةـ وـالـفـلـاحـيـنـ .ـ وـدـخـلـ الـرـوـمـ فيـ حـرـبـ اـهـلـيـةـ طـاحـنـةـ دـامـتـ سـنـوـاتـ مـتـتـالـيـةـ تـذـرـعـ الـفـرـيقـاتـ فـيـهـاـ بـجـمـيعـ الـوـسـائـلـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ الـظـفـرـ غـيرـ مـبـالـيـنـ بـاـ تـجـرـهـ عـلـىـ الدـوـلـةـ مـنـ عـوـاقـبـ وـخـيـمـةـ ،ـ وـاسـتـعـانـاـ بـالـاجـانـبـ الـغـرـبـاءـ :ـ بـالـصـرـبـ وـالـبـلـغـارـ وـالـسـلاـجـقـةـ وـالـعـثـانـيـنـ .ـ وـذـهـبـ كـنـتاـ كـوـزـينـوـسـ إـلـىـ أـبـعـدـ مـنـ هـذـاـ فـأـزـوـجـ سـلـطـانـ الـعـثـانـيـنـ مـنـ اـبـنـتـهـ وـمـكـنـ بـعـونـتـهـ مـنـ الـاـنـتـصـارـ عـلـىـ خـصـمـهـ<sup>٤</sup> .ـ ثـمـ ذـبـحـ اليـكـسـيـوـسـ فـيـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ فـفـتـحـتـ الـعـاصـمـةـ اـبـاـبـهاـ وـدـخـلـ كـنـتاـ كـوـزـينـوـسـ إـلـيـهـاـ فـسـيـلـفـاسـاـ مـساـوـيـاـ لـيـوـحـنـاـ الـخـامـسـ .ـ وـكـانـ بـطـرـيرـكـ الـقـدـسـ قـدـ تـوـجـهـ فـسـيـلـفـاسـاـ فـيـ اـدـرـةـ فـلـماـ اـسـتـوـىـ عـلـىـ عـرـشـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ أـعـادـ تـوـيـجـهـ فـيـهـاـ .ـ وـأـزـوـجـ كـنـتاـ كـوـزـينـوـسـ يـوـحـنـاـ الـخـامـسـ مـنـ اـبـنـتـهـ هـيـلـانـةـ .ـ يـوـحـنـاـ السـادـسـ :ـ (ـ ١٣٤٧ـ -ـ ١٣٥٥ـ )ـ وـرـبـ يـوـحـنـاـ السـادـسـ الـحـرـبـ الـاـهـلـيـةـ وـأـصـبـحـ سـيـدـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـسـدـ عـلـىـ الدـوـلـةـ بـأـسـرـهـ .ـ

Diehl, C., *Figures Byz.*, II, 254-256.

١

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, III, 24-25.

٢

Phrantzes, G., *Chronicon Majus*, I, 9; Diehl, C., *op. cit.*, II, 260-261.

٣

Bréhier, L., *Byzance*, 436-438.

٤

فضل هنالك من اعتبره مغتصباً فيجاهر بالولاء ليوحنا الخامس. فاضطر كنتا كوزينوس إلى أن يوقع معاهدة مع الفسليسة الوصية حدد بوجبهما المدة التي يبقى فيها هو مقدماً على الفسليفس الصغير<sup>١</sup>. واخظر أيضاً إلى أن يعلن عفوًّا عامًّا شمل جميع الرعايا وان يطلب من الجميع يمين الولاء للفسليفسين معًا. وذهب إلى أبعد من هذا فأظهر شهادات رسمية تثبت انتسابه للأسرة الباليولوجوسية.

ثم جوبه هذا الرجل المقدم بأصعب من هذا: باعادة الامن والطمأنينة والراحة. وكانت الحرب الأهلية قد استنفدت اموال الخزينة ولم يبق فيها ما يقوم بنفقات حفلة التتويج، فحضر الفسليفس الجديد الاعيان على الانفاق من اموالهم الخاصة لدعم مالية الدولة. فلم يفقهوا شيئاً مما كان يحلم به للنهوض بالدولة وقاوموه في ذلك مقاومة شديدة. ورغب يوحنا السادس رغبةً أكيدةً إلى المعسكرين الأهليين ان يضعوا سلاحهما جانبياً ويعوداً إلى حياة هادئة عادية فلم يفلح. واتهمه انصاره بالامس بالمحاباة في معاملة اخصاصهم. وقام بكره متى يحاول إنشاء اقطاع كبير في تراقيا، ولم يقف عند حدود إلا بعد ان اعترضته في ذلك الفسليسة الوصية<sup>٢</sup>.

ولم يستتب الامن في الولايات. فالعصابات ظلت تجوب البلاد ناهبة<sup>٣</sup> مخرّبة. واخظر الفسليفسان لدى عودتها من مناورة عند شاطئ البحر الاسود إلى ان يقاتلا عصابة تركية اعترضت سبيلهما<sup>٤</sup>.

واستغل فنيوزو Vignoso الجنوبي فرصة هذه الحرب الأهلية فاحتل جزيرة خيروس واستولى على فوقة القديمة والجديدة فاضاع بذلك الجهد

Cantacuzenus, J., op. cit., III, 99-100.

١

Cantacuzenus, J., op. cit., IV, 4-5, 7-8.

٢

Gregoras, N., Hist., VI, 7.

٣

الى كان اندرونيکوس الثالث قد بذلها في سبيل الاستيلاء على دخل هذه المراقب<sup>١</sup>. وظل الغيورون محتفظين بالسلطة في ثيسالونيکية غير معترفين بحق الفسیلفس الجديد ورفضوا ان یسمحوا لغوریغوریوس بالاماس بان یتولی شؤون الابرشية الروحية فيها . واخطر یوحنا السادس الى ات یستعين بقرقان من الاتراك لیستولی على ثيسالونيکية وینزع الغيورين من تسليمها الى يد اسطفان دوشان ملك الصرب<sup>٢</sup>.

**یوحنا السادس والصرب :** وكان اسطفان دوشان ملك الصرب قد استغل فرصة المروب الاهلية فاحتل مقدونية الشرقية واستولى على قوّة وسيرس ووصل الى بحر ايجه واتجهت انظاره سطراً القسطنطينية وحمل بالاستيلاء عليها وبتأسيس دولة صربية كبيرة تشمل جميع البلدان البلقانية . وفي الثالث عشر من نیسان سنة ۱۳۴۶ جمع اساقفة الصرب لانتخاب بطريق علیهم ففعلوا ، ثم توجوا اسطفان «فسیلفس» علی الصرب والروم<sup>٣</sup>.

وعلم یوحنا السادس حق العلم انه ليس بامكانه ان یصد الصرب عن تحقيق آمالهم وحده دون مساعدة خارجية ، فلما یلجم الى اورخان سلطان العثمانيين الاتراك . ثم اوفد الى اسطفان دوشان وفدين للتفاوض معه حول مصير ثيسالية (اذار - نیسان ۱۳۴۸) فلم یصل اليه . فاستقدم یوحنا عشرة آلاف تركي عثماني وأنفذهم الى ثيسالية ، فأخرجوا اسطفان منها ولكنهم هربوا . وبعد ان استولى یوحنا على ثيسالونيکية في خريف السنة ۱۳۴۹ قام بهجوم واسع النطاق على ممتلكات دوشان وكان هذا

Miller, W., *Essays on the Latin Orient*, 298-300.

١

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 16-17.

٢

Ostrogorsky, G., *Seminarm Kondakovianum*, 1936, 46.

٣

منهمكاً آتئذٍ في حرب ضد المجر لاستعادة بلغراد ، فاستمال يوحنا عدداً من أمراء الاقطاع الصرب واستعاد قسماً كبيراً من مقدونية واحتل عاصمة الصرب . فعاد اسطفان مسرعاً من حدوده الشمالية إلى مقدونية المفاوضة . وفي مطلع السنة ١٣٥٠ اتفق يوحنا السادس ويوحنا الخامس من جهة واسطفان دوشان من الجهة الثانية على أن تعاد أكرنانية وثيسالية ومقدونية الجنوبية الشرقية إلى الروم ، ووقعوا معاهدة بهذا المعنى<sup>١</sup> . ولم يعني هذا أن اسطفان تحول عن مطامعه في البلقان وفي القسطنطينية ، ولكنه اضطر اضطراراً إلى أن يؤجل تحقيق هذه المطامع ريثما يتمكن من محاسبة أمرائه الذين انحازوا إلى جانب الروم ومن ايجاد القوة البحرية اللازمة للاستيلاء على القسطنطينية . ومن هنا في الارجح كان تحالفه مع البندقة<sup>٢</sup> .

**متاعب داخلية أيضاً:** وكان الوباء الاسود قد وصل إلى القسطنطينية وانتشر فيها في السنة ١٣٤٨ . ويستدل من وصفه الذي ورد في المراجع الأولى أنه كان نوعاً من الطاعون الدملي الفتاك ، فاجتاحت القسطنطينية وغيرها من مدن السواحل والجزر من بلاد القباجة في ساحل بحر ازوف . واستدفت هذا الداء وكثُرت ضحاياه فزاد الروم فقرًا على فقر . وانتقل من بحر الارخين إلى إيطالية فرنسة وإنكلترة<sup>٣</sup> .

وطلت المشادة قائمة حول موقف رئيس أساقفة ثيسالونيكيية بالاماں من النور الالهي . وكان البطريرك يوحنا كاليلکاس قد دعا إلى جموع جديد للنظر في قضية بالاماں فحكم عليه وقضى بحبسه . فلما استوى يوحنا

Jirecek, C., *Gesch. der Serben*, I, 401-402.

١

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 22.

٢

Glotz, G., *Mogen Age*, VI, 527-528.

٣

السادس على عرش القسطنطينية أُنزل البطريرك عن عرشه لتأمره مع ابو كوكوس وأحل محله اسيدوروس مرشح الصامتين ، فدعا البطريرك الجديد الى مجمع ثالث في السابع والعشرين من ايار سنة ١٣٥١ وخرج بالاماس ظافراً وانتصر الصامتون<sup>١</sup>.

**مشكلة جنوبي :** واستند طمع الجنويين في اسوق العاصمة ولاسيما في الاتجار مع سواحل البحر الاسود . وأحبوا ان يستأثروا بتجارة البحر الاسود وان ينعوا البنادقة والروم من الاستفصال بها . وأحب كنتا كوزينوس ان يزيد النشاط التجاري في اسوق العاصمة بتخفيض الرسوم الكمركية وبناء السفن الرومية الوطنية . فلم يرض الجنويون عن هذه السياسة الجديدة . وكانوا منذ ايام ميخائيل الثامن قد استقروا خارج العاصمة في غلطة فيجعلوا منها حصناً منيعاً عند ابواب القسطنطينية . وفي منتصف آب السنة ١٣٤٨ انتهزوا فرصة تغيب يوحنا كنتا كوزينوس عن العاصمة فأرسلوا انذاراً الى حكومة العاصمة فلم ترض هذه عنه . فأغرقو السفن الرومية وأحرقوا بعض الضواحي وضربوا حصاراً بحرياً برياً حول العاصمة<sup>٢</sup> . ودام الحصار بضعة أشهر . وحاول يوحنا بناء السفن لصد هذا الخطر الجنوبي . ولكن توتر العلاقات بين الجنويين والبنادقة اضطر اولئك الى تقبل جميع شروط يوحنا<sup>٣</sup>.

**الحرب بين جنوبي والبنادقية :** وبلغت جنوبي الى العنف في سبيل منع البنادقة من الاتجار في مياه البحر الاسود فسدت البوسفور في وجههم في أضيق مضائقه . وحاول يوحنا السادس ان يحافظ على الحياد التام .

Bréhier, L., *Byzance*, 442.

١

*Byzantion*, 1938, 346-347 ; *Gregoras*, N., *Hist.*, XVIII, 1-4.

٢

*Cantacuzenus*, J., *op. cit.*, IV, 11

٣

ولكن الجنويين قصفوا اسوار العاصمة بالمجانيق فاضطر الفسيلفس ان يتحالف  
البنادقة (آب ١٣٥١) . فانقض الجنويون على مراكبه وأغرقوها ولم  
يتمكن البنادقة من اقتحام مراكز الجنويين في البوسفور . فاضطر الفسيلفس  
ان يصالح الجنويين (٦ أيار ١٣٥٢) على شروط اهمها توسيع رقة غلطة  
وامتناع مراكب الروم عن الابحار في مياه البحر الاسود<sup>١</sup> .

حرب اهلية ايضاً : ولم يبال يوحنا الخامس بالخطر المحدق ولم  
يكترث لما قد يحل بالروم من جراء المنازعات الداخلية ، فأعلن نفسه من  
ثيسالونيكية في السنة ١٣٥١ الفسيلفس الوحيد لدولة الروم . وفأوض  
اسطfan دوشان في ذلك فأقره عليه . وزحف على ادرنة في ايلول السنة  
١٣٥١ في الوقت الذي كان فيه الحصار قائماً حول القدسية . ففأوض  
يوحنا السادس الجنويين وصالحهم في ربیع السنة ١٣٥٢ ، ثم قام الى ادرنة  
فطرد يوحنا الخامس منها . فاستعان يوحنا الخامس بالصرب والبلغار والبنادقة ،  
وجاء يوحنا السادس الى الاتراك العثمانيين ، ونزع من كنائس القدسية  
ذهبها وفضتها ليدفع بها جماليات العساكر الاتراك الذين أمدده بهم  
صديقه السلطان اورخان . ووعد يوحنا صديقه العثماني بمحض في تراقيا  
لقاء هذه المساعدة . ثم تمكن بمؤازرة الاتراك من فرض سلطنته على  
تراقيا ومقدونية . وفر خصمه يوحنا الخامس الى جزيرة تندوس . ثم  
قام بهجوم بحري على القدسية فلم يفلح ، فلما جاء الى ثيسالونيكية واعتصم  
بها . فاتهمه يوحنا السادس بالخيانة واعلن ابنه متى وريثاً له بعد وفاته .  
ولما امتنع البطريوك كالبيستوس عن تتويج متى فر<sup>٢</sup> من القدسية .  
فأقام يوحنا السادس فيلوثاوس بطريوكاً مسكونياً<sup>٢</sup> .

واتسع افق يوحنا السادس وكاد يؤسس امرأة مالكة جديدة . ولكن

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 625-629.

١

Cantacuzenus, J., *op. cil.*, IV, 32-38.

٢

حليفة العثماني ترك الوفاء بعهده . وفي الثاني من آذار سنة ١٣٥٤ في اليوم الاول من الصوم الكبير زلزلت الارض في شبه جزيرة غالبيولي فتهدمت أسوار غالبيولي وغيرها من المدن المجاورة فدخلها الجنود الاتراك واستقروا فيها . فعظم هذا الامر على يوحنا السادس وأفزعه وعده محاولة لانشاء ربة جسر للاتراك في اوروبا . ففاوض صديقه اورخان في ذلك وعرض عليه دفع مبلغ من المال لقاء خروج الاتراك من هذه المدن المصننة ولكن اورخان اجابه بانه لا يمكنه ان يتخلى عن عطية من<sup>١</sup> الله بها عليه ورفض مقاومة الفسيلسق<sup>٢</sup> . وفي حزيران السنة نفسها عبر الاتراك الدردنيل الى اوروبا ونهبوا تراقيا وأضعوا على السكان حصادهم . وبعد ذلك بقليل اعترض قرمان من الاتراك سبيل بالاماس في طريقه بحراً الى القسطنطينية فأسروه ونفوه<sup>٣</sup> . ففترت همة يوحنا . وجعله الناس مسؤولاً عما حل<sup>٤</sup> بالدولة من مصائب . فحاول في حزيران من السنة ١٣٥٥ التفاوض مع يوحنا الخامس ، فصدّه هذا ولم يقبل . وفي خريف هذه السنة نفسها قام يوحنا الخامس الى القسطنطينية بحراً فنزل في احد مرافئه بحر مرمرة . فثار الشعب مطالبًا بعودته الى الحكم واقتجم مستودعات الاسلحة . فعاد يوحنا السادس عن الحكم الفردي وقبل بالحكم الثنائي . ثم ثار الشعب ثانية فخلع يوحنا السادس شارات السلطة ولبس ثوب الرهبنة واتخذ لنفسه اسم يواصف وبقي مدة في احد اديار آثوس ، ثم التحق بابنه متى فاقام في مستورة (١٣٨٠) وتوفي فيها في الخامس عشر من حزيران سنة ١٣٨٣ .<sup>٥</sup>

Cantacuzene, J., *op. cit.*, IV, 38.

١

Accord. to one of his letters to the Thessalonikians, *Neos Hellenomemon*, 1922, 7 ff.

٢

Cantacuzenus, *op. cit.*, IV, 39-42; *Zakythinos, D.*, A., *Despotat Grec de Morée*, 114 ff.

٣

الفصل الخامس والثلاثون  
الأتراك العثمانيون في أوروبا  
( ١٣٥٥ - ١٣٨٩ )

شبه جزيرة البلقان بعد الاضطراب : وسلط يوحنا الخامس على دولة متهدهمة خربة ، تجتاحها العصابات وغزقها الفتن ، فيتسلط على اجزاءها الاجانب . ولم يكن يوحنا الخامس سيد هذه الدولة بل زعيم حزب من احزابها . فصبر على المصيبة ورضي بمنصبه . واعترف للجانب بما فرضوه عليه . ففي السابع عشر من تموز سنة ١٣٥٥ تخلى عن جزيرة لسبوس لفرنسيس غيلوزيو الذي عاونه على الوصول الى العرش . وكان بعض قرchan فوقة قد أسروا خليلًا ابن اورخان فيحمله زميله العثماني مسؤولية هذا العمل . فحاول يوحنا ان يفك خليلًا من الاسر فلم يفلح . فاضطر الى ان يتخلى لاورخان عن مدن تراقيا مقابل الفدية ( ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ) . وكانت متى ابن يوحنا السادس لا يزال يحمل لقب فسيلفس ويتمتع باقطاع واسع في ادرنة وضواحيها فاضطر يوحنا الخامس الى ان يحاربه . فتدخل يوحنا السادس واقنع ابنه بوجوب التخلص عن هذه الرتبة السامية . وعاد الاننان الى المورة وحاولا التحرر من سلطة القسطنطينية . فادى ذلك الى حرب اسفرت عن نجاح الاسرة المالكة . وظلت المورة

بعد ذلك بيد أحد افراد الاسرة المالكة حتى النهاية<sup>١</sup>. وما كاد يوحنا الخامس يعود الى عرش آبائه حتى فر<sup>٢</sup> البطريرك فيلوثاوس من القسطنطينية وعاد اليها البطريرك كلبيستوس . وعاد اليها ايضاً نيقيفوروس غريغوراس من منفاه . وطالب هذا بنقاش علني بينه وبين بالاماوس . فتم ذلك بحضور ممثل البابا انوسنتس السادس ورئيس أساقفة ازمير . وعاد الحزبان الدينيان الى سابق نزاعهما<sup>٣</sup>.

وشعر البنادقة بهذا الخور وهذه الحشرجة فكتب احدهم مارينو فاليارو Faliero الى الدوق ان يستولي على القسطنطينية قبل وقوعها في يد الاتراك وذلك في الرابع عشر من نيسان سنة ١٣٥٥<sup>٤</sup>. وتوفي هذه السنة نفسها في العشرين من كانون الاول ملك الصرب اسطفان دوشان الذي كان يعد العدة لتحقيق آماله في دمج الروم والصرب في دولة واحدة فدخلت دولته في طور اخلال سريع<sup>٥</sup>. وكانت بلغارية تشکو من انقسامات دينية ومشاحنات بين افراد الاسرة المالكة فدخلت بعد وفاة يوحنا الكسندروس (١٣٦٥) في حرب اهلية<sup>٦</sup>. وكان لويس ملك المجر (١٣٤٢ - ١٣٨٢) وحده قادرًا على القيام بعمل حربي كبير ولكنه آخر التلهي بتجزئة الصرب واقتطاع بعض الاراضي البلفارية والخليولة دون قيام دولة في الفلاح والبغدان على الدفاع عن الصقالبة ضد الاتراك الطامعين<sup>٧</sup>.

Zakythinos, D. A., *op. cit.*, 98-105.

١

Bréhier, L., *Byzance*, 448-449.

٢

Ostrogorsky, G., *Gesch. des Byz. Staates*, 379.

٣

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 34; Temperly, H., *Hist. of Serbia* 93-95.

٤

Guerin - Songeon, *Bulgarie*, 280.

٥

Giurescu, C. C., *Istoria Romanilor*, I, 385-395; Eckardt, F., *Hist. de la Hongrie*, 38 ff.

٦

٧

**الهجوم التركي :** وتميز الاتراك العثمانيون آنئذ بقيادة قوية نشيطة وبخدمة عسكرية اجبارية وبتسامح ديني غير عادي في ذلك العصر . وكان الاسلام كالنصرانية يُقدم على العنصر والجنس واللغة ، فجعل من الاتراك ومن أحب الدخول في الاسلام في ظل الدولة الجديدة امة عثمانية تساوي فيها التركي وغير التركي . وتميز جيش هذه الدولة بپراسكه وولائه فاختلف كل الاختلاف عن الجنود المرتقة الذين كانوا يحاربون في صفوف الروم وغيرهم من الدول المعاصرة<sup>١</sup> .

وكان اورخان قد انشأ رقبة جسر له في شبه جزيرة غالیبولي فبدأ منذ السنة ١٣٥٥ باغارات متتالية في تراقيا تهدف الى الاستيلاء على ادرنة . فاحتل اولاً عدداً من النقاط الاستراتيجية في نواحيها ، ثم سجل نصراً باهراً في بورغاس فاحتل المدينة في اذار السنة ١٣٦١<sup>٢</sup> . وتوفي بعد ذلك بقليل . وأكمل ابنه مراد الاول فتح تراقيا في الاشهر القليلة التالية ففصل القسطنطينية عن ممتلكاتها الغربية .

وعني مراد عنابة فائقة بجيشه فأنشأ حرساً من المشاة اسماء الجنود الجديدة « يكىجرى » الانكشارية . وقد نسب انشاء هؤلاء خطأ الى اورخان و أخيه علاء الدين<sup>٣</sup> . وهم غلمان من النصارى انتزعوا انتزاعاً من بيوت آباءهم فنشروا في السراي السلطاني نشأة عسكرية حربية . ومنعوا من الزواج فخصصوا السلطان بكلام ولاهم . ونظموا تنظيمًا شبه ديني على غرار جمعيات الفرسان الصليبية فانضوا تحت لواء الطريقة اليسعية . وكان الاتراك العثمانيون قد استهروا منذ خروجهم من خراسان باهم

Gibbons, H. A., *Foundations of Ott. Emp.*, 73-84.

١

Balinger, F., *Byz. Osman. Grenzstudien Byz. Zeit.*, 1930, 413.

٢

Gibbons, H. A., *Foundations etc.*, 117, note 1.

٣

فرسان بارعون . ولكن حرب المضون والماكز المنيعة تطلب مشاة مدربين . ومن هنا كان هذا اللجوء الى التصارى وهذه التربية الخاصة<sup>١</sup> . ولم يبقَ لدى يوحنا الخامس جيش من الرجال المدربين ، فأسلم أمره الى الله وانقاد لمراد الاول فاعترف بسلطنة الاتراك على تراقيه وحالف سلطان العثمانيين ضد خصومه الاتراك في بر الاناضول ( ١٣٦٢ - ١٣٦٣ )<sup>٢</sup> . وحاول في السنة ١٣٦٤ ان يستمد المعونة من الصرب . فأرسل وفداً الى سرّيس يفاوض ارملاة اسطفان دوشان ولكن دون جدوى<sup>٣</sup> . فأجاب مراد بتوقيع معاهدة تجارية مع جمهورية راغوسة على ساطيء الادرياتيك وبجعل ادرنة مركز حكمه ومقره الدائم ( ١٣٦٦ ) .

**الفسيلفس وبابا رومة :** وكان الفسيلفس يوحنا الخامس قد أصدر في اواخر السنة ١٣٥٥ خريسبوله<sup>٤</sup> أقسم فيها الطاعة لرومہ واقتصر انشاء قصادة رسوليّة دائمة في القدسية تشرف على التعينات الاكليريكيّة كما وعد بارسال ابنه وهينة الى افينيون مقابل تنظيم حملة صليبيّة يتولى هو قيادتها بنفسه . ولكن انوشنتش السادس كان حذراً قليلاً الثقة وكان يعلم في الوقت نفسه انه ليس بامكان الفسيلفس الضعيف ان يفرض ارادته على الاكليروس الارثوذكسي ، فلم ينجم عن هذه المفاوضة سوى حملة بحرية صغيرة بزعامة بطرس توما أدت الى احتلال لساكسون احتلاً موقتاً . فلما أُكِرَه الفسيلفس على الرضوخ والاعتراف بالواقع في تراقيه ( ١٣٦٢ ) وجّه نداءً جديداً الى رومہ في ايام اوربانوس الخامس ( ١٣٦٢ - ١٣٧٠ )

<sup>١</sup> كارل بروكلمان ، الشعوب الاسلامية ، ٣ ، ٢٠ - ٢٣ .

Gibbons, H. A., *op. cit.*, 121-122.

<sup>٢</sup>

Cantacuzenus, J., *op. cit.*, IV, 50.

<sup>٣</sup>

Halecki, O., *Empereur de Byzance à Rome*, 31 ff., 68.

<sup>٤</sup>

وقام بنفسه الى بودا يفاوض لويس آنجلو . فدعا البابا الى حملة صليبية  
 عامة لتحرير « رومانية » من نير الاتراك وذلك في الخامس والعشرين  
 من كانون الثاني سنة ١٣٦٥ واستشرط مثول يوحنا بين يديه ليعلن بنفسه  
 عودته الى الطاعة . فقام يوحنا الخامس من القسطنطينية في نيسان السنة  
 ١٣٦٩ وتزل في كستماري في السادس من آب من السنة نفسها . وقام  
 اوربانوس الخامس من افينيون قاصداً روماً فوصلها في الثالث عشر من  
 تشرين الاول . وفي الحادي والعشرين من هذا الشهر تقبل طاعة يوحنا  
 في كنيسة القديس بطرس . وشملت هذه الطاعة ، التي قال بها يوحنا  
 وحده فيما يظهر ، القول بما قالته روماً في جميع نقاط الخلاف بينها وبين  
 الكنيسة الاوثوذكسيّة . وذهب يوحنا الى أبعد من هذا فأعلن نفسه لاتيني  
 المذهب<sup>١</sup> . فحضر اوربانوس الخامس جميع المؤمنين على حمل السلاح لبذل  
 المعونة الى « قسطنطين الجديد » وفوض الفسیفس تحییش المحاربين في  
 ايطالية . ولكن لويس الكبير ملك المجر ظل غير مبالٍ بصیر الروم  
 وظل البابا غير مبالٍ بهذا الموقف السلبي . أما البندقة فانهم أظهروا  
 اندفاعاً كبيراً في سبيل المحافظة على القسطنطينية والخلولة دون سقوطها في  
 يد الاتراك . فقام يوحنا الخامس الى البندقية في اوائل السنة ١٣٧٠  
 واتفق الطرفان على شروط اهمها تخلي الفسیفس عن جزيرة تنبیدوس عند  
 مدخل الدردنيل الى البندقية لقاء تقديم المراكب الازمة لنقل المحاربين  
 وتقدیم سلفة مالية معينة واعادة جواهر التاج البيزنطي التي كانت قد  
 حفظت رهينة في البندقية . ويرى بعض رجال الاختصاص ان لا صحة  
 لما جاء في بعض المراجع المتأخرة من ان البندقية القوا القبض على يوحنا  
 لوفاء دینه<sup>٢</sup> .

Halecki, O., *op. cit.*, 203 ff.

Halecki, O., *op. cit.*, 223-229 ; Bréhier, L., *Byzance*, 455-456.

١

٢

البطريوك فيلوثاوس يقاوم : وفي اثناء هذا كله كان البطريوك المسكوني يسعى سعياً حثيثاً في جميع الاوساط الارثوذكسيّة في البلقان وفي روسية الى تنظيم حملة ارثوذكسيّة توقف الاتراك عند حد معين وتشل مفعول الاتحاد الذي أعلنه يوحنا الخامس . ولكن شيئاً من هذا لم يتم . وجاء ما توصل اليه البطريوك المسكوني أنه ثبتت الاوساط الصربية والبلغارية والفالاخية على التمسك بقرارات المجمع المسكونية وعدم الاعتراف بسلطنة روما .

**الاتراك عند ضفة الدانوب :** وظل خلفاء يوحنا الكسندرؤس ملك البلغار في خصم مستميت . فاحتل مراد الاول قلعة سوزوبوليس التي كانت تسيطر على مرفاً بورغاس واضطر شهان ان يدخل في طاعته ( ١٣٦٩ ) وان يبعث اخته مارة زوجة له . ثم تعاون مراد وشهان فطرد الجور من بلغاريا الشمالية ووصل الاتراك لاول مرة الى ضفة الدانوب وذلك في السنة ١٣٧٠ . وأفرز هذا التقدم بعض رجال الانقطاع من الصرب المجاورين ، فهب " اثنان من هؤلاء الى السلاح : يوحنا وفوكاشين او غلياشة وقاما بالرجال الى حدود الاتراك في اوروبا ففوجئاً عندما حاولا قطع نهر المريتسا في السادس والعشرين من ايلول سنة ١٣٧١ وغلباً على أمرهما . وخشى شهان البلغاري سوء العاقبة فتعاون مع الصرب على صد الاتراك عن الزحف باتجاه صوفية . فانكسر انكساراً ذريعاً في سما��وف سنة ١٣٧٣ وفرَّ ملتجأاً الى اعلى جبال الروذوب . ودوّن مراد بلغاريا وأضافها الى ممتلكاته . ثم زحف على مقدونية فاحتل جميع المدن التي كانت قد دخلت في حوزة الصرب في عهد اسطفان دوشان . وقام بعد ذلك الى بلاد الصرب وما فتئ يواصل زحفه حتى أطلَّ على الادرياتيك . ودخل أمراء

الصرب في طاعته محتفظين بالقابهم ورتبهم ، مقدمين الجنود عند الحاجة<sup>١</sup>.  
 اخفاق البابا ودخول الفسیلفس في طاعة السلطان : وتوفي اوربانوس  
 الخامس وتولى السدة الرومانية غريغوريوس الحادي عشر ( ١٣٧٠ - ١٣٧٨ ).  
 وسمع هذا البابا بأسامة مريتزا فحضر " المجر والبندقية على التدخل ( ايار  
 ١٣٧٢ ) ودعا جميع الدوليات المسيحية في الشرق الى مؤتمر في ثيبة من  
 بلاد اليونان وحدد موعداً له تشرين الاول من السنة ١٣٧٣ ولكن ،  
 اخفق في هذا كله ولم ينعقد المؤتمر . وأوفد يوحنا الخامس يوحنا لاسكاريس  
 كالوفيروس الى افينيون وباريis والى عاصمة المجر يستعيث فلم يلقَ الا  
 وعداً غامضاً . ثم ارسل البابا غريغوريوس سفراً الى القسطنطينية في  
 خريف السنة ١٣٧٤ ليؤكد لفسیلفس الروم ان الدفاع يتيسر بسهولة ان  
 هو نجح في ضم الكنيسة الارثوذكسيَّة الى الكنيسة اللاتينيَّة . ولكن  
 يوحنا كان قد يئس ففاوض مراداً ودخل في طاعته قبل توز هذه السنة  
 نفسها . وحاول البابا في السنين التاليتين ١٣٧٥ - ١٣٧٦ ان يستنهض  
 المهم في اوروبية لتخليص القسطنطينية ولكن دون فائدة . فالانقسامات  
 والمناظرات الدوليَّة وعدم المبالغة كانت افضل ما قدمته اوروبا للاتراك  
 العثمانيين<sup>٢</sup>.

ثورة اندرونيکوس : وفي السنة ١٣٧٤ حرم يوحنا الخامس بكره  
 اندرونيکوس من الملك وقدم عليه اخاه عمانوئيل وذلك لأسباب نجهلها .  
 فقد تكون ذات علاقة بسياسة السلطان العثماني و موقفه من ابنه ساوهجي  
 الذي كان يطمع في الملك فيتعدد الى اندرونيکوس ابن يوحنا ، وقد  
 تكون بسبب طمع اندرونيکوس وشوقه للاستئثار بالسلطة ، وقد تكون

Gibbons, H. A., *op. cit.*, 143-148.

Halecki, O., *op. cit.*, 248-307.

عطفاً خاصاً من يوحنا على ابنه عمانوئيل . والواقع الذي لا جدال فيه ان اندرونيكيوس لم يخضع لمشيئة ابيه ، بل تأمر ساواهجي على والده ، فثار ثائر مراد وأمر بقطع عيني ابنه كا اوصى بسمل عيني اندرونيكيوس . ونقد كل من السلطان والفسيلنس أمر السمل وقد ساواهجي بصره ولكن اندرونيكيوس لم يفقد سوى عين واحدة . ونفي اندرونيكيوس وعائلته الى جزيرة لمنوس . ثم استد النزاع بين البندقية وجنو . فأُلحت الاولى بوجوب السماح لها باحتلال تنييدوس عملاً بنص المعاهدة بينها وبين يوحنا ، وقد سبقت الاشارة اليها . فعاونت جنو اندرونيكيوس على الخروج من سجنها من لمنوس . فخرج في صيف السنة ١٣٧٦ وقام الى القسطنطينية فخلع اباه عن العرش وسجنه وأرضي الاتراك بالعودة الى غاليبولي . وتولى الحكم ثلاث سنوات متالية ١٣٧٦ - ١٣٧٩ . ثم أفلت يوحنا الخامس من السجن بعونة البندقة وقام الى القسطنطينية فدخلها في اول توز سنة ١٣٧٩ فخرج اندرونيكيوس منها الى غالطة ، ثم ترافق على قدمي والده فعفا عنه ولكنه توفي في السنة ١٣٨٥ .

**الاتراك اسياد الموقف :** وهكذا فان الاتراك أصبحوا أسياد الموقف في البلقان وامسى الروم في حالة بؤس و Yas . وكتب أحد هؤلاء حوالي السنة ١٣٧٨ يقول : « والكل خارج الاسوار عبيد للاتراك والجميع في داخل المدينة يئتون من البؤس والاضطراب<sup>٢</sup> ». وبرأة همة المسيحيين في الغرب وحمد نشاطهم فأقبلوا على التفاوض مع الاتراك ولم يعبأوا بتهديد البابا ووعيده<sup>٣</sup> .

Chalkondyles, L., Hist., n. 52 ; Iorga, N., *Usurpation d'Andronic IV*, ١

*Rev. Hist. S. E. Européen*, 1935, 105-107.

Cydones, D., *Correspondance*, n. 26, 61-62.

Gibbons, H. A., *op. cit.*, 163-165.

٢

٣

وأراد مراد الأول ان يوسع سلطته في البلقان ، وكانت ثيسالونيكيية لا تزال في يد الروم يدير شؤونها عمانوئيل ابن يوحنا وكذلك حصن سرّيس . فبعث مراد بشروط التحالف بينه وبين يوحنا وأرسل خير الدين أحد رجاله الى سرّيس فاستولى عليها في ايلول السنة ١٣٨٣ . ولكن عمانوئيل رفض ان يسلم ثيسالونيكيية فحاصرها الاتراك اربع سنوات ١٣٨٣ - ١٣٨٧ فسقطت في ايديهم<sup>١</sup> . فسيطر يوحنا على ابنه عمانوئيل ونفاه الى لمنوس . ثم تدخل مراد متابعاً سياسة التفريق بين افراد اسرة باليولوغوس فرضي يوحنا عن عمانوئيل وأعاده الى رتبته وسابق عهده<sup>٢</sup> . وكانت خير الدين يتبع فتوحاته في غرب البلقان فانتصر في السنة ١٣٨٥ على الالبان في سورة ودخلت اسقودرة في حوزة الاتراك واعتنق الاسلام عدد كبير من الالبان . واتجه الاتراك نحو الدانوب فاستولوا على عقدتي الطرق الhamatين : صوفيا في السنة ١٣٨٦ ونيش في السنة ١٣٨٧ .

**قوصوة :** ( ١٣٨٩ ) وكان عازار قد خلف ابن دوسان على عرش الصرب ، فشق عليه خضوع سلفه للاتراك فيحالف توركتو ملك البشناق وخرج على الاتراك . فأنجد مراد لا شاهين بقوة لاخضاع عازار وتوركتو فالقيا به عند بلوشنك Plochnik فأوقعوا به هزيمة شنعاء وذبحا معظم جنوده ( ١٣٨٨ ) . فثارت البلقان باسرها على الاتراك وانضم الى عازار وحليفه شهان ملك البلغار وغيره من أمراء النصارى<sup>٣</sup> .

فأنجد مراد قوة بقيادة علي باشا الى قتال شهان وحده في بلغاريا . ثم قام ومه ولداه بايزيد ويعقوب وأمراء آسية الى عازار وحليفه

Loenertz, Manuel Paléologue, Echos d'Orient, 1937, 480 ff.

١

Cydones, D., Corresp., n. 35-36.

٢

Gibbons, H. A., op. cit., 167 ff.

٣

و جموعهما . فاقتتل الطرفان في مرج الشخارير « قوصوة » حيث ينبع الايبار والوردار و درينة . و تنازع الفريقان راية النصر فكانت الحرب سجالاً . ثم أخذ ميلوش او بيليش احد اشراف الصربي على عاتقه أمر اعتيال مراد ، فطعنه خنجرأ في خيمته . و كاد النصر يكون لعازار و حلفائه ولكن فوك برانكوفيتش احد انباء عازار انسحب من ميدان القتال باثنى عشر الفاً فامن النصر للاتراك . فانتصروا في الخامس عشر من حزيران سنة ١٣٨٩ و قضوا على استقلال الصربي .  
٩٦

## الباب الثاني عشر

### النهاية

( ١٤٥٣ - ١٣٨٩ )

•

الفصل السادس والثلاثون

الروم وبابايزيد ومحمد

( ١٤٢٥ - ١٣٨٩ )

السلطان بابايزيد: ونودي ببابايزيد سلطاناً في قوصوة. فبدأ عهده بقتل أخيه يعقوب فاختط خلفائه طريقاً مخضباً بالدم ساروا عليه قروناً متالية. وتسلم بابايزيد دولة لاتزال في دور النشوء فأرادها وريثة ليزنة. فاتجهت انتظاره إلى آسيا الصغرى بعد شبه جزيرة البلقان. فزحف على إمارة آيدين وأكره أميرها على الطاعة ثم فرض عليه إقامة جبرية في بروسية. وقام في السنة ١٣٩١ فحاصر أزمير وكانت قد أصبحت بيد الأسبانيين منذ السنة ١٣٤٥ فلم يقوَ عليها لانه لم يكن لديه اسطول بحري. ثم أخضع إمارة صروخان ومنتش ودخل أضالياً فوصل بها إلى البحر المتوسط. وأنشأ في هذه السنة نفسها اسطولاً بحرياً فخرّب جزيرة

خيوس وغزا سواحل اتيكة في بلاد اليونان . ثم جمع حوله أمراء البلقان وقام الى ايقونية عاصمة علاء الدين فحاصرها في اواخر السنة ١٣٩١ ففـَّر اميرها من وجهه والتجأ الى جبال طوروس . وكانت قد ساءت احوال جبهته في شمالي البلقان فعاد عن ايقونية وعبر بجامعة وجيوشه الى اوروبا . وعاد علاء الدين الى ايقونية محارباً فرجع بايزيد الى آسيا . وما ان وصل الى كوتاهية حتى فاوضه علاء الدين في الصلح ، فلم يقبل وانتقض عليه فهزمه وقتله واستولى على اماراة القرمان ( ١٣٩٢ ) . وفي السنة ١٣٩٥ حارب برهان الدين امير قبدوقية فأجبره على الطاعة . وخشي امير قسطموني منه العاقبة ففر والتجأ الى المغول . ووصل بايزيد الى البحر الاسود واحتل مرفاي سمسون وسينوب .

وكان بايزيد يتبع في الوقت نفسه اعمال الفتح في البلقان التي بدأ بها والده مراد . فاقتصر من عازار بعد قوصوة ، ولكنـَّه أعجب بشجاعة الصربي وبأسهم فعامل ابن عازار معاملة حسنة وأدخل عناصر صربية في جيشه . وبعد ان جال جولته الاولى في آسيا الصغرى غزا البشناق والفالاخ . وانتصر على مرقية Mircea هوسبودار الفلاح وأبعده الى بروسة وأكرهه على الدخول في طاعته بشرط بقية اساس علاقات العثمانيين بامراء الفلاح مدة طويلة : اعتراف بسلطنة السلطان ، ودفع مال سنوي معين ، وتقديم معونة عسكرية عند الحاجة ، وامتناع السلطات عن الدعوة للدين الاسلامي شمالي الدانوب ، وعن اقامة اية جالية اسلامية واي جامع للصلوة . وأصبحت المجر بعد هذا كلـَّه مركز المقاومة الرئيسي لتقدم الاتراك في اوروبا . وكان لويس ملكها قد توفي في السنة ١٣٨٦ فخلفه في الحكم صهره سيموند ابن الامبراطور كارلوس الرابع . وكان

هذا ايضاً يحمل بالسيطرة على البلقان<sup>۱</sup>. فبادر الى الحرب فأرسل انذاراً الى بايزيد يوجب عليه الجلاء عن بلغاريا فلم يجحب بايزيد. فأغار سيمجوند على بلغاريا واحتل نيكوبوليس بعد حصار طويل. ثم اضطر الى ان يتراجع بخسارة كبيرة لدى وصول بايزيد الى الجبهة (۱۳۹۲). ولم يجد بايزيد تأييداً لحصمه في الاوساط البلغارية، فاحتل تيرنوفو وسيط جماعات من البلغار فاسكتهم بـ الاناضول، وألغى الوضع السياسي الخاص الذي كان قد أعطاه والده للبلغار فاحتل البلاد احتلاً وامتنع عن التعرف باللفظ «بلغار» في مراسيمه بعد ذلك<sup>۲</sup>.

وكان منذ ان تبوأ عرشه قد تدخل في سياسة القسطنطينية للتفريق بين افراد الاسرة المالكة. فعطف على يوحنا ابن اندرونيكوس الرابع وشجعه على الدخول الى القسطنطينية وعلى التربع في دست الحكم (۱۴ نيسان - ۷ ايلول ۱۳۹۰) مكرهاً يوحنا الخامس على الاتجاء الى احد الحصون. ولما جاء عمانيؤيل الثاني ابن يوحنا الخامس وطرد هذا المقتضب تقبله بايزيد واقطعه ارض سيلمبوريه. وكان قد أكره يوحنا الخامس على دفع اتاوة معينة وعلى الحق ابنه عمانيؤيل به على رئيس مئة فارس. وكانت مدينة فيلادلفية (آلاشهر) في آسية الصغرى لا تزال خاضعة للفسيفس، فأحب بايزيد ان يضمها الى مملكته. فامتنعت فحاصرها وأمر الفسيفس وابنه عمانيؤيل ان يستركا في اعمال الحصار! اي ان يظاهرا السلطان على اتباعهما المخلصين، فاقدما ممتعضين كل الامتعاض. وحاول يوحنا الخامس ان يرمم الحصن في عاصمته فأمره بايزيد بوجوب هدم ما انشأ مهدداً بسم عني عمانيؤيل. فخضع الفسيفس لمشيئة السلطان متৎسرأ وتوفي بعد

Eckhardt, op. cit., 40 42.

۱

Guerin - Songeon, Hist. de la Bulgarie, 293-294.

۲

ذلك بقليل في السادس عشر من شباط سنة ١٣٩١ . وعلم عمانوئيل بوفاة والده وهو لا يزال في بروسة مكرهاً على الاقامة فيها . ففرَّ منها ودخل القسطنطينية . ففضب بايزيد وحاصر القسطنطينية سبعة أشهر متالية . ثم فرض على عمانوئيل زيادة في الاتاوة وانشاء جامع في القسطنطينية واقامة حرس تركي في غلطة<sup>١</sup> .

ثم كان ما كان من أمر الفتح في البلقان والاناضول ، كما سبق ان أشرنا ، فأصبح بايزيد وريث رومه الجديدة وصاحب الحق في نسراها الملكي . ولم يبقَ من تركتها خارج نطاق سلطته سوى العاصمة وبلاط اليونان . وكانت المورة قد دخلت في دور نزاع شديد بين ثيودوروس باليولوغوس ديسپوت المورة او بالاحرى ذلك الجزء منها الذي كان خاضعاً للقسطنطينية وبين بعض أمراء اللاتين المحاورين . فشكأ هؤلاء طمع ثيودوروس الى بايزيد وطلبا تدخله .

فدعى بايزيد جميع أمراء الاقطاعات التابعين لملكه الى سرّيس في ربیع السنة ١٣٩٤ . فلبى الدعوة كل من عمانوئيل الثاني الفسیلفس وثيودوروس باليولوغوس سید میسترة والفسیلفس المخلوع يوحنا السابع وأمراء الصرب وسيد موغمازية اللاتيني . وبعد ان استمع الى شکوى ماموناس ونظر في ما قاله أفراد اسرة باليولوغوس حكم على جميع هؤلاء بالاعدام ثم أبدل حكم الاعدام بسمل أعين مستشارهم وأمر ثيودوروس ان يكف عن موغمازية وان يتخلى له عن أرغوس وان يتقبل في حضونه حاميات تركية . فقبل ثيودوروس ثم فرَّ من سرّيس خلسة وسبق الاتراك الى حضونه وامتنع فيها واستعن بالبنادقة . فاحتل بايزيد ثيسالية ونوقذية واستعاد ماموناس بعض ما فقده وأرجأً الاقتصاد من ثيودوروس الى وقت

آخر<sup>١</sup>.

نيقوبوليis : ( ١٣٩٦ ) وخشي البنادقة لاول وهلة التحالف التركي البيزنطي . ثم عادوا الى انفسهم فرأوا في استيلاء الاتراك على المضايق وعلى القسطنطينية خطراً أكبر وأعظم ، فراحوا يستنهضون الهمم لحملة صليبية جديدة تخلص نصارى البلقان والقسطنطينية من الاتراك . فبدأوا بالوصول الى تفاهم قام بينهم وبين الجنوين . ثم اتصلا بعمانويل الثاني في توز السنة ١٣٩٤ وفاححو بكلام في هذا المعنى . فأبان الفسیلفس المخاطر التي تحيق بحملة بريمة وارتأى ان يصار الى تقويته بحراً . واتصل سيمسوند في هذا الوقت بكارلوس السادس في بوردو وبدوق لانگستر وبالبنادقة . فلقي استعداداً كبيراً لدى هؤلاء جميعاً<sup>٢</sup> . وتبنى هذا الواجب فيليب دي ميزير de Mezieres فبث دعوة قوية في اوساط الأشراف في فرنسة وغيرها ، فقطعوا عدد من كبار فرسان ذلك العصر بينهم وريث دوقية برغونية والمارشال بوسيكو Boucicaut وغيرهما . وتم الاتفاق على ان يتولى سيمسوند تطهير الفلاح وبلغاريا من الاتراك وان تقوم البنادقية بحرق الحصار البحري الذي كان قد ضربه بايزيد حول مداخل القسطنطينية . ثم ترددت البنادقية موازنة<sup>٣</sup> بين مفاوضة بايزيد وبين محاربته ، فتأخر انطلاق الحملة سنة كاملة .

وفي ربيع السنة ١٣٩٦ وافقت البنادقية موافقة كاملة ، فقاطر الى بودا جيش قوي من فرسان الغرب . وفي صيف هذه السنة تحرك اسطول البنادقية الى مياه الدردنيل والبوسفور وتقى في الثامن والعشرين من

Zakythinos, D. A., Despotat Grec de Morée, 155-156 ; Rood, Princes of Achaea, II, 249-250.

Achaea, II, 249-250.

Bréhier, L., Byzance, 468-469.

Delaville - Leroux, La France en Orient, 226-229.

٢

٣

تشرين الاول من خرق الحصار حول مداخل القسطنطينية وبيرا وبات ينتظر وصول الجيش البري الزاحف عبر الدانوب . وكان سيموند قد حاول انتظار بايزيد في ميدان ملائم للقتال متخدًا موقف الدفاع . ولكن الفرسان الغربيين أبوا ان يتذمروا في موقف دفاعي وانطلقوا عبر الدانوب فاحتلوا تورنو وبدأوا بمحصار نيقوبليس . وجاءهم بايزيد بمشاته المدربين فلم يقوَ فرسان الغرب على اختراق صفوف هؤلاء ، فولوا مدربين في الخامس والعشرين من ايلول ، ونجا سيموند بنفسه على قارب صغير عبر به الدانوب ، وقتل او أسر عدد كبير من خيرة الفرسان الغربيين . وأسعد الحظ مرقية هوسبودار الفلاح اذ بقي جيشه سالماً فتمكن من رد الارتك على أعقابهم بعد ان قطعوا الدانوب<sup>١</sup> .

واتجه بايزيد بعد نيقوبليس الى بلاد اليونان فحارب ثيودوروس ديسبوتس المورة في ليونتاريون Leontarion في الحادي والعشرين من حزيران سنة ١٣٩٧ وتغلب عليه فدخل في طاعته . واستولى السلطان على كورنثوس وأرغوس ونهب المورة وخرج منها بثلاثين الف رقيق<sup>٢</sup> .

وطلب السلطان الى الفسليفس ان يسلم العاصمة ، فأبى عمانوئيل الثاني . فقام بايزيد يعد العدة لاقتحام القسطنطينية ، فأنشأ على بعد ثانية كيلومترات منها كوزل حصار (القلعة الجبلية) . ثم أصفع الى نصائح حاشيته فارتدى عن حصار العاصمة نظرًا لضعفه في البحر وخوفاً من اتحاد الغرب عليه . وكان عمانوئيل قد اتصل منذ السنة ١٣٩٧ بدوق موسكوا باسيليوس الاول طالباً المعونة ، وشاركه في هذا البطريرك المسكوني ، فأرسل

*Delaville - Leroux, France, 247 ff ; Hammer, J., Emp. Ott., I, 324-338; ١*

*Kling, G , Die Schlacht bei Nikopolis; Atiya, A.S., Crusade of Nicopolis.*

*Zakythinos, D. A., op. cit., 155 ff . ٢*

الدوق معونة مالية<sup>١</sup>. واستغاث عمانوئيل بلكي فرنسة وانكلترة ، فأتته من الاثنين معونة مالية ، وأضاف ملك فرنسة كارلوس السادس بعثة عسكرية مؤلفة من الف ومئتي جندي بقيادة المارشال بوسيكو . ووصلت هذه الحملة الصغيرة في اواخر السنة ١٣٩٨ الى مياه الدردنيل ، فاعتبرتها قوة بحرية تركية ، فتغلب الفرنساويون عليها ووصلوا الى القسطنطينية في وقت كاد بايزيد فيه ان يستولي على غلطة ، فتراجع بايزيد عن غلطة . وحاربه بوسيكو بعد ذلك في موقع متعدد ولكن انتصاراته لم تضمن سلامه العاصمه نظراً لضآلة عدد المارعين<sup>٢</sup>.

**عمانوئيل الثاني في الغرب :** (١٣٩٩ - ١٤٠٢) ولمس بوسيكو فداحة الخطر الحدق بالعاصمة ، فألح على عمانوئيل بوجوب القيام بنفسه الى الغرب في طلب المعونة وبوجوب اسناد الحكم في اثناء غيابه الى يوحنا السابع فيضمن بذلك ولاء هذا الامير للدولة ضد الاتراك . وتعهد البندقة والجنويون بالقيام بالواجب في اثناء غيابه . فقام عمانوئيل في العاشر من كانون الاول سنة ١٣٩٩ الى الغرب يرافقه المارشال بوسيكو . ووصل الى البندقية في نيسان السنة ١٤٠٠ وقاما منها الى فلورنزا وفراردة وجنوبي وميلانو ولقيا استقبالاً حاراً في جميع هذه المدن . ولكن استعداد المزاحمة بين البندقية وجنوبي حال دون الحصول على المعونة المنشودة . وفي السابع والعشرين من ايار السنة ١٤٠٠ أصدر البابا بونيفاسيوس التاسع نداءً حاراً الى جميع المؤمنين يحضم فيه على تأييد عمانوئيل في نضاله ضد الاتراك واعداً بالغفرانات لمن يحمل الصليب في هذا السبيل كما لو كان يناضل في الاراضي المقدسة نفسها . وتتابع عمانوئيل سيره فوصل باريس في الثالث

Ostrogorski, G., *Gesch. d. Byz. St.*, 397-398.

١

Marinescu, E., *Manuel II Paléologue*, *Bullet. Acad. Roum.*, 1924, 194 ff.

٢

من حزيران سنة ١٤٠٠ فاحتقى به كارلوس السادس وأصفعى اليه اصحابه شديداً ولكنه بعد ان اشار الى النضال القائم بينه وبين هنريكسوس الرابع ملك الانكليز اكتفى بتقديم الف ومئتي جندي وضعهم تحت قيادة بومسيكو وتعهد بنفقتهم لسنة كاملة . وعبر عمانوئيل بحر المانش وزار هنريكسوس الرابع في لندن فقوبل بالترحاب الشديد ولم يحظ باية معونة عسكرية . وعاد عمانوئيل الى باريس وأقام فيها حتى خريف السنة ١٤٠٢ ولكن دون جدوى<sup>١</sup> .

وهب بايزيد في اثناء هذا يطالب بخضوع يوحنا السابع وبتسليم العاصمة ، ولكن يوحنا أبي . فاستشاط بايزيد غيظاً وأقسم «بالله وبرسوله» انه لن يقي رجلاً واحداً حياً في القسطنطينية . ولكن يوحنا أصر على الرفض . فشدد بايزيد اعمال الحصار ثم فوجئ بتيمور .

**تيمورلنك وببايزيد:** (١٤٠٢) وكان الامراء الاتراك الذين استولى بايزيد على اماراتهم في آسية الصغرى قد جاؤوا الى حمى تيمور . وكانت بايزيد قد تعرض لصاحب ارزنجان الارمني ، فقضب تيمور لكرامته لانه اعتبر صاحب ارزنجان تابعا له . فقام الى آسية الصغرى في السنة ١٤٠٠ واحتل سيواس واعمل السيف في رقاب حاميتها التركية العثمانية وقتل ارطغرل اكبر ابناء بايزيد . ثم ولّ وجهه سطراً الجنوب فاكتسح كل من جروءة على الصمود في وجهه واستولى على عينتاب وبغداد وحلب ودمشق وما بينها جميعاً . وفي مطلع السنة ١٤٠٢ ارسل الى بايزيد يأمره باعادة كل المدن والاراضي التي استولى عليها الى الروم . وكتب الى الجنويين في غلطة ان يعاونوه ليقضي على بايزيد ودولته . فأبى بايزيد

Schlumberger, G., *Un Emp. de Byz. à Paris et à Londres, Byz. et les Croisades*, 1927, 87-147 ; Jugie, M., *Voyage de l'Emp. Manuel en Occident, Echos d'Orient*, 1912, 322-332.

وأجاب جواباً قاسياً . فقام تيمور من سiovass الى انقره . ووجd في شمالها الشرقي جيوش بايزيد وعددها مئة وعشرون الفاً بينها عشرة آلاف حارب مسيحي بقيادة اسطfan لازاروفيتش . وفي صباح الثامن والعشرين من تموز بدأت المعركة . فهجم فرسان الصربي على جند المغول وشدوا عليهم ولكن بايزيد أمر بتراجعهم خشية التطويق . وتقدم المغول حتى بلغوا الصفوف العثمانية . فألقى السلاجقة المحاربون في صفوف بايزيد سلاحهم ولاذوا بالفرار رافضين القتال ضد امرائهم السابقين . وثبت بايزيد وحرسه الانكشاري حتى المساء . ثم لاذ بالفرار تحت جناح الليل ولكنّه أسر هو وابنه موسى وعدد من القادة . وفزع ابناء الآخران محمد وعيسى الى القرمان . وحاول بايزيد المهرّب فشدد تيمور عليه الحصار وحمله معه في قفصٍ من حديد ! ثم توفي بايزيد في الاسر في الشامن من آذار سنة ١٤٠٣ فسمح تيمور بدفنه في بروسة . وأعاد تيمور الامراء السلاجقة الى امارتهم وأبقى تراقيه وما يليها في يد سليمان ابن بايزيد ، فحكمها باسم تيمور . وبعد ان نهب تيمور جميع آسية الصغرى قام الى الشرق البعيد ليحارب الصين . وتوفي في التاسع عشر من شباط سنة ١٤٠٥ في اطرار . فزالت دولته بزواله .

**اثر انهزام الاتراك :** وتنافع ابناء بايزيد الملك ، وكان محمد أشدهم بأساً واكثرهم نشاطاً . وكان قد فرَّ من انقرة واعتصم في جبال اماسية وطوقات وكتب منها الى أخيه عيسى مقترحاً تقسيم آسية الصغرى بينهما ( ١٤٠٣ ) . وكان عيسى قد احتلَّ مدينة بروسة فرفض ما اقترحه محمد . فقاتل الاخوان فهزم محمد اخاه ، فلاذ عيسى بالفرار الى القسطنطينية .

فأمده أخوه سليمان بالجند فقام إلى محاربة محمد مرة ثانية فهُنِي بالخيبة ولقي حتفه في القرمان . فعبر سليمان الدردنيل ( ١٤٠٤ ) وأخرج محمدًا من بروسيا . فهاجم موسى ممتلكات سليمان في أوروبا ، فهزمه سليمان أخيه موسى عند القرن الذهبي . ولكن بطانته خانته فقتله بعض الفلاحين في السنة ١٤١٠ . وأبي موسى إن يعترف محمد بالسيادة .

وفي مطلع السنة ١٤٠٣ عاد عمانوئيل الثاني إلى القسطنطينية ، فعلم بما حلّ ببايزيد فعادت انساقه إليه . ولكنه لم يتمكن من استغلال الموقف استغلالاً يعيد نشاطه إليه نظراً لما كان قد حلّ بدولته من ضعف و هوان . وأراد سليمان ابن بايزيد أن يعزز مركزه بالتحالف فعقد معاهدة مع كل من الجنويين والبنادقة في السنة ١٤٠٣ . وفي السنة ١٤٠٥ أعاد إلى عمانوئيل ساحل البحر الأسود و ساحل بحر مرمرة و ثيسالونيكية والمورة وأرسل أخيه و أخيه رهينتين إلى القسطنطينية لقاءً تعاون عمانوئيل معه و رضائه عنه<sup>١</sup> . وحارب موسى أخيه سليمان عند القرن الذهبي فخسر الموقعة ففر إلى الفلاح ثم عاد إلى قتال سليمان و عمانوئيل ، فانفرط عقد سليمان ففر إلى القسطنطينية فقتل قبل وصوله إليها ( ١٤١٠ ) . وحاول موسى أن يستعيد ما قدمه سليمان إلى عمانوئيل ، فحاصر ثيسالونيكية واستولى عليها ، ثم زحف على القسطنطينية نفسها . فاستعان عمانوئيل بمحمد ، فعبر هذا إلى أوروبا وتعاون مع إسطفان لازاروفيتش ديسبوتس الصرب ، فتغلبا على موسى بالقرب من جامورو في العاشر من تموز سنة ١٤١٣ و لعله قتل خنقاً في معسكر أخيه محمد . وعاد محمد إلى آسية الصغرى توأكبه قوة رومية . فأعلن نفسه سلطاناً على العثمانيين ( ١٤١٣ ) وجدد تحالفه مع

«والده» عمانوئيل واعترف بسلطته على ساحلي الاسود ومرمرة وعلى ثيسالونيكية وثيسالية<sup>١</sup>. اما البشناق والصرب والبلغار فانهم استعادوا حریتهم . وحفظ محمد الاول عهده هذا وحافظ عليه طوال سني حكمه .

**عمانوئيل الثاني والمورة:** وانتهز عمانوئيل هذه الفرصة فرصة الوئام بينه وبين محمد فقام الى ثيسالونيكية وأقام فيها مدة من الزمن . ثم برحها في ربیع السنة ١٤١٥ فزار ابنه ثيودوروس الثاني دیسبوتس المورة . وتقد شؤوف الرعية في المورة ووطد سلطته فيها وانشاً عند بروزخ كورنثوس خطأ دفاعياً هاماً امتد ستة اميال كاملة . ومن هنا اسمه اليوناني Hexamilion وحصنه بالابراج وأنشأ ما قارب المائة والخمسين برجاً<sup>٢</sup>. وأصغرى عمانوئيل في اثناء اقامته في المورة ل برنامجه فيلسوفها غيميستوس بليثون Gemistus Plethon . وكان هذا الفيلسوف المتأخر شديد الاعجاب بجمهوريه افلاطون فاقتراح الغاء الملكية العقارية الخاصة وتبسيط الضرائب وانشاء جيش وطني يحل محل الجنود المرتزقة . وكتب في هذا كله رسالتين وجههما الى القسيطليس عمانوئيل الثاني<sup>٣</sup>. وأبقى عمانوئيل بكراه يوحنا الثامن في المورة ليعاون اخاه في تنظيم ادارتها وتوطيد السلطة فيها وعاد هو الى القسطنطينية في اذار السنة ١٤١٦ .

**عمانوئيل الثاني ومواد الثاني:** وبوفاة محمد الاول انتهت فترة الاستراحة وعاد ابن محمد وخلفه مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١) الى حلم اجداده اي الى محاولة الاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على ما تبقى من دولة الروم . وأظهر مراد الثاني شيئاً من حسن النية لدى وصوله الى

Döhl, C., *Europe Orientale*, 354 ; Doukas, *Chronog*, 97.

١

Zakythinos, D. A., *Despotat*, 175 ff.

٢

Tozer, H. F., *A Byzantine Reformer*, *Jour. Hell. Studies*, VII, 353 ff.

٣

العرش فاقترح على عمانوئيل تجديد المعاهدة التي وقعتها والده من قبله ، وقد سبقت الاشارة اليها . ولكن عمانوئيل طلب الى السلطان الجديد ان يبقى ابنه رهينة في القسطنطينية ، فأبى . وفي التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٤٢١ اعلن يوحنا الثامن فسليفساً وشريكأً لوالده في الحكم . فأطلق سراح مصطفى ابن بايزيد المطالب بالعرش العثماني كا حرر جنيداً الوزير السابق الشائز . فاضطر مراد الثاني الى ان يحارب مصطفى فتلاقياً في ميدان لوباديون Lopadion فخسر مصطفى المعركة وفر هارباً ، فألقى القبض عليه وأعدم في ادرنة في مطلع العام ١٤٢٢ . وحاول عمانوئيل التقرب من مراد ولكن دون جدو . وقام مراد الثاني بخمسين الف جندي الى القسطنطينية وضرب عليها الحصار ، واستعان بعدد من المدافعين القدية الطراز . ثم اضطر الى ان يرفع هذا الحصار بمحابية ثورة هـامة اذكاكها عمانوئيل في بروسة ونيقية والقرمان . وكان زعيم هذه الثورة مصطفى اخا مراد . وقدر مراد ان يخمد نار هذه الفتنة بسرعة فعاد الى اوروبة يزعج خصميه الفسليفيس في المورة . فانه أنقذ اليها قوة في السنة ١٤٢٣ فدكت حصنون عمانوئيل عند بربخ كورثوس واستولت على ميسترة وغيرها من القلاع . وقام مراد الثاني بنفسه الى الباينية والبسناق وفرض اتاوة على هوسبودار الفلاح .

يوحنا الثامن في الغرب : ( ١٤٢٣ ) وفي هذه السنة نفسها قام يوحنا الثامن الى اوروبة يستنهض الهم . فزار البندقية وميلانو والجر . وأحب البابا مرتينوس الخامس ان ينتهز هذه الفرصة لتوحيد الكنيستين ، فارتوى ان يصار الى انعقاد مجمع في ايطالية ، وارسل الكردينال سانتانجلو Sant'Angelo الى القسطنطينية لهذه الغاية . ولكن عمانوئيل الثاني أجاب بأنه لا يمكن تحقيق الاتحاد المنشود دون مجمع مسكوني يعقد خصيصاً لهذه الغاية . و بما جاء في بعض المراجع الاولية ان عمانوئيل اوصى قبيل

وفاته « الا يُنظر الى الاتحاد الا كوسيلة لصد الاتراك وان يصار الى المطالبة بعقد مجمع مسكوني وان ياطل في ذلك بقصد كسب الوقت وانه لا يمكن التوفيق بين عجزة اللاتين وعناد الروم<sup>۱</sup> ».

وفاة عمانوئيل الثاني : ( ۱۴۲۵ ) وصالح عمانوئيل مراداً الثاني على ان يدفع اتاوة سنوية قدرها ثلات مئة الف آسبر وان يدخل في طاعة السلطان . ومقابل هذا يسمح له بالاحتفاظ بالملوحة وبزمبورية وذر كوس ويعيد جميع مدن مقدونية والبورتوس الى العثمانيين . ووقعت معاهدة بهذا المعنى في الثاني والعشرين من شباط سنة ۱۴۲۴ .

وكان عمانوئيل قد تناهى عن العمل منذ ان توج ابنه يوحنا الثامن . ثم لبس اسکيم الرهبنة وانعزل في دير « الكلي القدرة » Pantocrator باسم الراهب متى . ثم توفي في الحادي والعشرين من تموز سنة ۱۴۲۵ وكانت في السابعة والسبعين من عمره .

## الفصل الرابع والستون

### علوم الروم وثقافتهم في دورهم الأخير

( ١٢٦١ - ١٤٥٣ )

وعلى الرغم مما حلّ بالروم من ضعف ووهن في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ظلت عاصمتهم مركزاً للثقافة العالية ومحجاً رائعاً للفن . وبقيت مدارسها زاهية زاهرة يومها الطلاب من البلقان والجزر وبر الأناضول وإيطالية أيضاً . وتتميز هذه الفترة من تاريخ الفكر والثقافة عند الروم بردة إلى الأدب اليوناني القديم وتعلق عجيب به . فانتازى الاسماء الكلاسيكية القديمة : اسماء بريكليس وثيموستوكليس وايبامينونداس وغيرهم من ابطال اليونان القدامى تقاجحاً بعودتها إلى افواه الروم . ونرى بليشون يقترح اصلاحاً قومياً يونانياً ، كما نرى بيساريون يذكر قسطنطين الحادى عشر ببطولة الاسبارطيين القدماء وبامكانية الاتكال على أحفادهم لتحرير البلقان وأسيبة الصغرى . ونرى الوجهاء في العاصمة يرجون الفسيفس ان يلقب نفسه بـ « ملك اليونان » ليشعر هؤلاء بالواجب الوطني فيعيدوا امجاد الاجداد .

**دور الملوك والامراء :** واندفع افراد الاسرتين المالكتين في هذه الخقبة في سبيل العلم والادب . ولم يكتفوا بالاعطف والتشجيع بل استرکوا

اشتراكاً فعلياً في الانتاج . فصنف عمانوئيل الثاني في ابشق الروح وفي الدفاع عن المسيحية ضد الاسلام وفي واجبات الحاكم العادل . ودونت يوحنا السادس ذكرياته الشهيرة بما جرى بين السنة ١٣٢٠ والسنة ١٣٥٦ فاتحف العالم بأفضل ما صنف في التاريخ في عهد الروم . وكتب في الدفاع عن النصرانية ضد اليهود وضد المسلمين<sup>١</sup> . وقام متى قانتاقوزينوس يكتب في الرغبة في العلم وفي قوى النفس الثلاث<sup>٢</sup> .

**التاريخ :** وعن جاورجيوس باخيميريس Pachimeres (١٢٤٢ - ١٣١٠) بتاريخ الفترة بين السنة ١٢٦١ والسنة ١٣٠٨ فصنف ثلاثة عشر كتاباً حفظ بها الشيء الكثير من محتويات المفاوضات الرسمية ونقللينا حرارة المشادة حول اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ، كما دون أخبار المجوم التركي ومغامرات الحلة القطلونية الاسپانية . وهو والحاله هذه مرجعنا الاكبر لتاريخ الروم في عهد ميخائيل الثامن واندورنيكوس الثاني<sup>٣</sup> . ولمع في النصف الاول من القرن الرابع عشر نيقيفوروس غريفوراس Grégoras ، فانه بعد ان اتقن اللغة اليونانية الكلاسيكية وبرع في اللاهوت والفلسفة والتاريخ والفلك انخرط في عداد المجاهدين ضد تعاليم بولام الراهب ، ثم مال الى اتحاد الكنيستين فلقي عذاباً أليماً . ومن أجل آثاره فائدة مصنفه في تاريخ الروم ويقع في سبعة وثلاثين كتاباً ، وفيه اجمال واختصار قبل السنة ١٢٠٤ وتفصيل وتوسيع في ما جرى بين السنة ١٢٠٤ والسنة ١٣٥٩ . وله ايضاً مراسلات ومكتبات تلقي ضوءاً قوياً في بعض الاحيان على تاريخ عصره<sup>٤</sup> .

Parisot, V., *Cantacuzene; Iorga N., Médaillons, Byzantion*, 1925, 292-293. ١

Krumbacher, K., *Gesch. d. Byz. Litt.*, 136, 489. ٢

Krumbacher, K., *op. cit.*, 288-291; Laurent, V., *Manuscrits de Georges* ٣  
*Pachymères, Byzantion*, 1929-1930, 129-205, 1936, 43-57.

Laurent, V., *Nicéphore Grégoras, Dict. Théol. Cath.*, col. 451-467; ٤  
Guillard, R., *Essai sur Nic. Grégoras*.

ودون جاورجيوس فرنجيس Phrantzes تارixin : الاصغر والاكبر .  
 فشمل الاصغر حوادث السنوات ١٤١٣ - ١٤٧٣ . اما الاكبر فانه ضم  
 اخبار الفترة ما بين السنة ١٢٥٨ والسنة ١٤٧٨ . ورافق فرنجيس عمانوئيل  
 الثاني بضع سنوات ، ثم رحل الى المورة في خدمة الامير توما والامير  
 قسطنطين الذي اصبح فيما بعد قسطنطين الحادي عشر . وشاهد حصار  
 القسطنطينية بام عينه . وذبح الاتراك اولاده الذكور وسبوا ابنته فقضت  
 حياتها في الحرم السلطاني . وأسر فرنجيس ثم افتدي فأقام في ميسيرة حتى  
 سقوطها في يد الاتراك . ثم رحل عنها الى جزيرة كورفو وتقبل النذر  
 باسم غريغوريوس دون تارixinه فيه ١ .

و قضى دوكاس Doukas معظم حياته في خدمة حاكم جزيرة لسبوس  
 الجنوبي فدون اخبار السنوات ١٣٤١ - ١٤٦٢ باللغة اليونانية المحكية  
 آئند وأظهر اعتدالاً في القول وعدلاً في الرواية جعله مرجعاً هاماً  
 لكل من أحب الاطلاع على الحقيقة . ونقل تاريخ دوكاس الى الايطالية  
 وحفظ بها . فان بعض ما نجده مختصرًا في الاصل اليوناني نقرأه مفصلاً  
 في الترجمة الايطالية ٢ .

ولنا في صاحب « القلم الرنان » Chalcocandyles مثال ناطق لانصاف  
 العدو . ولد لايونيكوس خالكونديليس Laonikos Chalcondyles في آثينا  
 وعني بتاريخ ألد اعداء شعبه وهم الاتراك العثمانيون دون تارixinهم منذ  
 السنة ١٢٩٨ حتى السنة ١٤٦٣ وذلك في كتب عشرة وفي جزيرة اقريطش .  
 وهذا حدوث ثوقيدينس يجعل ابطال روايته ينطقون بما اراده هو لهم .

Krumbacher, K., op. cit., 307-309 ; Faller-Papadopoulos, J. B., Phrantzes, Bull. Inst. Arch. Bulgare, 1935, 177-189.

Krumbacher, K., op. cit., 306-307 ; Diehl, C., Europe Orientale, 403-404.

وقلّد هيرودوتس فوصف عادات الشعوب المجاورة وتقاليدهم<sup>١</sup>.

وخرج في هذه الحقبة عدد من المؤرخين على التقاليد المتبعة في التاريخ عند الروم فصنفوا في مواضيع خاصة . فكتب اليكسيس مكرمبوليس Macrembolites يوحنا كانوس Cananos في حصار القسطنطينية سنة ١٤٢٢ . وألف يوحنا انغنوستيس Anagnostes في استيلاء الاتراك على نيسابور سنة ١٤٣٠ . ولعل سيليفستروس سيروبولوس Syropoulos بعداته في تدوين اخبار مجمع فلورنزا<sup>٢</sup> .

**اللاهوت :** وقضت ظروف الروم في هذا الدور الاخير من تاريخهم بان يجأوا الى الغرب في طلب المعونة ضد الطامعين في ملكهم من رجال الغرب ضد الاتراك العثمانيين ورأوا ان لا مفر من استرضاء روما واستعطافها لكتلة تدخل اخبارها في السياسة واتقائهم فيها . فكانت محاولات ومحاولات لتوحيد الكنيستين الشقيقتين الكاثوليكية الغربية والارثوذكسيّة الشرقيّة . وأثار هذا الموضوع عنایة رجال الدين في الشرق فصنفوا فيه واختلفوا فيما بينهم .

وكان اكثرا رجال الدين استعداداً لغض النظر عن قرارات المجمع المسكونية السبعة الاولى لارضاء اخبار روما في هذا الدور واستدرار مساعدتهم في السياسة وال الحرب يوحنا فقُس او بوكوس Veccos . وكان هذا الاكليريكي من أقدر أهل زمانه علمًا وثقافة وحجية وفصاحة . وبدأ ارثوذكسيّاً متمسكاً بقرارات المجمع الاولى محارباً النزول عند مطالب الغرب فاضطهد الفسليفس ميخائيل الثامن وحبسه . ثم قال باتحاد الكنيستين

Miller, W., *The Last Athenian Historian, Journ. of Hell. Studies*, 36-49. ١

Krumbacher, K., op. cit., 300-301, 121-122. ٢

فرقى السدة البطريركية المسكونية فى عهد ميخائيل الثامن ( يوحنا الحادى عشر ) وظل يدير شؤونها حتى ايام اندرونيکوس الثاني . فأنزل به هذا عقاباً صارماً لانه قال بالاتحاد . وأشهر ما صنف فقس كتابه « الاتحاد والسلم بين الكنيسين : كنيسة رومة القديمة وكنيسة رومة الجديدة » . وحذا حذو فقس ديمتريوس قيدونس Cydones الذى عمر طويلاً ( ١٣١٠ - ١٤١٠ ) فتعلم اللاتينية في رومة وقال بالاتحاد الكنيسين بشروط رومة وصنف كثيراً . وأشهر ما فعل في حقل اللاهوت انه نقل إلى اليونانية مصنف توما الاكتويني Summa Theologiae . وأجل ما دون لنا مراسلاته مع عمانوئيل الثاني ويوحنا كونتا كورينوس وغيرهما<sup>٢</sup> .

وبين هؤلاء الذين قالوا بالاتحاد الكنيسين الانسي الشهير بيساريوس Bessarion . ولد في طرابزون حوالي السنة ١٣٩٥ وأم القسطنطينية لتابعة دروسه ثم انها في ميسيرة في المورة على يد بليثون الفيلسوف . ورفاق يوحنا الثامن إلى مجمع فلورنزا وخرج عن ارثوذكسيته وأصبح كرديناً . وأشهر ما كتب في اتحاد الكنيسين رده على مرقس رئيس اساقفة افسس ودفاعه عن فقس ضد هجمات بلاطاس<sup>٣</sup> . وسنعود إليه في الكلام عن اليقظة في ايطالية .

وأسد الارثوذكسيين تمسكاً بقرارات الجماع المسكونية واقواهم شكيمة مرقس افجنيکوس Eugenicos رئيس اساقفة افسس . فإنه حضر

Pachymeres, G., *De Michaele Palaeologo* V, 24 ; Bonn, I, 403; Gregoras, ١ N., *Historia*, Bonn, I, 128-129 ; Grammel, V., Jean Beccos, *Echos d'Orient*, 1925, 26-32.

Laurent, V., *Correspondance de Demetrios Cydones*, *Echos d'Orient*, ٢ 1931, 339-354, 1937, 271-287, 474-487, 1938, 107-124.

Vast, H., *Le Cardinal Bessarion*; Bréhier, L., *Bessarion*, *Dict. Hist. Geog. Eccles.*

جمع فلورنزة وأبي ان يوقع مقرراته . ثم عاد الى القسطنطينية ينادي بالمحافظة على العقيدة وعلى تنظيم الكنيسة كما أقرتها المجامع المسكونية السبعة . وأشهر ما صنف كتابه في تفنيد العقيدة اللاتينية . وأجل ما خلفه لنا مراساته<sup>١</sup> .

وأوسعهم اطلاعاً واقواهم حجةً وأعلمهم بطريق كان المسكونيات غريغوريوس القبرصي وجناديوس الفيلسوف . تولى الاول السدة البطريوشية المسكونية في عهد اندرونيكيوس الثاني في السنة ١٢٨٩ فجادل فقس ، وصنف في « اليمان » وفي « الانشقاق ». وكان خطيباً مفوهاً وكانت اباً كبيراً ، فألف في اللغة والادب ، وخلف رسائل كثيرة هي من اكثـر مراجع المؤرخ فائدة<sup>٢</sup> . واما الثاني جناديوس سكولاريوس Scholarios اول بطريك مسكوني في عهد الاتراك العثمانيـن فـانـه اشتهر في حـقـليـلـةـ الاـلهـوتـ وـالـفـلـسـفـةـ . وـاشـتـركـ فيـ اـعـمـالـ جـمـعـ فـلـورـنـزـةـ وـأـظـهـرـ مـيـلـاـ نـحـوـ الـاتـحـادـ وـلـكـنـهـ اـصـبـرـ فـيـ بـعـدـ مـنـ أـشـهـرـ خـصـوـمـهـ . وـكـتـبـ عـدـدـ كـبـيرـاـ مـنـ الرـسـائـلـ فيـ مـوـضـعـ الـاتـحـادـ وـالـانـشـاقـاقـ . وـجـادـلـ بـلـيـشـوـنـ الفـيـلـسـفـ حول ارسـطـوـ وـافـلـاطـونـ فـايـدـ الاولـ تـأـيـدـ كـبـيرـاـ . وـخـيرـ ماـ خـلـفـ لـناـ كـتـابـهـ «ـ المـرـائـيـ »ـ وـقـدـ ضـمـنـهـ مـعـلـومـاتـ مـفـيـدـةـ جـداـ لـتـارـيخـ الـكـنـيـسـةـ الـاـرـثـوذـكـسـيـةـ فيـ اـوـلـ عـهـدـ الـاـتـرـاكـ الـعـثـمـانـيـنـ فيـ القـسـطـنـطـيـنـيـةـ<sup>٣</sup>ـ . وـقـضـىـ اـهـتمـامـ الرـهـبـانـ وـرـجـالـ الـفـكـرـ الـدـيـنـيـ فيـ هـذـاـ الدـورـ الـاخـيرـ

Petit, L., Marc Eugenicos, Dict. Théol. Cath., 1968-1986 ; Grummel, V., ۱  
Marc d'Ephèse, Estudis Franciscanes, 1925, 425-448.

Cayré, F., Georges de Chypre, Dict. Théol. Cath., 1231-1235 ; Lameere, ۲  
W., Tradition Manuscrite de la Corresp. de Grégoire de Chypre, (1281-1289), Bruxelles - Rome, 1937.

Petit, L., Oeuvres Complètes de Genade Scholarios ; Jugie, M., Scholarios, G., Dict. Théol. Cath., 1521-1570. ۳

بازهد والتصوف وبالتالي « والصمت » إلى التأليف . فكتب غريغوريوس بلamas المدافع الأكبر عن حرمة الصمت سبعين عظة لا تزال غير منشورة كـ خلـف رسائل عديدة مفيدة . وصف البطريرك فيلوثاوس مؤلفاً هاماً فند فيه آراء نيقيفوروس غريغوراس ، كـ صـف نيقولاوس قباسيلاس متروبوليت ثيسالونيكي رسالة هامة في الطقس البيزنطي<sup>١</sup> .

الفلسفة والبيان وفقه اللغة : ولم ينقطع الروم عن ارسطو طوال عهودهم . واستمر اهتمامهم بافلاطون منذ القرن الحادى عشر حتى آخر أيامهم . فـ كل من ميخائيل بسلوس في القرن الحادى عشر ويوحنا ايطلوس في القرن الثانى عشر ونيقيفوروس البليميدي كرس نفسه للفلسفة وعکف عليها . وأحب بسلوس افلاطون ، ودعا له ، ولكن الآخرين عشقاً ارسطو وأيدا قوله .

وابصر النور في ميسترة (المورة) في منتصف القرن الرابع عشر جاورجيوس غميستوس Gemistus ودرس في القسطنطينية . ثم عاد إلى ميسترة ليقضي حياة طويلة ناهزت المائة . وعني بالفكر الكلاسيكي وتعشقه فاستبدل كنيته بما قابلها في اللغة اليونانية القديمة فدعى نفسه بليثون Plethon . ومعنى اللفظين واحد : « الملان ». وامتلاً بليثون أنسنةً وتعشق افلاطون عن طريق الافلاطونية الجديدة فقدمه إلى الروم واللاتين معاً ، وروج لفكرة إنشاء أكاديمية افلاطونية في فلورنزا . ووافقه على ذلك كوزيمو مديلشي وغيره من عشاق الأننسنة في إيطالية . ومال بليثون أيضاً إلى إحياء الآلهة اليونانية القديمة بإنشاء دين افلاطوني جديد . وصف في المفاضلة بين افلاطون وارسطو كـ كتاب في النومايس . وتوفي في ميسترة في السنة ١٤٥٠ . وفي السنة ١٤٦٥ استولى على إسبارطة قائد إيطالي من

أسرة ملاتيستة فنقل رفات بليثون الى ريميني في ايطالية وواراه التراب في  
كنيسة القديس فرنسيس<sup>١</sup>.

وعني رجال الفصاحة والبلاغة والخطابة بالفلسفة كالعادة . وأشهرهم في  
هذا الدور نيقفوروس خومنوس Chumnos تلميذ غريفوريوس القبرصي  
فانه خلَّفَ عدداً من الرسائل في اللاهوت والفلسفة والبيان وما لا يقل  
عن مئة واثنتين وسبعين رسالة . وقد يختلف البعض في تقدير أهمية  
نتائج الفكر ولتكن جبه للقديم القديم وعودته اليه واندفاعه في سبيله  
بشررت بالأنسنة في ايطالية وبيقظة الغرب<sup>٢</sup> .

ويشكوا علماء اللغة اليونانية الكلاسيكية اليوم زملاءَهم في هذا الدور  
الذي نحن بصدده في ان هؤلاء اخذوا لانفسهم الحق في تعديل بعض  
النصوص القدية فخرجوا في ذلك عن امانة سلفائهم في ازمنة الروم .  
وعلى الرغم من ان الامانة هي الاصل في مثل هذه المواقف فاننا نرى  
في خروجهم محاولة للتحرر ومظهراً من مظاهر الابتكار .

وأشهر علماء اللغة في هذا الدور مكسيموس بلاتوندوس Planudes معاصر  
ميغائيل الثامن واندرونيكوس الثاني وسفير هذا ويمثله في البندقية . وأهم  
ما خلَّفَه رسائل في غرامaticة اللغة اليونانية ، ومحنارات تاريخية وجغرافية  
مأخوذة من كتب الاقدمين . وأجاد بلاتوندوس اللغة اللاتينية فنقل الى  
اليونانية بعض مخلفات الغرب اللاتيني امثال اوغسطينوس وتوما الاكتويني  
وكاتون الاكبر وقيصر وشيشرون . ويستدل من عدد النسخ الباقية من  
هذه الترجمات ان طلاب اليونانية في الغرب جعلوها اساساً لتعلم اليونانية<sup>٣</sup> .

Tozer, H., A Byzantine Reformer, Journ. Hell. Studies, 1886, 353-380 ; ١

Stephanou, E., Plethon, Dict. Théol. Cath. 2393-2404.

Guilland, R., Correspondance, 317-324.

Wendel, G., Real - Encyclopædie, XX, (1950), 2202-2253

٢

٣

وقام بعد بلانوذس تلميذه وصديقه عمانوئيل موسكوبولوس Moschopoulos يؤدي رسالة استاذه في تدريس اللغة اليونانية وجعلها في متناول الغربيين المقربين عليها . فكان معجمه اليوناني اللاتيني ومؤلفه في غرامatice اللغة اليونانية لمدة طويلة الكتابين الاساسيين لتعلم اليونانية في ايطالية وغيرها من بلدان الغرب<sup>١</sup> .

ثيودوروس ميتوخيس : ولع في النصف الاول من القرن الرابع عشر عالم آخر اشتهر بسعة اطلاعه وبتعلقه بالانسنة الكلاسيكية هو ثيودوروس ميتوخيس Metochites وزير اندرونيكيوس الثاني ومدبر اموره . جمع هذا الرجل الفذ بين السياسة والعلم « فكان يقضي نهاره في ادارة امور الدولة ولا هم له سوى تدبيتها والنجاح فيها . ثم يسرر ليه منقباً باحثاً كأنه لم يكن ذلك السياسي المسؤول<sup>٢</sup> ». وكانت شديدة الاعجاب بارسطو وأفلاطون وبليوتارخوس ، كثير الانتباه الى آراءهم في السياسة . ولكنه لم يفضل بين الديموقراطية والاستقراطية بل نهج نهجاً خاصاً في الفلسفة السياسية فقال بملکية دستورية مقيدة وذاك في عصر كان فيه الفسليقين والكنيسة والشعب يقولون بالحق الاهي في الملك<sup>٣</sup> . ثم جاءت الثورة فأُزيلت اندرونيكيوس الثاني عن العرش فخسر ثيودوروس نفوذه وما له وبنته وزوج<sup>٤</sup> به في السجن . فلما<sup>٥</sup> به مرض عضال فسمح له ان يقضي ايامه في دير خورة الذي كان قد أنفق عليه بسيخاء وزينته بكتبة فاخرة . ولا يزال هذا الدير الذي أصبح فيما بعد جامع القاهرة يحفظ بالفسقيفاء رسم ثيودوروس مرتدياً لباس الشرف حاملاً نوذجاً مصغراً للكنيسة في يده .

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 701-702.

١

Grégoras, N., *Hist.*, Bonn, I, 272-273.

٢

Diehl, C., *Etudes*, 401 ; Guilland, R., *Coresp. Nicéph. Grégoras*, 361.

٣

وتوفي ثيودوروس في السنة ١٣٣٢ .<sup>١</sup>

وأشهر مؤلفات ثيودوروس «كشكوله»<sup>٢</sup> وقد ضمته خلاصة اطلاعاته على سبعين مؤلفاً من مؤلفات القدماء. وأشهر هؤلاء مصنفات سينيسيوس، وهي أشبه بموسوعة عامة منها باي شيء آخر، وفيها آراء في كثير من المواضيع الفلسفية والتاريخية. ونظم ثيودوروس في مواضيع متعددة، وأشهر شعره ملحنته في تاريخ حياته، وقد جاءت في ١٣٣٥ بيتاً<sup>٣</sup>، ووصفه الشعري لدير خورة. وخلف ثيودوروس بعض الرسائل أيضاً<sup>٤</sup>.

ديقريوس تيكلينيوس : ولا يجوز اغفال هذا البطل Triklinius الذي عني في هذا الدور الأخير بعدد من الكلاسيكيين امثال بيندار واسكيلوس وسوفوكليس وافريليديس وأريستوفانس ففاق جميع معاصريه وسلفائه بدقة نظره وشدة فهمه وامانته<sup>٥</sup> .

القانون : وعني بالقانون في القرن الرابع عشر قاضي ثيسالونيكيية قسطنطين هرمنوبولوس Hermenopulus فصنف «السداسي» Hexabiblos في قوانين الحقوق والجزاء، واستمد مادته من البروخيريون والاكلوغة والابنوغ وغيرها من مصنفات القوانين القدية. وبعد سقوط القسطنطينية أصبح هذا «السداسي» مرجع جميع من عني بدرس القانون الرومي الروماني في الغرب<sup>٦</sup> .

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 702-703.

« *Miscellanea Philosophica et Historica* ».

Treu, M., *Dictungen des Gross-Logotheten Theodoros Metochites*, 1-54. <sup>٣</sup>

Krumbacher, K., *op. cit.*, 350-353.

Krumbacher, K., *op. cit.*, 354.

Collinet, P., *Byz. Legislation, Cam. Med. Hist.*, IV, 723 ff.

**العلوم والطب :** وتابع الروم اهتمامهم القديم في مخلفات اليونان في الرياضيات والفلك ، في مصنفات أقليدس وبطليموس ، واستعانا في هذا الدور الاخير ببعض مصنفات العرب والفرس . وظل رأيهم في الطب هو المعمول عليه في الغرب مدة طويلة بعد سقوط عاصمتهم في يد الاتراك . فطلبة الطب في باريس مثلًا واظبوا على تعلم هذا العلم بمصنف بيزنطي حتى القرن السابع عشر<sup>١</sup> .

**الفن :** وتدل الآثار الفنية الباقية على اهتمام شديد بالفن في هذا الدور وعلى تطور ورقي . ويختلف رجال الفن في تعليل هذه الظاهرة . فيرى بعضهم انها اثر من آثار النهضة الفنية في ايطاليا . فيرد عليهم غيرهم بالقول ان فن النهضة الايطالية نفسه متاثر بالفن البيزنطي الاخير . ويرى شيخ رجال الاختصاص في الفن البيزنطي شارل ديل ان هذا التطور الاخير في فن الروم هو مظهر آخر من مظاهر النهضة بينهم التي بدأت في القرن الحادي عشر وسبقت كل شيء من نوعها في الغرب<sup>٢</sup> . وليس على الطالب المتيقظ الذي يرغب في تفهم هذا الموضوع الا ان يعود الى مصنف شارل ديل في الفن البيزنطي ليستعين بأراء هذا الاستاذ على ضوء الرسوم والصور التي أحلقها بكتابه هذا .

**الروم وعصر اليقظة في ايطاليا :** ولا يجوز القول مع بعض علماء القرن التاسع عشر بان رجال اليقظة في ايطالية مدينون بنهضتهم هذه للروم الذين جاؤوا الى ايطالية بعد سقوط القسطنطينية في يد الاتراك وذلك لسبعين رئيسين : او لمها ان اليقظة كانت قد شملت ايطالية باسرها قبل سقوط القسطنطينية وان بطراركة وبوكاتشيو من اعيان القرن الرابع

Vasiliev, A. A., *Byz. Emp.*, 705-706.

١

Vasiliev, A. A., *op. cit.*, 709-713.

٢

عشر لا الخامس عشر ؛ والثاني ان اليقظة في ايطالية كانت في حد ذاتها نتيجة تطور بالغ في حياة الايطاليين قبل ان تكون مجرد اطلاع على مخلفات العصور الكلاسيكية عن طريق الروم او غيرهم .

وجل ما يجوز قوله في هذا الموضوع هو ان الروم عاونوا رجال اليقظة في ايطالية في تعلم اللغة اليونانية في بدء نهضتهم وان اثر الروم الحقيقي في نهضة ايطالية جاء في اواخر القرن الرابع عشر وطالع القرن الخامس عشر بعد ان بدأ اليقظ في ايطالية واستندت رغبة اهلها في الرجوع الى الفكر الكلاسيكي .

والواقع الذي لا مفر منه هو ان الدور الذي لعبه بولام في ايطالية في النصف الاول من القرن الرابع عشر كان مجرد تعلم اللغة اليونانية لمن رغب في ذلك ، وان دور ليونتيوس بيلاتوس تلميذ بولام الذي توفي في العقد السابع من القرن الرابع عشر كان قد نشر اللغة اليونانية بين عشاق الانسنة الكلاسيكية في ايطالية .

ثم كان ما كان من أمر رجوع الروم الى تاريخهم القديم واعتزازهم به فلمع في القسطنطينية وفي ميلسترة رجال ثلاثة اتقنوا علوم اليونان القدmine وتغنوا بأنسنتهم فاشتهروا بذلك في ايطالية نفسها عنيت بهم عمانوئيل خريسلوراس وغيلستوس بليشون وبيساريون النيقاوي .

وذاع صيت خريسلوراس بما أوتي من مقدرة في التعليم وفضاحة في الخطابة وعلوم اللسان ، وتعمق في الفلسفة ، فجاءه غارينو Guarino الانسي الايطالي يدرس عليه في القسطنطينية اللغة اليونانية والمؤلفين اليونان . ثم قام خريسلوراس الى ايطالية في مهمة سياسية وكلها اليه الفسيفس . فرحب به الانسيون الايطاليون ايما ترحيب وتباهوا بذلك . فآقام خريسلوراس عدة سنوات يعلم في جامعة فلورنسة . وأصفع اليه فيها عدد من عشاق الانسنة في ايطالية . ثم عاد خريسلوراس الى القسطنطينية

ليقوم مرة ثانية منها الى اوروبه الغربية في مهمة جديدة ، فزار ايطالية وفرنسا وانكلترة واسبانيا . وطلب اليه البابا ان يزور المانيا ليمهد السبيل لعقد مجمع جديد . فتوفي في كونستانتس في السنة ١٤١٥ .

وجاء دور بليشون الفيلسوف فعرفه الايطاليون وأكرموه وتأثروا به فعظّموما افلاطون معه وأنشأوا الاكاديمية الافلاطونية في فلورنزا .

وأشد الروم أثراً في تطوير اليقظة في ايطالية وفي تعزيزها وتقويتها بيساريون النيقاوي . وكان اول عهده باليقظة الايطالية اتصاله بالأنسي الإيطالي فيلفو Filefo الذي أمَ القسطنطينية للدرس والتبحر عندما كان بيساريون يدرّس فيها . وترهّب وأصبح رئيس أساقفة نيقية ورافق الفيلفس الى مجمع فرارى ومال الى توحيد الكنيستين . ثم عاد الى القسطنطينية فلمس لمس اليدي معارضه الاكثرية الساحقة للاتحاد الذي نشد ، فعاد الى ايطالية ليصبح احد كرادلة روما . وما كاد يقيم فيها ويستقر في بيت خاص له حتى أصبح مقره مركز الانسنة . وما قاله احد اصدقائه الانسي فالاً Valla في شخصه « ان بيساريون هو اقدر اليونانيين بين اللاتين وأقدر اللاتين بين اليونانيين<sup>1</sup> ». وأنفق الكردينال اليوناني بسخاء على اقتناه المخطوطات واستنساخها ، فجمع مكتبة عظيمة من مؤلفات الآباء الشرقيين والغربيين ومن كل ما كان له علاقة بالانسنة . وقبيل وفاته وهب هذه المجموعة الكبيرة الى البندقية فكانت نواة المكتبة المرقسية .

ثم سقطت القسطنطينية فرحل عنها عدد كبير من ابنائها الى ايطالية والغرب حاملين ما توافر لديهم من آثار السلف حافظين بعملهم هذا تراثاً كبيراً . وكان بين هذه المخطوطات التي حفظت عدداً من افضل النسخ عن مؤلفات العصر الكلاسيكي<sup>2</sup> .

Mohler, L., Kardinal Bessarion, 406.

١

Vasiliev, A. A., Byz. Emp., 713-722.

٢

الفصل الثامن والثلاثون  
يوحنا الثامن وقسطنطين الحادى عشر  
( ١٤٢٥ - ١٤٤٨ )

يوحنا الثامن : ( ١٤٢٥ - ١٤٤٨ ) وكانت الدولة قد تضاءلت فلم تعد تشمل سوى القسطنطينية وضواحيها حتى سيمبرية ، ثم بعض الاراضي الضيقية في ساحل البحر ، فجبل آثوس فليساليونيكية فيسترة وميزمورية والخنيلوس . وكانت الموارد قد نسبت وقلَّ الخير وكاد ينقطع . ولم يتمكن يوحنا الثامن وخلفه من سك النقود الذهبية فاكتفيا بالفضي منها<sup>١</sup> . واستغل عراد الثاني ضعف الروم فاستولى على مودونة Modon في السنة ١٤٢٥ وخرج منها بآلف اسير . وفي السنة ١٤٣٠ زحف على ثيسالونيكية وضرب الحصار عليها . وكان اندرونيوكوس باليولوغوس قد باعها من البنادقة منذ السنة ١٤٢٣ لقاء خمسين الف ذكينة Zechin . وكانت البندقية قد تحاصلت على الاحتكاك عراد الثاني ولكنها لم تتمكن فيما يظهر من اقامة حامية قوية في المدينة ، فاستولى عليها السلطان بنفسه ( ٢٩ ايار سنة ١٤٣٠ ) وأباح نهبها وذبح من قوامه من أهلها وكانوا

Blanchet, A., *Monnaies d'Or des Emp. Byz.* Rev. Numismatique, 1910, 1  
78 ff.

كثراً . وحوّل جميع كنائسها إلى جوامع ما عدا كنيسة القديس ديمتريوس<sup>١</sup> .

وفي هذه الآونة نفسها تمكن قسطنطين باليولوغوس من احتلال بتراس ومن تصفيه أمراء آخية الأفرنج . فعاد العنصر اليوناني إلى السيطرة في بلاد اليونان بعد عراك طويل بينه وبين العنصر اللاتيني بدأ في أيام ميخائيل الثامن<sup>٢</sup> .

مجمع فواري : ( ١٤٣٨ - ١٤٣٩ ) وعظم على يوحنا الثامن سقوط ثيسالونيكيية في يد الاتراك ، وأفزعه تقدم مراد وانتصاره ، فهرع يرمي حصنون العاصمة . ولا تزال بعض النقوش اليونانية الباقيه تنطق باهتمام يوحنا بالأسوار والمحصون . وهاله تخاصم الجنويين والبنادقة في هذا الطرف الحرج<sup>٣</sup> . وما زاده اضطراباً وقلقاً انه لم يكن له ولد ذكر يخلفه وان افراد اسرته المالكة لم يتتفقوا على احد منهم . وقضى العرف والقانون بان يتولى الحكم بعده اخوه الاصغر الديسبوتس ثيودوروس . ولكن الفسيلفس رأى في أخيه قسطنطين شخصية أقوى وأليق وأجدر . والمؤسف المؤلم الذي حز في صدر يوحنا ان المرشحين الاثنين خطباً ود مراد الثاني واستعداً لحرب اهلية مرّة ( ١٤٣٥ - ١٤٣٦ )<sup>٤</sup> .

وقام في الغرب آنئذٍ من طالب باصلاح الكنيسة رأسها واعضاءها وبوضع حدٍ لخروج يوحنا هو واتباعه . فالتأم مجمع مسكوني غربي في مدينة بازل ( ١٤٣١ - ١٤٤٨ ) للنظر في هذين الامررين . وعلم

Anagnostes, J., *Extremo*, 481-538.

Bréhier, L., *Byzance*, 486.

Bréhier, L., *Byzance*, 489.

Phrantzes, J., *Chron.*, II, 12.

• ١

٢

٣

٤

الآباء المجتمعون بفوز الاتراك في البلقان وبعظم شوكتهم ففاضوا يوحنا الثامن في كيفية التعاون بين النصارى للصود المشر في وجه الاتراك. وتبادل الطرفان الوفود وقام إلى بازل وفد ارثوذكسي . وأشهر أعضاء هذا الوفد الاب ازيدوروس الذي أصبح فيما بعد رئيس اساقفة موسكو . ووصل هذا الوفد إلى بازل وبات ينتظر البحث في التفاهم والاتحاد بين فرعى الكنيسة الأم الرئيين . ولكن اساقفة الغرب تشاحدوا كثيراً في تعين المكان الذي يلتئم فيه مجمع مسكوني جديد ثم انقووا على ارجاء البحث في قضية التعاون بين الكنيستين إلى أن يكونوا قد حلوا مشكلة يوحنا هوس وأتباعه . فقضب ارثوذكسيون لكرامتهم وظنوا أن اخوانهم الغربيين الكاثوليكين إنما ساواوا بين ارثوذكسيين «الحقيين» وبين المراطقة . وعلمت الاوساط الالكيريكية والشعبية في الشرق بما جرى فهبت عاصفة هوجاء من الاستياء في عاصمة ارثوذكبية<sup>١</sup> .

ولم يرض البابا عن البحث في اصلاح رأس الكنيسة ولم يحضر اجتماعات بازل . ولكنه اهتم لسير الحوادث السياسية في البلقان اهتماماً كبيراً . ففاتح يوحنا الثامن كلاماً مستقلأً في الموضوع نفسه الذي فاوض بشأنه الاساقفة المجتمعون في بازل . وكان يوحنا على ما كان عليه من قلق واضطراب فقبل باقتراح اوجانيوس الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧) واقتراح عقد مجمع مسكوني في القسطنطينية . ولكن البابا رأى أن يعقد هذا المجمع في بلد ايطالي وسط بين الشرق والغرب ووعد بدفع نفقات الأعضاء ارثوذكسيين ودعا إلى مجمع مسكوني في فرارى وقبل يوحنا الثامن وترأس الوفد بشخصه وضم إليه آخاه والبطريريك يوسف ومرقس متروبوليت إفسس ويساريون العالم الاديب والاكليريكي الكبير سيلفاستروس

الذى أصبح فيما بعد مؤرّخ هذا المجمع *Sylvestrus Syropoulos* وعددًا غير قليل من الاكليروس والشعب . وأوفد أمير موسكو ازيدوروس رئيس أساقفة موسكو وعددًا من الاكليروس والشعب<sup>١</sup> .

وعارض الفسيلفس في سياسته هذه عددًا غير قليل من وجهاء الروم من رجال الدين والدنيا فأكدوا ليوحنا « ان عمله هذا يؤدي حتماً إلى ضياع الارثوذكسيّة النقية والى عودة الالatin إلى الحكم في الشرق بسابق فظاظتهم وجشعهم<sup>٢</sup> ». وافضل مثال على هذه المعارضه الشديدة ما كتبه يوسف برينيوس *Bryennius* في اوائل هذا القرن الذي نحن بصدده . فانه قال : « ولا ينخدع احد منكم بالرجاء الفارغ بان جيوش الحلفاء الایطالين سيفتحون علينا ان عاجلاً او آجلاً . وان هم تظاهروا بالدفاع عنا فانهم سيحملون السلاح للقضاء على مدینتنا وجنسنا واسمنا<sup>٣</sup> » .

وعارض البابا في دعوة المجمع المسكوني الى الانعقاد في فاري عدد من الاساقفة اعضاء المجمع المنعقد في بازل ، وأبوا ان يطيعوا أمره . وظلوا في بازل مجتمعين . ورفعوا سلطته !

وقد جمع يوحنا ، قبل ان يروح القسطنطينية ، مجلساً من وجهاء وبسط امامه وجهه نظره مجدداً ، فتجددت المعارضه في شخص جاورجيوس سكولاريوس *Scholarios* وغيره . وابدى البطريق يوسف رأيه فإذا به يعارض ايضاً . واضطر يوحنا الى ان يستاذن سيده مراداً الثاني فلم يوفق هذا على خطه الفسيلفس . وبعد ان قام الوفد من القسطنطينية أحب مراد ان يقتحم اسوارها ولكنـه أصـفـى الى مشورة وزير خليل

*Vast, H., Le Cardinal Bessarion, 43; Bréhier, L., Byzance, 491;* ١

*Vasiliev, A. A., Byz. Emp. 672-673.*

*Vasiliev, A. A., Byz. Emp. 672.*

٢

*Kalogeras, Marcos etc., 70; Norden, W., Das Papsttum und Byzanz, 781.* ٣

فعدل.<sup>١</sup>

ووصل الوفد الارثوذكسي الى البندقية في الثامن من شباط سنة ١٤٣٨ . وفي اوائل آذار التالي وصل الى فرارى وببدأ اعمال الجموع . وبحث بادىء ذي بدء في برنامج العمل فألح يوحنا على ان يبدأ في السياسة وال الحرب ولكن الاساقفة الغربيين رأوا غير ذلك . وكانوا اكثريه غالبية فبوشر في بحث نقاط الخلاف بين الكنيستين . وطال الجدل ، وقالت الاكثريه بوجوب حصر البحث في نقاط اربع : انبات الروح القدس ، واستعمال الفطير ، ونوع آلام المطهر ، ورؤاسة البابا . وأكده متروبوليت افسس ان القول بالانبات من ابن أمر احدثه روما . وجادله في هذا بين البابا الكرديناز يوليانيوس قصريني . ثم انتشر الطاعون في فرارى وأصاب بعض اعضاء الجموع فانتقل الجميع الى فلورنسة في العاشر من كانون الثاني سنة ١٤٣٩ . وأختدم الجدل مرة ثانية حول هذه النقاط وامتنع البطريرك وغيره عن موافقة الاساقفة الغربيين وأيد هؤلاء كل التأييد ازيدور رئيس اساقفة موسكوا وشد ازره بيساريون العالم . وسم الفسيفس هذه المشادة وهذا الجدل ومل<sup>٢</sup> وكاد يغادر فلورنسة . وتوفي البطريرك قبل الوصول الى نتيجة حاسمة . وظل مرقس رئيس اساقفة افسس متمسكاً بوجهة النظر الارثوذكسيه حتى النهاية . وثار الفسيفس في تأييد الاساقفة الغربيين . فاتخذت قرارات معينة وأعلن اتحاد الكنيستين في السادس من تموز سنة ١٤٣٩ .<sup>٣</sup>

ولا تزال فلورنسة حتى يومنا هذا تفاخر بما جرى فيها فتعرض في

Phrantzes, G., Chron. II, 13 ; Bréhier, L., Byzance, 493.

١

Hofmann, G., Konzilsarbeit in Ferrara, Orient. Christl. Periodica, 1937, ٢  
110-140, 403-455, 1938, 157-188, 372-433 ; Jugie, M., Schisme Byzantin,  
(1941), 264-270.

في احدى دور كتبها Biblioteca Laurenziana نسخة معاصرة عن قرار الاتحاد باللغات اللاتينية واليونانية والصقلية . ولا تزال كنيسة Santa Maria Novella المسكوني يوسف المشار اليه . ولا تحفظ بأثر تذكاري لوفاة البطريرك المسكوني يوسف المشار اليه . ولا يزال الناظر الى مدخل كنيسة القديس بطرس في رومه يشاهد نقوشاً صغيرة تحمل ذكر ابخار يوحنا الثامن من القسطنطينية ووصوله الى فراري وجلوسه في فلورنزا وعودته من البندقية . اما تمثال يوحنا الثامن الذي لا يزال يعرض في متحف البروباغندة في رومه فانه في الارجح مزور من صنع احد النحاتين الايطاليين في القرن الماضي<sup>١</sup> .

وعاد يوحنا الثامن الى الشرق وعاد الوفد بأكمله . فالتف حول مرقس متروبولييت افسس عدد كبير من المعارضين . ورجع عدد كبير من وقع صك الاتحاد عن توقيعهم . ووقف امير موسكوف رئيس الاساقفة ازيدور ولقبه بالذئب بدلاً من الراعي . واجتمع بطاركة الاسكندرية وانطاكيه واوروشليم في جمع محلی في اوروشليم سنة ١٤٤٣ وشجبوا قرارات فلورنزا ووصووها بالذئنس<sup>٢</sup> . ويرى بعض العلماء ان أقطاب الكنيسة الارثوذكسيه اجتمعوا في السنة ١٤٥٠ في كنيسة الحكمة الاهمية في جمع مسكوني ارثوذكسي فشجبوا الاتحاد ومن قال به . واول من نشر اعمال هذا الجمع لاوونت اتاليوس الايطالي وذلك في القرن السابع عشر . ومنذ ذلك الحين وعلماء الكنيسة معسكران فنهم من يقول بصحه هذه الاعمال ومنهم من ينكر انعقاد هذا الجمع . وأشهر من يؤيد الصحة العالم الالماني درايزكه والعالم الافرنسي براهيه<sup>٣</sup> . وفي

Vasiliev, A. A , Byz. Emp. 674.

Allatius, L., Ecclesiae Occidentalis, III, (4), 939; Diehl, C., Europe Orientale, 363-364.

Draseke, J., Zum Kircheneinigungsversuch des Jahres 1939, (Byz. Zeit.), 1896, 580; Bréhier, L., Attempts at Reunion of the Greek and Latin Churches, Camb. Med. Hist., IV, 624-625.

طليعة الآخرين العالم ببابايوانو اليوناني ولبديف الروسي<sup>١</sup>. وبرى العلامة المعاصر فازيليف الروسي انه ليس هنالك دليل كاف يؤيد رجوع قسطنطين الحادى عشر عن الاتحاد . ولكن ليس هنالك اي اختلاف في انه لدى سقوط القسطنطينية في يد الاتراك (١٤٥٣) رقى السدة المسكونية البطريريك جناديوس وان هذا البطريريك الذي كان قد اشتراك في اعمال فلورنزة بصفته جاورجيوس سكولاريوس كان قد عاد عن اتحاد الكنيستين<sup>٢</sup>.

**موقف مراد الثاني :** وبرَّ البابا او جانيوس الرابع بوعوده في فلورنزة فحضر جميع ملوك النصارى على انقاد الروم من الخطر التركى . فلبى هذا النداء الفونزرو الخامس ملك ارغونة ، ولاديسلاس ملك المجر ، ويوحنا هونيادي امير ترانسلفانيا ، وعدد كبير من الفرسان الامان والافرنسيين والمجريين والبولونيين . وفي توز السنة ١٤٤٣ غادر هؤلاء الصليبيون بودا وعبروا الدانوب فرحب بهم الصرب والبلغار واحتلوا صوفيا . وكان مراد الثاني منهمكاً في اخضاع ابراهيم بك امير القرمان . فهرع الى البلقان وحارب الصليبيين في كونوفيتسا Kounovitsa في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٤٤٣ فكسره هونيادي فيها وأكرهه على المهادة لمدة عشر سنوات على ان يتنازل عن العرب ويعطي الفلاح للمجر<sup>٣</sup> . وكانت جاورجيوس كستريوطه Castriota «اسكندر بك» قد رفع راية الثورة ضد العثمانيين في الباذية وحرر كل ما وقع بين فوروسة وارتة . ونهض قسطنطين باليولوغوس ديسبوتis المورة فرمم خط الدفاع عن بوزخ كورنثوس وفرض سلطته على جميع المورة .

Papaioannu, K., So-Called Council of Sophia, Vizantiyski Vremennik, ١

II, 394-413 ; Lebedev, A., Essays on Byz. East. Ch., 294.

Vasiliev, A. A., Byz. Emp. 675.

Iorga, N., Notices, II, 395.

٢

٣

موقعة ورنة : (١٤٤٤) ثم رأى مراد الثاني ان يستريح من عناء الملك فنزل عن العرش لابنه محمد الثاني وكان حديث السن لا يتجاوز الرابعة عشرة . وأقام مراد في مغنية في آسية الصغرى يطلب الراحة . فلما رأى الكردينان قيصراني ويونينا الثامن ذلك خضا لاديسلاس ملك المجر على ان يغتنم هذه الفرصة لمتابعة النصر . واعتبر الكردينان العهود التي تعطى لغير المؤمنين غير ملزمة اصحابها . فادعى لاديسلاس ان العثمانيين لم ينفذوا شروط الصلح اذ انهم لم يتخلوا عن جميع الحصون في بلاد الصرب ، فنقض عهده معهم وأمر يوحنا هونيادي بالزحف على الاراضي العثمانية . فتقدم هذا في بلغاريا واستولى على كثير من حصونها ووصل الى ساطئ البحر الاسود . وعلم مراد بذلك فرجع الى الملك وسار بجيش الى بلغاريا . والتقي لاديسلاس وهو نيديا خارج ورنة Varna في التاسع من تشرين الثاني سنة ١٤٤٤ . وأمر بان تحمل بين الاعلام صورة المعاهدة المنقوضة . فأنزل بالصليبيين هزيمة شنعاء « بفضل حمق الملك لاديسلاس الذي لم يكن يتتجاوز العشرين من عمره والذي تأكل نفسه الحسد لانتصارات هونيادي فبرح المكان المعين له وصرع في هجوم شنه على الانكشارية » .

مراد وقسطنطين باليولوغوس : ولم يفت هذا في ساعد قسطنطين ديسبوتس المورة فانه حالف ديسبوتس الصرب وقطع بربخ كورنثوس واستولى على بلاد اليونان الوسطى . فقام اليه مراد الثاني في السنة ١٤٤٦ وكسره في ثيبة . ثم دك حصن البربخ واكتسح المورة وسبى من ابنائها ستين الف رقيق . فدخل قسطنطين في طاعة السلطان في ربیع السنة ١٤٤٧ .

**موقعة قوصوة:** (١٤٤٨) وفي خريف السنة ١٤٤٨ عاد مراد الثاني الى القتال في البايرية ليخضع اسكندر بك . فهبَّ البابا نيكولاوس الخامس يحضُّ المؤمنين على القتال ولاسيما المجريين والبولنديين . وترعم هذه الحركة يوحنا هونيادي الوصي على ابن لا ديسلاس القاصر . ونجح هونيادي في تنظيم جيش مؤلف من اربعة وعشرين الف مقاتل . وأحسن تنظيمه وتدريبه وتقدم به عبر بلاد الصرب الى ميدان قوصوة حيث التقى مراد الثاني وجيوشه . واستمر القتال يومين كاملين كانت الحرب فيها سجالاً . وفي اليوم الثالث خان هونيادي الجنود الفلاحين وعددهم ثمانية آلاف . فانتصر مراد الثاني . وحاول هونيادي ان يشق طريقه عبر الدانوب فوقع في ايدي الصرب الذين كانوا قد امتنعوا عن التعاون معه منذ اعلان الحرب . فاضطر الى ان يعقد صلحًا لم يكن في مصلحته . ولما اسكندر بك الى اعلى التلال وتبع الحرب ضد الاتراك وحده حتى السنة ١٤٦٨ .

**وفاة يوحنا الثامن:** وتوفي الفسليفس يوحنا الثامن بعد قوصوة باسبوعين في السنة ١٤٤٨ . وكان قد تزوج ثلاثة : حنة ابنة باسيليوس الاول دوق موسكو ولكنها توفيت بداء الطاعون بعد ثلاث سنوات . ثم تزوج من صوفية مونتفرات الايطالية ، ولكنها كانت قبيحة سمعة فتركته وحده وعادت الى بلادها وتوفيت فيها . فاقترب يوحنا عندئذٍ بريم كومينوس من افراد الاسرة المالكة في طرابزون . ولكنه على الرغم من هذا كله لم يرزق ولداً يخلفه في الحكم . ولدى وفاته تدخل مراد الثاني في أمر الخلافة فتُزوج قسطنطين باليولوغوس ديسپوتس المورة فسليفساً في ميسترة في السادس من كانون الثاني سنة ١٤٤٩ .

**قسطنطين الحادي عشر:** (١٤٤٩ - ١٤٥٣) ودخل قسطنطين الحادي عشر القسطنطينية في الثاني عشر من آذار سنة ١٤٤٩ فاستقبله الشعب

بابتهاج عظيم . وكانت علاقاته مع الاتراك طيبة للغاية فعاهد مراداً الثاني على الولاء في الخامس والعشرين من الشهر نفسه . ولم يعن بالأسوار والمحصون ولم يتصل برومة ليثبت لها ان اتحاد الكنيستين كان لا يزال قائماً في نظره . وجدد المدنة بين الروم والبنادقة . ولم يقلقه في اول عهده سوى طمع اخويه توما وديتريوس في الحكم في المورة . ففي السنة ١٤٥١ استولى توما على جزءٍ من مقاطعة اركادية التابعة لحكم ديتريوس ، فاستعلن هذا بطره خان حاكم ثيسالية التركى ، فأعاد هذا الى ديتريوس ما كان قد سلبه اخوه توما . ثم توفي مراد الثاني في الثاني من شباط سنة ١٤٥١ ، فاكفهر جو العلاقات الرومية التركية وعظم الحطب .

**محمد الثاني والقسطنطينية :** ( ١٤٥١ - ١٤٥٢ ) واستهل محمد حكمه بان أمر بقتل أخيه الطفل احمد . وحاول ابراهيم امير القرمان ان يشق عصا الطاعة فقام محمد اليه مقاتلاً فأخضعه . وبينما كان منهكًا في هذا العمل كان وزير خليل باشا يفاوض قسطنطين الحادي عشر في مصير الامير اورخان حفيد سليمان العثماني الذي كان لا يزال في القسطنطينية . فطالب قسطنطين بضاغة المبلغ الذي كان يدفع الى الفسيفس لقاء احتفاظه باورخان .

وعاد محمد الثاني الى ادرنة فعلم بطلاب قسطنطين الحادي عشر ، فوقع في العاشر من ايلول من هذه السنة نفسها ( ١٤٥١ ) معااهدة مع البنديقة التي كانت تستعد لحرب ضد جنوبي . وفي العشرين من تشرين الثاني تم التفاهم بينه وبين يوحنا هونياتي . فتعهد السلطان الجديد بان يكتفى عن تحريض هومبودار الفلاح على المجر وعن انشاء الحصون عند الدانوب مقابل سلم وأمان بين الطرفين<sup>١</sup> . وصادق في الوقت نفسه جنوبي وراغوسة وفرسات

رودوس<sup>١</sup>. وفي تشرين الاول من السنة ١٤٥٢ أُنْفَذَ السلطان حاكم  
ثيسالية بقوة عسكرية الى المورة ليستولي عليها ويمنع اميرها توما وديتريوس  
من مساعدة قسطنطين الحادي عشر عند الحاجة<sup>٢</sup>. وقام في الوقت نفسه  
تقريباً بمحاربة اسكندر بك في البانيا لان ألفونزو ملك نابولي كان قد  
أنزل بعض القوات على شاطئ البانيا<sup>٣</sup>.

وفي آذار السنة ١٤٥٢ كان محمد قد بدأ بإنشاء قلعة بالقرب من  
القسطنطينية أطلق عليها اسم روم ايلي حصار ليهدد بها البحار من مرفاً  
القسطنطينية واليه. فقامت هذه القلعة في الساحل الاوروبي مقابل كوزل  
حصار التي كان بايزيد قد انشأها على الشاطئ الاسيوى. فأرسل قسطنطين  
وفداً يتحج على ذلك. فأمر محمد بهم فقطعت رؤوسهم. وبذلك بدأت  
الحرب<sup>٤</sup>.

**قسطنطين الحادي عشر يستعد :** (١٤٥٢) وفي ربيع السنة ١٤٥٢  
وصيفها رمم قسطنطين الاسوار والمحصون وذخر المؤت وقت الحصار.  
وراسل يوحنا هونيادي مقدماً سليمبرية ، والفونزو الخامس واهباً جزيرة  
مانوس ، ولوّح بامتيازات هامة لكل من البندقية وجنوبي . وكتب الى  
البابا نيكولاوس الخامس . ولكنه لم يتلقَّ من الغرب شيئاً سوى شخص  
ايزودور الذي كان قد أصبح كرديناً بعد خروجه من موسكو . فانه  
 جاءَ من روما موجباً اعلان اتحاد الكنيستين في كنيسة المحكمة الالمانية  
وذكر البابا في الذبيحة . فضغط الفسليفس على بعض رجال الاكليرicos  
العالي وأقام في الثاني عشر من كانون الاول من السنة ١٤٥٢ قداساً

Diehl, C., *Europe Orientale*, 370.

١

Zakythinos, D. A., *Despotat*, 246-247.

٢

Gegaj, *Albanie et Invasion Turque*, 97-99.

٣

Critobule a'Imbros, H st., 30, ff.

٤

حافلاً في كنيسة الحكمة الالهية بوجب الطقس اللاتيني . وما ان فعل حتى  
 ضجت المدينة بالاحتجاج والسطخ وانتقد عالم المورة وفيلسوفها قول اللاتين  
 بانشق الروح القدس من الآب والابن وأوجع الفسيفس لوماً لانه جلأ  
 الى الضغط في هذه القضية . وترעם جناديوس العالم هذه المعارضة ، وأعلن  
 الدوق الكبير نوتاراس Notaras انه يؤثر عمامٌ شيخ الاتراك على تيجان اساقفة  
 اللاتين<sup>۱</sup> . وببدأ الحصار وظل قسطنطين يسعى لاستدرار المعونة من الغرب .  
 ولكنه لم يلق سوي سبع مئة محارب بقيادة يوحنا الغوستينياني الجنوبي .  
 وألح سفير البندقية وممثل البابا على الاميرال غبرياں تريفيزانو Trevisano  
 الذي كان قد واكب الكرديناں ايزيدور ان يبقى في مياه القسطنطينية .  
 ولكن ربابة البارج آثروا الخروج على البقاء . وهذا حذفهم اهل الخل  
 والربط من رجال الجالية الجنوبية في بيرا . فقالوا بان بقاءهم على الحياد  
 يكون في صالح الروم اذ يتمكنون عندئذٍ من ادخال المعونة الى  
 العاصمة .

ويستدل من افضل المراجع الاولية على ان عدد المحاربين في عاصمة  
 الروم آتئذٍ لم يتجاوز الـ ۴۹۷۳ رجلاً وان عدد الاجانب المقاتلين  
 معهم تراوح بين الالفين والثلاثة آلاف وان سلاح هؤلاء جميعاً كان  
 ايضاً وانه لم يكن لديهم سوى بعض المدافع المتوسطة الحجم وان القوة  
 البحرية كانت مؤلفة من سبع بوارج وان الذخيرة لم تكن كافية وان  
 الفسيفس اخطر الى ان يسک النقود من فضة الكنائس<sup>۲</sup> .

حصار القسطنطينية : ( ۷ نيسان - ۲۹ ايار ) وفي الثاني من نيسان  
 سنة ۱۴۵۳ مـ الروم السلسلة العظيمة فأففلوا بها مدخل القرن الذهبي .

Diehl, C., *Europe Orientale*, 371-372.

۱

Phrantzes, G., *Chron.*, III, 3, 338; Leonare de Chio, *Lettre*, P. G., 934-936.

وفي الخامس منه وصل محمد الفاتح بجيشه الى الاسوار بستين الف مقاتل وبعد كثير من الدراويش والتجار والقلاхи العزل الذين استهواهم النهب والسلب . وفي السابع من الشهر نفسه ارسل السلطان الى الفسيفس انذاراً رسمياً بوجوب تسليم المدينة ، فرفض ، فبدأ الحصار .

وكان قد وفد على قسطنطين الحادي عشر مغامر مجرى اسمه اوربانوس عرض عليه اعداد مدفعية قوية تسهل الدفاع عن العاصمة ضد الاتراك . فقبل الفسيفس ولكنه لم يتمكن من دفع التعويضات التي طلبها هذا المجرى . فيخرج اوربانوس من القسطنطينية ووفد على سلطان الاتراك (١٤٥٢) واستأذنه في صنع مدفع جبار يقذف قنابل ضخمة مؤكداً ان هذه المقذوفات تدك اسوار القسطنطينية دكاً . فتحمس السلطان الذي وأمر بوضع كميات غير محدودة من البرونز تحت تصرف اوربانوس . فصنع هذا منها مدفعاً جباراً طول ماسورته سبعة امتار وقطر فوهته متر . وعملاً بنصيحة اوربانوس أمر محمد الفاتح بان يوضع المدفع على مركبة ذات ست عجلات صنعت من خشب السنديان القوي . اما القذائف فقد جعلها اوربانوس من الحجر وزن الواحدة منها حوالي سبع مئة كيلو . ونقل هذا المدفع الى ادرنة وجرب في ضواحيها فإذا به يقذف هذه القنابل الى مسافة كيلومتر واحد او اكثر قليلاً . فسرّ السلطان بالنتيجة وأمر بنقل المدفع الى جوار القسطنطينية . فجرّ هذا المدفع مئة ثور وقطع المسافة بين ادرنة والقسطنطينية في خمسة وستين يوماً . وكان لدى الروم مدفع ولكنها كانت صغيرة الحجم لا تقوى على رد المثل . ومن هنا قول كريتوبيوس المؤرخ المعاصر : « ان القول الفصل في الحصار كان للمدفعية » . وخشي السلطان معونة مجرية من الغرب فأذناً منذ السنة ١٤٥٢ اسطولاً حربياً مؤلفاً من مئتين وخمسين بارجة ما عدا مراكب النقل . فاجبر هذا الاسطول عند بدء الحصار من بحر مرمرة

ورسا في مياه البوسفور .

وفي الثامن عشر من نيسان أمر السلطان بهجوم عام ولكنه نكس على اعقابه . وحاول اقتحام مداخل القرن الذهبي فلم يفلح . وفي العشرين من نيسان أطْلَى من بحر مرمرة اسطول غربي مؤلف من اربع بوارج وثلاث ناقلات كبيرة . فأمر السلطان قائد اسطوله باطه اوغلو بصدتهم عن الوصول الى القسطنطينية و بتدميرهم . ونشب القتال بين الطرفين برأى من السلطان . وانتصر الاسطول الجنوبي القادم على الاسطول التركي المدافع . فاستشاط محمد غيظاً وأراد ان يقطع رأس باطه اوغلو بيده . ووصل الاسطول الجنوبي الى القرن الذهبي واذا به ينقل الحبوب من صقلية الى العاصمة .

وكان السلطان قد بدأ بهاجمة الاسوار الغربية وكانت تتد من القرن الذهبي الى بحر مرمرة . ثم رأى على ضيخته مدفعه انه لا يستطيع التغلب على الاسوار لمناعتها وعظم سماكتها . فعوّل على هاجمة المدينة من أضعف جهاتها وهي الجهة المشرفة على القرن الذهبي . وكان يحمي الاسوار المشرفة على القرن الذهبي سلسلة عظيمة عند مدخل هذا القرن ووراءها مراكب حربية . فرأى السلطان ان ينقل قسماً من سفنه برأ وينزلها في مياه القرن الذهبي وراء البارج الرومية التي تحمي مدخل هذا القرن . فمهد طريقاً برياً بين البوسفور والقرن الذهبي بلغ طولها حوالي ثلاثة كيلومترات . ووضع عليها عوارض ضخمة من الخشب تتدحرج عليها اسطوانات طويلة خشبية . وسيراً فوق هذه ستين او سبعين سفينه من اسطوله ، فجرت عليها هذه السفن حتى بلغت القرن الذهبي ، فنزلت فيه بلا عناء . وكان السلطان في اثناء نقل هذه السفن يضل حامية القسطنطينية بالقصف بالمدافع من الجهات الأخرى . وفي صباح الثالث والعشرين من نيسان فوجئت بوارج الروم عند مدخل القرن الذهبي بالنار من امامها ووراءها في آن

واحد . ولم يبقَ امام الروم سوى حيلة واحدة هي حرق السفن التركية التي أدخلت بهذا الشكل الى مياه القرن الذهبي . فأعدوا العدة لذلك وقرروا الهجوم في ليل الثامن والعشرين من الشهر نفسه . ولكن الجنوين في غلطة أعلموا الاتراك بذلك في حينه فاتخذ هؤلاء الاجراءات اللازمة وحالوا دون نجاح الروم .

ودام قصف المدينة بالمدافع اسابيع اربعة . فرأى البطريق والوجهاء والقائد الايطالي غوستينياني ان يغادر الفسيلفس العاصمة ليجيئش الروم في المورة وغيرها ويتلقي المعونة المنتظرة من الغرب . ولكن قسطنطين الحادي عشر آثر الموت مع شعبه في الدفاع عن النفس .

وقام السلطان في السابع من ايار وفي الثاني عشر منه بهجومين عنيفين ولكنه أخفق في المرتين . وفي الحادي والعشرين من ايار حاول قطع السلسلة العظيمة عند مدخل القرن الذهبي فلم يفلح . وفي الثالث والعشرين من هذا الشهر نفسه اوفد محمد الثاني امير سينوب يفاوض الفسيلفس بتسليم المدينة مقابل خروجه منها وخروج من رغب في ذلك من السكان آمنين حاملين كنوزهم وامتاعتهم مقابل تولية قسطنطين على المورة وانه في حال الرفض تؤخذ العاصمة عنوة وتستباح ثم يذبح رجالها ذبحاً وتتابع نساؤها في اسواق الرقيق . فلم يرَ قسطنطين في هذا كله سوى فخ منصوب . فرفض . فعقد محمد في السابع والعشرين مجلساً حربياً لدرس الموقف . فاقتصر خليل باشا رفع الحصار نظراً لما كان قد شاع عن وصول قوة غربية الى مياه خيوس . ولكن محمدأً عارض كل المعارضة وأمر بوجوب الاستعداد لهجوم عام في التاسع والعشرين . وعلم الروم بذلك وقاوموا ببسالة فائقة وردوا الاتراك على أعقابهم مررتين . وكان قد تهدم السور الخارجي بالقرب من باب ادرنة ، فتسدل الانكشاريون من هذه الثغرة الى السور الداخلي . وعلموا من اعوانهم في داخل القسطنطينية ان الباب

الحفي الصغير Kerkoporta الذي كان يطل على الخندق في هذا القطاع نفسه كان مهملاً . فاقتربوا منه إلى داخل المدينة ، فدب الذعر في العاصمة . وكان القائد غوستينياني قد جرح فنقل إلى جزيرة خيروس وتوفي لدى وصوله إليها . وتابع قسطنطين الجهاد وما فتى بحارب حتى خرّ صريعاً في ميدان الشرف . وأباح السلطان المدينة ثلاثة أيام بل ياليها ثم دخلها وذهب تواً إلى كنيسة الحكمة الالهية فصلى على مذبحها وأعلنها مسجداً ، ثم استقر في القصر المقدس . وذبح الاتراك اربعين ألفاً وساقوها إلى أسواق الرقيق خمسين او ستين ألفاً .

### الفتهى

Phrantzes, G.; Chalkokondyles, L.; Pears, E., *Destruction of Greek Empire*; Schlumberger, G., *Sége et Prise de Const.*; Guerdan, R., *Vie, Grandeur et Misères de Byzance*, 205-247.

# الإمبراطرة

( ٢٢٤ - ٦١٠ )

Constantine the Great	٣٣٧ - ٣٢٤	قسطنطين الكبير
Constantine	٤٤٠ - ٣٣٧	قسطنطين
Constans	٣٥٠ - ٣٣٧	قسطنطس
Constantius	٣٦١ - ٣٣٧	قسطنطيوس
Julian the Apostate	٣٦٣ - ٣٦١	يوليانوس الجاحد
Jovian	٣٦٤ - ٣٦٣	يوفيانوس
Valens	٣٧٨ - ٣٦٤	والنس
Theodosius the Great	٣٩٥ - ٣٧٩	ثيودوسيوس الكبير
Arcadius	٤٠٨ - ٣٩٥	اركاديوس
Theodosius II	٤٥٠ - ٤٠٨	ثيودوسيوس الثاني
Marcian	٤٥٧ - ٤٥٠	مرقيانوس
Leo I	٤٧٤ - ٤٥٧	لاون الاول
Leo II	٤٧٤	لاون الثاني
Zeno	٤٩١ - ٤٧٤	زينون
Anastasius I	٥١٨ - ٤٩١	انسطاسيوس الاول
Justin I	٥٢٧ - ٥١٨	يوستينيوس الاول
Justinian I	٥٦٥ - ٥٢٧	يوستينيانوس الاول
Justin II	٥٧٨ - ٥٦٥	يوستينيوس الثاني
Tiberius II	٥٨٢ - ٥٧٨	طيباريوس الثاني
Maurice	٦٠٢ - ٥٨٢	موريقيوس
Phocas	٦١٠ - ٦٠٢	فوقاس

## الفصل الثالث

( ١٤٥٣ - ٦١٠ )

Heraclius	٦٤١ - ٦١٠	هرقل
Constantine II	٦٤١	قسطنطين الثاني
Heracleon (Heracleonas)	٦٤١	هرقليون
Constantine III (Constans II)	٦٦٨ - ٦٤١	قسطنطين الثالث او قسطنطس الثاني
Constantin IV	٦٨٥ - ٦٦٨	قسطنطين الرابع
Justinian II Rhinotmetus	٦٩٥ - ٦٨٥	يوستينيانوس الثاني الاشمر
Leontius	٦٩٨ - ٦٩٥	لاونديوس
Tiberius III	٧٠٥ - ٦٩٨	طباريوس الثالث
Justinian II	٧١١ - ٧٠٥	يوستينيانوس الثاني للمرة الثانية
Philippicus Bardanes	٧١٣ - ٧١١	فيليبيكوس البرداني
Anastasius II	٧١٥ - ٧١٣	انسطاسيوس الثاني
Theodius III	٧١٧ - ٧١٥	ثيودوسيوس الثالث
Leo III	٧٤١ - ٧١٧	لاون الثالث
Constantine V Copronymus	٧٧٥ - ٧٤١	قسطنطين الخامس الربلي
Leo IV Chazar	٧٨٠ - ٧٧٥	لاون الرابع الخزري
Constantine VI	٧٩٧ - ٧٨٠	قسطنطين السادس
Irene	٨٠٢ - ٧٩٧	ايرينا
Nicephorus I	٨١١ - ٨٠٢	نيقيفوروس الاول
Stauracius	٨١١	استوراقيوس
Michael I Rangabé	٨١٣ - ٨١١	ميغائيل الاول
Leo V	٨٢٠ - ٨١٣	لاون الخامس الارمني
Michael II Stammerer	٨٢٩ - ٨٢٠	ميغائيل الثاني الاشع
Theophilus	٨٤٢ - ٨٢٩	ثيو فيلوس
Michael III	٨٦٧ - ٨٤٢	ميغائيل الثالث
Basil I	٨٨٦ - ٨٦٧	باسيليوس الاول
Leo VI Philosopher	٩١٢ - ٨٨٦	لاون السادس الحكمي
Alexander	٩١٣ - ٩١٢	الاسكندر

Constantine VII Porphyrogenitus	٩٥٩ - ٩٩٣	قسطنطين السابع
Romanus I Lecapenus	٩٤٤ - ٩١٩	رومانيوس الاول
Stephen and Constantine	٩٤٥ - ٩٤٢	اسطفانوس وقسطنطين
Romanus II	٩٦٣ - ٩٥٩	رومانيوس الثاني
Nicephorus II Phocas	٩٦٩ - ٩٦٣	نيقيفوروس الثاني
John I Tzimisces	٩٧٦ - ٩٦٩	يوحنا الاول جيمسكي
Basil II Bulgaroctonus	١٠٢٥ - ٩٧٦	باسيليوس الثاني
Constontine VIII	١٠٢٨ - ١٠٢٥	قسطنطين الثامن
Romanus III Argyrus	١٠٣٤ - ١٠٢٨	رومانيوس الثالث
Michael IV	١٠٤١ - ١٠٣٤	ميغائيل الرابع
Michael V Calaphates	١٠٤٣ - ١٠٤١	ميغائيل الخامس
Theodora and Zoë	١٠٤٢	ثيودورا وزوجة
Constantine IX Monomachus	١٠٥٥ - ١٠٤٢	قسطنطين التاسع
Theodora	١٠٥٦ - ١٠٥٥	ثيودورة
Michael VI Stratoticus	١٠٥٧ - ١٠٥٦	ميغائيل السادس
Isaac I Comnenus	١٠٥٩ - ١٠٥٧	اسحق الاول
Constantine X Ducas	١٠٦٧ - ١٠٥٩	قسطنطين العاشر
Romanus IV Diogenes	١٠٧١ - ١٠٦٧	رومانيوس الرابع
Michael VII Ducas Parapinakes	١٠٧٨ - ١٠٧١	ميغائيل السابع
Nicephorus III Botaniates	١٠٨١ - ١٠٧٨	نيقيفوروس الثالث
Alexius I Comnenus	١١١٨ - ١٠٨١	اليكسيوس الاول
John II	١١٤٣ - ١١١٨	يوحنا الثاني
Manuel I	١١٨٠ - ١١٤٣	عمانوئيل الاول
Alexius II	١١٨٣ - ١١٨٠	اليكسيوس الثاني
Andronicus I	١١٨٥ - ١١٨٢	اندرونيكوس الاول
Isaac II Angelus	١١٩٥ - ١١٨٥	اسحق الثاني
Alsxius III	١٢٠٣ - ١١٩٥	اليكسيوس الثالث
Isaac and Alexius IV	١٢٠٤ - ١٢٠٣	اسحق واليكسيوس الرابع
Alexius V Mourtzouphlos	١٢٠٤	اليكسيوس الخامس
Theodore I Lascaris	١٢٢٢ - ١٢٠٤	ثيودوروس الاول

John III Vatatzes	١٢٥٤ - ١٢٢٢	يوحنا الثالث
Theodore II Lascaris	١٢٥٨ - ١٢٥٤	ثيودوروس الثاني
John IV	١٢٦١ - ١٢٥٨	يوحنا الرابع
Michael VIII Paleologus	١٢٨٢ - ١٢٦١	ميغائيل الثامن
Andronicus II	١٣٢٨ - ١٢٨٢	اندرونيكوس الثاني
Michael IX	١٣٢٠ - ١٢٩٥	ميغائيل التاسع
Andronicus III	١٣٤١ - ١٣٢٨	اندرونيكوس الثالث
John V	١٣٩١ - ١٣٤١	يوحنا الخامس
John VI Cantacuzene	١٣٥٤ - ١٣٤١	يوحنا السادس
Andronicus IV	١٣٧٩ - ١٣٧٦	اندرونيكوس الرابع
John VII	١٣٩٠	يوحنا السابع
Manuel II	١٤٢٥ - ١٣٩١	مانويل الثاني
John VIII	١٤٤٨ - ١٤٢٥	يوحنا الثامن
Constantine XI	١٤٥٣ - ١٤٤٩	CONSTANTINE XI

## اباطرة «رومانية» اللاتينية

١٢٦١ - ١٢٠٤

Baudouin I	١٢٠٦ - ١٢٠٤	بردويل الاول
Henri de Hainaut	١٢١٦ - ١٢٠٧	هنريكيوس الهيناوي
Pierre de Courtenay	١٢١٨ - ١٢١٧	بطرس الكرتناوي
Yolande de Hainaut	١٢٢٠ - ١٢١٨	يولندة الهيناوية
Rabert de Courtenay	١٢٢٨ - ١٢٢١	روبرتوس الكرتناوي
Baudouin II	١٢٦١ - ١٢٢٨	بردويل الثاني
Jean de Brienne	١٢٣٧ - ١٢٣١	يوحنا البريانى

# ملوك أورشليم اللاتينيون

١٢٠٥ - ١٠٩٩

Godefroy de Bouillon	١١٠٠ - ١٠٩٩	غودفري
Baudouin I	١١١٨ - ١١٠٠	بردوبل الاول
Baudouin II	١١٣١ - ١١١٨	بردوبل الثاني
Foulque d'Angou	١١٤٣ - ١١٣١	فولك انجو
Boudouin III	١١٦١ - ١١٤٣	بردوبل الثالث
Amaury I	١١٧٤ - ١١٦١	أموري الاول
Baudouin IV	١١٨٥ - ١١٧٤	بردوبل الرابع
Baudouin V	١١٨٥	بردوبل الخامس
Henri de Champagne	١١٩٥ - ١١٩٢	هريكيوس
Amaury II de Lusignan	١٢١٠ - ١١٩٧	أموري الثاني
Jean de Brienne	١٢٢٥ - ١٢١٠	يوحنا البريانى
Frédéric II Emp.	١٢٥٠ - ١٢٢٥	فريدريكوس الثاني
Conrad	١٢٥٤ - ١٢٥٠	كونراد
Conradin	١٢٥٧ - ١٢٥٤	كونرادين
Hugues II	١٢٦٩ - ١٢٥٧	هوج الثاني
Hugues III	١٢٧٧ - ١٢٦٩	هوج الثالث
Charles d'Anjou	١٢٨٤ - ١٢٧٧	كارلوس انجو
Jean I	١٢٨٥ - ١٢٨٤	يوحنا الاول
Henri II	١٢٨٥	هريكيوس الثاني

# بطاركة روما الجديدة

١٤٥٣ - ٣٢٤

Alexander I	٣٣٧ - ٣١٤	الكستندروس الاول
Paul I	٣٣٩ - ٣٣٧	بولس الاول
Eusebius	٣٤١ - ٣٣٩	يوسيبيوس
Paul I	٣٤٢ - ٣٤١	بولس الاول ( ثانية )
Macedonius	٣٤٦ - ٣٤٢	مقدونيوس الاول
Paul I	٣٥١ - ٣٤٦	بولس الاولى ( ثالثة )
Macedonius	٣٦٠ - ٣٥١	مقدونيوس الاول ( ثانية )
Eudoxius	٣٧٠ - ٣٦٠	افذوكسيوس
Demophilus	٣٨٠ - ٣٧٠	ديوفيلوس
Evagrius	٣٧٠	إفاغريوس
Gregorius	٣٨١ - ٣٧٩	غريغوريوس الاول النازيانزي
Maximus	٣٨٠	ماكسيموس الاول
Nectarius	٣٩٧ - ٣٨١	نيقيطاريوس
<u>Jean Chrysostomus</u>	٤٠٤ - ٣٩٨	يوحنا الذهبي الفم
Arsacius	٤٠٥ - ٤٠٤	ارساكيوس
Atticus	٤٢٥ - ٤٠٦	اتيكتوس
Sisinnius	٤٢٧ - ٤٢٦	سيسينيوس الاول
Nestorius	٤٣١ - ٤٢٨	نسطوريوس
Maximianus	٤٣٤ - ٤٣١	ماكسيميانيوس
Proclus	٤٤٦ - ٤٣٤	بروقلوس
Flavianus	٤٤٩ - ٤٤٦	فلافيانوس
Anatolius	٤٥٨ - ٤٤٩	أنطوليوس
Cennadius	٤٧١ - ٤٥٨	جناديوس

Acacius	٤٨٩ - ٤٧١	اكاكيوس
Fravitas	٤٩٠ - ٤٨٩	فراوينه
Euphemius	٤٩٦ - ٢٩٠	افيميوس
Macedonius II	٥١١ - ٤٩٦	مقدونيوس الثاني
Timotheus	٥١٨ - ٥١١	تيموثاوس
Jean II	٥٢٠ - ٥١٨	يوحنا الثاني
Epiphanius	٥٣٥ - ٥٢٠	ابيغانيوس
Anthimius I	٥٣٦ - ٥٣٥	انثيموس الاول
Menas	٥٥٢ - ٥٣٦	ميناس
Eutychius	٥٦٥ - ٥٥٢	افتيخيوس
Jean III	٥٧٧ - ٥٦٥	يوحنا الثالث
Eutychius	٥٨٢ - ٥٧٧	افتيخيوس ثانية
Jean IV	٥٩٥ - ٥٨٢	يوحنا الرابع الصائم
Cyriacus	٦٠٦ - ٥٩٥	كيرياكوس
Thomas I	٦١٠ - ٦٠٧	توما الاول
Sergius I	٦٣٨ - ٦١٠	سرجيوس الاول
Pyrrhus	٦٤١ - ٦٣٨	بروس
Paul II	٦٥٤ - ٦٤١	بولس الثاني
Pyrrhus	٦٥٥	بروس ثانية
Pierre	٦٦٦ - ٦٥٥	بطرس
Thomas II	٦٦٩ - ٦٦٧	توما الثاني
Jean V	٦٧٥ - ٦٦٩	يوحنا الخامس
Constantin I	٦٧٧ - ٦٧٥	قسطنطين الاول
Theodorus I	٦٧٩ - ٦٧٧	ثيودوروس الاول
Georges I	٦٨٦ - ٦٧٩	جاورجيوس الاول
Theodorus I	٦٨٧ - ٦٨٦	ثيودوروس الاول ثانية
Paul III	٦٩٤ - ٦٨٨	بولس الثالث
Callinicus	٧٠٥ - ٦٩٤	كلينيكوس
Cyrus	٧١٢ - ٧٠٥	كيروس
Jean VI	٧١٥ - ٧١٢	يوحنا السادس

Germanus I	٧٢٩ - ٧٤٥	جرمانوس الاول
Anastasius	٧٥٢ - ٧٢٩	انسطاسيوس
Constantin II	٧٦٥ - ٧٥٣	قسطنطين الثاني
Nicetas I	٧٨٠ - ٧٦٥	نيقيطاس الاول
Paul IV	٧٨٤ - ٧٨٠	بولس الرابع
Tararius	٨٠٦ - ٧٨٤	طراسيوس
Nicephorus I	٨١٥ - ٨٠٦	نيقيفوروس الاول
Theodotus	٨٢١ - ٨١٥	ثيودوتوس
Antonius I	٨٣٢ - ٨٢١	انطونيوس الاول
Jean VII	٨٤٣ - ٨٣٢	يوحنا السابع
Methodius	٨٤٧ - ٨٤٣	مثوديوس الاول
Ignatius	٨٥٨ - ٨٤٧	اغناطيوس
Photius	٨٦٧ - ٨٥٨	فوطيوس
Ignatius	٨٧٧ - ٨٦٧	اغناطيوس ثانية
Photius	٨٨٦ - ٨٧٧	فوطيوس ثانية
Etienne I	٨٩٣ - ٨٨٦	اسطفانوس الاول
Antonius II	٩٠١ - ٨٩٣	انطونيوس الثاني
Nicolas I	٩٠٧ - ٩٠١	نقولا الاول
Euthymius	٩١٢ - ٩٠٨	افثيميوس
Nicolas I	٩٢٥ - ٩١٢	نقولا الاول ثانية
Etienne II	٩٢٨ - ٩٢٥	اسطفانوس الثاني
Tryphon	٩٣١ - ٩٢٨	تريفون
Theophylactus	٩٥٦ - ٩٣٣	ثيوفيلاكتوس
Polyeuctus	٩٧٠ - ٩٥٦	بوليفكتوس
Basilius I	٩٧٤ - ٩٧٠	باسيليوس الاول
Antonius III	٩٧٩ - ٩٧٤	انطونيوس الثالث
Nicolas II	٩٩١ - ٩٧٩	نقولا الثاني
Sisinnius II	٩٩٨ - ٩٩١	سيسينيوس الثاني
Sergius II	١٠١٩ - ١٠٠١	سرجيوس الثاني
Eustathius	١٠٢٥ - ١٠١٩	افستاثيوس

Alexis Studite	١٠٤٣ - ١٠٢٥	اليكسيوس الاستودي
Michael Cerulare	١٠٥٨ - ١٠٤٣	ميغائيل كيرولاريوس
Constantin III Lichoudès	١٠٦٣ - ١٠٥٩	قسطنطين الثالث ليخوندز
Jean VIII Xiphilin	١٠٧٥ - ١٠٦٣	يوحنا الثامن زفلين
Cosmas I	١٠٨١ - ١٠٧٥	قوزما الاول
Eustrathius	١٠٨٤ - ١٠٨١	افستراطيوس
Nicolas III Grammatikos	١١١١ - ١٠٨٤	نقولا الثالث النحوي
Jean IX Hiéromnémon	١١٣٤ - ١١١١	يوحنا التاسع
Leon Stypiotes	١١٤٣ - ١١٣٤	لاون
Michael II Curcuas	١١٤٦ - ١١٤٣	ميغائيل الثاني
Cosmas II Atticus	١١٤٧ - ١١٤٦	قوزما الثاني
Nicolas IV Mauzalon	١١٥١ - ١١٤٧	نقولا الرابع موزالون
Theodotus II	١١٥٣ - ١١٥١	ثيودوتس الثاني
Neophytus I	١١٥٣	نيوفطوس الاول
Constantin IV Chliarénos	١١٥٦ - ١١٥٤	قسطنطين الرابع
Luc Chrysoberges	١١٦٩ - ١١٥٦	لوقا
Michael III Anchialos	١١٧٧ - ١١٧٠	ميغائيل الثالث
Chariton	١١٧٨ - ١١٧٧	خربيطون
Theodosius I	١١٨٣ - ١١٧٨	ثيودوسيوس الاول
Basilius II Kamatéros	١١٨٦ - ١١٨٣	باسيليوس الثاني
Nicetas II Mountanès	١١٨٩ - ١١٨٦	نيقيطاس الثاني
Léonce	١١٩٠ - ١١٨٩	لاونقيوس
Dosithée	١١٩١ - ١١٩٠	دوسيثاوس
Georges Xiphilin	١١٩٨ - ١١٩١	جاورجيوس زفلين
Jean X Kamatéros	١٢٠٦ - ١١٩٩	يوحنا العاشر
Michael IV Autorianos	١٢١٣ - ١٢٠٧	ميغائيل الرابع او طوريانوس
Théodore II	١٢١٥ - ١٢١٣	ثيودوروس الثاني
Maximus II	١٢١٥	مكسيموس الثاني
Manuel I	١٢٢٢ - ١٢١٥	مانويل الاول
Germanus II	١٢٤٠ - ١٢٢٢	جرمانوس الثاني

Methodius II	١٢٤٠	مثوديوس الثاني
Manuel II	١٢٥٥ - ١٢٤٤	عمانوئيل الثاني
Arsenius Autorianus	١٢٥٩ - ١٢٥٥	ارسانيوس او طوريانوس
Nicephorus II	١٣٦١ - ١٢٦٠	نيقيفوروس الثاني
Arsenius Autor.	١٢٦٧ - ١٢٦١	ارسانيوس او طوريانوس ثانية
Germanus III	١٢٦٧	جرمانوس الثالث
Joseph I	١٢٧٥ - ١٢٦٧	يوسف الاول
Jean XI Vecos	١٢٨٢ - ١٢٧٥	يوحنا الحادي عشر فكتس
Joseph I	١٢٨٣ - ١٢٨٢	يوسف الاول ثانية
Gregorius II	١٢٧٩ - ١٢٨٣	غريغوريوس الثاني
Athanasius I	١٢٩٣ - ١٢٨٩	انطاسيوس الاول
Jean XII Cosmas	١٣٠٤ - ١٢٩٤	يوحنا الثاني عشر قوزما
Athanasius I	١٣١٠ - ١٣٠٤	انطاسيوس الاول ثانية
Niphon I	١٣١٥ - ١٣١١	نيفون الاول
Jean XIII Glykys	١٣٢٠ - ١٣١٦	يوحنا الثالث عشر غليكس
Gerasimus I	١٣٢١ - ١٣٢٠	جراسيموس الاول
Isaïe	١٣٣٤ - ١٣٢٣	اشعيا
Jean XIV Calécas	١٣٤٧ - ١٣٣٤	يوحنا الرابع عشر
Isidorus I	١٣٤٩ - ١٣٤٧	اسيدوروس الاول
Callistus I	١٣٥٤ - ١٣٥٠	كليستوس الاول
Philotheus	١٣٥٥ - ١٣٥٤	فيلوثيوس
Callistus I	١٣٦٣ - ١٣٥٥	كليستوس الاول ثانية
Philotheus	١٣٧٦ - ١٣٦٤	فيلوثيوس ثانية
Macarius	١٣٧٩ - ١٣٧٦	مكاريوس
Nilus	١٣٨٨ - ١٣٧٩	نيلوس
Antonius IV	١٣٩٠ - ١٣٨٩	انطونيوس الرابع
Macarius	١٣٩١ - ١٣٩٠	مكاريوس ثانية
Antonius IV	١٣٩٧ - ١٣٩١	انطونيوس الرابع ثانية
Callistus II	١٣٩٧	كليستوس الثاني
Matthieu I	١٣١٠ - ١٣٩٧	متى الاول

Euthymius II	١٤١٦ - ١٤١٠	اقيميوس الثاني
Joseph II	١٤٣٩ - ١٤١٦	يوسف الثاني
Metrophanes II	١٤٤٣ - ١٤٤٠	متروفانس الثاني
Gregorius III Mammas	١٤٥٣ - ١٤٤٣	غريغوريوس الثالث مamas
Gennadios II Scholarios	١٤٥٧ - ١٤٥٣	جناديوس الثاني سكولاريوس

## بابوات رومة القدیمة

١٤٥٣ - ٣٢٤

Sylvestre I	٣٣٥ - ٣١٤	سیلفستروس الاول
Marc	٣٣٦	مرقس
Jules I	٣٥٢ - ٣٣٧	يولیوس الاول
Libère	٣٦٦ - ٣٥٢	لیاریوس
Damase I	٣٨٤ - ٣٦٦	دماسوس الاول
Sirice	٣٩٩ - ٣٨٤	سیریقیوس
Anastase I	٤٠١ - ٣٩٩	انسطاسیوس الاول
Inncent I	٤١٧ - ٤٠١	انوشتیوش الاول
Zosime	٤١٨ - ٤١٧	زوسموس
Boniface I	٤٢٢ - ٤١٨	بونیفاسیوس الاول
Celestin I	٤٣٢ - ٤٢٢	شالستینوس
Sixte III	٤٤٠ - ٤٣٢	سکستوس الثالث
Leon I	٤٦١ - ٤٤٠	لاون الاول الكبير
Hilaire	٤٦٨ - ٤٦١	هیلاریوس
Simplice	٤٨٣ - ٤٦٨	سیبلیسیوس
Felix III	٤٩٢ - ٤٨٣	فالیکس الثالث
Gelase I	٤٩٦ - ٤٩٢	جلاسیوس الاول
Anastase II	٤٩٨ - ٤٩٦	انسطاسیوس الثاني

Symmaque	٥١٤ - ٤٩٨	سيما كوس
Hormisdas	٥٢٣ - ٥١٤	هورميسداس
Jean I	٥٢٦ - ٥٢٣	يوحنا الاول
Félix III	٥٣٠ - ٥٢٦	فاليكس الثالث
Boniface II	٥٣٢ - ٥٣٠	بونيفاسيوس الثاني
Jean II	٥٣٥ - ٥٣٢	يوحنا الثاني
Agapet I	٥٣٦ - ٥٣٥	اغاپیتوس الاول
Sylvère	٥٣٧ - ٥٣٦	سیلفاریوس
Vigile	٥٥٥ - ٥٣٧	فیجیلیوس
Pélage I	٥٦١ - ٥٥٦	بلاجیوس الاول
Jean III	٥٧٤ - ٥٦١	يوحنا الثالث
Benoît I	٥٧٩ - ٥٧٥	بنديكتوس الاول
Pélage II	٥٩٠ - ٥٧٩	بلاجیوس الثاني
Crégoire I	٦٠٤ - ٥٩٠	غريغوریوس الاول الكبير
Sabinien	٦٠٦ - ٦٠٤	سابینیوس
Boniface III	٦٠٧	بونيفاسيوس الثالث
Boniface IV	٦١٥ - ٦٠٨	بونيفاسيوس الرابع
Deusdedit	٦١٨ - ٦١٥	عطالله
Boniface V	٦٢٥ - ٦١٩	بونيفاسيوس الخامس
Honorius I	٦٣٨ - ٦٢٥	اونوریوس الاول
Séverin	٦٤٠	سفارینوس
Jean IV	٦٤٢ - ٦٤٠	يوحنا الرابع
Théodore	٦٤٩ - ٦٤٢	ثیدوروس الاول
Martin I	٦٥٣ - ٦٤٩	مرتینوس الاول
Eugène I	٦٥٧ - ٦٥٤	اوچانیوس الاول
Vitalien	٦٧٢ - ٦٥٧	فيتاليانوس
Adéodat	٦٧٦ - ٦٧٢	اداوداتوس
Domnus	٦٧٨ - ٦٧٦	دومنوس
Agathon	٦٨١ - ٦٧٨	اغاثون
Léon II	٦٨٣ - ٦٨٢	لاون الثاني

Benoit II	٦٨٥ - ٦٨٤	بنديكتوس الثاني
Jean V	٦٨٦ - ٦٨٥	يوحنا الخامس
Conon	٦٨٧ - ٦٨٦	كونون
Sergius	٧٠١ - ٦٨٧	سرجيوس
Jean VI	٧٠٥ - ٧٠١	يوحنا السادس
Jean VII	٧٠٧ - ٧٠٥	يوحنا السابع
Sisinnius I	٧٠٨	سيسينيوس
Constantin I	٧١٥ - ٧٠٨	قسطنطين الاول
Grégoire II	٧٣١ - ٧١٥	غريغوريوس الثاني
Grégoire III	٧٤١ - ٧٣١	غريغوريوس الثالث
Zacharie	٧٥٢ - ٧٤١	زهريا
Etienne II	٧٥٧ - ٧٥٢	اسطفانوس الثاني
Paul I	٧٦٧ - ٧٥٧	بولس الاول
Constantin II	٧٦٨ - ٨٦٧	قسطنطين الثاني
Philippe	٧٦٨	فيليبوس
Etienne III	٧٧٢ - ٧٦٨	اسطفانوس الثالث
Hadrien I	٧٩٥ - ٧٧٢	ادريانوس الاول
Léon III	٨١٦ - ٧٩٥	لاون الثالث
Etienne IV	٨١٧ - ٨١٦	اسطفانوس الرابع
Pascal I	٨٢٤ - ٨١٧	بسكل الاول
Eugène II	٨٢٧ - ٨٢٤	أوجانيوس الثاني
Valentin	٨٢٧	فالنتينوس
Grégoire IV	٨٤٤ - ٨٢٧	غريغوريوس الرابع
Sergius II	٨٤٧ - ٨٤٤	سرجيوس الثاني
Léon IV	٨٥٥ - ٨٤٧	لاون الرابع
Benoît III	٨٥٨ - ٨٥٥	بنديكتوس الثالث
Nicolas I	٨٦٧ - ٨٥٨	نقولا الاول
Hadrien II	٨٧٢ - ٨٦٧	ادريانوس الثاني
Jean VIII	٨٨٢ - ٨٧٢	يوحنا الثامن
Marin I	٨٨٤ - ٨٨٣	مارينوس الاول

<b>Hadrien III</b>	٨٨٥ - ٨٨٤	ادريانوس الثالث
<b>Etienne V</b>	٨٩١ - ٨٨٥	اسطفانوس الخامس
<b>Formose</b>	٨٩٦ - ٨٩١	فرموزوس
<b>Boniface VI</b>	٨٩٦	بونيفاسيوس السادس
<b>Etienne VI</b>	٨٩٧ - ٨٩٦	اسطفانوس السادس
<b>Romain</b>	٨٩٧	رومانيوس
<b>Théodore II</b>	٨٩٧	ثيودوروس الثاني
<b>Jean IX</b>	٩٠٠ - ٨٩٨	يوحنا التاسع
<b>Benoît IV</b>	٩٠٣ - ٩٠٠	بونيفاسيوس الرابع
<b>Léon V</b>	٩٠٣	لاون الخامس
<b>Christophe</b>	٩٠٤ - ٩٠٣	كريستوفوس
<b>Sergius III</b>	٩١١ - ٩٠٤	سرجيوس الثالث
<b>Anastase III</b>	٩١٣ - ٩١١	انسطاسيوس الثالث
<b>Landon</b>	٩١٤ - ٩١٣	لدون
<b>Jean X</b>	٩٢٨ - ٩١٤	يوحنا العاشر
<b>Léon VI</b>	٩٢٨	لاون السادس
<b>Etienne VII</b>	٩٣١ - ٩٢٩	اسطفانوس السابع
<b>Jean XI</b>	٩٣٥ - ٩٣١	يوحنا الحادي عشر
<b>Léon VII</b>	٩٣٩ - ٩٣٦	لاون السابع
<b>Etienne VIII</b>	٩٤٢ - ٩٣٩	اسطفانوس الثامن
<b>Marin II</b>	٩٤٦ - ٩٤٢	مارينوس الثاني
<b>Agapit</b>	٩٥٥ - ٩٤٦	اغاپیتوس الثاني
<b>Jean XII</b>	٩٦٤ - ٩٥٥	يوحنا الثاني عشر
<b>Léon VIII</b>	٩٦٥ - ٩٦٣	لاون الثامن
<b>Benoît V</b>	٩٦٤	بنديكتوس الخامس
<b>Jean XIII</b>	٩٧٢ - ٩٦٥	يوحنا الثالث عشر
<b>Benoît VI</b>	٩٧٤ - ٩٧٣	بنديكتوس السادس
<b>Boniface VII</b>	٩٨٥ و ٩٧٤	بونيفاسيوس السابع
<b>Benoît VII</b>	٩٨٣ - ٩٧٤	بنديكتوس السابع
<b>Jean XIV</b>	٩٨٤ - ٩٨٣	يوحنا الرابع عشر

Jean XV	٩٩٦ - ٩٨٥	يوحنا الخامس عشر
Grégoire V	٩٩٩ - ٩٩٦	غريغوريوس الخامس
Jean XVI	٩٩٨ - ٩٩٧	يوحنا السادس عشر
Sylvestre II	١٠٠٣ - ٩٩٩	سلفيستروس الثاني
Jean XVII	١٠٠٣	يوحنا السابع عشر
Jean XVIII	١٠٠٩ - ١٠٠٣	يوحنا الثامن عشر
Sergius IV	١٠١٢ - ١٠٠٩	سرجيوس الرابع
Benoît VIII	١٠٢٤ - ١٠١٢	بنديكتوس الثامن
Jean XIX	١٠٣٣ - ١٠٢٤	يوحنا التاسع عشر
Benoît IX	١٠٤٥ - ١٠٣٣	بنديكتوس التاسع
Sylvestre III	١٠٤٤	سلفيستروس الثالث
Grégoire VI	١٠٤٦ - ١٠٤٥	غريغوريوس السادس
Clément II	١٠٤٧ - ١٠٤٦	اكلينضوس الثاني
Damase II	١٠٤٨ - ١٠٤٧	داماسوس الثاني
Léon IX	١٠٥٤ - ١٠٤٨	لاون التاسع
Victor II	١٠٥٧ - ١٠٥٤	فيكتور الثاني
Etienne IX	١٠٥٨ - ١٠٥٧	اسطفانوس التاسع
Benoît X	١٠٥٩ - ١٠٥٨	بنديكتوس العاشر
Nicolas II	١٠٦١ - ١٠٥٩	نقولا الثاني
Alexandre II	١٠٧٣ - ١٠٦١	الكستدروس الثاني
Honorius II	١٠٦٤ - ١٠٦١	أونوريوس الثاني
Grégoire VII	١٠٨٥ - ١٠٧٣	غريغوريوس السابع
Clément III	١١٠٠ - ١٠٨٠	اكلينضوس الثالث
Victor III	١٠٨٧ - ١٠٨٦	فيكتور الثالث
Urbain II	١٠٩٩ - ١٠٨٨	اوربانوس الثاني
Pascal II	١١١٨ - ١٠٩٩	بسكال الثاني
Gelase II	١١١٩ - ١١١٨	جلاجيوس الثاني
Calixte II	١١٢٤ - ١١١٩	كاليكتوس الثاني
Honorius II	١١٣٠ - ١١٢٤	أونوريوس الثاني
Innocent II	١١٤٣ - ١١٣٠	انوشتنيوش الثاني

Anaclet II	١١٣٨ - ١١٣٠	أنقليتوس الثاني
Victor IV	١١٣٨	فيكتور الرابع
Celestin II	١١٤٤ - ١١٤٣	ساليستينوس الثاني
Lucius II	١١٤٥ - ١١٤٤	لوكيوس الثاني
Eugène III	١١٥٣ - ١١٤٥	اوچانیوس الثالث
Anastase IV	١١٥٤ - ١١٥٣	انسطاسیوس الرابع
Hadrien IV	١١٥٩ - ١١٥٤	ادریانوس الرابع
Alexandre III	١١٨١ - ١١٥٩	الکسندروس الثالث
Victor IV	١١٦٤ - ١١٥٩	فيكتور الرابع
Pascal III	١١٦٨ - ١١٦٤	پscal الثالث
Calixte III	١١٧٩ - ١١٦٨	کالیکستوس الثالث
Innocent III	١١٨٠ - ١١٧٩	انو شنتیوش الثالث
Lucius III	١١٨٥ - ١١٨١	لوکیوس الثالث
Urbain III	١١٨٧ - ١١٨٥	اوربانوس الثالث
Grégoire VIII	١١٨٧	غريفوریوس الثامن
Clément III	١١٩١ - ١١٨٧	اکیمنضوس الثالث
Célestin III	١١٩٨ - ١١٩١	ساليستینوس الثالث
Innocent III	١٢١٦ - ١١٩٨	انو شنتیوش الثالث
Honorius III	١٢٢٧ - ١٢١٦	انوریوس الثالث
Grégoire IX	١٢٤١ - ١٢٢٧	غريفوریوس التاسع
Célestin IV	١٢٤١	ساليستینوس الرابع
Innocent IV	١٢٥٤ - ١٢٤٢	انو شنتیوش الرابع
Alexandre IV	١٢٦١ - ١٢٥٤	الکسندروس الرابع
Urbain IV	١٢٦٤ - ١٢٦١	اوربانوس الرابع
Clément IV	١٢٦٨ - ١٢٦٥	اکیمنضوس الرابع
Grégoire X	١٢٧٦ - ١٢٧١	غريفوریوس العاشر
Innocent V	١٢٧٦	انو شنتیوش الخامس
Hadrien V	١٢٧٦	ادریانوس الخامس
Jean XXI	١٢٧٧ - ١٢٧٦	یوحنا الحادي والعشرون
Nicolas III	١٢٨٠ - ١٢٧٧	نقولا الثالث
Martin IV	١٢٨٥ - ١٢٨١	مرتینوس الرابع

Honorius IV	١٢٨٧ - ١٢٨٥	أونوريوس الرابع
Nicolas IV	١٢٩٢ - ١٢٨٨	نقولا الرابع
Célestin V	١٢٩٤	ساليستينوس الخامس
Boniface VIII	١٣٠٣ - ١٢٩٤	بونيفاسيوس الثامن
Benoît XI	١٣٠٤ - ١٣٠٣	بنديكتوس الحادي عشر
Clément V	١٣١٤ - ١٣٠٥	اكيلمنضوس الخامس
Jean XXII	١٣٣٤ - ١٣١٦	يوحنا الثاني والمشرون
Benoit XII	١٣٤٢ - ١٣٣٤	بنديكتوس الثاني عشر
Clément VI	١٣٥٢ - ١٣٤٢	اكيلمنضوس السادس
Innocent VI	١٣٦٢ - ١٣٥٢	انوشتنيوش السادس
Urbain V	١٣٧٠ - ١٣٦٢	اوربانوس الخامس
Grégoire XI	١٣٧٨ - ١٣٧٠	غريغوريوس الحادي عشر
Urbain VI	١٣٨٩ - ١٣٧٨	اوربانوس السادس
Boniface IX	١٤٠٤ - ١٣٨٩	بونيفاسيوس التاسع
Innocent VII	١٤٠٦ - ١٤٠٤	انوشتنيوش السابع
Grégoire XII	١٤٠٩ - ١٤٠٦	غريغوريوس الثاني عشر
Alexandre V	١٤١٠ - ١٤٠٩	الكسندروس الخامس
Jean XXIII	١٤١٥ - ١٤١٠	يوحنا الثالث والعشرون
Martin V	١٤٣١ - ١٤١٧	مرتينوس الخامس
Eugène IV	١٤٤٧ - ١٤٣١	أوجانيوس الرابع
Nicolas V	١٤٥٥ - ١٤٤٧	نقولا الخامس

## الاكتسورة الساسانية

٦٥١ - ٢٢٦

Ardashir I	٢٤١ - ٢٢٦	أردشير الأول
Sapor I	٢٧٢ - ٢٤١	شاپور الأول
Hormizd I	٢٧٣ - ٢٨٢	هورمزد الأول

Vahram I	٢٧٦ - ٢٧٣	بهرام الاول
Vahram II	٢٩٣ - ٢٧٦	بهرام الثاني
Vahram III	٢٩٣	بهرام الثالث
Narseh	٣٠٢ - ٢٩٣	نرسه
Hormizd II	٣٠٩ - ٣٠٢	هورمزد الثاني
Sapor II	٣٧٩ - ٣١٠	شاپور الثاني ذو الاكتاف
Ardashir II	٣٨٣ - ٣٧٩	ارشیر الثاني
Sapor III	٣٨٨ - ٣٨٣	شاپور الثالث
Vahram IV	٣٩٩ - ٣٨٨	بهرام الرابع
Yazdgard I	٤٢١ - ٣٩٩	يزدجرد الاول
Vahram V Gor	٤٣٨ - ٤٢١	بهرام الخامس غور
Yazdgard II	٤٥٧ - ٤٣٨	يزدجرد الثاني
Hormizd III	٤٥٩ - ٤٥٧	هورمزد الثالث
Peroz	٤٨٤ - ٥٤٩	فیروز
Valash	٤٨٨ - ٤٨٤	بلاش
Kavadh	٥٣١ - ٤٨٨	قباذ
Chosroés I	٥٧٩ - ٥٣١	كسرى الاول انو شروان
Hormizd IV	٥٩٠ - ٥٧٩	هورمزد الرابع
Chosroés II	٦٢٨ - ٥٩٠	كسرى الثاني
Ardashir III et Hormizd V	٦٣٢ - ٦٢٨	ارشیر الثالث و هورمزد الخامس
Yazdgard III	٦٥١ - ٦٣٢	يزدجرد الثالث

## الخلافاء الراسدون

٦٣٢ - ٦٦٠

٦٥٥ - ٦٤٤	٦٣٤ - ٦٣٢	ابو بكر
٦٦٠ - ٦٥٥	٦٤٢ - ٦٣٤	عمر

## الامويون

٦٦٠ - ٧٠٥

٧٢٠ - ٧١٧	عمر ابن عبد العزيز	٦٨٠ - ٦٦١	معاوية الاول
٧٢٤ - ٢٧٠	يزيد الثاني	٦٨٣ - ٦٨٠	يزيد الاول
٧٤٣ - ٧٢٤	هشام	٦٨٣	معاوية الثاني
٧٤٤ - ٧٤٣	الوليد الثاني	٦٨٥ - ٦٨٣	مروان
٧٤٤	يزيد الثالث	٧٠٥ - ٦٨٥	عبد الملك
٧٤٤	ابراهيم	٧١٥ - ٧٠٥	الوليد الاول
٧٥٠ - ٧٤٤	مروان الثاني	٧١٧ - ٧١٥	سلیمان

## العباسيون

١٢٥٨ - ٧٥٠

٨٤٢ - ٨٣٣	المعتصم	٧٥٤ - ٧٥٠	السفاح
٨٤٧ - ٨٤٢	الواشق	٧٧٥ - ٧٥٤	النصرور
٨٦١ - ٨٤٧	المتوكل	٧٨٥ - ٧٧٥	المهدي
٨٦٢ - ٨٦١	المتصر	٧٨٦ - ٧٨٥	الهادي
٨٦٦ - ٨٦٢	المستعين	٨٠٩ - ٧٨٦	الرشيد
٨٦٩ - ٨٦٦	المعز	٨١٣ - ٨٠٩	الامين
٨٧٠ - ٨٦٩	المبتديء	٨٣٣ - ٨١٣	المأمون

١٠٧٥ - ١٠٣١	القائم	٨٩٢ - ٨٧٠	المعتمد
١٠٩٤ - ١٠٧٥	المقتدي	٩٠٢ - ٨٩٢	المعضد
١١١٨ - ١٠٩٤	المستظر	٩٠٨ - ٩٠٢	المكفي
١١٣٥ - ١١١٨	المترشد	٩٣٢ - ٩٠٨	المقدار
١١٣٦ - ١١٣٥	الراشد	٩٣٤ - ٩٣٢	القاهر
١١٦٠ - ١١٣٦	المتفى	٩٤٠ - ٩٣٤	الراضي
١١٧٠ - ١١٦٠	المستجذب	٩٤٤ - ٩٤٠	المتقي
١١٨٠ - ١١٧٠	المستضي	٩٤٦ - ٩٤٤	المستكفي
١٢٢٥ - ١١٨٠	الناصر	٩٧٤ - ٩٤٦	المطیع
١٢٢٦ - ١٢٢٥	الظاهر	٩٩١ - ٩٧٤	الطائع
١٢٤٢ - ١٢٢٦	المستنصر	١٠٣١ - ٩٩١	القادر
١٢٥٨ - ١٢٤٢		المستعصم	

## الطلوانيون

ابو العساكر جيش	٨٩٦ - ٨٩٥	احد ابن طلولون	٨٨٤ - ٨٦٨
ابو موسى هارون	٩٠٢ - ٨٩٦	خمارويه ابن طلولون	٨٩٥ - ٨٨٤
ابو المناقب شيان	٩٠٥ - ٩٠٤		

## الاخشيديون

ابو الحسن علي ابن اخشيد	٩٤٥ - ٩٣٥	محمد الاخشيد ابن طفح	
ابو القاسم ابن اخشيد	٩٦٠ - ٩٤٥	ابو المسك كافور	
ابو الفوارس احمد ابن علي	٩٦٩ - ٩٦٨		

## الفاطميون

١٠٩٤ - ١٠٣٥	المستنصر	٩٣٤ - ٩٠٩	المهدي (عبيد الله)
١١٠١ - ١٠٩٤	المستعلي	٩٤٥ - ٩٣٤	القائم
١١٣٠ - ١١٠١	الامر	٩٥٢ - ٩٤٥	النصور
١١٤٩ - ١١٣٠	الحافظ	٩٧٥ - ٩٥٢	العز
١١٥٤ - ١١٤٩	الظافر	٩٩٦ - ٩٧٥	العزيز
١١٦٠ - ١١٥٤	الفائز	١٠٢٠ - ٩٩٦	الحاكم
١١٧١ - ١١٦٠	العاضد	١٠٣٥ - ١٠٢٠	الظاهر

## الحمدانيون

١٠٠١ - ٩٩١	سعید الدوّلة	٩٦٧ - ٩٤٤	سیف الدوّلة
١٠٠٣ - ١٠٠١	أبو الحسن علي أبو المعالي شریف	٩٩١ - ٩٦٧	سعد الدوّلة

الایوبیون ١٢٥٠ - ١١٧٧

في القاهرة ودمشق ، والنجمة تشير إلى الجمع بين القطرتين

١١٩٩ - ١١٩٨	النصور	١ - القاهرة
١٢١٨ - ١١٩٩*	العادل الاول	صلاح الدين*
١٢٣٨ - ١٢١٨.	الكامل*	العزيز

١٢٥٠ - ١٢٤٩	المعلم طوران شاه*	١٢٤٠ - ١٢٣٨	العادل الثاني*
١٢٥٢ - ١٢٥٠	الاشرف موسى	١٢٤٩ - ١٢٤٠	الصالح ايوب*

٢ - في دمشق

١٢٣٨ - ١٢٣٧	الكامل*	١١٩٦ - ١١٨٦	الافضل
١٢٤٠ - ١٢٣٨	العادل الثاني*	١٢١٨ - ١١٩٦	العادل الاول*
١٢٤٠	الصالح ايوب*	١٢٢٧ - ١٢١٨	المعلم عيسى
١٢٤٠	الصالح اساعيل	١٢٢٧	الناصر
١٢٤٩ - ١٢٤٥	الصالح ايوب*	١٢٣٧ - ١٢٢٨	الاشرف موسى
١٢٤٩	المعلم طوران شاه*	١٢٣٧	الصالح اساعيل
١٢٦٠ - ١٢٥٠		الناصر يوسف	

## الملك البحري

١٣٨١ - ١٢٥٠

١٣٤٠ - ١٣٠٩	الناصر محمد (ثالثة)	١٢٥٠	شجر الدر ارمدة الصالح ايوب
١٣٤١ - ١٣٤٠	المنصور ابو بكر	١٢٥٧ - ١٢٥٠	المعز ابيك
١٣٤٢ - ١٣٤١	الاشرف كجك	١٢٥٩ - ١٢٥٧	المنصور علي
١٣٤٢	الناصر احمد	١٢٦٠ - ١٢٥٩	المظفر سيف الدين قطر
١٣٤٥ - ١٣٤٢	الصالح اساعيل	١٢٧٧ - ١٢٦٠	الظاهر بيبرس
١٣٤٦ - ١٣٤٥	الكامل شعبان	١٢٧٩ - ١٢٧٧	السعيد بركه خان
١٣٤٧ - ١٣٤٦	المظفر حاجي	١٢٧٩	العادل سلامش
١٣٥١ - ١٣٤٧	الناصر حسن	١٢٩٠ - ١٢٧٩	المنصور قلاوون
١٣٥٦ - ١٣٥١	الصالح صلاح الدين	١٢٩٣ - ١٢٩٠	الاشرف خليل
١٣٦١ - ١٣٥٦	الناصر حسن (ثانية)	١٢٩٤ - ١٢٩٣	الناصر محمد
١٣٦٣ - ١٣٦١	المنصور محمد	١٢٩٦ - ١٢٩٤	العادل كتبنا
١٣٧٦ - ١٣٦٣	الاشرف شعبان	١٢٩٨ - ١٢٩٦	المنصور لاجين
١٣٨١ - ١٣٧٦	المنصور علاء الدين علي	١٣٠٨ - ١٢٩٨	الناصر محمد (ثانية)
١٣٨١	الصالح حاجي	١٣٠٩ - ١٣٠٨	المظفر بيبرس

## الملوك البرجيت

١٣٨٢ - ١٥١٦

١٤٢١	الظاهر طظر	١٣٩٢ - ١٣٨٢	الظاهر برقوق
١٤٢٢ - ١٤٢١	الصالح محمد	١٤٠٥ - ١٣٩٢	الناصر فرج
١٤٣٨ - ١٤٢٢	الاشرف برباعي	١٤٠٦ - ١٤٠٥	المنصور عبد العزيز
١٤٣٨	العزيز يوسف	١٤١٢ - ١٤٠٦	الناصر فرج (ثانية)
١٤٥٣ - ١٤٣٨	الظاهر جقمق	١٤١٢	العادل المستعين
١٤٥٣	المنصور عثمان	١٤٢١ - ١٤١٢	المؤيد شيخ المحمودي
١٤٦٠ - ١٤٥٣	الاشرف اينال	١٤٢١	المظفر احمد

## العثمانيون

١٢٩٩ - ١٤٥٣

١٤٢١ - ١٤٠٣	محمد الاول	١٣٢٦ - ١٢٩٩	عثمان الاول
١٤١٠ - ١٤٠٣	موسى	١٣٥٩ - ١٣٢٦	اورخان
١٤١٣ - ١٤١٠	سلیمان	١٣٨٩ - ١٣٥٩	مراد الاول
١٤٥١ - ١٤٢١	مراد الثاني	١٤٠١ - ١٣٨٩	بايزيد الاول
١٤٨١ - ١٤٥١	محمد الثاني		

## فهرس الاعلام وبعض الموارد

- آثار : المسيحيون الاولون ٤٠ - ٤٢  
 آثوس : الصامتون ٢ : ٢٣٣  
 آريوس : بدعته ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ - ٩١  
 آفار : في البلقان ٢٠٧ - ٢٠٨ ، حصار  
 القسطنطينية ٢٢٨ - ٢٣٠  
 آمد : والفرس ٩٨ ، ١٣٧  
 آيدين : والعثانيون ٢ : ٢٥٣  
 إباثية : الفيلسوفة ١٤٢ - ١٤٣  
 اباغ : موقعة ٣٠٣  
 ابغر : ملك الراها والمسيح ٦٥ : ٢  
 ابرويز : والروم ٢٠٢ ، ٢٢٣ - ٢٢٨  
 ابريلكاس : القائد ٢ : ٣٤  
 ابساك : حلفاء الروم ٧ : ٢  
 ابو بكر : والروم ٢٣٩ - ٢٤٢  
 ابو جمفر : والممل عند الروم ٣٤٦  
 ابو قوقوس : العالم ٢ : ٢٠٦  
 ابو ليتاريوس : اسقف ١٢٣ ، بطريرك ١٨٤ ، ٣١٠  
 اي عبيدة : والشام ٢٤٠  
 اتاليات : ميخائيل ٢ : ١٠٢  
 اتحاد : كتاب ٢ : ٢٤  
 اترالك : في ترافقية ٢ : ٢٢٦  
 اتيليوس : الرابع والروم ٢ : ١٥١  
 ادريانوس : الرابع والروم ٢ : ١٣  
 ادريينوبوليس : الموقعة ٨٩ ، ٣١٦  
 اديسيوس : الفيلسوف ٧٩  
 ائيل : ملك الهون ١٢٠ - ١٢١  
 ائناريكتوس : قائد القوط ٨٨ ، في  
 القسطنطينية ٩٠  
 اثناسيوس : بطريرك الاسكندرية ٨٦ -  
 ٢٣١ ، ١٤٧ ، ٨٧  
 آثينا : زوجة ثيودوسيوس ١١٦ - ١١٧  
 اجنادين : الموقعة ٢٤١ - ٢٤٢  
 احد : يوم الاحد ٣٨  
 احد : ابن طولون ٢ : ٦  
 اخوليوس : اسقف ٩٠  
 ادارة : قسطنطين الكبير ٦٥ - ٦٨  
 ثيودوسيوس ٩٧ ، يوليانوس ٨٠ - ٨١  
 ثيودوسيوس الثاني ١١٨ - ١٢٠  
 انطاسيوس ١٣٧ - ١٣٨ ، يورستيانوس  
 ١٧٠ - ١٧٦ ، قسطنطين الثالث ٢٥٦  
 هرقل وخلفاؤه ٢٧٧ - ٢٧٨ ، القرنين  
 الحادي عشر والثاني عشر ٨٠ : ٢  
 باسيليوس ٢ : ١٢ - ١٣ ، والانجيل ٢ :  
     ٩٣ - ٨٨  
 ادريانوس : الرابع والروم ٢ : ١٣  
 ادريينوبوليس : الموقعة ٨٩ ، ٣١٦  
 اديسيوس : الفيلسوف ٧٩

- اذرعات : درعة واليهود ٢٣٤  
 ارايسوس : وهرقل وشهر براز ٢٢٧  
 ارجيروس : القائد ٢ : ٧٠  
 اردشير : المؤسس ٤٦ ، الثاني ٩٦ - ٩٧  
 ارزنجان : المعركة ٢ : ١٩٢  
 ارسانيوس : البطريـك ٢ : ١٩٩ ، ١٩٣ : ٢٣٢ ، ٢٢٦  
 ارضروم : عند الحدود ٩٧  
 ارطبون : القائد ٢٤٨  
 ارطغرل : وصوله الى سكتون ٢ : ٢١٨  
 اوکاديـس : الامبراطور ١٠٨ - ١١٦ ،  
 ميل البابا ١٢٥  
 اوکاديـوبولـيس : الموقعة ٢ : ٤٧  
 ارمـينـية : اقسامها ٩٧ ويوستينـيانـوس ١٩٩  
 وهرقل ٢٢٣ - ٢٢٨ والمشينة الواحدة  
 ٣٣٠ - ٣٢٩ والمرب ٢٦٧ واستقلالها ٧ : ٢  
 واخراج العرب ٢ : ٢٧ وسباد ملكها  
 افـتـيـشـيوـس : الصـفـرىـ والـكـبـرىـ ٢ : ٦٥  
 افـتـيمـيوـس : السنـكـاسـ ١٥ : ١١٦ - ١١٥  
 ازـمـيرـ : والاـتـراكـ ٢ : ٢٥٣  
 اسـأـمـاءـ : وعـسـقـلـانـ وـيـافـةـ ٢٣٩  
 اسـبـالـيـلـيونـ : ٢ : ٢٢٥ وـ٢ـ٥ـ٣ـ  
 استـراتـيـغـوـبـولـيسـ : اطلب اليـكـسيـوسـ  
 استـراتـيـكـيـسـ : اطلب مـيـخـائـيلـ السادسـ  
 استـوـدـيـتـيـ : اطلب ثـيـودـورـوسـ  
 استـوـدـيـوـنـ : الـدـيرـ وـالـدـوـلـةـ ٣٢٩ - ٣٢٨  
 والـعـلـمـ ٣٤١ - ٣٤٠  
 استـيـلـيـكـونـ : المـدـبـرـ ١٠٩  
 اسـحـقـ كـوـمـيـنـيـوسـ الفـسـيـلـفـسـ ٢ : ١٠٤ -  
 افسـ: بـعـبـاـ ١٢٢ - ١٢٥ فيـ يـدـ الاـتـراكـ ١٠٥  
 افـرامـ : القـدـيسـ ١٦٢  
 افـسـارـاـتـيـوـسـ : قـاضـيـ المسـكـونـةـ ٢ : ١٣٦  
 افـسـ: بـعـبـاـ ١٢٢ - ١٢٥ فيـ يـدـ الاـتـراكـ ١٠٥  
 افـنـيـكـوسـ : هـرـقـسـ وـالـارـثـوذـكـسـيـةـ ٢ : ٢٧٠  
 افـنـوـكـسـيـةـ : زـوـجـةـ اوـکـاديـوسـ الـاـوـلـ ١٨٠  
 افـنـوـكـسـيـةـ : زـوـجـةـ هـرـقـلـ ٢٢١ ، خـالـيـةـ  
 مـيـخـائـيلـ الثـالـثـ وـزـوـجـةـ باـسـيلـيوـسـ الـاـوـلـ  
 ٢ : ١٣ ، زـوـجـةـ لاـوـنـ السـادـسـ ٢ : ١٠٨  
 ١٥ ، زـوـجـةـ قـسـطـنـطـيـنـ الـماـشـرـ ٢ : ١٠٨  
 افـرامـ : القـدـيسـ ١٦٢  
 افـسـارـاـتـيـوـسـ : قـاضـيـ المسـكـونـةـ ٢ : ١٣٦  
 افسـ: بـعـبـاـ ١٢٢ - ١٢٥ فيـ يـدـ الاـتـراكـ ١٠٥  
 اسـطـفـانـوسـ : مـتـرـوبـولـيتـ هـرـقـلـيةـ ٢٥٨  
 البـطـرـيرـكـ ٢ : ١٤ ، مـلـكـ الـصـربـ ٢  
 ٢٢٦ - ٢٣٠ ، مـيـلـيـسـيـنـيـ ٢ :  
 ٢٣٠ ، دـنـدـولـوـ ٢ : ٢٣٠  
 اسـكـارـيـنـيـةـ : خـلـيـةـ ٢ : ٦٦ - ٦٧  
 اسـكـنـدـرـيـةـ : وـالـوـتـنـيـةـ ١٠٠ وـمـدـرـسـتـهـ  
 ١٤٩ - ١٤٩ وـالـفـرـسـ ٢٢٥ وـالـعـربـ ٢٥٥  
 اسـوـرـيـيـ : الـاـسـرـةـ ٢٨٩ - ٢٩٠  
 اسـيـدـورـوسـ : البـطـرـيرـكـ ٢ : ٢٤٠ - ٢٣٩  
 اشـرمـ : اطلب يـوـسـتـيـانـوسـ الثـانـيـ  
 اشـوتـ : بـغـرـتوـنيـ مـلـكـ اـرـمـينـيـةـ ٢ : ٧  
 اـغـاثـيوـسـ : المـؤـرـخـ ٢١٢  
 اـغـنـاطـيوـسـ : البـطـرـيرـكـ ٣٣٠ - ٣٢٩  
 اـفـتـروـبـيوـسـ : الـحـصـيـ ١٠٨ وـغـايـنـاسـ ١١١  
 اـفـتـيشـيوـسـ : البـطـرـيرـكـ ١٨٤  
 اـفـتـيمـيوـسـ : البـطـرـيرـكـ السنـكـاسـ ١٥ : ٢  
 اـفـتـيمـيوـسـ : زـيـفـاـيـنـوسـ المـدـافـعـ عنـ الدـينـ  
 ١٦٦ : ٢  
 اـفـجـيـكـوسـ : هـرـقـسـ وـالـارـثـوذـكـسـيـةـ ٢ : ٢  
 اـفـنـوـكـسـيـةـ : زـوـجـةـ اوـکـاديـوسـ الـاـوـلـ ١٨٠  
 اـفـنـوـكـسـيـةـ : زـوـجـةـ هـرـقـلـ ٢٢١ ، خـالـيـةـ  
 مـيـخـائـيلـ الثـالـثـ وـزـوـجـةـ باـسـيلـيوـسـ الـاـوـلـ  
 ٢ : ١٣ ، زـوـجـةـ لاـوـنـ السـادـسـ ٢ : ١٠٨  
 ١٥ ، زـوـجـةـ قـسـطـنـطـيـنـ الـماـشـرـ ٢ : ١٠٨  
 اـفـرامـ : القـدـيسـ ١٦٢  
 اـفـسـارـاـتـيـوـسـ : قـاضـيـ المسـكـونـةـ ٢ : ١٣٦  
 اـفـسـ: بـعـبـاـ ١٢٢ - ١٢٥ فيـ يـدـ الاـتـراكـ ١٠٥

- الكسندروس : البطريرك الاسكندرى ٥٦ -  
 ١٣ : ٢ ، اخو لاوون السادس ٢ : ١٣  
 اليكسيادة : ٢ : ١٦٥  
 اليكسيوس : كومينتوس ٢ : ١١٣ ،  
 الاول الفسيفس ٢ : ١١٩ - ١٢٠  
 سياسته الداخلية ٢ : ١٣٣ - ١٣٤ ،  
 والدين ٢ : ١٣٥ - ١٣٦ ، والرهبانية  
 ٢ : ١٦٣ ، برانس وثوره ٢ : ١٧١  
 الثالث الفسيفس ٢ : ١٧٢ - ١٨٦  
 استراتيغوبولس القائد ٢ : ١٩٨  
 ابو كوكوس ٢ : ٢٣٥  
 امبراطور : صلاحياته ١٣ - ١٤  
 امبراطوران وقيصران ٥٢  
 امبروسيوس : أسقف ميلان ١٠٠  
 امّ دين : والفتح الاسلامي ٢٥٠  
 اميانيوس : مرسلوس المؤرخ ١٥٠  
 اميون : القتال عندهما ٢٦٥  
 انطوليوس : البطريرك ١٢٧ - ١٢٩  
 اثوزة : والدة النهي الفم ١١٣  
 انتيميوس : المدير الحكيم ١١٦ - ١١٧  
 اندراسوس : غارة الكحل ٢ : ٣٥  
 اندراؤس: الدمشقي واثاشيده ٢٨٦ - ٢٨٧  
 اندرونيكيوس : الاول الفسيفس ٢ :  
 ١٥٩ - ١٦١ ، الثاني الفسيفس ٢ :  
 ٢١٨ - ٢٢٥ ، ورثاؤه ٢ : ٢٢٦  
 الثالث الفسيفس ٢ : ٢٢٦ - ٢٣٥  
 الرابع الفسيفس وثورته ٢ : ٢٤٩ -  
 ٢٥٠  
 انجل : الانجيل الاربعة ٤٠ - ٤١ ،  
 دستور الدولة ٢ : ٨٨ - ٩٣
- ٢٢٥ : ٢  
 افستايوس : البطريرك الانطاكي ٥٧ ، اسقف  
 بيروت ١٢٨ ، الفيلسوف ٢ : ١٦٤ ،  
 الخطيب ٢ : ١٦٦  
 افشن : قائد الخليفة المعتصم ٣٢٦  
 افطوريانوس : اطلب اوسانيوس  
 افلاطون : محبوه ٢ : ١٦٤  
 افلاطونية : الجديدة ٢١ - ٢٣  
 افلوطين : فلسفته ٢٠ - ٢١  
 اقريطش : وصول العرب اليها ٣٢٢ - ٣٢٣  
 هجوم الروم عليهما ٢ : ٢٠ ، استيلاوهم  
 ٢ : ٣٤ ، اميرها والبطريرك المسكوني  
 ١٠٠ : ٢
- اقليس : الاسكندرى ١٤٣ - ١٤٤ ،  
 الخامس بابا روما ٢ : ٢١١  
 اكائستون : نظمها ٢٢٩ - ٢٣٠  
 اكاريتة : الفرق العسكرية ٢ : ٢١٧  
 ااكليوس : البطريرك ١٣٣  
 اكثيسس : ٢٣٢ والمشادة حوله ٢٥٦ -  
 ٢٥٧
- اكروبوليس : جورج المسلم ٢ : ١٩٣  
 العالم ٢ : ٢٠٥ - ٢٠٦  
 اكريتس : ملحنته ١٠١ - ١٠٢  
 اكسربيتا : مصنف قسطنطين السابع ٩٩ : ٢  
 اكوني : توما ٢ : ٢٧٠  
 الاريكلوس : ملك القوط ١٠٩ - ١١٠  
 الايف : قائد القوط ٨٨  
 آلاني : قبائل ٩٨
- ألب ارسلان : سلطان السلاجقة ٢ : ١٠٩  
 الفونزو : الخامس ملك اسبانيا ٢ : ٢٨٩

و ٢١٨ - ٢١٩ و ٢٣١ - ٢٣٢ ،  
 مشاغبات الاب برلام ٢ : ٢٣٣ ،  
 الفسيفس يوحنا الثامن ٢ : ٢٤٦ -  
 ٢٤٧ ، فشل البطريرك فيليوثيوس في  
 روسية ٢ : ٢٤٨  
 انطاكية : والنصرانية ٢٧ - ٢٧ ،  
 بطريركها افستياتيوس ٥٧ ، ويوليانوس  
 الماجد ٨٢ - ٨٤ ، والضجة فيها ٩٧  
 ويوحنا النهي الفم ١١٣ ، وسلطنة  
 بطريركها ١٢٨ - ١٢٩ ، خروج  
 بطريركها بطرس القصار ١٣٤  
 وسوبروس بطريركها ١٣٨ ، ومدرستها  
 ١٤٩ - ١٥٤ ، وبطريركها ذمنوس  
 ١٨٤ ، وكسرى انو شروان ١٨٩  
 والمندر الغساني ٢٠٤ ، ومؤرخها  
 ملاس ٢١٣ ، والمشيطة الواحدة ٢٣١  
 والفتح الاسلامي ٢٤٥ - ٢٤٦ ،  
 والمجمع السادس ٢٥٨ ، واندراوس  
 الدمشقي ٢٨٦ - ٢٨٧ ، والمجمع السابع  
 ٣١٠ ، والايقونات ٣٢٧ ، وابن قارون  
 ٣٣٧ ، وصول الروم الى ابوابها ٢ :  
 ٣٢ و ٤١ - ٤٢ ، وبطريركها  
 ثيودوروس ٢ : ٤٦ ، والروم  
 والفاتميون ٢ : ٥٧ - ٥٦ ، والانشقاق  
 العظيم ٢ : ٧٦ - ٧٧ ، والسلاجقة  
 ٢ : ١٠٩ ، ودوقها رومانوس الرابع  
 ١١١ - ١١٢ ، في حوزة السلاجقة  
 ٢ : ١٢٤ ، مشكلتها الصليبية ٢ :  
 ١٢٩ - ١٣٢ ، بطريركها يذكر  
 البابا في الذبيحة ٢ : ١٣٠ ، اماراة

انجلوس : الاسرة ٢ : ١٦٩ - ١٧٠  
 انطاطيوس : الاول الامبراطور ١٣٤ -  
 ١٣٩  
 انسيلوس : الاسقف ٢ : ١٦٧  
 انشقاق : في عهد ثيودوسيوس الثاني ١٢١ -  
 ١٢٩ ، وكتاب الاتحاد ١٣٤ - ١٣٣ ،  
 يوستينيوس بزيله ١٨٠ - ١٨١ ،  
 هرقل وخلفاؤه ٢٥٨ حول الايقونات  
 ٣٠٩ - ٣٠٢ ، البابا وبعض الابرشيات  
 ٣١٠ ، البابا يقيم امبراطوراً غريباً  
 ٣١٣ - ٣١٢ ، والبطريرك فوطيوس  
 ٣٣٢ - ٣٣٠ ، وكنيسة بالغارية ٣٣٣ ،  
 وابرشيات ايطالية ٢ : ٨ - ٩ ،  
 وكنيسة بالغارية ٢ : ١٠ و ٢٥ ، البابا  
 يؤيد امبراطوراً غريباً ٤٣ : ٢ ،  
 والانبثق ٢ : ٥٢ ، البطريرك المسكوني  
 وواли الروم في ايطالية ٢ : ٧٠ ،  
 العظيم ٢ : ٧١ - ٧٧ ، الوفد الغربي  
 وزيارة القدس ٢ : ١٠٧ - ١٠٨ ،  
 غريغوريوس السابع البابا ٢ :  
 ١١٤ - ١١٥ ، واوربانوس الثاني ٢ :  
 ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٣٠ ، عمانتيل  
 الاول ٢ : ١٥٥ ، الماظرة بين  
 انسيلوس ونيقيتاس ٢ : ١٦٧ ،  
 انوشتيوش الثالث يتقارب ٢ : ١٧٤ -  
 ١٧٥ ، والحملة الصليبية الرابعة ٢ :  
 ١٨٠ - ١٨١ ، والبابا غريغوريوس  
 التاسع ٢ : ١٩١ ، وانوشتيوش  
 الرابع ٢ : ١٩٩ - ٢٠٢ ، الفسيفس  
 وتوحيد الكنسرين ٢ : ٢١٢ - ٢١٥

- اوروشليم : والقدسية هيلانة ٦٠ ، تصبح  
 من كنز بطريركياً ١٢٨ - ١٢٩ ،  
 دخوها في طاعة الفرس ٢٢٤ ، والمشينة  
 الواحدة ٢٣٣ ، في طاعة العرب ٢٤٧ ،  
 في طاعة الروم ٢ : ٤٩ ، ترميم كنيسة  
 القبر ٢ : ٦٤ - ٦٥ ، بطريركها  
 والانشقاق ٢ : ١٠٧ ، مجدهما يشجب  
 الاتحاد ٢ : ٢٨٤  
  
 اوريجانس : الاسكتندرى ١٤٤ - ١٤٧  
 اوطيحة : بدعته ١٢٥ - ١٢٦  
  
 اويفيميوس : العاقل البطريرك ٨٣٤  
 اولاغ : القائد الروسي ٢ : ٢١  
  
 اويفيلاس : القبديق وتنصر القوط ٨٨  
  
 اوئزريوس : بابا رومة والمشينة الواحدة  
 ٢٣٢ - ٢٣٣  
  
 ايرينا : الخزرية ٢٩٣ ، النيسلاسة والصقالبة  
 والعرب ٢٩٦ - ٢٩٧ ، زوجة  
 اليكسيوس كوهينيوس ٢ : ١٣٨  
  
 ايغاثيوس : المؤرخ السوري ٢١٢  
  
 ايقونات : حرب الايقونات ٣٠٢ - ٣٠٩  
  
 ميخائيل الثاني والايقونات ٣١٩  
  
 وثيوفيلوس الاول ٣٢٤ - ٣٢٥ ،  
  
 نصب الايقونات ٣٢٧ ، ولاوون  
 الخامس ٣١٧  
  
 ايلة : النبي العربي واهله ٢٣٨  
  
 ايونتيكون : كتاب الاتحاد ١٣٣  
  
 ايوب : البطريرك الانطاكي والايقونات  
 ٣٢٧
- رومية ٢ : ١٤٣ - ١٤٤ و ١٤٧  
 وعودة البطريرك الارثوذكسي إليها ٢ :  
 ١٥٣ ، بطريركها اللاتيني ٢ : ٢٠١  
  
 انطونيوس : الكبير شفيع الرهبان ١٠٣  
  
 انطونيوس : البطريرك ٢ : ٥١٦ و ٥١٤  
  
 انغلوستيس : يوحنا المؤرخ ٢ : ٢٦٩  
  
 انقرة : والنورمنديون ٢ : ١١٣ ، المعركة  
 ٢٦١ : ٢  
  
 انكشارية : الجندي العثماني ٢ : ٢٤٥ - ٢٤٦  
  
 انوشتيوش : الثالث بابا رومة ٢ : ١٧٤ -  
 ١٧٥ و ١٨٠ - ١٨١ و ١٩٩  
  
 ٢٠٢ ، السادس والروم ٢ : ٢٤٦  
  
 اوتوريانوس : اطلب ميخائيل الرابع  
 البطريرك  
  
 اوئون : الاول الامبراطور وايطالية ٢ :  
 ٤٣ ، الثاني ٢ : ٥٠ و ٥٥  
  
 اوجانيوس : الثالث بابا رومة ٢ : ١٤٨  
  
 اوربانوس الثاني بابا رومة والانشقاق ٢ :  
 ١٢٥ - ١٢٦ ، الرابع وسياسته ٢ :  
 ٢١١ - ٦١٠ ، الخامس والروم ٢ :  
 ٢٤٦ - ٢٤٧ ، المافمر المجري ٢ :  
 ٢٩١  
  
 اورخان : السلطان قتوحاته ٢ : ٢٣٠  
  
 و ٢٤٥ - ٢٤٦  
  
 اورسيبي : اطلب يوحنا  
  
 اوروش : ملك الصرب ٢ : ٢٢١ - ٢٢٢ ،  
  
 والارثوذكسية ٢ : ٢٢٦ ، وعرش  
 الروم ٢ : ٢٢٧

- بابك : ثورته وثيوفيلوس ٣٢٥  
 بابيلون : والفتح العربي ٢٥٠  
 باخوميوس : الراهن ١٠٣ - ١٠٤  
 باخيميريس : جاورجيوس المؤرخ ٢٦٧ : ٢  
 بارداش : جاورجيوس العالم ٦٦٦ : ٢ - ٦٠٦ - ٢٠٧  
 باري : وباسيليوس الأول ٨ : ٢  
 باريز : ومكسيموس الامبراطور ٩٨  
 وعمانوئيل الثاني ٢ : ٢٦٠  
 باسكاسينيوس : مثل البابا ١٢٧ - ١٢٨  
 باسيلاكس : اطلب نيقفوروس  
 باسيليروس : الكبير ويوليانوس ٧٩  
 والرهبنة ٤ ، مكانته ١٦٠ - ١٦١ ،  
 البطريرك الاوروشليمي والايقونات  
 ٣٢٧ ، الاول الفسيفس ٣ : ٢ -  
 ١٣ ، ليكابينوس والبلاط ٤٥ : ٢  
 البطريرك المسكوني ٤٦ : ٢ ، الحصي  
 ٤٩ : ٢ - ٤٩ ، الثاني الفسيفس ٢ :  
 ٤٩ - ٦٠ ، اكريتيس وملحمته ٢ :  
 ١٠٢ - ١٠٢ ، دوق موسكو ٢ : ٢٤٨  
 بطاطجي : اطلب يوحنا الثالث  
 بالاماں : اطلب غريغوريوس  
 باليولوغوس : الاسرة ١٨٣ : ٢  
 بانتوقراتور : الدير ٢ : ١٤٠ ، الكنيسة  
 ١٦٢ : ٢  
 بانس : قائد الروم ٢٤٣  
 بايزيد : السلطان وفتوحاته ٢ : ٢٥٣ -  
 ٢٥٩ ، وتيمورلنك ٢٦٢ - ٢٦٠  
 بتروناس : اخو برداس والعرب ٣٣٦  
 بتشناع : القبائل ٢ : ٦٨ - ٦٩ ، ثورتهم
- برابرة : تدفقهم ١٠٧ - ١٢٩  
 براخاميروس : قائد المرتزقة ٢ : ١١٥  
 براناس : اطلب ايكسيوس  
 برداس : الوصي ٢ : ٥  
 برداس : اسكليپيوس ٢ : ٥٠ ، عزله ٢ : ٢  
 برداس : فرقاس ٢ : ٢٧ و ٥٠ : ٥٠  
 برداس : الوصي ومخائيل الثالث ٣٢٧  
 يشجع العلم ٣٣٩  
 برفة : المركبة ٢٧١  
 برلام : الاب ومهنته لدى البابا ٢ : ٢٣٠ ،  
 يشير الشجب في آتونس ٢ : ٢٣٣  
 واليقظة في ايطالية ٢٧٧ : ٢  
 برثاردوس : البطريرك ٢ : ١٣٠ ، القديس  
 ١٤٧ - ١٤٨ : ٢  
 بروكويوس : نسب يوليانوس ٨٤ ،  
 المؤرخ ٢١١  
 بريانوس : اطلب نيقفوروس  
 بريسيوس : والآفار ٢٠٨ ، القائد ٢٢٣  
 بسلوس : ميخائيل وجامعة القسطنطينية ٢ :  
 ٦٧ ، العالم ٢ : ١٠١٩٩  
 بشناق : دخولهم في طاعة العثمانيين ٢ : ٢٥٤  
 بطرس : بطريرك الاسكندرية وكتاب  
 الاتحاد ١٣٣ ، القصار بطريرك انطاكية  
 ١٤٤ ، المؤرخ ٢١٢ ، بطريرك  
 انطاكية والانشقاق ٢ : ٧٦ - ٧٧ ،  
 الناسك ٢ : ١٢٦ ، كورناتي  
 الامبراطور ٢ : ١٨٨ - ١٨٩ ،  
 توها القائد ٢ : ٢٤٦

- بنطيسن : النابغة ١٤٣  
 بنديكتوس : الثاني عشر والاشقاق ٢ : ٢٣١  
 بهرام : الثاني ملك الفرس ٤٩ ، الثالث ٥٠ - ٤٩  
 بوتانياتس : اطلب نيقيفوروس ١٥٣  
 بودوان : الثالث ملك القدس ٢ : ٤١ -  
 بورجس : القائد وانطاكية ٢ : ٤٢  
 بورفيريوس: فلسفة ٢٢ ، والنصرانية ٨١  
 بوزن : المعركة ٣٣٧  
 بوستة : المعركة ١٩٠  
 بوسيكو : المارشال ٢٥٧  
 بوغريس : خاقان البلغار ٣٣٢ ، الملك يتنازل ٢ : ٤٧  
 بولس : الرسول ٢٨ - ٣٠  
 بولس : السيمياطي الاسقف ١٥٠  
 بولس : الصامت الشاعر ٢١٦  
 بولسيون : اضطهادهم ٣٣٤ ، وباسيليوس الاول ٢ : ٦ ، وعمانوئيل الاول ٢ : ١٥٦  
 بونياكتوس : البطريرك ٤٥  
 بونوس : والي القسطنطينية ٢٢٥  
 بونيفاتيوس : مركيز مونتفرات ٢ : ١٧٩  
 بوهيموند : التورمندي ٢ : ١٢٧  
 بويانس : قائد الروم في ايطالية ٢ : ٥٩ ، عزله ٢ : ٦٥ - ٦٦  
 بيبرس : السلطان حامي الاسلام ٢١٦
- بطريق : ابو يحيى والترجمة ٣٤٦  
 بفوقه: اهميتها الاقتصادية ٢ : ٢٣١ - ٢٣٠  
 بكتاشية: الطريقة والانكشارية ٢ : ٢٤٥  
 بلانوذس : مكسيموس الالفوي ٢ : ٢٧٣  
 بلد़يون : امبراطور ٢ : ١٧٩  
 بشيرية: شقيقة الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ١١٦ ، زوجة مرقيانوس ١٣٠  
 بلفار : القبائل ٢٧٧ ، والروم ٣١٦ ، تصرهم ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ولاوون السادس ٢٠ - ٢١ ، والقسطنطينية ٢٤ - ٢٦ ، وصموئيل ملكهم ٢ : ٥٤ ، والصلبيون ٢ : ١٨٤ - ١٧٠ ، تناقضهم مع الروم ٢ : ١٩٠ ، بليدي : اطلب نيقيفوروس ١٨٦  
 بليثون : اطلب غنيستون ١٧١ ، والحرب الفارسية ١٧٢ ، والحرب الافريقية ١٨٧  
 بليكانون : المعركة ٢ : ٢٣٠  
 بفيليوس : البيرولي ١٥٤ - ١٥٥  
 بندقية : وباسيليوس الثاني ٢ : ٥٩ ، حلية الروم ٢ : ١٢٤ ، ويوحنا الثاني ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ، حلية الروم ٢ : ١٥٠ ، والحملة الصليبية الرابعة ٢ : ١٨٢ ، امبراطوريها ٢ : ١٧٥  
 وجنوى ٢ : ١٩٧ - ١٩٨ و ٢٢١ ، ويوحنا الخامس ٢ : ٢٤٣ - ٢٤٠ ، تدافع عن الروم ٢ : ٢٤٤

بيث لحم : والقديسة هيلانة ٩٠

بيروت : الضجة فيها ٩٧ ، اسقفها واسقف

صور ١٢٨ ، ابناها بيفيليوس ١٥٤ -

١٥٥ ، متروبوليس ١٥٨ ، مدرستها

١٥٧ - ١٥٩ ، مرتلها رومانوس

١٥٩ ، ذراها ١٧٤ ، استاذتها

١٧٩ ، تعود الى طاعة الروم ٢ : ٤٩

بيروس : البطريرك ٢٥٤

بيزنطة : وقسطنطين الكبير ٦٤ - ٦٦

يساريون : الكردينال ٢ : ٢٧٠ ،

٢٧٨ - ٢٧٧

بلاجيوس : القاصد ٢ : ٢٠١

تر : والروم ٢ : ١٩٢

ترتش : امير دمشق ٢ : ١٢٤

ترنتوم : وباسيليوس الاول ٢ : ٨

تريفيزانو : الامiral ٢ : ٢٩٠

تريلكينيوس : ديمتريوس العالم ٢ : ٢٧٥

ترفانس : السابع ملك ارمينية ٧٥

ترفريقيا : في يد الروم ٢ : ٦

تهودة : المرة ٢ : ٢٦٣

توتيله : والشعب في ايطالية ١٩٠

توما : الانجلي ٣١ - ٣٢ ، الصقلي

وثورته ٣٢٠ - ٣٢٢

تيوس : والمشيحة الواحدة ٢٥٧

تيريداتس : الثالث والنصرانية ٧٥

تيموثاوس : البطريرك الاسكندرى ٩٣ ،

البطريرك القسطنطيني ١٣٨

تيمورلنك : وبازيد والروم ٢ : ٢٦٠ -

٢٦٢

ثيسالونيكية : مقبر ثيودوسيوس ٨٩ ،  
والآثار ٢٠٨ ، ولاون الطرابلسي

١٩ : ٢ ، عاصمة مونتفرات ٢ : ١٨٠ ،

في عهد الصليبيين ٢ : ١٨٨ - ١٨٩

ثيسالية : مجدها والفسيلفس ٢ : ٢١٣

ثييمة : نظامها ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ولاون

الثالث ٣٠١ - ٣٠٢ ، القرن التاسع

٤١ : ٢ ، قيليقية ١٩ : ٢

ثيودورة : زوجة يوستينيا فوس ١٦٩ -

١٧٠ ، والفاشنة ٢٠٣ ، زوجة

ثيوفيلوس الاول ٣٢٤ ، ام ميخائيل

الثالث ٣٢٧ ، ابنة قسطنطين التاسع

٧٨ - ٧٧ : ٢

ثيودوروس : المبوسي ١٥١ ، واجنادين

٢٤٢ - ٢٤٢ ، تريشوروس القائد

٢٤٤ ، الراهب ٣٤٠ ، الاول

الفسيلفس ٢ : ١٨٢ - ١٨٧ ،

ذيسبوت ابيروس ٢ : ١٨٨ ، الثاني

الفسيلفس ٢ : ١٩٣ - ١٩٩ ،

الاستوديتي ٢ : ٢٣٢ ، باليولوغوس

٢٥٨ : ٢

ثيودوريتس : الاسقف والقديس مارون

١٠٥ ، اسقف قوروش ١٥٢ ،

البطريرك الانطاكي والجمع السابع ٣١٠

ثيودوريكتوس : ملك القوط ١٣٢ - ١٣٣

ثيودوسيوس : الكبير الامبراطور ٨٦ -

١٠١ ، اسرته ١٠٧ - ١٠٨ ، الثاني

١١٦ - ١٢٩ ، اخوه قسطنطين الثالث

٢٥٧ الساحر ٢ : ١٤ ، البطريرك

- جورجي : ملك الكرج ٦٥  
 جيش : اخطاطه ١٢ - ١٣ ، وقسطنطين  
 الكبير ٦٨ - ٦٩ ، والمنصر البربرية  
 ٩٨ ، وبولستينوس الثاني ١٩٦ ،  
 قردة ٢٠٩ - ٢١٠ ، النار الاغريقية  
 ٢٦٢ ، اساليب الدفاع ضد المسلمين  
 ٢٩٤ - ٢٩٦ ، ولاوون الثالث  
 ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ولاوون السادس ٢ :  
 ١٨ ، وتنظيمه في القرن العاشر ٢  
 ٣٩ - ٣٧ ، جيش الساسانيين ٤٦ -  
 ٤٧
- المسكوني ٢ : ١٥٦ و ١٥٩  
 ثيوديتوس : البطريرك ٢ : ١٥٥  
 ثيفانس : المؤرخ ٢١٢ ، اكمال تاريخه ٢ :  
 ٣٤٤ ، المعترف ٣٤٢ - ٣٤٤  
 ثيفانو : زوجة رومانوس ابن قسطنطين  
 السابع ٢ : ٣٤  
 ثيفيلاقوس : المؤرخ ٢١٢ ، بطريرك  
 القسطنطينية ٢ : ٢٧  
 ثيوفيلوس : البطريرك الاسكندرى ١١٣ -  
 ١١٤ و ١٢٢ - ١٢٣ ، الفسيفس  
 ٣٢٧ - ٣٢٣ ، ابن غرغون القائد  
 ٢٧ : ٢  
 ثيوكتيستوس : عم ثيودورة الوصية ٣٢٧
- حارث : ابن جبلة ١٨٧  
 حاكم : الحاكم بامر الروم ٢ : ٥٦ و ٥٧  
 ٦٥  
 حبيب : بنو حبيب دخولهم في التصرانة ٢ :  
 ٣١ - ٣٠  
 حجاج : ابن قطر والقسطنطينية ٣٤٦  
 حدث : دربها ٢٩٥ ، استيلاء الروم  
 عليها ٢ : ٣٢  
 حرير : ادخال دوده الى لبنان والجزر  
 ١٧٧ - ١٧٦ ، اباحة سره ٢ :  
 ١٥٠  
 حلب : استيلاء سيف الدولة عليها ٢ : ٣٢ ،  
 ٣٣  
 نيقيفوروس يحاصرها ٢ : ٣٦  
 سقوطها في يد الروم ٢ : ٤٢ و ٤٥  
 ٦٤ ، اميرها حليف الروم ٢ : ١٥٧  
 حصن : اسقفها يوسيبيوس ١٦٢ ، وسيف
- جالية : مؤتمرها ٢٤٨  
 جامعة القسطنطينية ٣٣٩ - ٣٤٠ و ٢ :  
 ٦٧  
 جاورجيوس : البطريرك ٢٥٨ ، البسيدي  
 الشهاب الشاعر ٢٨٤ ، الراهب المؤرخ  
 ٣٤٥ ، موزان الوصي ٢ : ١٩٦  
 جبلة : عودتها الى الروم ٢ : ٤٢  
 جبيل : عودتها الى الروم ٤٩ : ٤  
 جرجان : ملك ايرية ١٨٦  
 جرمان : القبائل ١٧ - ١٨  
 جلباط : المعركة ٢ : ٣٢  
 جناديوس : البطريرك اللاهوتي ٢ : ٢٧١  
 ٢٩٠ و  
 جنوی : طرد ابنائها من القسطنطينية ٢ :  
 ٢٤١ ، والبندقية ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١

- الدولة ٢ : ٣٢ ، استيلاء الروم عليها  
 ٥٦٩ ٤٢ : ٢  
 حمير : تدخل كسرى في شؤونها ١٩٩  
 حنة : كومينية ٢ : ١٠١ ، دلسانة ٢ :  
 ١٢١ ١٣٨ و ١٥٨ : ٢ ، آغنى ابنة لويس السابع  
 خندق : سقوطها في يد الروم ٢ : ٣٤ - ٣٥  
 خوموس : نيقيفوروس اللاهوتي الفيلسوف  
 ٢ : ٢٧٣  
 خوئياني : اطلب نيقيتاس  
 خيوس : في حوزة اندرونيكيوس الثالث  
 ٢ : ٢٣٠

- دافن : المعركة ٢٤٠  
 دارا : بيساريوس يصمد فيها ١٨٦ ، سقوطها  
 في يد الفرس ٢٠٠ ، في يد الروم ٢ :  
 ٤١ و ٤٢  
 داميانوس : دلسانوس دوق انتاكية  
 ٢ : ٥٦  
 دانوب : وصول الاتراك اليه ٢ : ٢٤٨  
 داود : ملك الكرج ٢ : ٥٧  
 درب : الجوزات وائزام سيف الدولة ٢ :  
 ٣٣ ، درب السلامة ٢٩٤  
 دردنيل : اورخان يعبره ٢ : ٢٣٠  
 دفنة : ويوليانوس الحاقد ٨٣  
 دلغ : عاصمة الاتراك ٢٠١  
 دلسانة : اطلب حنة  
 دماوس : بابا رومة والجمع الثاني ٩٦  
 دمشق : والفتح العربي ٢٤٠ و ٢٤٣ ،  
 انداوس شاسها المرتل ٢٨٦ - ٢٨٧

- خاريطون : البطريرك ٢ : ١٥٦  
 خالد : ابن الوليد ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٣  
 خالقونديليس : مؤرخ الاتراك ٢ : ٢٦٨  
 خالكي : ديرها وفاطيروس العظيم ٢ : ١٤  
 خرشنة : لاوون يحشد فيها ٢ : ٣٣  
 خرمية ، طائفتهم وثيوفيلوس ٣٢٥  
 خريسافيوس الحصي : والجمع الخلقيدوني ١٢٦  
 خريسانطوس : الفيلسوف ويوليانوس ٧٩  
 خريستوفوروس : البطريرك الاسكندرى  
 ٣٢٧

- خريستيحة : والرهبان ٢ : ١٣٧  
 خريسيوبليس : المعركة ٢ : ٥٠  
 خريسيوخيروس : البوليسي ٢ : ٦  
 خريسولوراس : عمانوئيل والادب واليقظة  
 ٢٧٧ : ٢  
 خزر : القبائل وهرقل ٢٢٧ ، ولاوون  
 الثالث ٢٩٣

- تعرف بسيادة الروم ٤٨ :  
 والصلبيون ١٤٩ :  
 دمياط : وصول الروم إليها ٣٣٥  
 دندولو : اطلب اسطفان وهنريكسوس  
 دوروثاوس : القس الانطاكي ١٥٠  
 دوريلة : والصلبيون ٢ : ١٤٩  
 دوزمانة : المعركة ٣٢٦  
 دوس : كتبية المذر ١١٨  
 دوشان : اطلب اسطفان  
 دوكاس : المؤرخ ٢٦٨ :  
 دوكة : قسطنطين الفسيفس ٢ : ١٠٦ - ١٠٨  
 دومينوس: رئيس اساقفة البنديقية والانشقاق ٧٦ : ٢  
 دومينيكوس : كاتان مطامعه ٢ : ٢٣١  
 ديجينيس : اكريتis ملحمته ٢ : ١٠١ - ١٠٢  
 ديراتزو : حصارها ٢ : ١٢١ و ١٣١ و ١٣٢  
 ديتربزة : المعركة ٢ : ١٧٠  
 ديوجانس: رومانوس الفيلسوف ٢ : ١٠٨  
 ديدوروس : الطرسوسي ١٥١  
 ديمقوروس : البطريرك الاسكندرى ٢١٦ - ١٢٩ ، الشاعر  
 ديوقلينوس : الامبراطور اصلاحاته ٥١  
 و ٥٢ و ٦٥٦ - ٦٨  
 ديونيسيوس : البطريرك الانطاكي ١٤٧  
 ذمنوس : البطريرك الانطاكي ١٨٤  
 ذيذيس: الاعمى ١٤٨
- راينة : آثارها الفنية ٢١٨ - ٢١٩  
 رسائل : الرسل ٤١ - ٤٢  
 رسول : وتلاميذ واخوة ٢٤ - ٢٥  
 رشيد : الخليفة والنقل عن اليونانية ٣٤٦  
 رصافة : ونصر النعمان ٢٠٦  
 رملة : في طاعة الروم ٢ : ٤٩  
 رها : مدرستها ١٦٢ - ١٦٣ ، ومنياكس ٢ : ٦٥ ، وعماد الدين ٢ : ١٤٧  
 والصلبيون ٢ : ١٤٩  
 وهانية : ظهورها وانتشارها ١٠٢ - ١٣٧ ، واصلاحها ٢ : ١٠٦  
 روبر : غيسكار ومطامعه ٢ : ٩٢٠ - ١٢١ ، دي فلاندر والفصيافس ٢ : ١٢٨  
 والقرصنة والاسباليون ٢ : ١٨٨ - ١٨٩  
 روجه: الثاني النورمندي والروم ٢ : ١٥٠  
 رودوس: قاتونها البحري ٣٠١ - ٣٠١  
 رودوستو: سقوطها في يد الاتراك ٢ : ٢٣  
 روس: عند القسطنطينية ٣٣٧ و ٢ : ٤٢١  
 حلفاء الروم ٢ : ٤٤ ، طمعهم ٢ : ٤٦ - ٤٧ ، تنصرهم ٢ : ٥٣ ، تجاههم ٦٨ : في القسطنطينية ٢ : ١١٣  
 رسول : دي بايول ٢ : ١٠٨  
 روفينوس: مدبر اركاديوس ١٠٨  
 رومانوس : المقل البيروقي ١٥٩ ، قائد الروم ٢٠١ ، الاول الفسيفس ليكابينوس ٢ : ٢٣ - ٢٧ ، الثاني والشهوة ٢ :

- ساسان : الدولة ٤٣ - ٥٠  
 ساسون : زعيمها طورنيق ٢ : ١١٥  
 ساعة : ساعات لاوون الرياضي والدفاع  
 العسكري ٢٩٥  
 سامورة : ثورتها ١٨٠  
 سداسي : مصنف هرمنوبولس في القانون  
 ٢٧٥ : ٢  
 سرجيوس : البطريرك وهرقل ٢٢١ و ٢٢٥ و ٢٢٩  
 وحصار القدسية ٢٢٨ - ٢٣٠ ،  
 والمشيّة الواحدة ٢٣١ ، بابا روما  
 وزواج لاوون ٢ : ١٦ ، البطريرك  
 والبابا ٢ : ٥٢  
 سرقوسة : سقوطها في يد المسلمين العرب ٢ : ٨  
 سعد الدولة : الحمداني ٢ : ٥٤  
 سكولاريوس : جاورجيوس وجمع فراري  
 ٢٨٣ - ٢٨٢ : ٢  
 سلاجقة : وحدود آسية الصغرى ٢ :  
 ٦٩ - ٧٠ ، توحيد كلّتهم ٢ : ١٥٧  
 أخبارهم ٢ : ١٠٩ - ١١٠ ، ازدياد  
 نفوذهم ٢ : ١٢٤ ، وملکشاه الثاني ٢ :  
 ١٣٣ - ١٣٢  
 سلامة : درب ٢٩٤  
 سلطان : استعمال هذا اللقب ٢ : ١٥٦  
 سلوتيوس : خاف يوليانوس الجاحد ٨٦  
 سلوقية : على دجلة وبوليانوس ٨٥  
 سليمان : ابن عبد الملك والقدسية ٢٧٣ -  
 ٢٧٤ ، قطلش قائد السلاجقة ٢ :  
 ١٢٤ و ١١٣  
 سمعان : ملك البلقار والروم ٢ : ٢٠ - ٢١
- ٤٤ ، أرجيروس ٢ : ٦١ - ٦٢  
 الثالث الفسيفس ٢ : ٦٢ ، اسكابيروس  
 ٢ : ٦٧ - ٦٨ ، والبطريرك ٢ :  
 ١١١ ، الرابع ٢ : ١٠٨ - ١٠٠  
 رومة : تقهقرها الداخلي ٩ - ١٩  
 اسقفها ٣٨ وعرب صقلية ٢ : ٧  
 روملي : حصار القلعة ٢٨٩  
 رومولوس : آخر الاباطرة ١٣٢  
 رينو : أمير انطاكية ٢ : ١٥٢ -  
 ١٥٣
- زارة : حصارها ٢ : ١٧٦  
 زبطرة : قلعتها ٢٩٤ ، وئيوفيلوس الاول  
 ٣٢٥
- زبلي : قسطنطين الخامس ٣٠٧  
 زفلينيس : رئيس كلية الحقوق ٢ : ٦٧  
 ذكريا : الاسرة الجنوية ٢ : ٢٣٠  
 ذلazel : بيروت والساحل اللبناني ١٧٤  
 زهير : وموقعة برقة ٢٧١  
 زورناراس : المؤرخ ٢ : ١٦٦  
 زوجة : كاربونوبينا ٢ : ١٥ ، زوجة  
 هيغائيل الرابع ٢ : ٦٢ - ٦٣  
 زياد : الحصن وسيف الدولة ٢ : ٣١  
 زيادة : الله وصقلية ٣٢٢  
 زيفاينوس : اطلب افيموس  
 زينون الامبراطور ١٣١ - ١٣٢
- ساتورنيوس : القائد ٩١  
 صاروس : النهر وهرقل ٢٢٦

- شرحبيل : والشام ٢٤٠  
 شهان : ملك البلغار ٢ : ٢٥١  
 شقيق : يوحنا اطلب جيمسكي  
 شهباء : كتبية المنذر ١١٨  
 شهربراز : القائد الفارسي ٢٢٤ - ٢٢٨  
 شirovه : ابن ابرويز ٢٢٧  
 شينيون : القبائل وفارس ٧٦  
 صارخة : سقوطها في يد سيف الدولة ٢ : ٣٣  
 صامتون : حركة رهبانية ٢ : ٢٣٣  
 صرب : مطامعهم ٢ : ٢٢١ - ٢٢٢  
 صروخان : في حوزة العثمانيين ٢ : ٢٥٣  
 صفرونيوس : البطريرك والمشينة الواحدة ٢٣٢ ، وسير القديسين ٢٨٦ ، والاشتباك ٢ : ١٠٧  
 صقالبة : القبائل والبلدان ٢٠٧ - ٢٠٨  
 ٣٣٢ و٢٣٠ و٢٧٥ - ٢٧٦ ، تنصرهم  
 صقلية : في يد العرب ٢ : ٢٠ ، الحملة عليها ٦٦ : ٢  
 صليب : والقديسة هيلانة ٦٠ ، والفرس ٢٢٤ ، وهرقل ٢٢٨  
 صليبيون : حروبهم ٢ : ١٢٥ - ١٣٢  
 ١٤٩ ، ١٤٧ و١٧٥ - ١٨١  
 صموئيل : ملك البلغار ٢ : ٥٤ و٥٦ و٥٧  
 صواري : ذات : الموقعة البحرية ٢٥٦  
 صور : اسقفها واسقف بيروت ١٢٨  
 صوفية : زوجة يوستينيوس الثاني ، ١٩٥  
 و ٢٥ - ٢٦ ، والبطريرك ٢ : ١٠٠ ،  
 المايستر وتاريخه ٢ : ١٠٠  
 سواتوسلاف : امير الروس ٢ : ٤٤  
 ٤٦ - ٤٧  
 سولاخان : المعركة ٢٠١  
 سويداں : قاموسه ٢ : ١٠٠ ،  
 سويروس : بطريرك انطاكية ١٣٨  
 سويرينوس : بابا روما والمشينة الواحدة ٢٣٣  
 سوندرة : الدير ٢ : ١٩٦  
 سيجسموند : والاتراك ٢ : ٢٥٤ ،  
 واخفاقة في نيكوبوليس ٢ : ٢٥٧  
 سيرأليس : هدم هيكله في الاسكندرية ١٠٠  
 سيروبولوس : سيليفستروس مؤرخ تجمع فلورنزا ٢ : ٢٦٩  
 سيرين : زوجة ابرويز المسيحية ٢٠٧  
 سيسان : الامير حليف عثمان ٢ : ٢٢٥  
 سيسينيوس : الثاني البطريرك ٢ : ٥١  
 سيف الدولة : اصله ٢ : ٢٩ ، حربه مع الروم ٢ : ٣٢ - ٣٦ ، ومقارنة الكحل ٢ : ٣٥  
 سياخوس : يدافع عن الوثنية ١٠٠  
 سيناپیوس : القىروني ١٤٨  
 شابور : الاول ٤٧ ، الثاني ذو الاكتاف ٧٦ - ٧٥  
 شارلمان : امبراطور الغرب ٣١٣  
 شاهين : القائد الفارسي ٢٢٨ - ٢٢٤

المركة ٢ : ٥٤

صيدا : دخولها في طاعة الروم ٢ : ٤٩

٣٥

عبدالله : البطل بطل الاتراك ، ٢٩٣

الهاشمي والجذل ٣٤٧

عبد الملك : يفاوض الروم ٢٦٤ ،

ويوستينيانوس الثاني ٢٦٤ - ٢٦٧

عنان : والاسطول العربي ٢٥٥ ، السلطان

المقاطي ٢ : ٢٢٢ و ٢٣٠

عذراء : السيدة حامية القسطنطينية ٢٢٨

- ٢٥ و ٢٣٠

عربة : الوادي ٢٤٠

عرفة : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤٢

عزيز : العزيز الفاطمي وباسيليوس الثاني

٢ : ٥٤ - ٥٥

عقلان : والعرب ٢٣٩

عقبة : ابن نافع ٢٦٣

عكلة : والاسطول العربي الاول ٢٥٥

في طاعة الروم ٢ : ٤٩

علي : ابن يحيى والروم ٣٣٥

عماد الدين : زنككي السلاجوقى ٢ : ١٤٢

عمانوئيل : القائد ومصر ٢٥٥ ، الاول

الفسيفس سيد سوريا ٢ : ١٥٢ -

- ١٥٣ ، يطبع في ايطالية ٢ : ١٥٤

، الثاني البطريرك ٢ : ١٩٣ ، ١٩٣

امبراطور طرابزون ٢ : ١٩٧ ، ١٩٧

الثاني الفسيفس ٢ : ٢٥٩ - ٢٦١

٢٦١ - ٢٦٥ ، والعلم ٢ : ٢٦٧

عمر : الكبير والروم ٢٤٥ - ٢٤٢

ابن عبدالله والروم ٣٣٧

عمرو : ابن العاص ٢٤٠ ، ومصر - ٢٥٠

٢٥١

طبرية : في يد الروم ٢ : ٤٨

طرابلس : تصمد في وجه الروم ٢ : ٦٥

في حياتهم ٢ : ٦٥

طراسيوس : البطريرك والبابا ادريانوس الاول ٣١٠

طرسوس : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤٢

طرطوس : سقوطها في يد الروم ٢ : ٤١

طفل : ارسلان امير السلاجقة ٢ : ٦٩

٧٨ ، وبغداد ٢ : ١٤١

طوروس : امير قيليقية الارمني ٢ : ١٥٢

طورنيق : ابن موشيل زعيم ساسون ٢ : ١٤١

طورنتيوس : الارمني والمناداة به فسيلفاس ٦٨ : ٢

طوزلة : المركة ٢ : ٢٣٠

طياريروس : الثاني الامبراطور ١٩٦ - ١٩٧

طيسفون : ويوليانوس الجاحد ٨٥ ، ١١٧

طياروس : كتاب افلاطون ١٩

عازار : ملك الصرб ٢ : ٢٥١

عاصي : الموقفة ٢ : ٥٦

عباس : ابو الانجب ومحققية ٣٣٣

عبد العزيز: القرطبي واقرسطش ٢ : ٣٤ -

- ٥٢ - ٥١
- غمار : الآربوسي ١٨٧  
غليقاس : المؤرخ ٢ : ١٦٦  
غميسوس : جاورجيوس الفيلسوف ٢ :  
٢٧٨ - ٢٧٧ و ٢٧٢
- غناسيوس : يوسف المؤرخ ٢ : ١٠٠  
غودفري : دي بويون واليكسيوس ٢ :  
١٢٧  
غيسكار : روبر التورمندي ٢ : ١٠٩  
غيور : حزب الغيورين ٢ : ٢٣٢
- فارس : الحرب بينها وبين قسطنطينوس  
٧٥ - ٧٦، ويوليانوس ٨٤ - ٨٥  
ويوفيانوس ٨٦، وئيدوسيوس ٩٦  
٩٧ ، صداقتها ١١٧ - ١١٨ ،  
وانسطاسيوس الاول ١٣٦ - ١٣٧ ،  
ويوستينيانوس الاول ١٨٥ - ١٨٩ ،  
ويوستينيوس الثاني ١٩٩ - ٢٠٠  
وهرقل ٢٢٣ - ٢٢٨  
فاطمي : الدولة الفاطمية ٢ : ٤٧ - ٤٨  
المستنصر ٢ : ٦٩ و ٧٨  
فاوستة : زوجة قسطنطين الكبير ٦٠  
فحل : المعركة ٢٤٣  
فرات : الحد الفاصل ٢ : ٣٤  
فراري : الجموع ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٦  
فراس : ابو قصيده في موقعة جلباط ٢
- ٣٢٠ - ٣١٩
- عموري : الاسرة ٣٢٦  
عین زربا : في يد الروم ٢ : ٣٥ - ٣٦
- غازى : السيد بطل الاتراك ٢٩٣  
غالوس : قيصر ٧٤  
غاليبولي : والفرسان المقاور ٢ : ٢٢٥ ،  
والاتراك ٢ : ٢٤٢
- غايناس : زعيم القوط ١١٢ و ١١٠  
غرأيتانوس : يفاوض القوط ٩٠  
غرامايتicos : اطلب نيكولاوس الثالث  
غرغون : القائد ٢ : ٢٧
- غريغوراس : نيقيفوروس المؤرخ ٢ :  
٢٦٧
- غريغوريوس : النازياتزي ويوليانوس ٧٩  
سيرته ٩٢ - ٩٣ و ٩٣ - ١٥٩ ،  
النيسي ١٦١ ، بطريرك انطاكية ٢٠٤  
العظيم بابا روما ٤ - ٣٠٥ ، السابع  
بابا روما والانشقاق ٢ : ١١٤ - ١١٥  
العاشر البابا وسياسته ٢ : ٢١٣ - ٢١٢  
بالاماس والرهبان ٢ : ٢٣٣ ، الحادي  
عشر البابا والروم ٢ : ٢٤٩ ، القبرصي  
اللاهوتي ٢ : ٢٧١
- غان : القبائل ويوستينيانوس ١٨٧ ،  
وخلاؤه ٢٠٢ - ٢٠٧ ، بنت جبلة  
وحصار القسطنطينية ٢٦١
- غلاريوس : الامبراطور وقسطنطين الكبير

- فرانجيس : جاورجيوس المؤرخ ٢ : ٢٦٨  
 فرما : القتال عندها ٢٥٠  
 فرنسيكان : الرهبان الخمسة ٢ : ٢٠٦  
 فروسينة : وثيوفيلوس الاول ٣٢٤  
 فريتيفرن : قائد القوط ٨٨  
 فريجية : ثورة القوط ١١٢  
 فريديريكس : الاول الامبراطور  
 وايطالية ٢ : ١٥١ - ١٥٢ ، الثاني  
 واسحق الفسيفس ٢ : ١٧٢ - ١٧١  
 فستا : نصبه الرسلي ٧٥  
 فيلس : صلاحاته وبلاته ٢ : ٨٠ - ٨٣  
 فصول : كتاب الفصول الثلاثة ١٨٤ - ١٨٢  
 فضل : ابن قارون وانطاكية ٣٣٧  
 فقس : اطلب يو حنا  
 فلاخ : في طاعة العذينين ٢ : ٢٥٤  
 فلاديير : امير كييف ٢ : ٥٠  
 فلورنزة : مجدها ومؤرخه ٢ : ٢٦٩  
 فن : الفن البيزنطي ١٦٣ - ١٦٤ و ٢ : ١٠٣ - ١٠٢  
 فوطيوس : اسقف صور ١٢٨ ، العظيم  
 ، ٣٣٢ - ٣٣٠ ، والعلم ٣٤٠ - ٣٣٩  
 وباسيليوس الاول ٢ : ٩ ، براء من  
 الانشقاق ١١ : ٢ ، ولاونون السادس  
 ٢ : ١٤ ، دير خالكي ٢ : ١٤ ،  
 والعلم ٢ : ٩٩ - ٩٨  
 فوقياس : الامبراطور ٢١٠ - ٢٠٩  
 فوقة : واسرة فينوزو ٢ : ٢٣٧  
 فيتاليانوس : ثورته ١٣٩  
 فيشاغوروس : فلسفته ١٩  
 فيجييليوس : بابا رومة والجمع الخامس
- فرانجيس ١٨٤ - ١٨٥  
 فيلفو : العالم الايطالي والروم ٢ : ٢٧٨  
 فيليكس : الثالث ببابا رومة وكتاب الاتحاد  
 ١٣٣  
 فيلهاردون : اطلاقه من الاسر ٢ : ٢١٠  
 فيلوثيوس : البطريرك وفراره ٢ : ٢٤٤  
 والاتراك ٢ : ٢٤٨  
 فيلون : فلسفته ٢١  
 فيلينوس : قائد الروم ٢٠٠ ، وارمنية  
 ٢٢٤ ، البرداني ٢٧٢  
 قار : ذو ، المعركة ٢٤٠  
 قبة الصخرة : والنف البيزنطي ٢ : ٢١٦  
 قبجاق : والماليك ٢ : ٢١٦  
 قبدوقية : مدرستها ١٥٩ - ١٦٢  
 قبرص : هجوم المسلمين عليها ٢٥٥ - ٢٥٦  
 خروجهم منها ٢٦٤ ، عودتها الى الروم  
 ٢٩٤  
 قدس : الـ ، سقوطها ٢ : ١٧١  
 قراطيس : حربها ٢٦٦  
 قرباص : والروم ٣٣٧  
 قرطاجة : دخول بليساريوس اليها ١٨٨  
 قرغويه : ينجد ابن سيف الدولة ٢ : ٤٢ ،  
 يعترف بحماية الروم ٢ : ٤٢  
 قرقيسية : موريقيوس عندها ، ٢٠٠  
 واپرویز ٢٢٣  
 قرميدون : المقدسة ٤١ : ٢  
 قسطا : ابن لوقا ينقل عن اليونانية ٣٤٦  
 قسطنطيل : المعركة ٢ : ٢٢٩

- قسطنطية : زوجة ليكينيوس ٥٤  
 قسطنطيوس : الامبراطور ٧٤ - ٧٧  
 قسطنس : الامبراطور ٧٤  
 قسطنطين : الامبراطور ٥١ - ٧٤  
 الثاني ٧٤ ، الثالث ٢٥٥ - ٢٥٧  
 الرابع ٢٩٣ - ٢٦٤ ، الخامس ٢٥٧ - ٢٩٣  
 ، ٢٩٦ ، السابع ٢ : ٢٧ - ٢٩٦  
 والعلم ٢٨ ، و ٩٨ - ١٠٠ ، الثامن  
 ٢ : ٦١ - ٦٢ ، ارتوكليني ٢ : ٦٣  
 التاسع مونوماخوس ٢ : ٦٣ - ٦٤  
 ٦٦ - ٧٩ ، اوروبيوس والي ايطالية  
 ٦٦ : ٦٦ ، ليخوذس ٢ : ٦٧ ، الكبير  
 ومنته للكنيسة ٢ : ٧٣ ، البطريرك  
 ٢ : ١٠٦ ، العاشر الفسيفس ٢ :  
 ١٠٦ - ١٠٨ ، البطريرك ٢ : ١٥٥  
 الحادي عشر الفسيفس ٢ : ٢٨٧ -  
 ٢٩٦  
 قسطنطينية : روما الجديدة ٦١ - ٦٤  
 والقوط ١١٠ ، وسور ثيودوسيوس  
 ١٢٨ - ١١٩ ، معهدها العالى ١١٩  
 وكتاب الاتحاد ١٣٣ ، وانتصار  
 موريقيوس ٢٠٠ ، والآفار ٢٠٨  
 ٢٢١ ، وحصار الآفار -  
 ٢٢٤ ، والعرب ٢٦١ و ٢٧٣ - ٢٧٤  
 ٣٢١ - ٣٢٢ ، ولاوون الطرابلي  
 ٢ : ١٩ ، والروس ٢ : ٢١ ، والبلفار  
 ٢ : ٢٤ - ٢٥ ، وجاءها ٢ : ٥٤ -  
 ٥٥ ، وجماعتها ٢ : ٦٧ و ٩٨  
 وتجاو الروس ٢ : ٦٨ ، والحملة الصليبية  
 الثانية ٢ : ١٤٨ ، في القرن الثاني عشر
- ١٦١ : ٢ - ١٦٨ ، ومدارسها  
 ١٦٤ ، وحصار الصابيين ٢ : ١٧٨ -  
 ١٧٩ ، وخروج اللاتين منها ٢ :  
 ١٩٩ - ١٩٧ ، وانقسامها على نفسها  
 ٢٢٦ ، سقوطها ٢ : ٢٨٨ -  
 ٢٩٦  
 قضاء : ثيودوسيوس الثاني ١١٩ - ١٢٠ ،  
 يوستينيانوس ١٧٨ - ١٧٩ ، لاوون  
 الثالث ٢٩٨ - ٣٠١ ، موجز الحقوق  
 لاتالياتس ٢ : ١٠٢ ، وباسيليكـة  
 لاوون السادس ٢ : ١٦ - ١٧ ،  
 وباسيليوس الاول ٢ : ١٢ ،  
 وهرمنوبولوس والسداي ٢ : ٢٧٥  
 قطلش : اطب سليمان  
 فلنج : ارسلان ٢ : ١٢٤ ، الثاني ٢ :  
 ١٥٦ ، يزور القسطنطينية ٢ : ١٥٧  
 قوروش : مقر القديس مارون ١٠٥  
 قوزمة : البحري . الجغرافي ٢١٣  
 الاوروشليمي البطريرك ٢ : ١٣٦  
 قوصوة : المعركة ٢ : ٢٥١  
 قوط : امام الهون ٨٨ - ٩١  
 وثيودوسيوس ٩١ ، آلاريكسوس  
 ١٠٩ - ١١٠ ، والقسطنطينية ١١٠  
 والثورة ١١٢ ، ويوستينيانوس ١٩٠  
 قونية : والنورمنديون ٢ : ١١٣ ، سلطنتها  
 ١٤٧ : ٢ - ١٥٨ و ١٥٦  
 قيدونوس : ديمتريوس اللاهوتي ٢ : ٢٧٠  
 قيزيقـة : حصارها ٢ : ٢٢٤  
 قيسارية : فلسطين مدحتها ١٥٤ - ١٥٧  
 قيليقـة : ابوابها ٢٩٤ ، دخول الروم اليها

والاكتسيس والتبيوس ٢٥٨ ، تنظيمها  
والمجمع الخامس السادس ٢٦٩ - ٢٦٨ ،  
تزايد نفوذها ٢٨١ - ٢٨٣ ، حرب  
الإيقونات ٣٠٢ - ٣٠٩ ، المجمع  
المكוני السابع ٣٠٩ - ٣١٢ ،  
ابرشيات ارثوذكسية في إيطالية ٢ : ٨ ،  
اضطهاد الفاطميين ٢ : ٧٨ ، البطريرك  
المكوني ٢ : ٨٣ - ٨٦ ، مكانة  
الفسيفس فيها ٢ : ٨١ - ٨٢ - ٨٦ و ٨٢ -  
٨٨ ، من هم على غير النصرانية ٢ :  
٩٢ - ٩٣ ، توسيع صلاحيات  
البطريرك ٢ : ١٠٥ ، البطريرك  
واحتداء الأرجواني ٢ : ١٠٥ - ١٠٦  
١٠٦ ، عمانتيل والتوفيق بين الكنائس  
الشرقية ٢ : ١٥٦ ، تغيير رئاستها  
خمس مرات في ١١ سنة ٢ : ٢٢٦ ،  
الاحزاب ٢٣٤ - ٢٣٢  
كورنوس : الروم يصنون بروزخها ٢ :  
٢٦٣  
كورنيوس : الأفريقي الشاعر ٢١٦  
كوردوخاي : مر ٢٩٤  
كوزل حصار : القامة ٢٨٩  
كولوني : نظام ٩  
كومينيوس : الأسرة واخبارها ٢ : ١٠٤ -  
١١٢ ، الأسرة ٢ : ١١٧  
كونراد : الثالث الإمبراطور زعيم الحلة  
الصلبية الثانية ٢ : ١٤٧  
كيخسرو : غاث الدين يتدخل في سياسة  
الروم ٢ : ١٨٦ ، الثاني ويونا  
الثالث ٢ : ١٩٢ ، الثاني ومخائيل

كانان : أطلب دومينيكوس  
كانوليك : حق التلقي بهذا المفهـ ٩٢  
كارلوس : أنجو ومطامعه ٢ : ٢١١ -  
٢١٢ ، السادس ملك فرنسا والروم ٢ :  
٢٥٩  
كاسية : الشاعرة ٣٤٥  
كالب : النجاشي ١٦٧ - ١٦٨  
كالويان : لقب يوحنا الثاني ١٣٩ : ٢  
كالينيكوس : والنار الاغريقية ٢٦٢  
كدرينوس : المؤرخ ٢ : ١٦٦  
كرورم : خاقان البلفار ٣١٦  
كريسيوس : ابن قسطنطين الكبير ٦٠  
كسرى : أنو شروان ١٨٥ - ١٨٦  
و ١٨٩ - ١٨٨  
كسلة : الرعيم البربرى ٢٦٣  
كلوني : رهبان والاشتراك ٢ : ٧٢  
كلينيكوم : الحرب عندها ١٨٦ ، واپرويز  
٢٢٣  
كتاموس : أطلب يوحنا  
كتانوس : يوحنا المؤرخ ٢ : ٢٦٩  
كندي : عبد المسيح والجدل ٣٤٧  
كنزاكة : تبريز وصول هرقل إليها ٢٢٦  
كنيسة : اشراق فيما ١٢١ - ١٢٩ ،  
وكتاب الاخداد ١٣٣ ، موقف  
يوستيانوس ١٧٩ - ١٨٥ ، الحكمة  
الالهية ١٩٤ و ٢١٧ ، الرسل وبناؤها  
٢١٨ - ٢١٧ ، تقد هرقل بالمال ٢٢٥  
والاينيكون والفصول الثلاثة

الخزري الفسليفس ٣٠٩ - ٣١٢ ،  
الثالث بابا رومية ينتخب امبراطوراً على  
الغرب ٣١٢ - ٣١٣ ، الخامس  
الفسليفس ٣١٧ - ٣١٩ ، السادس  
الفسليفس وزوجاته ٢ : ١٥ ، السادس  
الفسليفس ٢ : ١٣ - ٢٢ ، السادس  
الفسليفس مشجع العلم ٢ : ٩٨ - ٩٩ ،  
الطرابلسي وهجومه على القسطنطينية ٢ :  
١٩ ، الطرابلسي وتحطم عمارته ٢ :  
٢٧ ، ابن فوقياس يخشى في خرسنة ٢ :  
٣٣ ، فوقياس يحاصر طرسوس ٢ :  
٤١ ، التاسع البابا والاشتباك ٢ :  
٧١ - ٧٢ ، متروبوليت اخريرة  
والاشتباك ٢ : ٧٢ ، الشهاد وتأريخه  
١٠٠ : ١٠٠ ، النحوي وتأريخه ٢ : ١٠٠

لندن : وصول فسليفس الروم اليها ٢

٢٦٥

لوباديون : المعركة ٢ : ٢٦٤  
لوقا : البطريرك المسكوني ٢ : ١٥٥  
لوقيانوس : القس الانطاكي ١٥٠  
لؤؤة : الوصي على ابن سعد الدولة ٢ : ٥٦  
لؤؤة : قلعتها ٢٩٤ ، يحتلها باسيليوس  
الاول ٧ : ٢  
لونجينوس : اخو زينون الامبراطور ١٣٥  
لويس : السابع ملك فرنسة ٢ : ١٤٨ ،  
ابنته خطيبة اليكسيوس ٢ : ١٥٨ ،  
ملك المجر يتلهى ٢ : ٢٤٤  
لييانوس : الفيلسوف ويوليانوس ٨٣ -

باليولوغوس ٢٩٥ : ٢  
كيرالس : بطريرك الاسكندرية والمجمع  
الثالث ١٢٤ ، البيساني المؤرخ ٢١٥  
كيروس : البطريرك والمشائة الواحدة ٢٣١  
كيرولاريوس : اطلب ميخائيل  
كيزيكوس : وحصار القسطنطينية ٢٦٢  
كيمبالونغوس : الموقعة ٢ : ٥٧

لاتراني : المجمع ٢٠١ : ٢  
لاذقية : تعم بلقب متروبوليس ٩٨ ، اسقفها  
ابوليياريوس ١٢٣ ، دخول بوهيموند  
اليها ٢ : ١٣٢  
لازقة : خلاف الفرس والروم ١٣١ -  
١٣٢ ، قضيتها ١٨٦  
لاريسة : الموقعة ١٢٢ : ٢  
لاساكرة : امرتهم ١٨٣ : ٢  
لاسكاريس : كاليفوفيروس ومهنته في افينيون  
٢٤٩ : ٢

لامس : الاب والقديس مارون ١٠٥  
لاونديوس : الفسليفس ٢٧٠ - ٢٧٤ ،  
اسقف قبرص وسير القديسين ٢٨٦  
لاون : البابا والمجمع الحقيدوني ١٢٦ -  
١٢٩ ، الاول الامبراطور ١٣١ -  
١٣٢ ، الرياضي و ساعته ٢٩٥ ، الرياضي  
ومدارس الدولة ٣٢٤ ، الرياضي رئيس  
جامعة القسطنطينية ٣٣٩ ، الثالث يصد  
العرب ٢٩٢ ، الثالث واصلاحاته  
القضائية ٢٩٨ - ٣٠١ ، الثالث  
الفسليفس ٣٠٧ - ٣٠٧ ، الرابع

- السادس (ترولس) ٢٥٨ - ٢٦٠ ، الخامن السادس ٢٦٨ - ٢٦٩ ، الفيرة  
 المحلي ٣٠٤ ، السابع ٣٠٩ - ٣١٢ ، الثامن ٣٣١ و ٢ : ٩ - ١١ ، باسيليوس الاول ٢ : ٩  
 محمد : الثاني والقسطنطينية ٢ : ٢٨٨ - ٢٩٦  
 مراد : الاول السلطان وفتحاته ٢ : ٢٤٨ - ٢٥١ ، اثناني ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤  
 و ٢٨٦ - ٢٨٥  
 مرتيوس : بطريرك انطاكيه ١٣٤  
 مرتبنة : زوجة هرقل ٢٥٤  
 مرتينوس : الاول بابا رومه والاكتيسيس ٢٥٧  
 مردمة : وصولهم الى لبنان ٢٦٠ ، ونقلهم  
 منه ٢٦٤ - ٢٦٥  
 مردونيوس : الحصي ويوليانوس ٧٨  
 مرعش : خروج العرب منها ٢٦٤  
 مرقس : الانجليزي ٣١ - ٣٢ ، متروبوليت  
 افسس وجمع فرارى ٢ : ٢٨٣ - ٢٨٦  
 مرقيانوس : الامبراطور والمجمع الرابع  
 - ١٢٩ - ١٢٧ ، اخباره ١٣٠ - ١٣١  
 مرقية : المعركة ٢ : ٢٥٤  
 مريم : الانطاكيه ٢ : ١٥٨ - ١٥٩  
 مزدة : اهورا مزدة ٤٤ - ٤٥  
 مسعود : امير السلاجقة ٢ : ١٤١ ، سلطان  
 قونية ٢ : ١٥٦  
 مسلمة : والقسطنطينية ٢٧٤  
 مسيح : هو الملك عند الروم ٢ : ٨٠ - ٨١
- ٨٤ ، وادارة ثيودوسيوس ٩٧ ، اديب  
 انطاكيه ١٤٩  
 ليخوذاس : اطلب قسطنطين الرابع  
 ليخوذى : البطريرك ٢ : ١٠٦  
 ليكينيوس : الامبراطور ٥٣  
 ليو تاريون : المعركة ٢ : ٢٥٨  
 مارون : القديس ١٠٥ - ١٠٦  
 ماريا : زوجة باسيليوس الاول ٢ : ١٣  
 مامون : ومساعدة توما الصقلي ٣٢١  
 ولاوون الرباعي ٣٤٦  
 ماني : دينه ٤٧ - ٤٩ ، الثورة المانوية  
 ١٢٣ : ٢  
 مانفرد : الامبراطور وتسلبه على الروم  
 ٢٠٢ : ٢  
 متافراس : سمعان واخبار القديسين ٢ : ١٠٠  
 متوكل : على الله نيرون العرب ٢٣٥  
 متى : ابن يوحنا السادس ٢ : ٢٤٣ ، والعلم  
 ٢٦٧  
 مثني : ابن حارثة والفتح ٢٤٠  
 مثوديوس : المترف البطريرك والايقونات  
 ٣٢٧  
 مجمع : المسكوني الاول ٥٥ - ٥٩ ، الثاني  
 ٩٦ - ١١٤ ، البلوطية ، طيسفون  
 ١١٧ ، الثالث (افسس) ١٢٤ -  
 ١٢٥ ، الرابع (خلقيدونية) ١٢٥  
 ١٢٩ ، الخامس ١٨٤ - ١٨٥ ، المحلي  
 الذي عقده المنذر الفساني ٢٠٤ ،

مكسيموس : الامبراطور ٩٨ - ٩٩  
 مكسيموس : المترف ودفاعه ضد المشينة  
 الواحدة ٢٨٥ - ٢٨٦  
 مكسيميانوس : امبراطور الغرب ، ٥٢  
 قصر على سوريا ٥٢ ، البطريرك ١٢٥  
 ملاتيوس : بطريرك انطاكية ٩٣  
 ملاذ كرد : الموقعة ٢ : ١١٠  
 ملاطية : الموقعة ٢٠٠ ، دك حصونها ، ٢٦٤  
 قاعتها ٢٩٤  
 ملكشاه : جلال الدولة والروم ، ١١٣ : ٢  
 وتوزيع الاقطاع في سوريا ٢ : ١٢٤  
 والسلاجقة ٢ : ١٣٣ - ١٣٢  
 ملك غازي : أمير السلاجقة ٢ : ١٤١  
 وابنه محمد ٢ : ١٤٣  
 ملاس : المؤرخ الانطاكي ٢١٣  
 مليه : الدمشقي الارمني ٢ : ٤٨  
 ماليلك : وروسيه والمماييق ٢ : ٢١٦  
 مناسيس : المؤرخ ٢ : ١٦٦  
 منج : وكسري ١٨٩  
 منذر ابن النعمان ، ابن الحارث  
 الفساني ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥  
 مهزىكرت : الموقعة ٢ : ١١٠  
 منياكس : جورج وصلقية ٢ : ٦٦ - ٦٨  
 مؤتة : القتال فيها ٢٣٧ - ٢٣٨  
 مورة : عمانوئيل الثاني يوطد حكمه فيها  
 ٢٦٣ : ٢  
 موريق وموريقيان : ولبنان ٢٦٥  
 موريقيوس : الامبراطور ١٩٧ - ١٩٨  
 عدو المنذر الفساني ٢٠٥

مسينة : الاستيلاء عليها ٢ : ٦٦  
 مشارف : القتال فيها ٢٣٧ - ٢٣٨  
 مشينة : واحدة ٢٣٠ - ٢٣٣ و ٢٨٥  
 مصر : والفتح العربي ٢٢٤ - ٢٢٥  
 و ٢٤٨ - ٢٥٣ ، والمشينة الواحدة  
 ٢٣٢ ، وحملة عمانوئيل لاسترجاعها  
 ٢٥٥ ، وغارة الروم على سواحلها ٣٣٤  
 مصيصة : سقوطها في يد الروم ٤١ : ٢  
 معاوية : وادي عربة ٢٤٠ ، والمردة  
 والفرس ٢٦١ - ٢٦٠  
 معتدلون : الحزب الكنيسي ٢ : ٢٣٢  
 معتصم : الخليفة وبابك ٣٢٥  
 مغاربة الكحل : وسيف الدولة ٢ : ٣٥  
 مغاور : الفرسان المرتزقة ٢ : ٢٢٣ -  
 ٢٢٥  
 مغنىسية : رفات ثيودوروس ٢ : ١٩٦ ،  
 وهجوم الاتراك ٢ : ٢٢٣  
 مغول : وأسية الصغرى ٢ : ١٩٥  
 مقدمان الفلسفه : أطلب ميخائيل الثالث  
 البطريرك  
 مقدونية : الأسرة المالكة ٢ : ٣ - ٤  
 مقدونيוס : بدعته ٩٤ ، الثاني البطريرك  
 ١٢٨  
 مقوقس : والتي العربي ٢ : ٢٣٥ - ٢٣٦ ،  
 والفتح ٢٥٠ - ٢٥١  
 مكاريوس : بطريرك انطاكية والجمع السادس  
 ٢٥٨  
 مكرمبوليس : المؤرخ ٢ : ٢٦٩  
 مكستيوس : امبراطور الغرب ٥٢  
 مكسيموس : الفيلسوف ويوليانوس الجاحد

- موزالن : اطلب جاورجيوس ٩٨ : ٢  
 موسكـو : دوقها والروم ٢٥٨ : ٢  
 ميلان : تعرف بسيادة الروم ٤٨ : ٢  
 مونتفـراتـ : اطلب بونيفاتـيوس ٢٧ : ٢  
 ميافارـقـينـ : في قبـةـ الروـمـ ٢٧ـ : ٢ـ  
 ميتـوخـيـسـ ، ثـيـودـورـوسـ العـالـمـ ٢ـ : ٢ـ  
 مـيـثـوـنيـوسـ : اطلب نـيـقولـاـوـوسـ ٢ـ  
 مـيـخـائـيلـ : الاـولـ الفـسـيـلـفـسـ ٣١٥ـ - ٣١٧ـ  
 الثـانـيـ ٣١٨ـ - ٣٢٣ـ ، الثـالـثـ ٣٢٧ـ -  
 بـورـجـسـ القـائـدـ ٣٣٨ـ : ٢ـ ، ٥٦ـ ،  
 الـرـابـعـ الفـسـيـلـفـسـ ٢ـ : ٦٢ـ - ٦٣ـ ،  
 الـخـامـسـ الـقـلـفـاطـيـ ٦٣ـ : ٢ـ ، كـيرـولاـريـوسـ  
 البـطـرـيرـكـ ٢ـ : ٧٠ـ ، السـادـسـ الفـسـيـلـفـسـ  
 ٢ـ : ٧٧ـ - ٧٨ـ ، اـتـايـاتـسـ المـؤـرـخـ ١٠٢ـ  
 ، البـطـرـيرـكـ وـاسـحـقـ كـوـهـنـيـوسـ ١٠٥ـ  
 ، السـابـعـ الفـسـيـلـفـسـ ٢ـ : ١١١ـ - ١١٥ـ  
 ، الثـالـثـ البـطـرـيرـكـ ٢ـ : ١٥٥ـ ،  
 الـاـيـطـالـيـ الحـطـيبـ ٢ـ : ١٦٦ـ ، الخـونـيـاتـ  
 رـئـيسـ اـسـاقـفـةـ آـثـيـنةـ ٢ـ : ١٦٦ـ ، الـرـابـعـ  
 البـطـرـيرـكـ ٢ـ : ١٨٥ـ ، دـوـقـاسـ دـيـسـبـوـسـ  
 اـبـرـوـسـ ٢ـ : ١٨٨ـ وـ١٩٤ـ ، الثـانـيـ  
 مـالـكـ الـبـلـغـارـ ٢ـ : ١٩٤ـ ، بـالـيـولـوـغـوـسـ  
 فـيـ نـيـقـيـةـ ٢ـ : ١٩٥ـ وـ١٩٦ـ ، الشـامـنـ  
 الفـسـيـلـفـسـ ٢ـ : ١٩٧ـ - ٢١٨ـ ، واـخـادـ  
 الـكـنـيـسـيـنـ ٢ـ : ٢١٢ـ - ٢١٥ـ ، التـاسـعـ  
 الفـسـيـلـفـسـ وـالـاتـراكـ ٢ـ : ٢٢٣ـ ، وـتـراـقـيـةـ  
 ٢ـ : ٢ـ ، الشـالـثـ مـلـكـ الـبـلـغـارـ ٢ـ : ٢٢٩ـ  
 مـيـرـيوـ كـفـالـونـ : المـعرـكـةـ ٢ـ : ١٥٨ـ  
 مـيـرـيوـ بـيـليـونـ : مـصـنـفـ البـطـرـيرـكـ فـوـطـيـوسـ

١٨٢ : ٢

نيقيطاس : زحفه على مصر ٢٢١ ، قدوته  
إلى القسطنطينية ٢٢٣ ، القائد وأوروشليم  
٢٢٤ ، أوريفانوس وساحل  
الإدرياتيك والمسلمين ٢ : ٨ ، الخونيات  
المؤرخ ٢ : ١٦٥ ، رئيس أساقفة  
نيقوميدية ٢ : ١٦٧

نيقوفروس : الأول الفسيفس ٣١٤ -  
٣١٥ ، بطريرك القسطنطينية والأيقونات  
٣١٧ - ٣١٨ ، المعرف والعلم ٣٤٣  
- ٣٤٤ ، فرقاس وفتوحاته في إيطالية  
٢ : ٨ ، وغزوته في سوريا ٣٤ : ٢ -  
٣٦ ، الفسيفس ٢ : ٣٩ - ٤٤  
، ابن برداش وانتصاراته ٢ : ٢٧  
بريانوس والبلقان ٢ : ١١٣ ، وتاريخه  
٢ : ١٦٥ ، الثالث الفسيفس ٢ :  
١١٣ - ١١٤ ، باسيلاكس الخطيب  
٢ : ١٦٦ ، يرفض البطريركية ٢ :  
١٩٣ ، الثاني البطريرك المسكوني ٢ :  
١٩٧ ، البهيمي العالم ٢ : ٢٠٤ -  
٢٠٥

نيلوس : المصري وتعاليمه ٢ : ١٣٦

نيوفيلوس : الأول البطريرك المسكوني  
١٥٥ : ٢

نوثاراس : واتحاد الكنيستين ٢ : ٢٩٠

نور الدين : أمير حلب حليف الروم ٢ :

١٥٧

نورمبرج : المعاهدة ٢ : ١٧١

نورمنديون : وإيطالية الجنوبيّة ٢ : ٧٠

مغامراتهم في آسيا الصغرى ٢ : ١١٣

مطامعهم ٢ : ١٢٠ - ١٢١ ، الحرب

مع الروم ٢ : ١٥٠ - ١٥٢ ،

واسحق الثاني ٢ : ١٧٠

نومانيوس : أخباره وفلسفته ٢٠

ذو الثون : أمير سيواس والروم ١٥٧ -

١٥٨

نيفون : الراهب زعيم البوسرين ٢ : ١٥٦

نيقوبليس : دخول سيسكوند إليها ٢ :

٢٥٧ ، المعركة الكبرى ٢ : ٢٥٥

نيقولاوس : ميتيكوس البطريرك

القسطنطيني ٢ : ١٥ ، موقفه من

الفسيفس ٢ : ١٥ - ١٦ ، الثاني

البطريرك المسكوني ٢ : ٥١

ميتيكوس البطريرك العالمي ٢ : ١٠٠

الثالث بطريرك القسطنطينية ٢ : ١٣٦

الرابع البطريرك المسكوني ٢ : ١٥٥

ميتوبيوس المدافع عن الدين ٢ : ١٦٦

ميزاريس متروبولي افسس ٢ : ١٠١

الخامس بابا روما وحصار القسطنطينية

٢٨٩ : ٢

نيقوميدية : استيلاء أورخان عليها ٢ : ٢٣٠

نيقية : مجده المسكوني الأول ٥٥ - ٥٩

وانتخاب أولنتيانوس ٨٧ ، دستور

الإياغان ٩٤ - ٩٥ ، إمبراطوريتها

والنس : امبراطور الشرق ٨٧  
والآريوسيون ٩١  
وباه : الاسود ٢٣٩ : ٢  
وثنية : تشرف على التلف ٩٩ - ١٠٠  
ورنة : الموقمة ٢ : ٢٨٦  
وسيط : الافلاطونية الجديدة ٤٠  
ولنتيانوس : الامبراطور ٨٧ - ٨٩ ،  
الثاني امبراطور الغرب ٩٨ - ٩٩  
يافة : والعرب ٢٣٩  
يرموق : الموقمة الخامسة ٤٤  
يزدجرد : الاول وصداقه ١١٧  
يزيد : ابن اي سفيان والشام ٢٤٠  
يعقوب : اخو بايزيد وقتله ٢ : ٢٥٣  
يقظة : الروم واليقظة في ايطالية ٤ :  
٢٧٨ - ٢٧٦  
يبلخيوس : الفيلسوف البقاعي ٢٢ - ٢٣  
ين : قبائلها والفتح ٢٤٢  
يهود : واليسحيون الاولون ٤٥ - ٤٦ ،  
والنبي العربي ٢٣٤ - ٢٣٥ ، وموقف  
دولة الروم منهم ٩٢ : ٢ - ٩٣  
يوبيتاليوس : اسقف اوروشليم ١٢٤  
يوحنا : الانجيلي ٣١ ، النهي الفم والقدس  
مارون ١٠٥ ، اخباره ١١٣ - ١١٦  
البطريرك الانطاكي ١٢٤ ، البطريرك  
الاسكندرى ١٣٨ ، وطياريوس  
الثاني ١٩٦ - ١٩٧ ، كليماكوس  
المؤرخ ٢١٥ ، الافسي المؤرخ ٢١٤ -  
٢١٥ ، موسخوس المؤرخ ٢١٥

هرقلون : ابن هرقل ٢٥٤  
هرمز : الرابع يسيء استقبال وفده الروم ٢٠٠  
هنريكسوس: الثالث الامبراطور والانشقاق ٢ : ٧١ ، الرابع الامبراطور ٢ :  
١٢١ - ١٢٢ ، والروم ٢ : ١٧٤ - ١٧٥  
١٧٥ ، دوندولو شيخ البندقية ٢ :  
١٧٥ ، امبراطور القدسية ٢ :  
١٨٧ ، الرابع ملك الانكليز والروم ٢ : ٢٦٠  
هنوبيوس : الامبراطور ١٠٨ - ١٠٩  
هورميذاس : بابا روما ١٦٧  
هوسيوس : الاسقف الاسياني ٥٦ - ٥٧  
هوغ : دي فارمندو اخو ملك فرنسا ٢ :  
١٢٧  
هولاغو : سلطنة الروم ٢ : ٢١٥ - ٢١٦  
هومبرت : الكرديسال والانشقاق ٢ :  
٧٦ - ٧٧  
هون : يعبرون الفولكلة ٨٧ ، اتباع  
سلطانهم ١٢٠ - ١٢١  
هونياتي : يوحنا ٢٨٩  
هيرودوس : أغريبة ٢٧  
هيروكايس : اللفوبي المغرافي ٢١٣  
هيلانة : القديسة ٥٩ - ٦٠ ، زوجة  
يويلانوس ٨٠  
هيلرخوس : الوندالي في افريقيا ١٨٧  
هياريوس : قائد الاسطول والمسلون ٢ :  
١٩

- ٢٤٢ ، السادس الفسيفس : ٢ - ٢٣٥  
 ٢٤٢ ، والعلم ٢٦٧ ، الكسندروس  
 ملك البلغار : ٢ ، الثامن الفييلفس  
     ٢ : ٢٨٧ - ٢٧٩ و ٢٦٤ - ٢  
 يوستينوس : الامبراطور ١٦٨ - ١٦٨  
     الثاني ١٩٥ - ٢٠٠  
 يوستينيانوس : الامبراطور ١٦٨ -  
     ١٩٤ ، وال الحرب في ايطالية وافريقية  
     ١٨٧ - ١٨٨ ، وال الحرب الفارسية  
     ١٨٥ - ١٨٩ ، و تحسين الحدود -  
     ١٩٣ ، ابن جرمانوس القائد ، ٣٠٠  
     الثاني الفسيفس ٢٦٤ - ٢٧٠  
 يوسف البطريرك المسكوني ٢ : ٢١٣  
     ٢٨٤ - ٢٨٢  
 يوسيبيوس : الآريوسي ويوليانوس ، ٧٨  
     المؤرخ ١٥٥ - ١٥٧ ، الرهاوي  
     ١٦٢  
 يوفيانوس : الامبراطور ٨٦  
 يولندة : الامبراطورة ٢ : ١٨٨  
     الفسيلة الايطالية ٢ : ٢١٩  
 يوليانوس : الجاحد ٧٦ - ٨٥
- ٢١٦ ، الرابع بابا روما و تحرير المشية  
 الواحدة ٢٣٣ ، رئيس اساقفة آثينا  
     ٢٥٨ ، الانطاكي المؤرخ - ٢٨٤  
     ٢٨٥ ، الكاتب البطريرك ، ٣٢٧  
 الدمشقي ٣٤٢ - ٣٤١ ، الثامن  
 بابا روما ٢ : ٨ ، جيمسكي الفسيفس  
     ٤٤ - ٤٩ ، سباد ملك الارمن  
     ٦٥ : ٢ ، البلاغوني الخطي ٦٢ : ٢  
 الثامن البطريرك ١٠٦ - ١٠٧  
     السابع بطريرك انطاكيه ١٣٠ : ٢  
     الثاني الفسيفس ١٣٩ - ١٤٤  
 الايطالي ١٥٦ و ١٦٤ ، کناموس  
 المؤرخ ١٦٥ : ٢ ، آسن زعيم البلغار  
     ١٧٣ : ٢ ، العاشر البطريرك  
     ١٨٥ : ٢ ، الثالث الفسيفس ٢  
     ١٨٧ - ١٩٢ ، فقس و توحيد  
 الكنسية ٢ : ٢١٣ ، کنتاكينيروس  
     ٢ : ٢٢٧ ، اورسيني ٢ : ٢٢٩  
 الثاني والشرون بابا روما والانشقاق  
     ٢٣١ : ٢ ، كاليكاس البطريرك ٢  
     ٢٣٥ ، الخامس الفسيفس ٢ : ٢٣٥

## محتويات

### الجزء الثاني

#### الباب الثامن

##### الاسرة المقدونية والعظمة والمجد

صفحة

الفصل الثاني والعشرون : توطيد الملك : باسيليوس الاول لاوون السادس ، اصل هذه الاسرة ، باسيليوس الاول ، باسيليوس والعرب والارمن ، باسيليوس والكنيسة ، سياسة باسيليوس الداخلية ، لاوون السادس ، لاوون والكنيسة ، سياسة لاوون الداخلية ، لاوون الحكيم والعرب ، والبلغار ، والروس . . . .

٤٢ - ٣

الفصل الثالث والعشرون : النهوض بالدولة : قصور ووصاية ، رومانوس الاول والعرب ، قسطنطين السابع ، قسطنطين وسيف الدولة ، اقريپتش ، مغاربة الكلع ، عين زربا ، وحلب . . . . .

٤٦ - ٤٣

الفصل الرابع والعشرون : هجوم عظيم ونصر مبين : الجيش في القرن العاشر ، نيقفوروس فوقياس ، فتوحات الروم في سوريا ، نيقفوروس والغرب ، الروم والبلغارية وروسية ، يوحنا جيمسكي ، عنائه بالكنيسة ، الروس والبلغار ، توسيع جديد في سوريا ولبنان ، باسيليوس الثاني ، الكنيسة ، تنصر الروس ، حروب باسيليوس . . . . .

✓

الفصل الخامس والعشرون : التوقف عن [التوسيع] : قسطنطين الثامن ، الاباطرة الاصهار ، الحدود والعلاقات الخارجية ، قسطنطين التاسع مونوماخوس ، الانشقاق العظيم ٦٠ - ٧٨

الفصل الخامس والعشرون :

الفصل السادس والعشرون : اسس الدولة ونظمها : المسيح هو الملك ، الفيلسوف نائب المسيح ، البطريرك المسكوني ، الفيلسوف والكنيسة ، الانجيل دستور الدولة ، من لا يدين بالنصرانية ، الادارة ، الاحزاب السياسية ، نزاع الطبقات ، الدولة ورجال الصناعة . . . ٩٧ - ٨٠

الفصل السابع والعشرون : الآداب والفنون في عهد الاسرة المقدونية : مميزات آداب هذا العصر ، المؤلفون والمؤلفات ١٠٣ - ٩٨

## الباب التاسع تأخر الدولة وانحطاطها

الفصل الثامن والعشرون : الفوضى والفتن الداخلية : اسحق كومينيوس ، قسطنطين العاشر دوكه ، رومانوس الرابع ديوجانس ، ميخائيل السابع ، الاتراك السلاجقة ، نيقفوروس الثالث بوتانياتس ، البابا غريغوريوس السابع ، ارمينية الصغرى ، ثورة اليكسيوس كومينيوس . . . . . ١١٨ - ١٠٤

الفصل التاسع والعشرون : اليكسيوس الاول كومينيوس : شخصه ، مطامع النورمنديين ، ثورة مانوية ، ازدياد نفوذ الاتراك ، الروم والصلبيون ، ملكشاه الثاني ، اليكسيوس والقرب ، السياسة الداخلية ، اليكسيوس والكنيسة ، اقتراب الاجل . . . ١٣٨ - ١١٩

الفصل الثلاثون : خلفاء اليكسيوس كومينيوس : يوحنا الثاني ، اخباره في اوروبا ، حروبها في آسيا ، عمانوئيل الاول ، مشكلة انطاكية ، سلطنة قونية ، الحملة الصليبية الثانية ، الحرب النورمندية ، الفيلسوف سيد سوريا ولبنان وفلسطين ، المشكلة الايطالية ، عمانوئيل والكنيسة ، سلطنة قونية ، وصاية مريم الانطاكية ، اندرونيكيوس الاول ، العاصمة في القرن الثاني عشر ، العلم والادب . . . ١٦٨ - ١٣٩

## الباب العاشر

### تفكك وأنهيار

صفحة

**الفصل الحادي والثلاثون :** اسرة أنجيلوس: اسحق الثاني، اليكسيوس الثالث، هنريكس السادس والروم، الحملة الصليبية الرابعة ١٦٩ - ١٨١  
**الفصل الثاني والثلاثون :** امبراطورية نيقية: على انقض دوله الروم، تعاون الروم والبلغار، يوحنا الثالث باطاجي، فريديريك الثاني، كيخرو الثاني، يوحنا عدو اللاتين، ثيودوروس الثاني، يوحنا الرابع، فتح القسطنطينية، انوشتوس الثالث والكنيسة الارثوذكسيه، علماء نيقية وادباؤها، نيقفوروس البهيدى، اكرهوبوليتة ثيودوروس، ادباء ابيروس وعلماؤها . . . . . ٢٠٧ - ١٨٢

## الباب الحادي عشر

### اليقظة الاخيرة واحفاظها

**الفصل الثالث والثلاثون :** دولة صغيرة ارثها كبير: سياسة ميخائيل الثامن الداخلية، سياسته الخارجية، محاولة توحيد الكنيستين، ميخائيل الثامن والبلقان، ميخائيل في الشرق، اندرونيكس الثاني، سياسته الداخلية، جنوبي والبندقية، مطامع الصربي، الخطر التركي، فرق المقاوم، تشوش وبلاطة . ٢٠٨ - ٢٢٧

**الفصل الرابع والثلاثون :** اندرونيكس الثالث ويوحنا السادس: اندرونيكس الثالث، حروب في البلقان، في آسيا والارض، موقفه من الكنيسة، الفيورون والمغولون، الصامدون، الحرب الاهلية، يوحنا السادس، الهرب، متاعب داخلية، مشكلة جنوبي، جنوبي والبندقية، حرب اهلية . ٢٢٨ - ٢٤٢

**الفصل الخامس والثلاثون :** الاتراك العثمانيون في اوروبا: شبه جزيرة البلقان، الهجوم التركي، الفسليف وباواروما، البطريرك فيلوفاوس يقاوم، الاتراك عند

صفحة

الدانوب ، اخفاق البابا ، دخول الفسليفس في  
طاعة السلطان ، ثورة اندرونيكيوس ،  
الاتراك اسياد الموقف ، قوصوة . . . .  
٢٤٣ - ٢٥٢

الباب الثاني عشر

النهاية

الفصل السادس والثلاثون :  
الروم وبازيد و محمد : السلطان بازيد ، نيكوبوليس ،  
عمانوئيل الثاني في الغرب ، تيمورلنك ، اثر  
انهزام الاتراك ، عمانوئيل والمورة ، مراد  
الثاني ، يوحنا الثامن في الغرب ، وفاة عمانوئيل  
الثاني . . . . .  
٢٦٥ - ٢٥٢

الفصل السابع والثلاثون :  
علوم الروم وثقافتهم : دور الملوك والامراء ،  
التاريخ ، اللاهوت ، الفلسفة والبيان وفقه اللغة ،  
ثيودوروس ميتوخيس ، ديمتريوس تريكلينيوس ،  
القانون ، العلوم والاطب ، الفن ، الروم واليقظة  
في ايطالية . . . . .  
٢٧٨ - ٢٦٦

الفصل الثامن والثلاثون :  
يوحنا الثامن وقسطنطين الحادي عشر : يوحنا  
الثامن ، بجمع فراري ، موقف مراد الثاني ،  
موقعه ورثة ، مراد وقسطنطين باليولوغوس ،  
موقعه قصوه ، وفاة يوحنا الثامن ، قسطنطين  
الحادي عشر ، محمد الثاني والقسطنطينية ، قسطنطين  
يستعد ، حصار القسطنطينية . . . . .  
٢٩٤ - ٢٧٨

ملحق

الاباطرة والفالسسة وباطرة رومانية اللاتينية وملوك اورورشليم اللاتينيون  
٣٠٠ - ٢٩٦  
بطاركة رومة الجديدة وبباوات رومة القديمة . . . . .  
٣١١ - ٣٠٠ . . . .  
الاكاسرة ، وأخلفاء الراشدون ، والامويون ، والعباسيون . . . .  
٣١٤ - ٣١٢ . . . .  
الاطولونيون ، والاخشيديون ، والفاتميون ، والحمدانيون ، والايوبيون ،  
والمالك والعنانيون . . . . .  
٣١٧ - ٣١٤ . . . . .

الفهارس

*Copyright by Dar Al - Makhouf*

*Beyrouth, 1956*

HISTORY  
of  
**THE BYZANTINE EMPIRE**

WITH SPECIAL REFERENCE TO ITS RELATIONS  
WITH CONTEMPORANEOUS MOSLEM STATES

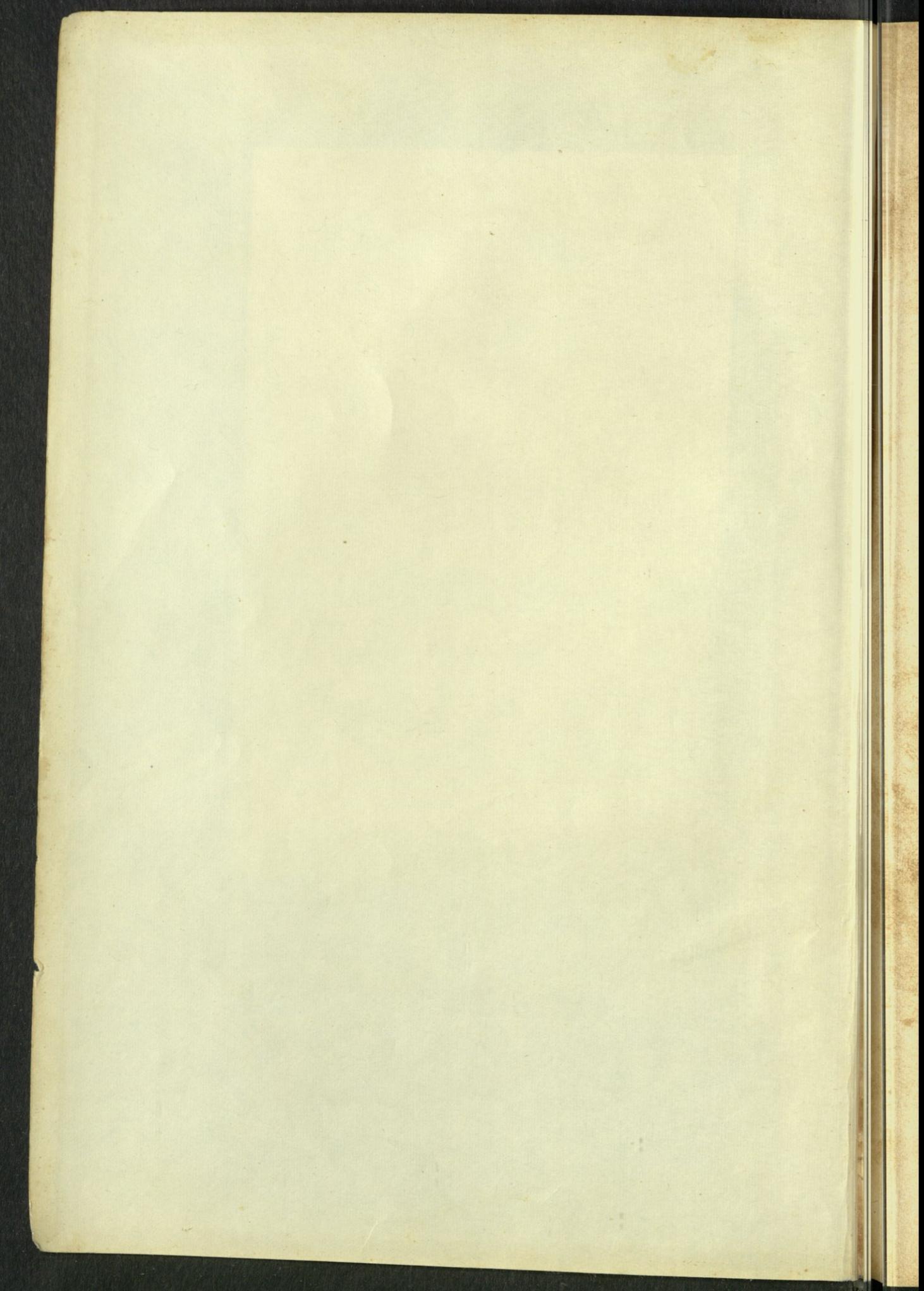
By

**Asad J. Rustum, M. A., Ph. D.**

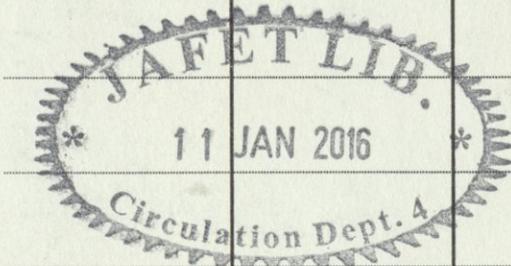
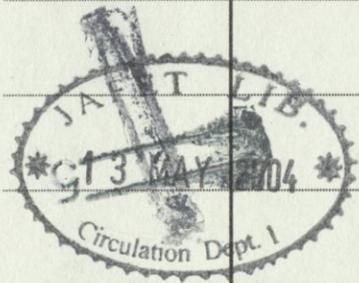
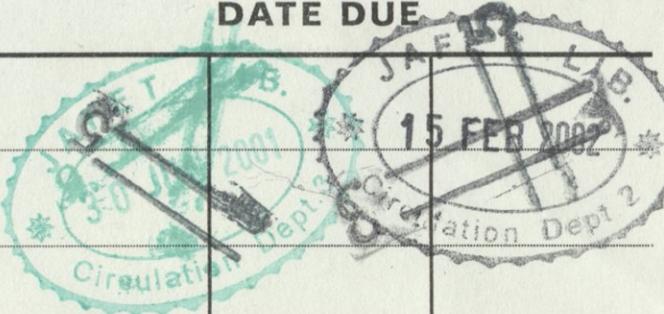
- II -

Dar Al-Makhouf

Beyrouth



DATE DUE



949.5:R97rA:v.2:c.1

رسنم، اسد

الروم فى سياساتهم، وحضارتهم، ودينهم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01050236



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

